مخطوط رقم	3953 م.ك	الموضوع	تفسير
العنوان	الجامع لأحكام القرآن		
المؤلف	القرطبي ; محمد بن احمد ـ 671 هـ		
أوله			
آخره			
تاريخ النسخ	763 هـ		
إسم الناسخ	يعقوب بن عبد الرحمن بن عثمان الشافعي المقرىء ـ 775 هـ		
نوع الخط	نسخ جيد	عدد الأوراق	168
لغة المخطوط		عدد الأسطر	0
تاريخ التأليف		المقاس	
الملاحظات			
مصدر المخطوط	شستربيتي		
المراجع			

PIETERSE DAVISON
INTERNATIONAL Ltd
microfilm service
Chester Beatty
Library
MS
15 05 1979
5 cm

جميع حقوق النشر والطبع محفوظة

لامناء مكتبة تشستر بيتي، دبلن، ايرلندا

This microfilm is copyright. It shall not be published or printed without the permission of the Trustees of The Chester Beatty Library & Gallery of Oriental Art 20, Shrewsbury Rd., Dublin 4, Republic of Ireland.

3953

AL-ǰĀMIʿ LI-AḤKĀM AL-QUR'ĀN, by AL-QURṬUBĪ (d. 671/1273).

[A volume of an elaborate commentary on the Qur'ān; see Nos. 3031, 3327, 3357.]

Foll. 168. 26·8 × 18 cm. Good scholar's naskh.

Copyist, Yaʿqūb b. ʿAbd al-Raḥmān b. ʿUthmān al-Shāfiʿī al-Muqri' (d. 775/1373).

Dated (collation) Friday, 6 Jumādā II 763 (2 April 1362).

KEM AL-JAVET
Zaid al-Marie
Br.E504.5.I 918

A. CHESTER BEATTY.
3953
J.154.

ما في هذا المجلد من قوله وما كنت متلوا من قبله
من كتاب من العنكبوت ثم الروم ثم لقمان ثم الم
تنزيل السجدة ثم الاحزاب ثم سبا ثم فاطر ثم يس
ثم الصافات

من سورة [illegible] السورة [illegible] القرآن

٢٧
٥٤
الثاني

بالذي انزل اليها وانزل اليكم وربي
الكتاب يعني التوراة والانجيل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا
وقولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسألوا اهل
بعد وكذبوا وقد ضلوا اما ان تكذبوا بحق واما ان
عن حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية
وقد ذكر الاحبار فقال ان كان من
من الكتاب وان كان مع ذلك لنبي
وما كنت متلوا من قبله من كتاب
فعالج ما كنت تلوا من قبله الى
الى قول الله صلى الله عليه وسلم
الى اهل الكتاب بل انزله الله الى نبيه
فعالج ما كنت من كتاب وخط
اهل الكتاب وكان لهم في ايديهم
كتبا الى الله وبدلوا
في كتبهم من عند انفسهم
الخالق لله على خلقه لا يكتب
اهل الكتاب فعالم بالغيب الا الله
الثانية ذكر الناس
النبي صلى الله عليه وسلم
السلام يضعه ابن
واخبر بعضنا فقال ان خطيبة

بالذي انزل الينا وانزل اليكم روى البخاري عن ابي هريرة قال كان اهل
الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل اليكم وروى عبد الله بن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسالوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن
يهدوكم وقد ضلوا اما ان تكذبوا بحق واما ان تصدقوا بباطل وفي البخاري
عن حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة
وذكر كعب الاحبار فقال ان كان من احدثها ولا نحدث ان الذين يحدثون
عن الكتاب وان كان مع ذلك لنبلو عليه الكذب قوله تعالى
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب الآية فيه ثلاث مسايل الاول قوله
تعالى وما كنت تتلوا من قبله الضمير في قبله عايد الى الكتاب وهو القرآن
المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وما كنت يا محمد تقرأ قبله ولا تختلف
الى اهل الكتاب بل انزلناه اليك في غاية الاعجاز والتضمن للغيوب وغير
ذلك فلو كنت ممن تقرأ كتابا وتخط حروفا لارتاب المبطلون اي من
اهل الكتاب وكان لهم في ارتيابهم متعلق وقالوا الذي نجده في
كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به فلما جاء وكان اهل الكتاب يجدون
في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخط ولا يقرأ نزلت هذه الآية
النحاس دليل على نبوته لانه لا يكتب ولا يخالط اهل الكتاب ولم يكن
اهل الكتاب فجاءهم باخبار الانبياء والامم وزالت الريبة والشك ٥
الثانية ذكر النقاش في تفسير هذه الآية عن الشعبي انه قال ما مات
النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب واسند ايضا حديثا الى ابن جبشة
السلولي مضمنه انه صلى الله عليه وسلم قرا صحيفة لعيينة بن حصن
واخبر بمعناها قال ن عطية وهذا كله مخالف قول الله

ماكنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون
من كتاب من الكاتبين ثم الروم ثم لقمان ثم الم الجزء
ثم الاعراف ثم سبحان ثم فاطر ثم يس
ثم الصافات
من سورة [illegible] سورة الفرقان

منه قال الشيخ المصنف رحمه الله وقع في صحيح مسلم من حديث
البرا في صلح الحديبية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اكتب الشرط
بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال له
المشركون لو نعلم انك رسول الله تابعناك في رواية ما يعناك ولكن
اكتب محمد بن عبد الله فأمر عليا ان يمحاها فقال علي والله لا امحاها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارني مكانها فاراه فمحاها وكتب
بن عبد الله قال علما ونا رضي الله عنهم ظاهر هذا انه عليه السلام محا
تلك الكلمة التي هي رسول الله بيده وكتب مكانها بن عبد الله وقد رواه
البخاري ظاهرا من هذا قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب
وزاد في طريق اخرى ولا يحسن ان يكتب فقال جماعة لجواز هذا الظاهر
عليه وانه كتب بيده منهم الشنائي وابو ذر الباجي ورأوا ان ذلك
غير قادح في كونه اميا ولا معارض لقوله تعالى وما كنت تتلو من
قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ولا لقوله انا امة امية لا نكتب
ولا نحسب بل رأوه زيادة في معجزاته واستظهارا على صدقه وصحة
رسالته وذلك انه كتب من غير تعلم لكتابة ولا تعاط لاسبابها وانما اجرى الله
تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها بن عبد الله لمن
قرأها فكان ذلك خارقا للعادة كما انه عليه السلام علم الاولين والاخرين
من غير تعلم ولا اكتساب فكان ذلك ابلغ في معجزاته واعظم في فضايله
ولا يزول عنه اسم الامي بذلك ولذلك قال الراوي عنه في هذه الحالة ولا يحسن
ان يكتب فبقي عليه اسم الامي مع كونه قال كتب قال شيخنا ابو العباس
احمد بن عمر وقد انكر هذا كثير من متفقهة الاندلس وغيرهم وشددوا
النكير فيه ونسبوا قايله الى الكفر وذلك دليل على عدم العلم النظرية
وعدم التوقف في تكفير المسلمين ولم يتفطنوا الان تكفير المسلم كقتله

على ما جاء عنه عليه السلام في الصحيح لسيما رمي من شهد له اهل عصره
بالعلم والفضل والامامة على ان المسئلة ليست قطعية بل مستندها
ظواهر اخبار احاد صحيحة غير ان العقل لا يحيلها وليس في الشريعة
قاطع لحيلولة وقوعها قال الشيخ المصنف رحمه الله وقال بعض المتاخرين
من قال ان اية خارقة فيقال له كانت تكون اية لا تذكر لو لا انها مناقضة
لاية اخرى وهو كونه اميا لا يكتب ويكتب ويخبر بهما في امة امية
قامت الحجة والحجم للجاحد والخصمت الشبهة فكيف يطلق الله تبارك
وتعالى يده فيكتب فتكون اية وانما الاية ان لا يكتب والمعجزات يستحيل
ان يدفع بعضها بعضا وانما معنى كتب واخذ القلم اي امر من كتب به
من كتابه وكان كتبة الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ستة وعشرين
كاتبا الثالثة ذكر القاضي عياض عن معاوية انه كان يكتب بين
يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء
وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم
قال القاضي وهذا وان لم تصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم كتب فما
بعد ان مرن على علم هذا ومنع الكتابة والقراءة قال الشيخ المولف رحمه
الله هذا هو الصحيح في الباب انه ما كتب ولا حرفا واحدا وانما امر من
يكتب وعلى ذلك ما قراء ولا تعجا فان قيل فقد تعجا النبي صلى الله عليه
وسلم حين حكى الدجال فقال مكتوب بين عينيه كافر وقلتم ان
المعجزة قايمة في كونه امي قال الله العظيم وما كنت تتلوا من قبله من
كتاب ولا تخطه بيمينك الاية وقال انا امة امية لا نكتب ولا نحسب
فكيف هذا الجواب ما نصه عليه السلام في حديث حذيفة والحديث
كالقران يفسر بعضه بعضا ففي حديث حذيفة يقرؤه ومن لم كاتب
وغير كاتب فقد نص في ذلك على غير الكاتب وممن لم يكن اميا وهذا

من اوضح ما يكون جليا قوله تعالى بل هو ايات بينات يعني
القرآن قاله الحسن وزعم القراء في قراءة عبد الله بل هي ايات بينات
المعنى بل ايات القرآن ايات بينات قال ومثله هذا بصائر ولو كانت
مقدرة بالجاز وتطهير هذا رحمة من ربي قال الحسن انما عظيمت هذه الامة
الحفظ وكان من قبلهم لا يقرؤون كتابهم الا نظرا فاذا طبقوه لم يحفظوا
ما فيه الا النبيون فقال كعب في صفة هذه الامة انهم حكماء علماء وهم
في الفقه انبياء في صدور الذين اوتوا العلم اي ليس هذا القرآن كما يقوله
المبطلون من انه سحر او شعر ولكنه علامات ودلايل يحرز بها دين
الله واحكامه وهي كذلك في صدور الذين اوتوا العلم وهم اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم والموصوفون به يحفظونه ويقرؤنه ووصفهم بالعلم
لانهم ميزوا بانفهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين وقال
قتادة وابن عباس بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ايات بينات في
صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب يجدونهم في كتبهم بهذه الصفة
اميا لا يقرأ ولا يكتب ولكنهم حملة انفسهم وكتموا وهذا اختيار الطبري
ودليل هذا القول قراءة ابن مسعود وابن السميفع بل هذا ايات بينات
وكان عليه السلام ايات لا آية واحدة لانه دل على اشياء كثيرة من
امر الدين فلهذا قال بل هو ايات بينات وقيل بل هو ذو ايات بينات
فحذف المضاف وما يجحد بايساتنا الا الظالمون اي الكفار لانهم
جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم وما جاء به قوله تعالى
وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه هذا قول المشركين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعنى هلا انزلت عليه ايات كايات الانبيا
قبل كناقة صالح وعصى موسى واحيا الموتى قل اي
قل لهم يا محمد انما الايات عند الله فهو ياتي بها حيث يريد اذا شا

في كتبهم

ارسلها وليست عندي وانما انا نذير مبين وقرا ابن كثير وابو بكر
وحمزة والكسائي له بالتوحيد وجمع الباقون وهو اختيار ابي عبيد
لقوله قل انما الايات قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه ايات من ربه
اي اولم يكفهم المشركين من الايات هذا الكتاب المعجز الذي قد
تحداهم بان ياتوا بمثله او بسورة منه فعجزوا ولو اتيتهم باية لقالوا موسى
وعيسى لقالوا سحر ونحن لا نعرف السحر والكلام مقدور لهم ومع ذلك
عجزوا عن المعارضة وقيل ان سبب نزول هذه الاية ما رواه ابن عيينة
عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بكتف فيه كتاب فقال كفى بقوم ضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى
ما جاء به نبي غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فانزل الله تعالى اولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب الاية اخرجه الدارمي ابو محمد في مسنده
وذكره اهل التفسير في كتبهم وفي مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم
لعمر رضي الله عنه لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي
وفي مثله قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن يستغني
به عن غيره وهذا تاويل البخاري رحمه الله في الاية واذا كان للقاريء
بكل حرف عشر حسنات واكثر على ما ذكرناه في مقدمة الكتاب
فالرغبة عنه الى غيره ضلال وخسران وغبن ونقصان اي في ذلك
اي في القرآن لرحمة في الدنيا والاخرة وقيل رحمة في الدنيا لما استفادهم
به من الضلالة وذكرى في الدنيا لما رشادهم به الى الحق لقوم يؤمنون
قوله تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اي قل للكذبين لك كفى بالله
شهيدا يشهد لي بالصدق فيما ادعيته من اني رسوله وان هذا القرآن
كتابه يعلم ما في السموات والارض اي لا تخفى عليه شيء وهذا احتجاج

عليهم في صحة شهادته عليهم لانهم قد اقروا بعلمه فلزمهم ان
يقروا بشهادته والذين امنوا بالباطل قال يحيى بن سلام بابليس وقيل الاوثان
بعبادة الاصنام قاله ابن شجرة وكفروا بالله لتكذيبهم برسله وجحدهم
لكتابه وقيل بما اشركوا من الاوثان واضافوا اليه من الاولاد والاضداد
اوليك هم الخاسرون انفسهم واعمالهم في الاخرة **قوله تعالى**
ويستعجلونك بالعذاب لما انذرهم بالعذاب قالوا لفرط الانكار
عجل لنا هذا العذاب وقيل ان قايل ذلك النضر بن الحارث وابو جهل
حين قالا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السما وقولهم ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله
ولولا اجل مسمى في نزول العذاب قال ابن عباس يعني هو ما وعدتك
لا اعذب قومك واوخرهم الى يوم القيامة بيانه بل
الساعة موعدهم وقال الضحاك مدة اعمارهم في الدنيا وقيل
المراد بالاجل المسمى النفخة الاولى قاله يحيى بن سلام وقيل الوقت
الذي قدره الله لهلاكهم وعذابهم قال ابن شجرة وقيل هو القتل ببدر
وبالجملة فلكل عذاب اجل لا يتقدم ولا يتاخر دليله قوله لكل
نبا مستقر لجاءهم العذاب يعني الذي استعجلوه وليأتينهم بغتة
اي فجاة وهم لا يشعرون اي لا يعلمون بنزوله عليهم يستعجلونك بالعذاب
اي يستعجلونك وقد اعد لهم جهنم وانها ستحيط بهم لا محالة
فما معنى الاستعجال وقيل نزلت في عبد الله بن امية واصحابه من
المشركين حين قالوا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا
قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم قيل هو متصل
بما قبله اي يوم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم
فاذا غشيهم العذاب احاطت بهم جهنم وانما قال من تحت ارجلهم

للمقارنه والا فالغشيان من فوق وقال اعلفتها تبنا وما باردا
وقال اخر لقد كان قود الجياد الى العدا عليهن غار من قنى ودروع
ونقول ذوقوا قرا اهل المدينه والكوفة نقول بالنون الباقون باليا
واختاره ابو عبيد لقوله قل كفى بالله ويحتمل ان يكون الملك الموكل
بهم يقول ذوقوا والقراتان ترجع الى معنى اي يقول الملك بامرنا
ذوقوا **قوله تعالى** يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة هذه
الاية نزلت في تحريض المومنين الذين كانوا بمكة على الهجرة في قول
مقاتل والكلبي فاخبرهم تعالى بسعة ارضه وان البقا في بقعة
على اذى الكفار ليس بصواب بل الصواب ان يلتمس عبادة الله في
ارضه مع صالحي عباده اي ان كنتم في ضيق من اظهار الايمان بها
فهاجروا الى المدينة فانها واسعة لاظهار التوحيد بها وقال
ابن جبير وعطا ان الارض التي فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه
الايه ويلزم الهجرة عنها الى بلد حق وقاله مالك وقال مجاهد
ان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا وقال مطرف بن الشخير
ان رحمتي واسعة وعنه ايضا ان رزقي لكم واسع فابتغوه في الارض
قال سفين الثوري اذا كنت بارض غالية فانتقل الى غيرها تملا فيه جرابك
خبزا بدرهم وقيل المعنى ان ارضي التي هي ارض الجنة واسعة فاعبدوني
حتى اورثكموها فاياي فاعبدون اياي منصوب بفعل مضمر فاعبـ
اي فاعبدوا اياي فاستغنى باحدى الفعلين عن الثاني والفا في قوله
فاياي بمعنى الشرط اي ان ضاق بكم موضع فاياي فاعبدوا لان
ارضي واسعة وقوله كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون تقدم
في العمران وجا ذكره هنا تحقيرا لامر الدنيا ومخاوفها كان بعض
المومنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه من مكة انه

اليه ؛ يموت او جوع ونحو هذا فحقر الله شأن الدنيا اي انتم لا محالة ميتون
ومحشورون اليها فالبدار الى طاعة الله والجد في
للمؤمنين العاملين بسكنى الجنة تحريضا منه تعالى ذكر الجزاء الذي
يناله ثم نعتهم بقوله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقرا ابو عمرو
ويعقوب والبصري وابن ابي اسحق وابن محيصن والاعمش وحمزة والكسائي
وخلف يا عبادي بإسكان الياء وفتحها الباقون ان ارضي بفتح النون وامد
وسكنها الباقون وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فر
بدينه من ارض الى ارض ولو قيد شبر من الارض استوجب الجنة وكان
رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام ثم الينا ترجعون قرا السلمي وابو بكر
بالياء ؛ عن عاصم يرجعون لقوله كل نفس ذائقة الموت الباقون بالتاء لقوله
يا عبادي الذين امنوا وانشد بعضهم
كل ؛ الموت في حين نشر الكفن ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تركنن الى الدنيا وزهرتها وان توشحت من اثوابها الحسنا
اين الاحبة والجيران ما فعلوا اين الذين هم كانوا لنا سندا
سقاهم الموت كاسا غير صافية فصيرتهم تحت الحنادل رهنا
وقرا ابن مسعود والاعمش وحبيب بن ثابت وحمزة والكسائي لنبوئنهم
بالثاء مكان الباء من الثواء وهو الاقامة اي لنعطينهم غرفا يثوون فيها
وقرا ويس عن يعقوب والجحدري والسلمي لنبوئنهم بالياء مكان النون
الباقون لنبوئنهم اي لننزلنهم غرفا جمع غرفة وهي العلية المشرفة
وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اهل الجنة ليتراؤون اهل الغرف من فوقهم كما تتراؤون الكوكب الدري
الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله
تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال

امنوا بالله وصدقوا المرسلين وخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها
من بطونها وبطونها من ظهورها فقام اليه اعرابي فقال لمن هي يا رسول
الله قال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى
بالليل والناس نيام وقد ذكرنا هذا المعنى بيانا في كتاب الجنة
من كتاب التذكرة ولله الحمد قوله تعالى وكاين من دابة لا تحمل
رزقها الله يرزقها واياكم اسند الواحدي عن يزيد بن هارون قال
الجراح بن التيهان من الزهري وابو عبد الرحيم بن قطن عن ابن عمر قال جئنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل
يلتقط من التمر فقال يا ابن عمر مالك لا تاكل فقلت لا اشتهيه يا رسول
الله قال لكني اشتهيه وهذه صيحة رابعة لم اذق طعاما ولو شئت
لدعوت ربي فاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر
اذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم وضعف اليقين قال والله ما برحنا
حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع
العليم قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا ضعيف بضعفه انه عليه
السلام كان يدخر لاهله قوت سنتهم اتفق عليه البخاري ومسلم
وكانت الصحابة يفعلون ذلك وهم القدوة واهل اليقين والائمة لمن
بعدهم من المتقين المتوكلين وقد روي عن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما امنين بمكة حين اذاهم المشركون لخرجوا الى المدينة وهاجروا
ولا جاوروا الظلمة قالوا ليس لنا بها دار ولا عقار ولا من يطعمنا
ولا من يسقينا فنزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الى آخرين معها
رزقها مدخرا فعندك انتم يرزقكم الله في دار الهجرة وقد اشبه
من القول الاول تقدم الكلام في كاين وان هذه اي دخلت عليها كاف

ظهورها و

التشبيه وصار فيها معنى كم والتقدير عند الخليل وسيبويه كالعدد
اي كمثل كثير من العدد من دابة قال مجاهد يعني الطير والبهائم تحمل
بافواهها ولا تحمل شيا الحسن تاكل قتها ولا تدخر لغد وقيل لا تحمل
رزقها اي لا تقدر على رزقها الله يرزقها اينما توجهت وايا كل وقيل
الحمل معنى الحمالة وحكى النقاش ان المراد النبي صلى الله عليه وسلم ياكل
ولا يدخر قال الشيخ المصنف رحمه الله وليس بشيء لاطلاق لفظ الدابة
وليس مستعملا في العرف اطلاقها على الادمي فكيف على النبي وقد مضى
هذا في النمل عند قوله واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض
تكلمهم قال ابن عباس الدواب هو كل ما دب من الحيوان فكله لا يحمل
رزقه ولا يدخر الا بنو ادم والنمل والفار وعن بعضهم رايت البلبل يختزن
في خصيته ويقال للضفدع نحاتي الا انه ينساها الله يرزقها واياكم
يستوي بين الحريص والمتوكل في رزقه وبين الراغب والقانع وبين
الحيوان والعاجز حتى لا يغتر الجلد انه مرزوق بجلده ولا يتصور العاجز
انه ممنوع بعجزه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لو انكم توكلون
على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا وهو السميع لقولكم لاجدما تنفقون والمدينة العليم بما في قلوبكم
قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
المسلمين بالفقر وقالوا لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء وكان هذا توبيخا
وكان في الكفار فقرا ايضا ان الله هذه الشبهة وكذا قول من قال
ان هاجرنا لم نجد ما ننفق اي فاذا اعترفتم بان الله خالق هذه الاشيا
فكيف تشكون في الرزق فمن بيده تلك الكاينات لا يعجز عن رزق
العبد ولهذا وصله بقوله الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر
له فانى تؤفكون اي كيف تلفتون توحيدي وتنقلبون عن عبادتي

الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده اي لا يختلف امر الرزق بالايمان
والكفر فالتوسيع والتقتير منه فلا تغيير بالفقر فكل شيء بقضاء وقدر
ان الله بكل شيء عليم من حر الكم وامر كم وقيل عليم بما يصلحكم من اقتار
او توسع قوله تعالى ولئن سالتهم من نزل من السما ما اي من السحاب
مطرا فاحيى به الارض من بعد موتها اي جدبها وقحط اهلها ليقولن الله
اي فاذا اقررتم بذلك فلم تشركوا به وتنكروا الاعادة واذا قدر على ذلك اي
فهو القادر على اغنا المومنين فكرر تاكيدا قل الحمد لله على ما اوضح من
الحجج والبراهين على قدرته بل اكثرهم لا يعقلون اي لا يتدبرون هذه الحجج
وقيل الحمد لله على اقرارهم بذلك وقيل على انزال الماء واحيا الارض وما
هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب اي شيء يلتهى به ويلعب اي ليس ما اعطاه
الله الاغنيا من الدنيا الا وهو يضمحل يزول كاللهو الذي لا حقيقة له ولا
ثبات قال بعضهم الدنيا ان بقيت لك لن تبقى لها وانشد

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت وتحدث من بعد الامور امور
وتجري الليالي باجتماع وفرقه وتطلع فيها البدر وتغور
فمن من ان الدهر باق سروره فداك محال لا يدوم سرور
عفا الله عمن صير الهم واحدا ايقن ان الدايرات تدور

قال الشيخ المولف رحمه الله وهذا كله في امور الدنيا من المال والجاه
والملبس الزايد على الضروري الذي به قوام العيش والقوة على الطاعات
واما ما كان منها لله فهو من الاخرة وهو الذي يبقى كما قال وسيق وجه
ربك ذو الجلال والاكرام اي ما ابتغي به ثوابه ورضاه وان الدار الاخرة
لهي الحيوان اي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها وزعم ابو
عبيدة ان الحيوان والحياة والحي بكسر الحا واحد كما قال وقد تري
اذ الحياة حي وغيره يقول ان الحي جمع على فعول مثل عصي والحيوان

فعول

يقع على كل شئ حي وحيوان غير في الجنه وقيل اصل حيوان حيوان
فابدلت احداهما واوا لاجتماع المثلين لو كانوا يعلمون انهما كذلك
قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك يعني السفر وخافوا الغرق دعوا
الله مخلصين اي صادقين في نياتهم وتركوا عبادة الاصنام ودعاها
فلما انجاهم الى البر اذا هم يشركون اي يدعون معه غيره وما لم ينزل
به سلطانا وقيل اشراكهم ان يقول قائلهم لولا الله والريح لغرقنا
فجعلوا ما فعل الله لهم من النجاة قسمة بين الله تعالى وبين
خلقه قوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون
اي ليكفروا ولكي يتمتعوا وقيل اذا يشركون ليكون نهاية شرهم ان
يجحدوا نعم الله ويتمتعوا بالدنيا وقيل هما لام امر معناه التهديد
والوعيد اي اكفروا بما اعطيناكم من النعمه والنجاة من البحر وتمتعوا
ودليل هذا قراءة ابي وتمتعوا ابن الانباري ويقوي هذا المذهب قراءة
نافع والاعمش وحمزه وليتمتعوا بجزم اللام الخاسر ليتمتعوا الامر
حي ويجوز ان يكون لام امر لان اصل لام الامر الكسر الا انه امر
فيه معنى التهديد ومن قرأ وليتمتعوا باسكان اللام لم يجعلها
لام كي كان لام كي لا يجوز اسكانها وهي قراءة ابن كثير والمسبحي
وقالون عن نافع والكسائي وحمزه وحفص عن عاصم الباقون بكسر
اللام وقرا ابو العالية ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون
تهديد ووعيد قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا
قال عبد الرحمن بن زيد في مكة وهم قريش امنهم الله تعالى بها وتخطف
الناس من حولهم قال الضحاك تقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضهم
بعضا وتخطف الاخذ بسرعة وقد مضى في القصص وغيرها فاذكرهم
الله هذه النعمة ليدعوه له بالطاعة اي جعلت لهم حرما امنوا

فيه من السبي والغارة والقتل وخلصتهم في البر كما خلصتهم في البحر
فصاروا يشركون في البر ولا يشركون في البحر فهذا تعجيب من
تناقض احوالهم افبالباطل يؤمنون قال قتاده افبالشرك وافي حي
بن سلام افبالبيع بنعمة الله يكفرون قال ابن عباس اقبعاقبة الله
وقال ابن شجرة ابعظم الله واحسانه وقال ابن سلام افبما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم من الهدى حتى النقاش افبالطعام هم يرجعون
وامنهم مخوف يكفرون وهذا تعجب وانكار خرج مخرج الاستفهام
قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم من
جعل مع الله شريكا وولدا واذا فعل فاحشة قالوا وجدنا عليها
ابانا والله امرنا بها او كذب بالحق لما جاءه قال يحيى بن سلام بالقرآن
بالتوحيد بن شجرة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقولين ليس
في جهنم مثوى للكافرين اي مستقر وهو استفهام تقرير قوله تعالى
والذين جاهدوا فينا اي جاهدوا الكفار فينا اي لطلب مرضاتنا وقال
السدي وغيره ان هذه الايه نزلت قبل فرض القتال قال ابن عطيه فعلى قول
الجهاد الغزو وانما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته قال
الحسن بن ابي الحسن الايه في العباد وقال عياش وابهيم بن ادهم هي في
الذين يعملون بما يعلمون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم
علمه الله ما لم يعلم ونزع بعض العلما بقوله واتقوا الله ويعلمكم الله
وقال محمد بن عبد العزيز انما قصر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل
بما علمنا ولو عملنا ببعض ما علمنا لاورثنا علما لا تقوم به ابدانا
وقال ابو سليمان الداراني ليس الجهاد في الاية قتال الكفار فقط بل
هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وغلظة الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله

وهو الجهاد الاكبر وقال سفين بن عيينه لابن المبارك اذا رأيت
الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين واهل الثغور فان الله يقول
لنهدينهم وقال الضحاك يعني الايه والذين جاهدوا في الطاعة لنهدينهم
سبل الثبات على الايمان ثم قال مثل السنة في الدنيا كمثل الجنه في
العقبى من دخل الجنه في الدنيا سلم كذلك من لزم السنه في الدنيا
سلم وقال عبد الله بن عباس والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبل
ثوابنا وهذا يتناول بعموم الطاعه جميع الاقوال ونحوه قول عبد الله
بن الزبير قال ابن الحكمة من طلبني فلم يجدني فليطلبني في موضعين
ان تعمل بالحسن ما تعلمه وتجتنب السوأ ما تعلمه وقال الحسين بن
الفضل فيه تقديم وتاخير اي والذين جاهدوا فينا لنهدينهم هم الذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا يعني طرق الجنة قال السدي لنفقهنهم في ديننا
الحق وقال سفيان بن عيينه لنخلصن نياتهم وصدقاتهم
وصلاتهم وصيامهم وان الله لمع المحسنين لامة محمد ودخلت
فيه مع علي احد وجهين ان تكون اسما ولام التوكيد انما تدخل على الاسما
او حرفا قد دخل عليها لان فيها معنى الاستقرار كما تقول ان زيدا في
الدار ومع اذا سكنت فهي حرف ولا غير واذا فتحت جاز ان تكون
اسما وان تكون حرفا والاكثر ان تكون حرفا جاء لمعنى تقدم معنى
الاحسان للمحسن في البقره وغيرها وهو سبحانه معهم بالنصرة
والمعونة والحفظ والهداية ومع الجميع بالاحاطة والقدرة فبين
المعيتين بون تمت السورة بحمد الله وعونه

سورة الروم مكية كلها من غير خلاف وهي ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر غلبت الروم في ادنى الارض روى الترمذي

فليطلبني

عن ابي سعيد الخدري قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس
فاعجب ذلك المؤمنين فنزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض الى قوله
يفرح المؤمنون بنصر الله قال ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس
قال هذا حديث غريب من هذا الوجه هكذا قرأ نصر بن علي الجهضمي
على غلبت الروم في ادنى الارض قال وغلبت وغلبت قال كان المشركون
يحبون ان يظهر اهل فارس على الروم لانهم واياهم اهل اوثان وكان
المسلمون يحبون ان يظهر اهل كتاب الروم على فارس لانهم اهل كتاب
فذكروه لابي بكر فذكره ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انهم
سيغلبون فذكره ابو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك اجلا ان ظهرنا
فان لنا كذا وان ظهرتم فان لكم كذا وكذا فجعل اجلا خمس سنين فلم
يظهروا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال الا جعلته الى دون
اراه العشر قال قال ابو سعيد والبضع ما دون العشر قال فمكثوا
الروم بعد قال فذلك قوله الر غلبت الروم الى قوله ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله قال سفين سمعت انهم اظهروا عليهم يوم بدر
قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب ورواه ايضا عثمان
بن مكرم الاسلمي قال لما نزلت الروم غلبت الروم في ادنى الارض هم
من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وكانت فارس يوم نزلت
هذه الاية قاهرين الروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم
لانهم واياهم اهل كتاب وفي ذلك قول الله ويومئذ يفرح المؤمنون
بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وكانت قريش تحب ظهور
فارس لانهم واياهم ليسوا باهل كتاب ولا ايمان بعث فلما انزل
الله هذه الاية خرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة
الر غلبت الروم في ادنى الارض هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع

سنين قال الناس من قريش الى بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبك
ان الروم ستغلب فارسا في بضع سنين افلا نراهنك على ذلك
قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا
الرهان وقالوا الى بكم تجعل البضع ثلث سنين او تسع سنين
فسم بيننا وبينك وسطا ننتهي اليه قال فسموا بينهم ست سنين
قال فمكث الست سنين قبل ان يظهروا فاخذ المشركون رهن ابي بكر
فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون
على ابي بكر تسمية ست سنين قال ان الله تعالى قال في بضع سنين
قال واسلم عند ذلك ناس كثير قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب
صحيح وروى القشيري بن عطية وغيرها انه لما نزلت الايات خرج
ابو بكر بها الى المشركين فقال استركتم ان غلبت الروم فان بيننا لاجل فقال
عز الله تعالى انهم سيغلبون في بضع سنين فقال له اميه بن خلف الى من خلف
وامية اخوه وقيل ابو سفين بن حرب يا ابا فضيل بعرضون لتنيته
بالبكر فلنتناجب اي نتراهن في ذلك فراهنهم ابو بكر فاتاه
وذلك قبل ان يحرم القمار وجعلوا الرهان خمس قلايص والاجل
ثلث سنين قيل جعلوا الرهان مائة قلايص ثم اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره فقال فهلا احطت فان البضع ما بين الثلث والتسع
والعشر ولكن ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الاجل ففعل
ابو بكر فجعل القلايص مائة والاجل تسعة اعوام فغلبت الروم
في اثناء الاجل وقال الشعبي فظهروا في تسع سنين القشيري
المشهور في الروايات ان ظهور الروم كانت في السابعة
من غلبت فارس الروم ولعل رواية الشعبي تصحيف من التسع
الى التسع من بعض النقلة وفي بعض الروايات انه جعل القلايص

الى من خلف

القمار

ان عصمة هذا ضعيف وابو حاتم كثير الحكاية عنه والحديث يدل على
ان القراءة غلبت بضم الغين وكان في هذا الاخبار دليل على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لان الروم غلبتها فارس فاخبر الله عز وجل نبيه
ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين وان المومنين يفرحون بذلك
لان الروم اهل كتاب فكان هذا من علم الغيب الذي اخبر الله عز وجل
به نبيه ابا بكر وامر ابا بكر ان يراهنهم على ذلك وان يبالغ في الرهان
ثم حرم الرهان بعد ونسخ بتحريم القمار قال ابن عطية والقراءة بضم
الغين اصح واجمع الناس على سيغلبون انه بفتح الياء يراد به الروم
وروي عن ابن عامر انه قرا ايضا بضم الياء في سيغلبون وفي هذه القراءة
قلب للمعنى الذي تظاهرت الروايات به قال ابو جعفر النحاس
ومن قرا سيغلبون فالمعنى عنده وفارس من بعد غلبهم اي من بعد
ان غلبوا سيغلبون وروي ان ابتياع الروم بالفرس كان يوم بدر كما
في حديث ابي سعيد الخدري حديث الترمذي وروي ان ذلك كان
يوم الحديبية وان الخبر وصل يوم بيعة الرضوان قاله عكرمة
وقتادة قال ابن عطية وفي كلي اليومين كان نصر من الله تعالى للمومنين
وقد ذكر الناس ان سبب سرور الناس بغلبة الروم لهم ان الغلب
انما هو ان الروم اهل كتاب كالمسلمين فهم اقرب من اهل الاوثان كما تقدم
بيانه في الحديث النحاس وقول الخصوم ان في خبرهما انما كان الاخبار عن الله
جل وعز اذ كان فيه دليل على النبوة لانه اخبر جل وعز بما يكون في بضع
سنين وكان فيه ابن عطية ويشبه ان يعلل ذلك بما تقتضيه الفطر
من محبة ان يغلب العدو الاصغر لانه ايسر مؤونة ومتى غلب الاكبر
كثر الخوف منه فتامل هذا المعنى مع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرجوه من ظهور دينه وشرع الله الذي بعثه به وغلبته على الامم وارادة

كفار مكة ان رمية الله بملك يستاصله ويجلهم منه وقيل يسرورهم
انما كان بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين لان جبريل
اخبر بذلك النبي عليه السلام ورد ذلك القشيري قال الشيخ
المصنف رحمه الله ويحتمل ان يكون سرورهم بالمجموع من ذلك فبشروا
بظهورهم على عدوهم وبظهور الروم ايضا وبانجاز وعد الله وقرا ابو
حيوة الشامي ومحمد بن السميفع من بعد غلبهم بسكون اللام وهما لغتان
مثل الطعن والطعن وزعم الفراء ان الاصل من بعد غلبتهم فحذف التاء كما
حذفت في قوله عز وجل واقام الصلاة واصله واقامة الصلاة قال
النحاس وهذا غلط لا يحمل كثير من اهل النحو لان اقام الصلاة مصدر قد
حذف منه لاعتلال فعله فجعلت التاء عوضا من المحذوف وغلب ليس بمثل
ولا حذف منه شيء وقد حكى الاصمعي طرد طردا وجلب جلبا وغلب غلبا
فاي حذف في هذا وهل يجوز ان يقال في اكل اكلا وما اشبهه - حذف منه
في بضع سنين حرفت الها بين بضع فرقا بين المذكر والمونث وقد مضى
الكلام فيه في يوسف وفتحت النون من سنين لانه جمع مسلم ومن العرب
من يقول في بضع سنين كما تقول في غسلين جاز ان جمع سنة جمع من
يعقل بالواو والنون والياء والنون لانه قد حذف منها شيء فجعل هذا الجمع
عوضا من النقص الذي في واحده لان اصل سنة سنهة او سنوة وكسرت
السين منه دلالة على ان جمعه خارج عن قياسه وضبطه هذا قول البصريين
ويلزم الفراء ان يضمها لانه يقول الضمه دليل على الواو وقد حذف من
سنة واو في احد القولين لا يضمها اخذ علينا ذه قوله تعالى لله
الامر من قبل ومن بعد اخبر تعالى بانفراده بالقدرة وانه ما في العالم من غلبة
وغيرها انما هي منه وبارادته وبقدرته فقال لله الامر اي انفاذ الاحكام
من قبل ومن بعد اي من قبل هذه الغلبة ومن بعدها وقيل من قبل كل شيء ومن

بعد كل شيء ومن قبل ومن بعد ظرفان بنيا على الضم لانهما تعرفا بحذف
ما اضيفا اليه وصارا متضمنين ما حذف فالفا تعريف الاسماء واشبها
الحروف في التضمين فبنيا وخصا بالضم لشبههما بالمنادى المفرد
في انه اذا نكر واضيف الى بناء وكذلك ما قطعا ونقل من قبل ومن
بعد وحكى الكسائي عن بعض بني اسد لله الامر من قبل ومن بعد الاول
مخفوض منون والثاني مضموم لا تنوين وحكى الفراء من قبل ومن بعد
مخفوض بغير تنوين انكره النحاس وردده وقال الفراء في كتابه في
القرآن اشياء كثيرة الغلط فيها بين منها انه زعم انه يجوز من قبل ومن
بعد وانما يجوز من قبل ومن بعد على انهما نكرتان قال الزجاج المعنى
من تقدم ومن تاخر ويوميذ يفرح المومنون بنصر الله تقدم ذكره
ينصر من يشاء يعني من اوليائه لان نصره مختص بغلبه اوليائه لاعدائه
واما غلبه اعدائه لاوليائه فليس بنصر وانما هو ابتلاء قد يسمى
ظفرا وهو العزيز في نقمته الرحيم لاهل طاعته قوله تعالى وعد الله
لا يخلف الله وعده لان كلامه صدق ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهم
الكفار وهم اكثر وقيل المراد مشركو مكة وانتصب وعد الله على
المصدر اي وعد ذلك وعدا ثم بين ان علمهم مقدار ما يعلمون فقال يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا يعني امر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون
وكيف يغرسون وكيف يبنون قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة
وقال الضحاك هو بناء قصورها وتشقيق انهارها وغرس اشجارها
والمعنى واحد وقيل هو ما تلقيه الشياطين اليهم من امور الدنيا عند
استراقهم السمع من سماء الدنيا قاله سعيد بن جبير وقيل الظاهر
الباطل كما قال في موضع اخر بظاهر من القول قال الشيخ المصنف
رحمه الله وقول ابن عباس اشبه بظاهر الحياة الدنيا حتى كمذ قال الحسن

ضبطه ؟
تعالى ؟

بلغ والله من علم احدهم بالدنيا انه ينقد الدرهم فيخبرك بوزنه ولا يحسن
ان يصلي وقال ابو العباس المبرد قسم كسرى ابنه فقال يصلح بعد الذبح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال
بن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الاخرة اي عن العلم بها والعمل لها هم غافلون قال بعضهم
ومن البلية ان ترى لك صاحبا في صورة الرجل السميع البصير
فحزن بكل مصيبة في ماله واذا يصاب بدينه لم يشعر
قوله تعالى ولم يتفكروا في انفسهم قوله في انفسهم ظرف للتفكر
وليس بمفعول تعدي اليه يتفكروا لانهم لم يؤمروا ان يتفكروا
في خلق انفسهم انما امروا ان يستعملوا التفكر في خلق السموات والارض
وانفسهم حتى يعلموا ان الله لم يخلق السموات وغيرها الا بالحق قال الفرا
الزجاج في الكلام حذف اي فيعلموا الا ان في الكلام دليلا عليه الا بالحق
قال الفرا معناه الا للحق يعني الثواب والعقاب وقيل الا لاقامة الحق
وقيل بالحق بالعدل وقيل بالحكمة والمعنى متقارب وقيل الحق اي انه هو
الحق والحق خلقها وهو الدلالة على توحيده وقدرته واجل مسمى اي
للسموات والارض اجل ينتهيان اليه وهو يوم القيامة وفي هذا
تنبيه على الفناء وعلى ان لكل مخلوق اجلا وعلى ثواب المحسن وعقاب
المسيء وقيل واجل مسمى اي خلق ما خلق في وقت سماه لان خلق ذلك
الشيء فيه وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اللام للتوكيد
والتقدير لكافرون بلقاء ربهم على التقدم والتاخير اي لكافرون بالبعث
بعد الموت وتقول ان زيدا في الدار لجالس ولو قلت ان زيدا لفي الدار
لجالس جاز فان قلت ان زيدا جالس في الدار لم يجز لان اللام انما يوتى بها
توكيدا للاسم الذي اخبرها واذا جيت بعد الم يجز ان ياتي بها وكذا ان

قلت ان زيدا الجالس في الدار لم يجز قوله تعالى اولم يسيروا في الارض
فينظروا بابصارهم وقلوبهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد
منهم قوة واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة لان اهل مكة لم يكونوا
اصحاب حرث قال الله تعالى تثير الارض وعمروها اكثر مما عمروها اي
وعمروها اولئك اكثر مما عمروها هاولا فلا تنفعهم عمارتهم ولا
طول مدتهم وجاءتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات وقيل بالاحكام
فكفروا ولم يومنوا فما كان الله ليظلمهم بان اهلكهم بغير ذنب ولا
رسل ولا حجة ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالشرك والعصيان قوله
تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السواى السواي فعلى من السوء
تانيث الاسوا وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن وقيل يعني بها
ها هنا النار قاله بن عباس معنى اساؤا اشركوا دل عليه ان كذبوا بايات
الله فالسواي اسم جهنم كما ان الحسنى اسم الجنة ان كذبوا بايات الله
اي لان كذبوا قاله الكسائي وقيل ان كذبوا وقرا نافع وبن كثير وابو
عمرو ثم كان عاقبة الذين بالرفع اسم كان وذكرت لان تانيثها غير حقيقي
والسواي خبر كان والباقون بالنصب على خبر كان السواي بالرفع اسم
كان ويجوز ان يكون اسمها التكذيب فيكون التقدير ثم كان عاقبة
التكذيب عاقبة الذين اساؤا ويكون السواى مصدرا كالاسا او
صفة لمحذوف اي الخلة السواى روي عن الاعمش انه قرا ثم كان
عاقبة الذين اساؤا السوء برفع السوء قال النحاس السواء اشد السين
والسوء الفعلى منه ان كذبوا بايات الله قيل لمحمد والقران قاله الكلبي
مقاتل العذاب ان ينزل بهم الضحاك بمعجزات الرسول صلى الله عليه
وسلم وكانوا بها يستهزءون قوله تعالى الله يبدؤا الخلق ثم يعيده
ثم اليه يرجعون قرا ابو عمرو وابو بكر يرجعون بالياء الباقون بالتاء ويوم

وعمروها

من غير مد

تقوم الساعة يبلس المجرمون وقرا ابو عبد الرحمن السلمي يبلَس بفتح اللام
والمعروف في اللغة ابلَس الرجل اذا سكت وانقطعت حجته ولم يدر هل ان يكون
له حجة ولو قدرت منه تحيركما قال العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا

وقد زعم بعض النحويين ان ابليس مشتق من هذا وانه ابلس لانه انقطعت
حجته النحاس ولو كان كما قال لوجب ان ينصرف وهو في القرآن غير منصرف
وقال الزجاج المبلس الساكت المنقطع في حجته اليائس من ان يهتدي اليها
ولم يكن لهم من شركائهم اي ما عبدوه من دون الله شفعاء وكانوا بشركائهم
كافرين قالوا ليسوا بالهة تبرؤا منهم وتبرأت منهم حسب ما تقدم
في غير موضع قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يعني
المؤمنين من الكافرين ثم بين كيف تفريقهم فقال فاما الذين امنوا قال النحاس
سمعت الزجاج يقول اما دخل ما كنا فيه وخد في غيره وكذا قال
سيبويه ان معناها مهما يكن من شيء فحد ما كنا فيه فهم في
روضة يحبرون قال الضحاك الروضة الجنة والرياض الجنان
وقال ابو عبيد الروضة ما كان في تسفل فاذا كان مرتفعا فهو
ترعة وقال غيره احسن ما تكون الروضة اذا كانت في موضع
مرتفع غليظ كما قال الاعشى

هاروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها نشر رائحة ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

الا انه لا يقال لها روضة الا اذا كان فيها نبت فان لم يكن فيها
نبت وكانت مرتفعة فهي ترعة وقد قيل في الترعة غير
هذا وقال المنشبري والروضة عند العرب ما ينبت حول

معني

الغدير من البقول ولم يكن عند العرب شيء احسن منه الجوهري
والجمع روض ورياض وصارت الواو ياء لكسرة ما قبلها
والروض نحو من نصف القربة ماء وفي الحوض روضة من ماء اذا
علي اسفله وانشد ابو عمرو وروضة سقيت فضم بني
يحبرون قال الضحاك وابن عباس يكرمون وقيل ينعمون قاله مجاهد
وقتاده وقيل يسرون السدي يفرحون والحبرة عند العرب
السرور والفرح ذكره الماوردي وقال الجوهري والحبر والحبور
وهو السرور يقال حبره يحبره بالضم حبرا وحبرة قال تعالى
فهم في روضة يحبرون اي ينعمون ويكرمون ويسرون ورجل محبور
ينعوت من الحبور النحاس وحكى الكسائي حبرته اي اكرمته
ونعمته وسمعت علي بن سليمان يقول هو مشتق من قولهم على لسانه
حبرة اي اثر فيحبرون يثنون عليهم اثر النعيم والحبر من هذا مشتق
قال الشاعر لا تملا الدلو وعرق فيها اما ترى حبار من يسقيها
وقيل اصله من التحبير وهو التحسين فيحبرون يحسنون يقال
فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن الهيئة ويقال
ايضا فلان حسن الحبر والسبر بالفتح وهذا كانه مصدر
قولك حبرته حبرا اذا حسنته والاول اسم ومنه الحديث
يخرج رجل من النار وقد ذهب حبره وسبره وقال الحسن ان الكثير
في روضة يحبرون قال السماع في الجنة وقاله الاوزاعي قال اذا
اخذ اهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في الجنة الا ردت اغانا
بالتسبيح والتقديس وقال الاوزاعي ليس شيء من خلق الله احسن
صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات
صلاتهم وتسبيحهم زاد غير الاوزاعي ولم تبق شجرة في الجنة

الا وردت ولم تستر ولا باب الا ارتج وانفتح ولم تبق حلقة
الا طنت بالوان طنينها ولم تبق لجمه من اجام الذهب الا وقع
هبوب الصوت في مقاضبها فزمرت تلك المقاضب بفنون
الزمر ولم تبق جارية من حور العين الا غنت باغانيها والطير
بالحانها ويوحي الله تبارك وتعالى الى الملايكة ان جاوبوهم واسمعوا
عبادي الذين زهدوا اسماعهم عن مزامير الشيطان فيجاوبون
بالحان واصوات روحانيين فتختلط هذه الاصوات فتصير
رجة واحدة ثم يقول الله جل ذكره يا داود قم عند ساق عرشي
فمجدني فيندفع داود بتمجيد ربه بصوت يفوق الاصوات
وتحليلها وتتضاعف اللذة فذلك قوله فهم في روضة يحبرون
ذكره الترمذي الحكيم رحمه الله وذكر النعلبي من حديث ابي
الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر الناس فذكر
الجنة وما فيها من الازواج والنعيم وفي اخريات القوم اعرابي
فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع فقال نعم يا اعرابي ان
في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضا خمصانية بتغنين
باصوات لم يسمع الخلايق مثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة
فقال رجل يا ابا الدرداء بماذا يتغنين فقال بالتسبيح والتحميد
الرهفة الاعلى الخمصانة البطن الضخمة الاسفل قال الشيخ
المصنف رحمه الله وهذا كله من النعيم والسرور والاكرام
فلا تعارض بين تلك الاقوال وان هذا من قوله الحق فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين على ما ياتي في قوله عليه السلام فيها
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد
روي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل

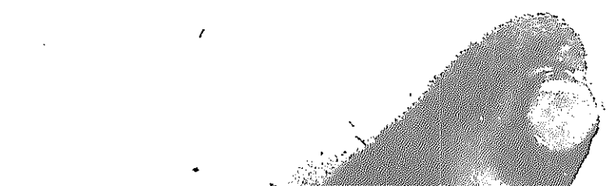

الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاجراس
فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا
ذكره الزمخشري **قوله تعالى** واما الذين كفروا وكذبوا
بآياتنا تقدم الكلام فيه ولقاء الاخرة اي بالبعث فاولئك في العذاب
محضرون اي مقيمون قبل مجموعون وقيل معذبون وقيل نازلون
ومنه قوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت اي نزل به قاله ابن شجره
والمعنى متقارب **قوله تعالى** فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى فسبحان الله الاية
فيه ملته اقوال الاول انه خطاب للمومنين بالامر بالعبادة والحض
على الصلاة في هذه الاوقات قال ابن عباس الصلوات الخمس في
القرآن قيل له ان ناسا يقولون ان قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون
المغرب والعشاء وحين تصبحون صلاة الفجر وعشيا العصر
وحين تظهرون الظهر وقاله الضحاك وسعيد بن جبير وعن ابن
عباس ايضا وقتادة ان الاية تنبيه على اربع صلوات المغرب
والصبح والعصر والظهر قالوا والعشا الاخرة هي في اية اخرى
في ذلف من الليل وفي ذكر اوقات العورة وقال النحاس اهل التفسير
على ان هذه الاية فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون في الصلوات
وسمعت علي بن سليمان يقول حقيقته عندي فسبحوا الله في الصلوات
لان التسبيح يكون في الصلاة وهو القول الاول الثاني القول الثالث
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ذكره الماوردي وذكر
القول الاول لفظه فيه فصلوا لله حين تمسون وحين تصبحون
وفي تسمية الصلاة بالتسبيح وجهان احدهما لما تضمنتها من
ذكر التسبيح في الركوع والسجود الثاني لما خرد من السبحة

والسبحة الصلاة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يكون لهم سبحة
يوم القيامة اي صلاة التنفل وقوله وله الحمد في السموات
والارض اعتراض بين الكلام بدؤوب الحمد على نعمه والآية
وقيل يكون له الحمد اي الصلاة له لاختصاصها بقراءة الحمد
والاول اظهر فان الحمد لله من نوع تعظيم الله تعالى والحض على
عبادته ودوام نعمته فيكون دعاء اخر خلاف الصلاة والله اعلم
وبدا بصلاة صلاة المغرب لان الليل يتقدم النهار وفي سورة سبحان
بدأ بصلاة الظهر لأنها هي الصلاة صلاها جبريل بالنبي صلى الله
عليه وسلم الواردي في خص صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة
النهار باسم الحمد لان الانسان في النهار متقلبا في احواله توجب
حمد الله عليها وفي الليل على خلوه توجب تنزيه الله من الاسوا
فيها فلذلك صار الحمد بالنهار اخص فسميت به صلاة النهار
والتسبيح بالليل اخص فسميت به صلاة الليل الثالبه قراءة
حينا تسوغ وحينا يجوز والمعنى حينا تسوغ فيه وحينا
تجوز فيه فحذف فيه لخفيفا والقول فيه كالقول في واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيا وعشيا قال الجوهري العشي والعشية
من صلاة المغرب الى العتمة تقول اتيته عشية امس وعشي امس معا
وتصغير العشي عشيان على غير مكبرة كانهم صغروا عشيانا
والجمع عشيات وقيل ايضا في تصغيره عشيشيان والعشا
بالمد والكسر مثل العشي والعشاء ان المغرب والعتمة وزعم
قوم ان العشا من زوال الشمس الى طلوع الفجر وانشدوا
غدونا غدوة سحرا بليل عشا بعد ما انتصف النهار
الماوردي والفرق بين المسا والعشا ان المسا بدو الظلام

بعد المغيب والعشا اخر النهار عند ميل الشمس للمغيب وهو
ماخوذ من عشا العين وهو نقص النور من الناظر لنقص نور الشمس
قوله تعالى يخرج الحي من الميت الاية بين بمثال قدرته اي كما احيا
الارض باخراج النبات بعد همودها كذلك يحييكم بالبعث
وفي هذا دليل على صحة القياس وقد مضى في اعمران يخرج الحي من
الميت قوله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب اي من علامات
ربوبيته ووحدانيته ان خلقكم من تراب اي خلق اباكم منه والفرع
كالاصل قد مضى بيان هذا في الانعام وان في موضع رفع بالابتدا
وخلق لكم من انفسكم ازواجا اذا انتم بشر تنتشرون
ثم انتم عقلا ناطقون تتصرفون فيما هو قوام معايشكم فلم يخلقكم
عبثا ومن قدر على هذا فهو اهل للعبادة والتسبيح ومعنى خلق لكم من
انفسكم ازواجا اي نساء تسكنون اليها من انفسكم اي من نطفة
الرجال ومن جنسكم وقيل المراد حواء خلقها من ضلع ادم قاله
قتادة وجعل بينكم مودة ورحمة قال ابن عباس ومجاهد المودة
الجماع والرحمة الولد وقاله الحسن وقيل المودة والرحمة عطف قلوب
على بعضهم ببعض وقال السدي المودة المحبة والرحمة الشفقة وروي
معناه عن ابن عباس قال المودة حب الرجل امراته والرحمة رحمته اياها
ان يصيبها بسوء وقال ابن الرجل اصله من الارض وفيه قوة الارض وفيه
الفرح الذي منه بدئ خلقه فيحتاج الى سكن وخلقت المراة سكنا للرجل
قال الله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب الاية وقال ومن اياته ان خلق
لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فاول ان تلاق الرجل بالمراة
وسكونه اليها مما فيه من غليان القوة وذلك ان الفرج اذا انحمل فيه
هيج ما الصلب اليه فاليها يسكن وبها يتخلص من الهائج وللرجال

خلق البضع منهن قال الله تعالى وتذرون ما خلق لكم ربكم من
ازواجكم فاعلم الله جل وعز الرجال ان ذلك الموضع خلق منهن
للرجال فعليها بذله في كل وقت يدعوها الزوج فان منعت فهي
ظالمة وفي حرج عظيم ويكفيك من ذلك ما ثبت في صحيح مسلم
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ما من رجل يدعو امراته الى فراشها فتابا عليه الا كان
الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي لفظ اخر اذا باتت
المراة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح ومن اياته
خلق السموات والارض بتقدم في البقرة فيه وكان يقترن
بان الله هو الخالق واختلاف السنتكم والوانكم اللسان في الغز
واختلاف اللغات من العربية والعجمية والتركية والرومية
واختلاف الالوان في الصور من البياض والسواد والحمرة فلا تكاد
تر احدا الا وانت تفرق بينه وبين الاخر وليس هذه الاشياء من
فعل النطفة ولا من فعل الابوين فلا بد من فاعل فعلم ان الفاعل هو
الله تعالى فهذا من ادل دليل على المدبر البارئ المصور في ذلك لايات
للعالمين اي للبر والفاجر قد اخص للعالمين بكسر اللام جمع
عالم ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله
بالنهار فحذف حرف الجر باتصاله بالليل وعطفه عليه والواو
تقوم مقام حرف الجر اذا اتصلت بالمعطوف عليه في الاسم
الظاهر خاصة فجعل النوم بالليل دليلا على الموت والتصرف
بالنهار دليلا على البعث ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
يريد سماع تفهم وتدبر وقيل يسمعون الحق فيتبعونه وقيل
يسمعون الوعظ فيخافونه وقيل يسمعون الخبر فيصدقونه

والمعنى سعارب وقيل كان منهم من اذا تلى القرآن وهو حاضر سد
اذنيه حتى لا يسمع فبين الله عز وجل هذه الدلايل عليه ومن اياته
يريكم البرق خوفا وطمعا قيل المعنى ان يريكم فحذف ان لدلالة الكلام
عليه قال طرفه الا ايها ذا اللايمي احضر الوغى وان شهد اللذات هل انت مخلدي
وقيل هو على التقديم والتاخير اي ويريكم البرق من اياته وقيل اي ومن
اياته آية يريكم بها البرق كما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

وقيل اي من اياته انه يريكم البرق خوفا وطمعا من اياته قاله الزجاج على جملة
فيكون عطف جملة خوفا اي للمسافر وطمعا للمقيم قاله قتادة الضحاك
خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث حتى من سافر خوفا من البرد ان
يهلك الزرع وطمعا في المطر ان يحيي الزرع بن بحر خوفا ان يعوق البرق
برقا خلبا لا يطر وطمعا ان يكون ممطرا وانشد قول الشاعر خير؟

لا يكن برقك برقا خلبا ان البرق ها الغيث معه وقال اخر

فقد اراد الغياة بغير زاد سيوافي بعدي لها برق الغمام

والبرق الخلب الذي لا غيث فيه كانه خادع ومنه قيل لد بعيد ولم
ينجز قال انما انت كبرق خلب ولقلب ايضا السحاب الذي
لا مطر فيه وقال برق خلب بالاضافة وينزل من السماء ماء فيحيي به
الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يقدم ومن اياته ان
يقوم السماء والارض بامره ان في محل رفع كما تقدم اي قيامهما
واستمساكهما بقدرته بلا عمد وقيل بتدبيره وحكمته اي بمسكها
بغير عمد لسانع الخلق وقيل بامره بها دنيه والمعنى لحد ثم اذا
دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اي الذي فعل هذه الاشيا
قادر على ان يبعثكم من قبوركم والمراد سرعة وجود ذلك من غير

توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع بغتة كما قال القايل

دعوت كليبا فكانما دعوت براس الطود او هو اسرع

يراد براس الطود الصدى او الحجر اذا توهره وانما عطف هذا على قيام السموات والارض اعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا يبقى نسمة من الاولين والآخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى في قوله اذا دعاكم للشرط والثانية في قوله اذا انتم للمفاجاة وهي تجوب مناب الفا في جواب الشرط ولجمع القراء على فتح التاء منا في تخرجون واختلفوا في التي في الاعراف فقرا اهل المدينة ومنها تخرجون بضم التا وقرا اهل العراق بالفتح واليه يميل ابو عبيد والتعيان متقاربان الا ان اهل المدينة فرقوا بينهما لتسق الكلام فتسق الكلام في التي في الاعراف بالضم اشبه اذ كان الموتى ليس من فعلهم وكذا الاخراج والفتح في سورة الروم اشبه بنسق الكلام اي اذا دعاكم خرجتم اي اعتمتم فالفعل اشبه وهو الخروج انما هو عند نفخة اسرافيل النفخة الاخرة على ما تقدم وبيناتي وروي تخرجون بضم التا وفتحها ذكره الزمخشري ولم يزد على هذا شيئا ولم يذكر ما ذكرناه من الفرق والله اعلم وله من في السموات والارض خلقا وملكا وعبدا كل له قانتون روى عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه (وسلم) ان كل قنوت في القرآن فهو طاعة قال النحاس مطيعون طاعة انقياد وقيل قانتون مقرون بالعبودية اما قالة واما دلالة قاله عكرمة وابو مالك والسدي وقال ابن عباس قانتون مصلون والربيع بن انس كل له قانتون اي قايم يوم القيامة كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين

اي للحساب الحسن كل له قايم بالشهادة انه عبد له سعيد بن جبير قانتون مخلصون قوله تعالى وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده اما بدء خلقه بمعلوقه في الرحم قبل ولادته واما اعادته فاحياؤه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلا على ما خفي من اعادته استدلالا بالشاهد على الغايب ثم اكد ذلك بقوله وهو اهون عليه وقرا ابن مسعود وابن عمر ويبدي الخلق ثم يعيده يبدي دليله قوله تعالى انه هو يبدئ ويعيد ودليل قراة العامة قوله سبحانه كما بدأكم تعودون اهون بمعنى هين اي الاعادة من شيء هين عليه قاله الربيع بن خثيم والحسن فاهون بمعنى هين لانه ليس شيء اهون على الله قال ابو عبيدة ومن جعل اهون بمعنى اعز تفضيل شيء على شيء فقوله مردود بقول الله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا وبقوله ولا يؤوده حفظهما والعرب تجعل افعل على فاعل ومنه قول الفرزدق ان الذي سمك السما بنى لنا بيتا دعايمه اعز واطول

اي دعايمه عزيزة طويلة وقال الاخر

لعمرك ما ادري وان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمانيا

اراد داريا وقال ايضا

لعمرك ما ادري وان كنت دارية بها كيف ترمي الجمرتين الاولا

وانشد ابو عبيدة ايضا

اني لامنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل

اراد لمايل وانشد احمد بن يحيى

تمني رجال ان اموت وان امت فتلك سبيل لست فيها باوحد

اراد بواحد وقال الاخر

لعمرك ان الدهر قاز لباذل لمعروفه عند السنين وافضل

اي فاضل ومنه قولهم الله اكبر انما معناه الله الكبير وروي عن معمر عن قتادة قال في قراة عبد الله بن مسعود وهو عليه هين وقال

مجاهد وعكرمة والضحاك ان المعنى الاعادة اهون عليه اي
على الله من البداية اي أيسر وان كان جميعه على الله تعالى هينا
وقاله ابن عباس ووجهه ان هذا مثل ضربه الله تعالى لعباده يقول
اعادة الشيء على الخلايق اهون من ابتدايه فينبغي ان تقدروا البعث لمن
قدر على البدايه عندكم وفيما بينكم اهون عليه من الانشاء وقيل
الضمير في عليه للخلق اي وهو اهون عليه اي على المخلوق يصاح بهم
صيحة واحدة فيقومون من قبورهم فينظرون فذلك اهون
عليهم من ان يعالجوا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم اجنة ثم اطفالا
ثم غلمانا ثم شبانا ثم رجالا أو نساء وقال ابن عباس وقتادة
وقيل الهون السهل قال
وهان علي سراة ان شتمت الندى يعني بها الله وتصدق
اي سهل عليها وقال الربيع بن خثيم في قوله تعالى وهو اهون عليه
قال ما شيء على الله تعالى بعزيز عكرمة تعجب الكفار من احياء الله
تعالى الموتى فنزلت هذه الاية وله المثل الاعلى اي ما اراده جل
وعز كان قال الخليل المثل الصفة اي وله الوصف الاعلى في
السموات والارض كما قال مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها
وقد مضى الكلام في لا اله الا الله وعز بجاهد المثل الاعلى قول لا اله الا الله
ومعناه اني الاله له الوصف الاعلى اي الارفع الذي هو الوصف
بالوحدانية وكذا قال قتادة ان المثل الاعلى شهادة ان لا اله الا
الله وبعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم على ما
بينه انفا ان شاء الله تعالى وقال الزجاج وله المثل الاعلى في
السموات والارض على قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا
فيما يضعف ويسهل ويريد التفسير الاول وقال ابن عباس وليس

كمثله شيء وهو العزيز الحكيم تقدم قوله تعالى ضرب لكم مثلا
من انفسكم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى من انفسكم ثم قال من
شركاء ثم قال من ما ملكت ايمانكم فمن الاولى للابتداء كانه قال اخذ
مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم والثانية للتبعيض
والثالثة زايدة للتاكيد الاستفهام والاية نزلت في كفار قريش
كانوا يقولون في التلبية لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك
تملكه وما ملك قاله سعيد بن جبير وقال قتادة هذا مثل ضربه
الله للمشركين المعنى هل يرضى احدكم ان يكون مملوكه في ماله ونفسه
مثله فاذا لم ترضوا بهذا لانفسكم فكيف جعلتم لله شركا من خلقه
قال بعض العلماء هذه الاية اصل في الشركة بين المخلوقين لا فتقار
بعضهم الى بعض ونفيها عن الله سبحانه وذلك انه لما قال
جل وعز ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت
ايمانكم الاية فيجب ان تقولوا ليس عبيدنا شركاء فيما
رزقناهم فيقال لهم فكيف تتصورون ان تنزهوا انفسكم عن
مشاركة عبيدكم وجعلوا عبيدي شركائي في خلقي فهذا حكم
فاسد وقلة نظر وعمى قلب فاذا اطلقتم الشركة بين العبيد
وسادتهم فيما ملكه السادة والخلق كلهم عبيد الله تعالى
فيبطل ان يكون شيء من العالم شريكا لله تعالى في شيء من افعاله
فلم يبق الا انه ولحد يستحيل ان يكون له شريك اذ الشركة
تقتضي المعاونة ومن مفتقر الى معاونة بعضنا بعضا بالمال
والعمل والقديم الازلي منزه عن ذلك جل وعز وهذه المسئلة
افضل للطالب من خط ديوان كامل في الفقه لان جميع العبادات
البدنية لا تصح الا بتصحيح هذه المسئلة في القلب فافهم ذلك

قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم لما قامت
عليهم الحجة ذكر انهم يعبدون الاصنام باتباع اهوائهم في
عبادتها وتقليد الاسلاف في ذلك فمن يهدي من اضل الله اي لا
هادي لمن اضله الله تعالى وفي هذا رد على القدرية وما لهم من
ناصرين قوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله
فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فاقم وجهك قال الزجاج فطرة
منصوب بمعنى اتبع فطرة الله قال الزمخشري معنى فاقم وجهك للدين
اتبع الدين واتبع فطرة الله وقال الطبري فطرة الله مصدر
من معنى فاقم وجهك لان معنى ذلك فطر الله الناس على ذلك
فطرة وقيل معنى ذلك اتبعوا دين الله الذي خلق الناس
له وعلى هذا القول يكون الوقف على حنيفا تاما وعلى القولين الاولين
يكون متصلا فلا يوقف على حنيفا وسميت الفطرة دينا لان الناس
خلقوا له قال الله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ويقال عليها بمعنى لها كقوله تعالى ان اسأتم فلها والخطاب
بأقم وجهك للنبي صلى الله عليه وسلم امره باقامة وجهه
للدين المستقيم كما قال فاقم وجهك للدين القيم وهو دين الاسلام
واقامة الوجه هو تقويم القصد والقوة على الجد في اعمال
الدين خص الوجه بالذكر لانه جامع حواس الانسان واشرفه
ودخل في هذا الخطاب امته بالتفاق من اهل التاويل وحنيفا
معناه معتدلا مايلا عن جميع الاديان المحرفة المنسوخة
الثانية في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مولود يولد الا يولد على الفطرة وفي رواية
على هذه الملة ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج

البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة
واقرؤا ان شيتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
الله في رواية حتى يكونوا انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله افرايت
من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين لفظ مسلم
الثالثة واختلف العلماء في معنى الفطرة المذكورة في الكتاب
والسنة على اقوال متعددة منها الاسلام فقال ابو هريرة وابن
شهاب وغيرهما قالوا وهو المعروف عند عامة السلف من اهل
التاويل واحتجوا بالاية وحديث ابي هريرة وعضدوا ذلك
بحديث عياض بن حمار المجاشعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
للناس يوما الا احدثكم بما حدثني الله في الكتاب ان الله خلق ادم
وبنيه حنفا مسلمين فاعطاهم المال فلا الا لاحرام فيه فجعلوا
مما اعطاهم الله حراما وحلالا الحديث وبقوله صلى الله عليه وسلم
خمس من الفطرة فذكر منها قص الشارب وهي من سنن الاسلام
وعلى هذا التاويل فيكون معنى الحديث ان الطفل خلق سليما من
الكفر على الميثاق الذي اخذه الله على ذرية ادم حين اخرجهم
من صلبه وانهم اذا ماتوا قبل ان يدركوا الى الجنة اولاد مسلمين
كانوا او اولاد كفار وقال الخروز الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم
الله عليها اي على ما فطر الله عليه خلقه من انه ابتدأهم للحياة
والمعيشة والسعادة والشقاوة الى ما يصيرون اليه عند البلوغ
قالوا والفطرة في كلام العرب البداءة والفاطر المبتدي لحجرا
بما روي عن ابن عباس انه قال لما اختصم اليه اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها
اي ابتدأتها قال العدوني وبهذا احمد بن حنبل فذهب الى هذا القول

ثم تركه قال ابو عمر في كتاب التمهيد له ما رسمه ملك في
موطيه و ذكر في ابواب القدر فيه من الآثار ما يدل على ان مذهبه في
ذلك نحو هذا والله اعلم ومما احتجوا به ما روي عن كعب القرظي من
في قوله تعالى فريقا هدى و فريقا حق عليهم الضلالة قال ابتدا الله
خلقه للضلاله صيره الضلاله و ان عمل باعمال الهدى فمن ابتدا
الله خلقه على الهدى صيره الى الهدى و ان عمل باعمال الضلالة
ابتدأ الله خلقه ليس على الضلاله و عمل باعمال السعاده مع
الملايكة ثم رده الله الى ما ابتدا عليه خلقه و كان من الكافرين
قال الشيخ المصنف رحمه الله قول كعب هذا في الاعراف وجا
معناه مرفوعا من حديث عايشة رضي الله عنها قالت دفن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى جنازه غلام من الانصار فقلت يا رسول
الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنه لم يعمل السوء ولم يدركه
قال او غير ذلك يا عايشه ان الله خلق للجنه اهلا خلقهم لها وهم
في اصلاب ابايهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم
خرجه ابن ماجة في السنن وخرج ابو عيسى الترمذي عن عبد الله بن
عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم و في يده كتابان
فقال اتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا
فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسما
اهل الجنه و اسما ابايهم و قبايلهم ثم اجمل على اخرهم فلا
يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا ثم قال للذي في شماله هذا
كتاب من رب العالمين فيه اسما اهل النار و اسما ابايهم و قبايلهم
ثم اجمل في اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا و ذكر الحديث
و قال فيه حديث حسن قالت فقد ليس المراد بقوله تعالى

الناس ولا قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة العموم
و انما المراد بالناس المومنون لو فطر الجميع على الاسلام لما
كفر احد و قد ثبت انه خلق اقواما للنار كما قال ولقد ذرأنا لجهنم
و اخرج الذرية من صلب ادم سودا و بيضا و قال في الغلام الذي
قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا و روى ابو سعيد الخدري قال
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر نهارا و فيه و كان
فيما حفظنا ان قال الا ان بني ادم خلقوا طبقات شتى فمنهم من
يولد مومنا و يحيى مومنا و يموت مومنا و منهم من يولد كافرا
و يحيى كافرا و يموت كافرا و منهم من يولد مومنا و يحيى مومنا و يموت
كافرا و منهم من يولد كافرا و يحيى كافرا و يموت مومنا و منهم
حسن القضا حسن الطلب ذكره حماد بن زيد قال حدثنا علي
بن زيد عن ابي نضره عن ابي سعيد قالوا و العموم بمعنى الخصوص كثير في
لسان العرب الا ترى الى قوله عز وجل تدمر كل شي بامر ربها و لم تدمر
السموات والارض و قوله ففتحنا عليهم ابواب كل شي و لم تفتح عليهم
ابواب الرحمة و قال اسحق بن راهويه الحنظلي ثم الكلام عند قوله
فاقم وجهك للدين حنيفا ثم قال فطرة الله اي فطر الله الخلق فطرة
اما الجنة او النار و اليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كل مولود
يولد على الفطرة و لهذا قال لا تبديل لخلق الله قال شيخنا ابو العباس من
قال هي سابقة السعادة والشقاوة فهذا انما يليق بالفطرة المذكوره
في القرآن و بقية الحديث لان الله قال لا تبديل لخلق الله و اما في الحديث فلا
لانه قد اخبر في بقية الحديث بانها تبدل و تغير و قالت طايفة من اهل
الفقه و النظر الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه
فكانه قال كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفة

يريد خلقه مخالفة لخلقه البهايم التي لا تصل بخلقتها الى معرفته واحتجوا
على الفطرة لخلقه والفاطر الخالق بقول الله عز وجل الحمد لله فاطر السموات
والارض يعني خالقهن وبقوله مالي لا اعبد الذي فطرني يعني خلقني وبقوله
الذي فطرهن يعني خلقهن قالوا فالفطرة الخلقة والفاطر الخالق وانكروا
ان يكون المولود يفطر على كفر او ايمان او معرفة او انكار قالوا وانما
المولود على السلامة في الاغلب خلقة وطبعا ونية ليس معها ايمان
ولا كفر ولا انكار ولا معرفة ثم يعقدون الكفر والايمان بعد البلوغ
اذا ميزوا واحتجوا بقوله في الحديث كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا
يعني سالمة هل تحسون فيها من جدعا يعني مقطوعة الاذن فشل قلوب
بني ادم بالبهايم لانها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان ثم تقطع
اذانها بعد وانوفها فيقال هذه بحايرة وهذه سوايب يقول فكذلك
قلوب الاطفال في حين ولادتهم ليس لهم كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا
انكار كالبهايم السايمة فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر
اكثرهم وعصم الله اقلهم قالوا ولو كان الاطفال قد فطروا على شيء
من الكفر والايمان في اولية امرهم ما انتقلوا عنه ابدا وقد نجدهم يومنون
ثم يكفرون قالوا ويستحيل في المعقول ان يكون الطفل في حين ولادته
يعقل كفرا او ايمانا لان الله اخرجهم في حال لا يفقهون معها شيا قال الله
تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيا فمن لا يعلم شيا
استحال منه كفر او ايمان او معرفة او انكار قال ابو عمر بن عبد البر
هذا اصح ما قيل في معنى الفطرة التي ولد الناس عليها ومن الحجة ايضا
في هذا قوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون وكل نفس بما كسبت رهينة
ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرتهن بشيء وقال وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا ولما اجمعوا على دفع القود والقصاص والحدود الا ان

عنهم في دار الدنيا كانت الاخرة اولى بذلك والله اعلم ويستحيل ان
تكون الفطرة المذكورة الاسلام كما قال ابن شهاب لان الاسلام والايمان
قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهذا معدوم من الطفل
لا يجهل ذلك ذو عقل واما قول الاوزاعي سالت الزهري عن رجل
عليه رقبة اتجزي عنه الصبي ان يعتقه وهو رضيع قال نعم لانه ولد
على الفطرة يعني الاسلام فانما اجزا عتقه عنه من اجازه لان حكمه
حكم ابويه وخالفهم اخرون فقالوا لا يجزي في الرقاب الواجبة الا من
صام وصلى وليس في قوله تعالى كما بدأكم تعودون ولا في ان ختم الله
للعبد بما قضاه له وقدره عليه دليل على ان الطفل يولد حين يولد مومنا
او كافرا بما شهدت له العقول انه في ذلك الوقت ليس ممن يعقل
ايمانا ولا كفرا والحديث الذي حاقيه ان الناس خلقوا على الخلقات ليس
من الاحاديث التي لا مطعن فيها لانه انفرد به علي بن زيد بن جدعان وقد
كان شعبة يتكلم فيه على انه احتمل قوله يولد مومنا اي يولد ليكون مومنا
ويولد ليكون كافرا على سابق علم الله فيه وليس في قوله في الحديث خلقت
هاؤلاء للجنة وخلقت هاؤلاء للنار اكثر من مراعاة ما ختم به لهم لانهم
في حين طفوليتهم ممن يستحق جنة او نارا او يعقل كفرا او ايمانا قال
الشيخ المصنف رحمه الله والى ما اختاره ابو عمر واحتج غيره واحد من
المحققين كابن عطية في تفسيره في معنى الفطرة وشيخنا ابو العباس
قال ابن عطية والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة انها الخلقة
والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة ومهيأة لان يوجد منها مصنوعات
الله ويستدل بها على ربه ويعرف شرايعه ويومن به فكانه تعالى قال
اقم وجهك للدين الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي فطر الناس عليها
فطر البشر لئلا تعرضهم العوارض منه قول النبي صلى الله عليه وسلم

كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه فذكر الابوين
انما مثال للعوارض التي في كثيرة وقال شيخنا في عبارته ان الله تعالى
خلق قلوب بني ادم مؤهلة لقبول الحق كما خلق اعينهم واسماعهم
قابلة للمدركات والمسموعات فما دامت باقية على ذلك القبول
وعلى تلك الاهلية ادركت الحق ودين الاسلام هو الدين الحق
وقد دل على صحة هذا المعنى قوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء
هل تحسون فيها من جدعاء يعني البهيمة تلد ولدها كاملة الخلقة
سليما من الافات فلو ترك على اصل تلك الخلقة لبقي كاملا بريا
من العيوب لكن يتصرف فيه بجدع انفه وبوسم وجهه فتطرى
عليه الافات والنقايص فيخرج عن الاصل وكذلك الانسان وهو
له تشبيه واقع ووجهه واضح قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا
القول مع القول الاول موافق في المعنى وان ذلك بعد الادراك حين
عقلوا امر الدنيا وتاكدت حجة الله عليهم بما نصب من الايات
الظاهرة من خلق السموات والارض والشمس والقمر والبر والبحر
واختلاف الليل والنهار فلما عملت اهواهم فيه انتقم الشيطان حين
فدعتهم الى اليهودية والنصرانية فذهبت باهوائهم يمينا
وشمالا وانهم ان ماتوا صغارا فهم في الجنة اعني جميع الاطفال
لان الله تعالى لما اخرج ذرية ادم من صلبه في صورة الذر اقروا له
بالربوبية وهو قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا
ثم اعادهم في صلب ادم بعد ان اقروا له بالربوبية وانه الله لا اله غيره
ثم يكتب العبد في بطن امه شقيا او سعيدا على الكتاب الاول فمن كان
في الكتاب الاول شقيا غير حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي

اخذ عليه في صلب ادم بالشرك ومن كان في الكتاب الاول سعيد
يمد حتى يجري عليه القلم فيصير سعيدا ومن مات صغيرا من اولاد المسلمين
قبل ان يجري عليه القلم فهو مع اباءهم في الجنة ومن كان من اولاد المشركين
فمات قبل ان يجري عليه القلم فليس بكونون مع اباءهم لانهم ماتوا على
الميثاق الاول الذي اخذ عليهم في صلب ادم ولم ينقض الميثاق وذهب
الى هذا جماعة من اهل التاويل وهو جمع بين الاحاديث ويكون معنى
قوله عليه السلام لما سئل عن اولاد المشركين فقال الله اعلم بما
كانوا عاملين يعني لو بلغوا ودل على هذا التاويل ايضا حديث البخاري
عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الطويل حديث
الرؤيا وفيه قوله عليه السلام واما الرجل الطويل الذي في الروضة
فابراهيم عليه السلام واما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة
قال فقيل يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم واولاد المشركين هذا نص يرفع الخلاف وهو اصح شيء روي في هذا
الباب وغيره من الاحاديث فيها علل ليست من احاديث الائمة الفقها
قاله ابو عمر بن عبد البر وقد روي من حديث انس قال سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن اولاد المشركين فقال ان لم تكن لهم حسنات فيجزوا
بها فيكونوا من ملوك الجنة ولم تكن لهم سيات فيعاقبوا عليها
فيكونوا من اهل النار فهم خدم لاهل الجنة ذكره يحيى بن سلام في التفسير
له وقد زدنا هذه المسئلة بيانا في كتاب التذكرة وذكرنا في كتاب
المقتبس في شرح موطا مالك بن انس ما ذكره ابو عمر من ذلك
والحمد لله وذكر اسحق بن راهويه قال حدثنا يحيى بن ادم قال انا
جرير بن حازم عن ابي رجا العطاردي قال سمعت ابن عباس يقول
لا يزال امر هذه الامة مواتيا او متقاربا او كلمة تشبهها تتين

حتى تتكلموا او ينظروا في الاطفال والقدر قال يحيى بن آدم فذكرته لابن المبارك
فقال أيسكت الانسان عن الجهل قلت فتامرنا بالكلام قال فسكت وقال
ابو بكر الوراق فطرة الله التي فطر الناس عليها هي الفقر والفاقة
وهذا حسن فانه مندوب الى حين موت فقير فقير محتاج نعم
وفي الاخره قوله تعالى لا تبديل لخلق الله اي هذه الفطرة لا تبديل
لها من جهة الخالق ولا هي الامر على خلافها وهذا بوجه اي لا يشقى من خلقه
سعيدا ولا يسعد من خلقه شقيا وقال مجاهد المعنى لا تبديل لدين الله
وقاله قتاده وابن جبير والضحاك ويزيد والنخعي قالوا هذا معناه في
المعتقدات وقال عكرمة مروي عن ابن عباس وعمر بن الخطاب ان المعنى لا
تغيير لخلق الله من البهائم ان تخصى فحولها فيكون معناه النهي عن خصاء الفحول
من الحيوان وقد مضى هذا في النساء ذلك الدين القيم اي القضاء المستقيم قاله
ابن عباس وقال مقاتل ذلك الحساب البين وقيل ذلك الدين القيم اي دين
الاسلام هو الدين القيم المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يتفكرون فيما
فيعلمون انه لهم خالقا معبودا وإلها قديما سبق قضاؤه ونفذ حكمه
قوله تعالى منيبين اليه اختلف في معناه فقيل راجعين اليه بالتوبة
والاخلاص وقال يحيى بن سلام وقاعد الدهمي راجعين اليه
تائبين اليه من الذنوب ومنه قول قيس بن الاسلت

فان تابوا فان بني سليم وقومهم هوازن قد أنابوا

والمعنى احد فان تاب وثاب وآب معناه الرجوع وقال
الماوردي في اصل الانابة قولان احدهما ان اصله القطع ومنه اخذ
اسم الناب لانه قاطع وكان الانابة هي الانقطاع الى الله جل وعز
بالطاعة الثاني اصله الرجوع ماخوذ من ناب ينوب اذا رجع
مرة بعد اخرى ومنه النوبة لانها الرجوع الى العادة الجوهري

وانابَ الى الله اقبل وتاب والنوبة واحدة النُّوَب تقول حانت نوبتك
ونيابتك وهم بيننا وبون التوبة فيما بينهم في الماء وغيره وانتصب
على الحال قال محمد بن يزيد لان معنى اقم وجهك فاقيموا وجوهكم منيبين
وقال الفراء المعنى فاقم وجهك ومن معك منيبين وقيل انتصب على
القطع اي فاقم وجهك انت وامتك المنيبين اليه لان الامر له امر لامته
فحسن ان تقول منيبين اليه وقد قال يا ايها النبي اذا طلقتم النساء واتقوه
اي خافوه واستلوا ما امركم به واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين
بين ان العبادة لا تنفع الا مع الاخلاص فذلك قال ولا تكونوا من المشركين
وقد مضى هذا مبينا في النساء والكهف وغيرهما من الدين فرقوا دينهم
تأوله ابو هريرة وعايشة وابو امامة انه لاهل القبلة من اهل
الاهواء والبدع وقد مضى في الانعام بيانه وقال الربيع بن انس
الدين فرقوا دينهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقاله قتادة
ومعمر وقراحمزة والكسائي فارقوا دينهم وقد قرا ابن كثير على بن
ابي طالب اي فارقوا دينهم الذي يجب اتباعه وهو التوحيد وكانوا
شيعا اي فرقا قاله الكلبي وقيل اديانا قاله مقاتل كل حزب بما
لديهم فرحون اي مسرورون معجبون لانهم لم يتبينوا الحق وعليهم
ان يتبينوه وقيل كان هذا قبل ان تنزل الفرايض وقول ثالث ان
العاصي لله عز وجل قد يكون فرحا بمعصيته كذلك الشيطان وقطاع
الطريق وغيرهم والله اعلم وزعم الفراء انه يجوز ان يكون التمام
ولا تكونوا من المشركين ويكون المعنى من الذين فارقوا دينهم وكانوا
شيعا على الاستيناف وانه يجوز ان يكون متصلا بما قبله النحاس
اذا كان متصلا بما قبله فهو عند البصريين على البدل باعادة الحرف
كما قال جل وعز قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن امن منهم

ولو كان للاحرف لجاز قوله تعالى واذا مس الناس ضر اي قحط
وشدة دعوا ربهم ان يرفع ذلك عنهم منيبين اليه قال ابن عباس
مقبلين عليه بكل قلوبهم لا يشركون ومعنى هذا الكلام التعجب
عجب نبيه من المشركين في ترك الانابة الى الله تعالى مع تتابع
الحجج عليهم اي اذا مسهم او لا الكفار ضر من مرض وشدة دعوا
ربهم اي استغاثوا به في كشف ما نزل بهم مقبلين عليه وحده دون
الاصنام لعلمهم بانه لا فرج عندها ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي عافية
ونعمة اذا فريق منهم بربهم يشركون اي يشركون به في العبادة قوله
تعالى ليكفروا بما اتيناهم قيل هي لام كي وقيل هي لام امر فيه معنى التهديد
كما قال جل وعز فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فتمتعوا فسوف تعلمون
تهديد ووعيد وفي مصحف عبد الله وليتمتعوا اي كتمام مرذلك
كي يتمتعوا فهو اخبار عن غايب مثل ليكفروا وهو على خط المصحف
خطاب بعد الاخبار عن غايب اي تمتعوا ايها الفاعلون هذا قوله
تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فيه معنى التوقيف قال الضحاك
سلطانا اي كتاب وقاله قتادة والربيع بن انس وامثال هذا عالم الي
الكتاب توسع وزعم الفراء ان العرب تونث السلطان تقول قضت
به عليك السلطان فاما البصريون فالتذكير عندهم افصح وبه
جا القران والتانيث عندهم جايز لانه بمعنى الحجة اي حجة تنطق بشركهم
قاله ابن عباس والضحاك ايضا وقال علي بن سليمان عن ابي العباس محمد
بن يزيد قال سلطان جمع سليط مثل غيف ورغفان فتذكيره
على معنى الجمع وتانيثه على معنى الجماعة وقد مضى في اعراب الكلام
في السلطان ايضا مستوفى والسلطان ما يدفع به الانسان عن نفسه
امرا يستوجب به عقوبة كما قال لادخلنه او لياتيني بسلطان

استفهام؟

مبين قوله تعالى واذا الناس رحمة فرحوا بها يعني الخصب
والسعة والعافية قاله الحسن بن سلام النعاش النعمة والبطر بها
وقيل الامن والدعة والمعنى متقارب فرحوا اي بالرحمة وان
تصبهم سيئة اي بلاء او عقوبة قاله مجاهد السدي قحط المطر
بما قدمت ايديهم اي بما عملوا من المعاصي اذا هم يقنطون اي
ييأسون من الرحمة والفرج قاله الجمهور وقال الحسن القنوط
ترك فرايض الله سبحانه في العسر قنط يقنط ويقنط وهي قراءة
العامة وقنط يقنط وهي قراءة ابي عمرو والكسايي ويعقوب
وقرا الاعمش قنط يقنط بالكسر فيهما مثل حسب يحسب
والاية صفة للكافر يقنط عند الشدة ويبطر عند النعمة كما قيل

فجمال السوء ان علقته ... رمح الناس وان جاع نهق

وكثير ممن لم يرسخ الايمان في قلبه يعده المتابة وقد مضى في غير
موضع فاما المؤمن فيشكر ربه عند النعمه ويرجوه عند الشدة
قوله تعالى اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي
يوسع الخير في الدنيا لمن يشاء ويضيق فالحب ان يدعوهم الفقر
الى القنوط ان في ذلك لايات لقوم يعقلون مؤمنون قوله تعالى
وآت ذا القربى حقه فيه ثلث مسايل الاولى لما تقدم انه سبحانه
يبسط الرزق ويقدر امر من وسع عليه الرزق ان يوصل الى الفقير
كفايته ليستحق بشكر الغني والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد هو وامته لانه قال ذلك خير للذين يريدون وجه الله
لقرب رحمه وخير الصدقة ما كان على القريب وفيها صلة
الرحم وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على
الاقارب على عتق الرقاب فقال لميمونة وقد اعتقت وليدة

اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الثانيه واختلف
في هذه الاية فقيل هو منسوخة باية المواريث وقيل لا نسخ
بل للقريب حق لازم في البر على كل حال وهو الصحيح قال مجاهد
وقتاده صلة الرحم فرض من الله عز وجل حتى قال مجاهد لا يقبل
صدقة من احد ورحمه محتاجة وقيل المراد بالقربى اقربا النبي
صلى الله عليه وسلم والاول اصح فان حقهم مبين في كتاب الله
جل وعز في قوله فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى وقيل ان
الامر بالايتا لذي القربى على جهة الندب قال الحسن حقه المواساة
في اليسر وقول ميسور في العسر والمسكين قال ابن عباس اي اطعم
السايل الطواف وابن السبيل الضيف فجعل الضيافة فرضا وقد
مضى جميع هذا مبينا مبسوطا في مواضعه والحمد لله الثالثه
ذلك خير للذين يريدون وجه الله والتقرب اليه واوليك هم
المفلحون اي الفايزون بطلوبهم من الثواب في الاخره وقد تقدم
في البقره القول فيه قوله تعالى وما اتيتم من ربا ليربوا في
اموال الناس فلا يربوا عند الله فيه اربع مسايل الاولى لما ذكر
ما يراد به وجهه ويثيب عليه ذكر غير ذلك من الصفه وما
يراد به ايضا وجهه وقرا الجمهور اتيتم بالمد بمعنى اعطيتم
وقرا ابن كثير ومجاهد وحميد بغير مد بمعنى ما فعلتم من ربا
كما تقول اتيت صوابا واتيت خطا واجمعوا على المد في قوله
وما اتيتم من زكاة والربا الزيادة وقد مضى في البقره معناه
وهو هناك محرم وها هنا حلال وثبت بهذا انه قسمان
منه حلال ومنه حرام قال عكرمة في قوله تعالى وما اتيتم من
ربا ليربوا في اموال الناس قال الربا ربوان ربا حلال وربا

حرام

اذا اريد بها ذلك وجه الله
ان العطايا انما تضاعف للاصحاب

فاما الربا الحلال فهو الذي يهدى يلتمس ما هو افضل منه وعن
الضحاك في هذه الاية هو الربا الحلال الذي يهدى ليثاب افضل
منه لا له ولا عليه ليس له فيه اجر وليس عليه فيه اثم وكذلك
قال ابن عباس قال وما اتيتم من ربا يريد هدية الرجل الشي يرجو
ان يثاب افضل منه فذلك الذي لا يربوا عند الله ولا يوجر صاحبه
ولكن لا اثم عليه وفي هذا المعنى نزلت الاية قال ابن عباس وابن جبير
وطاوس ومجاهد هذه اية نزلت في هبة الثواب قال ابن عطية
وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالسلام
وغيره فهو وان كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى
وقال القاضي ابو بكر بن العربي وفي كتاب النسا عن عبد الرحمن
بن علقمة قال قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعهم هدية وصدقة فان كانت هديه فانما يبتغى بها وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضا الحاجة وان كانت صدقة
فانما يبتغى بها وجه الله قالوا لا بل هدية فقبلها منهم وقعد
معهم يسايلهم ويسايلونه وقال ابن عباس ايضا وابراهيم النخعي
نزلت في قوم يعطون قراباتهم واخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم
والتفضل عليهم وليزيدوا في اموالهم على وجه النفع لهم وقال
الشعبي معنى الايه ان ما خدم الانسان به احدا وخف له لينتفع
به في دنياه فان ذلك النفع الذي يجزى به الخدمة لا يربوا عند الله
وقيل هذا كان حراما على النبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص
قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر فنهي ان يعطي شيا فياخذ
اكثر منه عوضا وقيل انه الربا المحرم فمعنى لا يربوا عند الله على
هذا القول لا يحكم به لاخذه بل هو للماخوذ منه قال السدي

نزلت هذه الاية في ربا ثقيف لانهم كانوا يعاملون بالربا ويعلله
فيهم قريش الثانيه قال الماخي ابو بكر بن العربي صريح الاية
فيمن يهب يطلب الزيادة من اموال الناس في المكافاة قال المهلب
اختلف العلما فيمن وهب هبة يطلب ثوابها وقال انما اردت
الثواب فقال مالك ينظر فيه فان كان مثله ممن يطلب الثواب
من الموهوب له فله ذلك مثل هبة الفقير للغني وهبة الخادم
لصاحبه وهبة الرجل لامير ومن فوقه وهذا احد قولي الشافعي
وقال ابو حنيفه لا يكون له ثواب اذا لم يشترط وهو قول
الشافعي الاخر قال والهبة للثواب باطل لا تنفعه لانها بيع
بشرط مجهول واختج الكوفي بان موضوع الهبة التبرع فلو اوجبنا
فيها العوض لبطل معنى التبرع وصارت في معنى البيع وضاته
والعرف قد فرقت بين لفظ البيع ولفظ الهبة فجعلت لفظ
البيع على ما يستحق فيه العوض والهبة بخلاف ذلك ودليلنا ما
رواه مالك في موطيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال
ايما رجل وهب هبة يرى انها للثواب فهو على هبته حتى يرضى
منها وذكر علي رضي الله عنه قال المواهب ثلثه موهبة يراد
بها وجه الله وموهبة يراد بها وجه الناس وموهبة يراد
بها الثواب فموهبة الثواب يرجع فيها صاحبها اذا لم يثب
منها وترجم البخاري رحمه الله باب المكافاة في الهبة
وساق حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبل الهدية ويثيب عليها واثاب على لقحة ولم يذكر على
صاحبها حين طلب الثواب وانما انكر سخطه للثواب وكان
زايدا على قيمة الثالثه ما دكره علي رضي الله عنه

عن

خرجه الترمذي

وفضله من الهبة صحيح وذلك ان الواهب لا يخلو في هبته من
ثلثة احوال احدها ان يريد بها وجه الله تعالى ويبتغي عليها الثواب
منه والثاني ان يريد بها وجوه الناس ريا ليحمدوه عليها ويثنوا
عليه من اجلها والثالث ان يريد بها الثواب من الموهوب له
وقد مضى الكلام فيه وقال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات
وانما لكل امري ما نوى فاما اذا اراد بهبته وجه الله تعالى
وابتغى عليه الثواب من عنده فله ذلك عند الله بفضله ورحمته
قال الله عز وجل وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك
هم المضعفون وكذلك من وصل قرابته ليكون غنيا حتى لا يكون
كلا فالنية في ذلك متنوعة فان كان ليتظاهر بذلك دنيا فليس
لوجه الله وان كان ماله عليه من حق القرابة وبينهما من شجنة
الرحم فانه لوجه الله واما من اراد بهبته وجوه الناس ريا ليحمدوه
عليها ويثنوا عليه من اجلها فلا منفعه له في هبته لا ثواب في الدنيا
ولا اجر في الاخرى قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رياء الناس الاية واما من اراد
بهبته من الموهوب له فله ما اراد بهبته وله ان يرجع فيها ما
لم يثب بقيمتها على مذهب بن القاسم او ما لم يرض منها بازيد
من قيمتها على ظاهر قول عمر وعلي وهو قول مطرف في الواضحة
ان الهبة ما كانت قايمة العين ان زادت او نقصت فللواهب
الرجوع فيها وان اثابه الموهوب فيها اكثر منها وقد قيل انها
اذا كانت قايمة العين لم تتغير فانه ياخذ ما شاء وقيل يلزمه القيمة
كنكاح التفويض اذا كانت بعد فوت الهبة فليس له الا القيمة
اتفاقا قاله بن العربي الرابعة قوله تعالى ليربو قد اجمهور

القراء يربو بالياء واسناد الفعل الى الربا وقرأ نافع وحمزة بضم الثاء ساكنة
على المخاطبة بمعنى تكونوا دوي زيادات وهمزه قراه بن عباس والحسن
وقتادة والشعبي قال ابو حاتم هي قراءتنا وقرأ ابو ملك ليربو بها بضمير
مونث فلا يربوا عند الله اي لا يزكوا ولا يثيب عليه لانه لا يقبل
الا ما اريد به وجهه وكان خالصا له وقد تقدم في النساء وما
اتيتم من زكاة قال بن عباس اي من صدقة تريدون وجه الله فاولئك
هم المضعفون اي ذلك الذي يتقبله ويضاعف له عشرة اضعافه
او اكثر كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه
له اضعافا كثيرة وقال مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة وقال فاولئك هم
المضعفون ولم يقل فانتم المضعفون لانه رجع من المخاطبة الى
الغيبة مثل قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وفي معنى
المضعفين وجهان احدهما تضاعف لهم الحسنات كما ذكرنا
والاخر انهم قد اضعف لهم الخير والنعيم اي هم اصحاب اضعاف
كما يقال فلان مقو اذا كانت ابله قوية او له اصحاب اقوياء
ومسمن اذا كانت ابله سمانا ومعطش اذا كانت ابله عطاش
ومضعف اذا كانت ابله ضعيفة ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم اني اعوذ بك من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم
فالمخبث الذي له اصحاب خبث ويقال فلان ردئ اي مردي
في نفسه ومردئ اصحابه اورديا قوله تعالى الله الذي خلقكم
ابتدا وخبر وعاد الكلام الى الاحتجاج على المشركين وانه الخالق
الرازق المحيي ثم قال على جهة الاستفهام هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء لا يفعل ثم نزه نفسه عن الانداد والاضداد

بالالة

والصاحبة والاولاد بقوله لحق سبحانه وتعالى عما يشركون
واضاف الشركاء اليهم لانهم كانوا يسمونهم آلهة والشركاء
ويجعلون لهم من اموالهم قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر
اختلف في معنى الفساد والبر والبحر فقال قتاده والسدي الفساد
الشرك وهو اعظم الفساد وقال بن عباس وعكرمة ومجاهد
فساد البر قتل بن ادم اخاه قابيل قتل هابيل وفي البحر ملك
الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا وقيل الفساد القحط وقلة
النبات وذهاب البركة ونحوه قال بن عباس قال هو نقصان البركة
باعمال العباد حتى يتوبوا النحاس وهو احسن ما قيل في الاية
وعنه ايضا ان الفساد في البر انقطاع صيده بذنوب بني ادم وقال
عطية فاذا قل المطر قل الغوص عليه واخفق الصيادون وعميت
دواب البحر وقال بن عباس اذا امطرت السما تحت الاصداف في
البحر فما وقع فيها من السما فهو لولو وقيل الفساد كساد الاسعار
وقلة المعاش وقيل الفساد المعاصي وقطع السبيل والظلم اي صار
هذا العمل ما نعا من الزرع والعمارات والتجارات والمعنى كله متقارب
والبر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة وعند الناس لا ما قاله
بعض العباد ان البحر اللسان والبر القلب لظهور ما على اللسان وخفاء ما
في القلب وقيل البر الفيافي والبحر القرى قاله عكرمة والعرب تسمي
الامصار البحار وقال قتاده البر اهل العمود والبحر اهل القرى والريف
وقال بن عباس ان البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر والبحر ما كان
على شط نهر قاله مجاهد وقال ما والله ما هو بحر حمى هذا ولكن كل
قرية على ماء جار فهي بحر وقال معناه النحاس قال في معناه قولان احدهما
ظهر الجدب في البراري في البوادي وقراها وفي البحر اي في مدن البحر مثل

واسئل القرية اي اهلها قوله الغيث وغلا السعر بما كسبت ايدي
الناس ليذيقهم عقاب بعض الذي عملوا ثم حذف والقول الاخر
انه ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم فهذا هو
الفساد على الحقيقة والاول مجاز الا انه على الجواب الثاني
فيكون في الكلام حذف واختصار رد عليه ما بعده ويكون
المعنى ظهرت المعاصي في البر والبحر فحبس الله عنهما الغيث
وأغلى سعرهم ليذيقهم عذاب بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون
لعلهم يتوبون وقال بعض الذي عملوا الا ان معظم الجزاء في الآخرة
والقراءة ليذيقهم بالياء وقرا ابن عباس بالنون وهي قراءة السلمي
وابن حبيش وقتيبة ويعقوب على التعظيم اي ليذيقهم عقوبة
بعض ما عملوا قوله تعالى قل سيروا في الارض اي قل لهم
يا محمد سيروا في الارض ليعتبروا فانظروا من قبلهم وينظروا كيف كان
عاقبة من كذب الرسل كان اكثرهم مشركين اي كافرين
فاقم وجهك قوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم قال الزجاج
اي اقم قصدك واجعل جهتك اتباع الدين القيم يعني الاسلام
وقيل المعنى اوضح الحق وبالغ في الاعذار واشتغل بما انت فيه
ولا تحزن عليهم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده
الله عنهم فاذا اراده لم يتهيا لاحد دفعه ويجوز عند
غير سيبويه لا مرد له وذلك عند سيبويه بعيد الا ان
يكون في الكلام عطف والمراد يوم القيامة يومئذ يصدعون
قال ابن عباس معناه يتفرقون وقال الشاعر

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

اي لن يتفرقا ونظيره قوله يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق

في السعير والاصل يتصدعون ويقال تصدع القوم اذا تفرقوا
ومنه اشتق الصداع لانه يفرق شعب الراس قوله تعالى
من كفر فعليه كفره اي جزاء كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم
يمهدون اي يوطئون لانفسهم في الآخرة فراشا ومسكنا وقرارا
بالعمل الصالح ومنه مهد الصبي والمهاد الفراش وقد مهدت
الفراش مهدا بسطته ووطأته وتمهيد الامور تسويتها
واصلاحها وتمهيد العذر بسطه وقوله والتمهد التمكن وروي
عن ابي نجيح عن مجاهد فلانفسهم يمهدون قال في القبر قوله تعالى
ليجزي الذين امنوا اي يمهدون لانفسهم ليجزيهم الله من فضله وقيل
يصدعون ليجزيهم الله اي ليميز الكافر من المسلم انه لا يحب الكافرين
قوله تعالى ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات اي ومن اعلام
كمال قدرته ارسال الرياح مبشرات او بالمطر لانها تتقدمه
وقد مضى في البحر بيانه وليذيقكم من رحمته يعني الغيث والخصب
وتجري الفلك اي في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الرياح
قد تهب ولا تكون موانيه فلا بد من ارسال السفن والاحتيال لحبسها
وربما عصفت فاغرقتها بامره ولتبتغوا من فضله يعني الرزق
بالتجارة ولعلكم تشكرون هذه النعم بالتوحيد والطاعة وقد
مضى هذا كله مبينا قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاءوهم بالبينات اي المعجزات والحجج البينات فانتقمنا
اي فكفروا فانتقمنا من كفر وكان حقا علينا نصر المومنين حق
خبر كان ونصر المومنين اسمها وكان ابو بكر يقف على حقا اي
وكان وعدا بنا حقا ثم قال علينا نصر المومنين ابتدا وخبر اي اخبرنا به
ولا خلف في خبرنا وروي من حديث ابي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله

كان ؟

يوم القيامة ؟ عليه وسلم يقول ما من مسلم يذب عن عرض اخيه الا كان حقا على الله
تعالى ان يذب عنه نار جهنم ثم تلا وكان حقا علينا نصر المومنين
ذكره النحاس والثعلبي والزمخشري وغيرهم قوله تعالى
الله الذي يرسل الرياح قرا ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح بالتوحيد الباقون بالجمع قال ابو عمرو كل ما كان بمعنى
الرحمة فهو جمع وما كان بمعنى العذاب فهو وحد وقد مضى
في البقرة معنى هذه الاية وفي غيرها كسفا جمع كسفة وهي
القطعة وفي قراءة الحسن وابي جعفر وعبد الرحمن الاعرج وابن عامر
كسفا باسكان السين وهي ايضا جمع كسفة كما يقال سدرة
وسدر وعلى هذه القراءة يكون المضمر الذي يعود عايدا عليه
اي فترى الودق اي المطر يخرج من خلال السحاب لان كل جمع بينه
وبين واحده الهاء اغير فالذكير فيه حسن ومن قرا كسفا
فالمضمر عنده عايد على السحاب وفي قراءة الضحاك ابي العالية
وابن عباس فترى الودق يخرج من خلله ويجوز ان يكون خلل جمع
خلة فاذا اصاب به اي بالمطر من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون
يفرحون بنزول المطر عليهم وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله
لمبلسين اي يائسين مكتئبين قد ظهر الحزن عليهم لاحتباس
المطر عنهم ومن قبله تكرير عند الاخفش معناه التاكيد واكثر
النحويين على هذا القول قال النحاس وقال قطرب ان قبل الاولى
للانزال والثانية للمطر اي وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر
وقيل المعنى من قبل تنزيل الغيث عليهم من قبل الزرع ودل على
الزرع المطر اذ بسببه يكون ودل عليه ايضا قراءة من قرا مصفرا
على ما ياتي قبل المعنى من قبل السحاب من قبل رويته واختار هذا

القول النحاس اي من قبل رؤية السحاب لمبلسين ايا يسين وقد
تقدم ذكر السحاب قوله تعالى فانظر الى اثر رحمة الله يعني
المطر اي انظروا نظر استبصار واستدلال الى اسقاء الوابل على
على ان من قدر عليه قادر على احياء الموتى وقرا ابن عامر وحفص وحمزة
والكسائي اثار بالجمع والباقون بالتوحيد لانه مضاف الى مفرد والاثر
فاعل يحيي ويجوز ان يكون الفاعل اسم الله عز وجل من قرا اثار بالجمع
فان رحمة الله يجوز ان يراد بها الكثرة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها وقرا المخدري او جيوة وغيرهما كيف تحيي الارض بتاء
ذهب بالتانيث الى لفظ الرحمة لان اثر الرحمة يقوم مقامها فكانه
هو الرحمة اي كيف تحيي الرحمة الارض او الاثار فيحيي الله
جل وعز او المطر او الاثر فمن قرا بالياء وكيف تحيي الارض في موضع
نصب على الحال على الحمل على المعنى لان اللفظ لفظ استفهام والحال
خبر والتقدير فانظر الى رحمة الله محيية للارض بعد موتها ان ذلك
لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير استدلال وانشاء هد على الغايب قوله
تعالى ولئن ارسلنا ريحا قراوه مصفرا يعني الزرع والريح يجوز
تذكيره قال محمد بن يزيد لا يمتنع تذكير كل مونث غير حقيقي
نحو اعجبني الدار وحسنه وقيل قراوه السحاب وقال ابن عباس الزرع
وهو الاثر والمعنى فراوا الاثر مصفرا واصفرار الزرع بعد اخضراره
يدل على يبسه وكذا السحاب يدل على انه لا يمطر والريح على انها لا
تلقح نباتا ولئن رأوا من بعده يكفرون اي ليظلن وحسن وقوع الماضي
في موضع المستقبل لما في الكلام من معنى المجازاة والمجازاة لا تكون
الا بالمستقبل قاله الخليل وغيره قوله تعالى فانك لا تسمع
الموتى اي في صحة الحجج يا محمد لكنهم لا فهم تقليد الاسلاف في الكفر

وشبهه ؟

سما قدس سرها لما سئل اخر سورة الروم وسورة لقمان
وبعض سورة السجدة فاعلم

ماتت عقولهم وعميت بصايرهم فلا يتهيأ لهم سماعهم وهدايتهم
وهذا رد على القدرية ان تسمع الامر منه من يأتنا اي لا تسمع مواعظ
الله الا المؤمنين الذين يصغون الى ادلة التوحيد خلقت لهم الهداية
وقد مضى هذا في النمل ووقع قوله تعالى هنا بعد ياقوله
تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ذكر استدلالا على قدرته
في نفس الانسان ليعتبر ومعنى من ضعف من نطفة ضعيفة
وقيل من ضعف اي في حال ضعف وهو ما كانوا عليه في الابتدا من
الطفوليه والصغر ثم جعل من بعد ضعف قوة يعني الشبيبه ثم جعل
من بعد قوة ضعفا يعني الهرم وقراعاصم وحمزه بفتح الضاد
فيهن الباقون بالضم لغتان والضم لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقرا
الجحدري من ضعف ثم جعل من بعد ضعف بالفتح فيهما ضعفنا بالضم
خاصه اراد ان يجمع بين اللغتين قال الفرا الضم لغة قريش والفتح
لغة تميم الجوهري الضعف والضعف خلاف القوة وقيل الضعف
بالفتح في الرائي وبالضم في الجسد ومنه الحديث في الرجل الذي كان
يخدع في البيوع انه يبتاع وفي عقدته ضعف وشيبة مصدر
كالشيب والمصدر يصلح للجملة وكذلك القول في الضعف والقوة
يخلق ما يشا يعني من قوة وضعف وهو العليم بتدبيره القدير على ارادته
واجاز النحويون الكوفيون من ضعف بفتح العين وهذا كل ما فيه
حرفان حرف في الخلق ثانيا وثالثا ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
اي يحلف المشركون بالبعث اخير ساعة ليس في هذا رد لعذاب القبر
اذ كان قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير طريق انه تعوذ
منه وامر ان يتعوذ منه فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود
قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم امرأة يهودية وهي تقول اللهم امتعني

حال

قوله

بزوجي

ويوم يكشف الروح قصر هوله دم المزوعنا واصطفاق المزاهر
وقيل اذ يوم القيامة صعوبته على الكافر فيه اياما فمنه ما مقداره
الف سنة ومنه ما مقداره خمسون الف سنة وقيل اوقات
القيامة مختلفة فيعذب الكافر لجنس من العذاب الف سنة
ثم ينقل الى جنس اخر مقداره خمسون الف سنة وقيل مواقف
القيامة خمسون موقفا كل موقف الف سنة فمعنى يعرج
اليه في يوم كان مقداره الف سنة اي مقدار وقت اداء موقف
من مواقف القيامة وقال الخاسر اليوم في اللغة بمعنى الوقت فالمعنى
تعرج الملايكة والروح اليه في وقت كان مقداره الف سنة
وفي وقت اخر كان مقداره خمسين الف سنه وعن وهب بن
منبه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال ما بين اسفل
الارض الى العرش وذكر التعليق عن مجاهد وقتادة والضحاك
في قوله تعالى تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسين الف سنه اراد من الارض الى سدرة المنتهى الذي فيها
جبريل يقول تعالى يسير جبريل والملايكة الذين معه من اهل
مقاسه مسيره خمسين الف سنه في يوم واحد من ايام الدنيا
وقوله اليه يعني المكان الذي امرهم الله تعالى ان يعرجوا اليه
وهذا كقول ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين اراد ارض الشام
وقال من خرج من بيته مهاجرا الى الله اي الى المدينه وقال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم اتاني ملك من ربي تعالى برسالة
ثم رفع رجله فوضعها فوق السماء والاخرى في الارض لو رفعها
بعد قوله تعالى ذلك عالم الغيب والشهادة اي علم ما
غاب عن الخلق ما حضرهم وذلك معنى ما احسب ما تقدم

بيانه في اول البقرة و في الكلام معنى التهديد و الوعيد اي اخلصوا
افعالكم و اقوالكم فاني اجازي عليها **قوله تعالى** الذي احسن
كل شيء خلقه قرا ابن كثير و ابو عمرو و ابن عامر خلقه باسكان اللام
و فتحها الباقون و اختاره ابو عبيد و ابو حاتم طلبا لسهولتها و هو
فعل ماض في موضع خفض نعت لشيء و المعنى على ما روي عن ابن عباس
احكم كل شيء خلقه اي جاء به على ما اراد لم يتغير عن ارادته و قول
آخر ان كل شيء خلقه حسن لانه لا يقدر احد ان ياتي بمثله و هو دال
على خالقه و من اسكن اللام فهو مصدر عند سيبويه لان قوله احسن
كل شيء يدل على خلق كل شيء خلقا فهو مثل صنع الله وكتاب الله
عليكم و عند غيره منصوب على البدل من كل اي الذي احسن خلق
كل شيء و هو مفعول ثان عند بعض النحويين على ان يكون معنى احسن
ألهم و علم فيتعدى الى مفعولين اي ألهم كل شيء خلقه و قيل هو
منصوب على التفسير و المعنى احسن كل شيء خلقا و قيل هو منصوب
باسقاط حرف الجر و المعنى احسن كل شيء في خلقه و روي معناه عن
ابن عباس و احسن اي اتقن و احكم فهو حسن من جهة ما هو
لمقاصده التي اريد لها و من هذا المعنى قال ابن عباس و عكرمة
ليست استُ القرد بحسنه و لكنها متقنة محكمة و روي عن ابن نجيح
عن مجاهد احسن كل شيء خلقه قال اتقنه و هو مثل قوله تعالى أعطى
كل شيء خلقه اي لم يخلق الانسان على خلق البهيمة و لا خلق البهيمة خلق
الانسان و لم يخلقه بالدفع على تقدير ذلك خلقه و قيل هو عموم
في اللفظ و المعنى اي كل شيء خلقه حسنا حتى جعل الكلب في خلقه
حسنا قاله ابن عباس و قال قتادة في استِ القرد حسنه **قوله**
تعالى و بدا خلق الانسان من طين يعني ادم ثم جعل نسله من سلالة

جعل؟

من ماء مهين تقدم في المؤمنين و غيرها و قال الزجاج من ماء مهين ضعيف
و قال غيره مهين لا خطر له عند الناس ثم سواه رجع الى ادم اي سوى
خلقه و نفخ فيه من روحه ثم رجع الى ذريته فقال و جعل لكم السمع
و الابصار و الافئدة و قيل ثم جعل ذلك الماء المهين خلقا معتدلا
و ركب فيه الروح و اضافه الى نفسه تشريفا و ايضا فانه من
فعله و خلقه كما اضاف العبد اليه بقوله عبدي و عبر عنه بالنفخ
لان الروح في جنس الريح و قد مضى هذا مبينا في النساء و غيرها قليلا
ما تشكرون اي انتم لا تشكرون **قوله تعالى** و قالوا ايذا
ضللنا في الارض ءانا لفي خلق جديد هذا قول منكري البعث اي هلكنا و بطلنا و صرنا
ترابا و اصله من قول العرب ضل الماء في اللبن اذا ذهب و العرب تقول
للشيء غلب عليه غيره حتى خفي فيه اثره قد ضل قال الاخطل
كنت القذى في موج اكدر مزبد قذف الأتي به فضل فضالا
و قال قطرب معنى ضللنا انتنا في الارض و انشد قول النابغة الذبياني
قاب مضلوه بعين جلية و غودر بالجولان حزم و نائل
و قرأ ابن محيصن و يحيى بن يعمر ضَلِلْنا بكسر اللام و هي لغة قال
الجوهري و قد ضَلِلْتُ أضَلُّ قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل
على نفسي فهذه لغة نجد و هي الفصيحة و اهل الحالية يقولون
ضَلِلْتُ بالكسر اضَلُّ و هو ضالٌّ تَلِلٌ و هي الضلالة و الضلال و اضله
اي اضاعه و اهلكه يقال أضَلَّ البعير اذا ذهب قال و أب مُضِلُّه
البيت ابن السكيت اضللت بعيري اذا ذهب منك و ضَلِلْتُ المسجد
و الدار اذا لم تعرف موضعها و كذلك كل شيء قيم لا يهتدي له و في
الحديث لعلي أضَلُّ الله يريد أضِلُّ عنه اي اخفى عليه من قوله تعالى
ايذا ضللنا في الارض اي خفينا و اضله الله فضل يقول انك تهدي

الضال ولا تهدي المتضال وقرأ الاعمش والحسن صللنا بالصاد اي
انتنا وهي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه النحاس لا يعرف في اللغة
صللنا ولكن يقال صل اللحم وأصل وخم وأخم اذا أنتن الجوهري
صل اللحم يصل بالكسر صولا اي أنتن وطعام خاك وخم وبنا قال
الحطيئة داك فتى يدل دا قدره لا يفسد اللحم لديه الصلول
وأصل مثله انا لفي خلق جديد اي خلق بعد ذلك خلقا جديدا
وقرأ ابنا النحاس وفي هذا سؤال صعب من العربية يقال ما العامل
في اذا وإن لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والسؤال في الاستفهام اشد
لانها بعد الاستفهام اجدر ان لا يعمل فيما قبله من ان لكنه وقد
اجتمعا فالجواب على قراءة من قرأ إنا أن العامل صللنا وعلى قراءة
من قرأ ابنا ان العامل مضمر والتقدير انبعث اذا متنا وفيه ايضا
سؤال آخر يقال إن جواب اذا على القراءة الاولى لا زم فيها معنى الشرط
فالقول في ذلك أن فعلا ماضيا فلذلك جاز هذا بل هم بلقاء
ربهم كافرون اي ليس لهم جحود قدرة الله تعالى على الاعادة لانهم
يعترفون بقدرته ولكنهم اعتقدوا ان الاحساب غلبتهم وانهم
لا يلقون الله فقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل
بكم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت
لما ذكر استبعادهم للبعث ذكر توفيهم وايه بعيدهم
يتوفاكم من توفى العدد والشيء اذا توفاه وقبضه جميعا يقال
توفاه الله استوفى روحه وتوفيت مالي من فلان اي استوفيته
ملك الموت واسمه عزرائيل ومعناه عبد الله كما تقدم في البقرة
وتصرفه كله بامر الله جل وعز وخلقه واختراعه وروي في
الحديث ان البهائم كلها يتوفى الله ارواحها دون ملك الموت كأنه

بعدها

يعذر حياتها ذكره ابن عطية قال الشيخ المصنف رحمه الله وقد روي
خلافه وان ملك الموت يتوفى جميع ارواح الخلايق حتى البرغوث والبعوضة
روى جعفر بن محمد عن ابيه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
ملك الموت عند راس رجل من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ارفق بصاحبي فانه مومن فقال ملك الموت عليه السلام يا محمد طب
نفسا وقر عينا فاني بكل مومن رفيق واعلم ان ما من اهل بيت مدر
ولا شعر في بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى
لانا اعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد لو اني
اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله
هو الامر بقبضها قال جعفر بن علي بلغني انه يتصفحهم عند مواقيت
الصلوات ذكره الماوردي وذكر الخطيب ابو بكر احمد بن علي بن
ثابت البغدادي حدثني ابو محمد الحسن بن محمد الخلال قال ابو محمد
عبد الله بن عثمان الصفار قال ابو بشر حامد المصري قال الحسن بن
ايوب العلاف قال سليمان بن مهران الكلابي قال حضرت ملك بن انس
فاتاه رجل فساله اباعبد الله البراغيث املك الموت يقبض ارواحها
قال فاطرق ملك طويلا ثم قال لها نفس قال نعم قال ملك الموت
يقبض ارواحها الله يتوفى الانفس حين موتها قال ابن عطية بعد
ذكره الحديث وذكر الامر في بني آدم الا انه نوع شرف يتصرف
ملك وما يكة معه في قبض ارواحهم فخلق الله ملك الموت وخلق
على يديه قبض الارواح وانسا لها من الاجسام واخراجها منه
وخلق جندا يكونون معه يعملون عمله بامره فقال تعالى ولو ترى اذ
يتوفى الذين كفروا الملايكة وقال توفته رسلنا وقد مضى هذا المعنى
في الانعام والباري خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل قال الله تعالى

بعدها

وكذلك

اي

الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الذي خلق الموت
والحياة يحيي ويميت فملك الموت يقبض الارواح بالجزء والله
يزهق الروح وهذا هو الجمع بين الاي والاحاديث لكنه لما كان ملك
الموت يتولى ذلك بالوساطة والمباشرة اضيف التوفي اليه
كما اضيف الخلق للملك كما تقدم في الحج وروي عن مجاهد ان الدنيا
بين يدي ملك الموت كالطست بين يدي الانسان ياخذ من حيث
شاء وقد روي هذا المعنى مرفوعا وقد ذكرنا في التذكرة وروي ان
ملك الموت لما وكله الله بقبض الارواح قال يا رب جعلتني اذكر
بسوء ويشتمني بنو ادم فقال الله تعالى له اني اجعل لهم اسبابا
من الامراض والاسقام ينسبون الموت اليها فلا يذكرك احد
الا بخير وقد ذكرناه في التذكرة مستوفى وذكرنا انه يدعو الارواح
فتجيبه فيقبضها ثم يسلمها الى ملائكة الرحمة او العذاب بما
فيه شفاء لمن اراد الوقوف على ذلك الثانية استدل بهذه الاية
بعض العلماء على جواز الوكالة من قوله وكل بكم اي لقبض الارواح
قال ابن العربي وهذا اخذ من لفظه لا من معناه ولو اطرد ذلك
لقلنا في قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا انها
نيابة عن الله تعالى ووكالة في تبليغ رسالته ولقلنا ايضا في
قوله عز وجل واتوا الزكاة انه وكالة فان الله ضمن الرزق لكل دابة
وخص الاغنياء بالاغذية واوعد اليهم بان رزق الفقراء عندهم
وامر بتسليمه اليهم مقدرا معلوما في وقت معلوم دبره بعلمه
واتقنه من حكمه وقدر بمحكمته والاحكام لا تتعلق بالالفاظ الا
ان ترد على موضوعاتها الاصلية في مقاصدها المطلوبة فان
ظهرت في غير مقصدها لم تعلق عليها الا ترى ان البيع والشراء

معلوم اللفظ والمعنى وقد قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة ولا يقال هذه الاية دليل على جواز مبايعة
السيد لعبده لان المقصر مختلفا ما انه اذا لم يكن ثم من المعاني
فيقال ان هذه الاية دليل على ان للقاضي ان يستنيب من ياخذ الحق
ممن هو عليه قسرا دون ان يكون له في ذلك فعل او يرتبط به
رضى اذا وجد ذلك قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رؤسهم عند ربهم ابتداء وخبر قال الزجاج والمخاطبة للنبي صلى الله
عليه وسلم مخاطبة لامته فالمعنى ولو ترى يا محمد منكري البعث
يوم القيامة لرايت العجب ومذهب ابي العباس غير هذا وان يكون المعنى
يا محمد قل للمجرم ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم
لندمت على ما كان منك ناكسوا رؤسهم اي من الندم والحزن
والذل والغم عند ربهم اي عند محاسبة ربهم وجزاء اعمالهم
ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا اي ابصرنا ما كنا نكذب وسمعنا
ما كنا ننكر وقيل ابصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك
ابصروا حين لا ينفعهم البصر وسمعوا حين لم ينفعهم السمع
فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اي مصدقون بالبعث
قاله النقاش وقيل مصدقون بالذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
انه حق قاله يحيى بن سلام قال سفيان فاكذبهم الله تعالى فقال ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقيل معنى انا موقنون
اي قد زالت عنا الشكوك الان وكانوا يبصرون ويسمعون في الدنيا
ولكن لم يكونوا يتدبرون وكانوا كمن لا يبصر ولا يسمع فلما تنبهوا
في الاخرة صاروا حينئذ كانهم سمعوا وابصروا وقيل اي ربنا لك
الحجة فقد ابصرنا رسلك وعجايب خلقك في الدنيا وسمعنا كلامهم

فلا حجة لنا فهذا اعتراف منهم ثم طلبوا ان نردّ الى الدنيا ليؤمنوا
فقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قال محمد بن كعب
القرظي لما قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون
ردّ عليهم بقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها يقول لو شئت
لهديت الناس جميعا فلم تختلف منهم احد ولكن حق القول مني الآية
ذكره ابن المبارك في رقائقه في حديث فيه طول وقد ذكرناه في التذكرة
النحاس لو شئنا لآتينا كل نفس هداها في معناه قولان احدهما انه في
الدنيا والآخر ان سياق الكلام يدل على انه في الآخرة اي لو شئنا
لرددناهم الى الدنيا والمحنة كما سألوا ولكن حق القول مني لأملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين اي حق القول مني لأعذبن من عصاني بعذاب
جهنم وعلم الله جل وعز لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وهذه
الهداية معناها خلق المعرفة في القلب وتأويل المعتزلة ولو
شئنا لأكرهناهم على الهداية باظهار الآيات الهائلة لكن لا
لحكمة منه فعله لأنه ينقض الغرض الجري بالتكليف اليه وهو الثواب
الذي لا يستحق الا بما يفعله المكلف باختياره وقالت الامامية
في تأويلها انه يجوز ان يريد هداها الى طريق الجنة في الآخرة ولم
يعاقب احدا لكن حق القول منه انه يملأ جهنم فالواجب على الله
هداية الكل اليها قالوا بل الواجب هداية المعصومين فاما من
له ذنب فجائز هدايته الى النار جزاء لفعاله وفي جواز ذلك منع
لقطعهم على ان المراد هداها الى الايمان وقد تكلم العلماء عليهم
في هاذين التأويلين بما فيه كفاية في اصول الدين واقرب ما لهم
في الجواب ان يقال فقد بطل عندنا وعندكم ان بعديهم سبحانه على
طريق الالجاء والاجبار فصار يؤدي ذلك الى مذهب الجبرية

والاكراه

وهو مذهب رذل عندنا وعندكم فلم يبق الا ان المهتدين من المؤمنين
انما هداهم الله الى الايمان والطاعة على طريق الاختيار حتى يصح
التكليف فمن شاء امن واطاع اختيارا لا جبرا قال الله تعالى لمن
شاء منكم ان يستقيم وقال لمن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ثم عقب
هاتين الآيتين بقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله فوقع ايمان المؤمنين
بمشيتهم وبقي ان يشاؤا الا ان يشاء الله ولهذا فرطت المجبرة
لما رأوا ان هداياتهم مجدوة بمشيئة الله تعالى فقالوا الخلق مجبورون
في طاعاتهم كلها التفاتا الى قوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله
وفرطت القدرية لما رأوا ان هداياتهم الى الايمان مجدوة بمشيئة
العباد فقالوا الخلق خالقون لافعالهم التفاتا منهم الى قوله
تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم ومذهبنا هو الاقتصاد في الاعتقاد
وهو مذهب بين مذهبي الجبرية والقدرية وخير الامور
اوساطها وذلك ان اهل الحق قالوا لم نفرق بين ما اضطررنا اليه
وبين ما اقترفنا وهو انا ندرك بالفرقة بين حركة الارتعاش الواقعة
في يد الانسان بغير محاولته وارادته ولا مقدور له بقدرته وبين حركة
الاختيار اذا حرك يده حركة مماثلة لحركة الارتعاش ومن لا يفرق
بين الحركتين حركة الارتعاش وحركة الاختيار وهما موجودتان
في ذاته ومحسوستان في يده بمشاهدته وادراك حاسته فهو
معتوه في عقله ومختل في حسه وخارج عن حزب العقلاء وهذا هو
الحق المبين وهو طريق بين طريقي الافراط والتفريط وكلي طرفي قصد
الامور ذميم وبهذا الاعتبار اختار اهل النظر من العلماء ان يسموا
هذه المنزلة بين المنزلتين كسبا واخذوا هذه التسمية من كتاب
الله العزيز وهو قوله سبحانه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

اختاره

قوله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فيه قولان احدهما
انه من النسيان الذي لا ذكر معه اي لم تعملوا لهذا اليوم فكانوا
بمنزله الناسين والاخر ان نسيتم بمعنى تركتم وكذا انا نسيناكم
واحتج محمد بن زيد بقوله جل وعز ولقد عهدنا الى ادم من قبل
فنسي قال والدليل على انه بمعنى ترك ان الله جل وعز اخبر عن ابليس
انه قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين فلو كان
ادم ناسيا لكان قد ذكره وانشد

كانه خارجا من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتأد

اي تركوه ولو كان من النسيان لكان قد علموا به مرة قال الضحاك
نسيتم اي تركتم امري يحيى بن سلام اي تركتم الايمان بالبعث في هذا
اليوم نسيناكم نتركناكم من الخير قاله السدي مجاهد تركناكم في
العذاب وفي اسنادنا قوله انا نسيناكم وبنا الفعل على ان
واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه
من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان الله اوذوقوا العذاب
المخلد وهو الدائم الذي لا انقطاع له في جهنم بما كنتم تعملون يعني في
الدنيا من المعاصي وقد يعتبر بالذوق ما يطرأ على النفس ان لم
يكن مطعوما لاحساسها به كإحساسها بذوق المطعوم قال
عمرو بن ابي ربيعه فذوق مجرها ان كنت تزعم انها فساد الا يا رب ما كذب الزنيم
الجوهري ذقت ما عند فلان اي خبرته وذقت القوس اذا جذبت
وترها لتنظر ما شدتها واذاقه الله وبال امره قال الخليل
فذوقوا كما ذقنا غداة محمد من الغيط في اكبادنا والتحوب
وتذوقته اي ذقته شيا بعد شيء وامر مستذاق اي مجرب معلوم
قال الشاعر وعهد الغانيات كعهد قين ونث عنه الجمايل مستذاق

والذوق في الاصل قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها
هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي انهم لا يفهم الكفر لا يؤمنون
بك انما يؤمن بك وبالقرآن المتدبرون والمتعظون به وهم الذين اذا
قرئ عليهم القرآن خروا سجدا قال ابن عباس ركعا قال الهدوي وهذا
على مذهب من يرى الركوع عند قراءة السجدة واستدل بقوله تعالى
وخر راكعا واناب وقيل المراد به السجود وعليه اكثر العلماء
اي خروا سجدا لله على وجوههم تعظيما لآياته وخوفا من سطوته
وعذابه وسبحوا بحمد ربهم اي خلطوا التسبيح بالحمد اي نزهوه
وحمدوه فقالوا في سجودهم سبحان الله وبحمده سبحان ربي الاعلى وبحمده
اي تنزيها لله عز وجل عن قول المشركين قال سفيان وسبحوا بحمد ربهم اي
صلوا حمدا لربهم وهم لا يستكبرون عن عبادته قاله يحيى بن سلام
التقائش لا يستكبرون كما استكبر اهل مكة عن السجود قوله
تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي ترتفع وتنبو عن مواضع
الاضطجاع وهو في موضع نصب على الحال اي متجافية جنوبهم
والمضاجع جمع مضجع وهي مواضع النوم وتختلف في وقت الاضطجاع
ولكنه مجاز والحقيقة اولى ومنه قول عبد الله بن رواحه

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الصبح ساطع

وقال الزجاج والرماني التجافي التجنبي الى جهة فوق وكذلك هو في الصفح
عن المخطئ في سببه ونحوه والجنوب جمع جنب وفيما تتجافى جنوبهم
عن المضاجع لاجله قولان احدهما لذكر الله تعالى اياها في صلاة واما
في غير صلاة قاله ابن عباس والضحاك الثاني للصلاة وفي الصلاة التي
تتجافى جنوبهم لاجلها اربعة اقوال احدها التنفل بالليل قاله الجمهور
من المفسرين وعليه اكثر الناس وهو الذي فيه المدح وهو قول مجاهد

والاوزاعي ومالك بن انس والحسن بن ابي الحسين والي العالية وغيرهم
ويدل عليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين لانهم جوزوا
على ما اخفوا اما اخفي لهم والله اعلم وسياتي بيانه وفي قيام الليل احاديث
كثيره منها حديث معاذ بن جبل وان النبي صلى الله عليه وسلم قال
له الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنه والصدقة تطفي الخطيه
كما يطفي الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع حتى بلغ يعملون اخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده
والقاضي اسماعيل بن اسحق وابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث
حسن صحيح الثاني صلاة العشا التي يقال لها العتمه قاله الحسن
وعطا وفي الترمذي عن انس بن مالك ان هذه الاية تتجافى جنوبهم عن
المضاجع نزلت في انتظار الصلاه التي تدعا العتمه قال هذا حديث
حسن غريب السادس الشفل ما بين المغرب والعشا قاله قتاده
وعكرمة وروي ابو داود عن انس بن مالك في هذه الايه تتجافى
جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم
ينفقون قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشا الرابع قال
الضحاك تجافى الجنب هو ان يصلي الرجل العشا والصبح في جماعة
وقاله ابو الدرداء وعبادة قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا
قول حسن وهو جمع الاقوال بالمعنى ذلك ان منتظر العشا الى
ان يصليها في صلاة وذكر الله جل وعز كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يزال الرجل في صلاة ما انتظر الصلاة وقال انس المراد بالايه
انتظار صلاة العشا الاخرة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤخرها
الى ثلث الليل قال فزعطية وكانت الجاهلية ينامون من اول
الغروب ومن اي وقت شا الانسان فيها انتظار وقت العشا

غريبا شاقا ومصلي العشا الصبح في جماعة لسيما في اول الوقت كما
كان عليه السلام يصليها والعادة ان من حافظ على هذه الصلاة في
اول الوقت يقوم سحرا يتوضا ويصلي ويذكر الله جل وعز الى ان يطلع
الفجر فقد حصل التجافي في اول الليل واخره هذا مع ما رواه مسلم من
حديث عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من صلى العشا في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في
جماعة فكانما قام الليل كله ولفظ الترمذي وابي داود في هذا الحديث
من شهد العشا في جماعة فكانما قام نصف ليلة ومن صلى العشا
والفجر في جماعة كان له كقيام ليلة وقد مضى في سورة النور عن كعب
فيمن صلى بعد العشا الاخره اربع ركعات كان له مثل ليلة القدر وجاءت
اثار حسان في فضل الصلاة بين المغرب والعشا وقيام الليل ذكر
بن المبارك لخبرنا يحيى بن ايوب قال حدثني محمد بن الحجاج او ابن ابي الحجاج
انه سمع عبد الكريم تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
ركع عشر ركعات بين المغرب والعشا بني له قصر في الجنه فقال عمر
بن الخطاب اذا نكثر قصورنا ويوشك يا رسول الله قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله اكثر واطيب وقال طيب وعن عبد الله بن
عمرو بن العاصي قال صلاه الاوابين التي بين المغرب والعشا حتى
يثوب الناس الى الصلاه وكان عبد الله بن مسعود يصلي في تلك الساعة
ويقول صلاه الغفله بين المغرب والعشا ذكره بن المبارك ورواه الثعلبي
مرفوعا عن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من خفت جنباه المضاجع
ما بين المغرب والعشا بني له قصر في الجنه مسيره عام وفيها من
الشجر ما لو نزلها اهل المشرق والمغرب لاوسعتهم فاكهة وهي صلاة
الاوابين وغفلة الغافلين وان من الدعا المستجاب الذي لا يرد الدعا

ساعة

من المغرب والعشا فصل في فضل التجافي ذكر بن المبارك عن بن عباس
قال اذا كان يوم القيامة نادا مناد ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم
ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون فيسرحون الى الجنه ثم ينادي
ثانيه ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت جنوبهم
تتجافا عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون
قال فيقومون فيسرحون الى الجنه قال ثم ينادي ثالثه ستعلمون
اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
واقام الصلاه وايتا الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار
فيقومون فيسرحون الى الجنه ذكره التعلبي مرفوعا عن اسما بنت
يزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم
القيامة جا مناد فينادي بصوت تسمعه الخلايق كلهم سيعلم اهل
الجمع اليوم من اولى بالكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع
فيقومون وهم قليل ثم ينادي الثانيه ستعلمون اليوم من اولى بالكرم
ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون ثم ينادي
الثالثه ستعلمون اليوم من اولى بالكرم ليقم الحامدون لله على كل حال
في العسرا والضرا فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنه ثم
يحاسب سايرالناس ذكر ابن المبارك اخبرنا معمر عن رجل عن ابي العلا بن
الشخير عن ابي ذر قال ثلثه يضحك الله اليهم ويستبشر الله بهم رجل
قام من الليل وترك فراشه ودفئه ثم توضا فاحسن الوضوء ثم قام الى
الصلاه فيقول الله لملايكته ما حمل عبدي على ما صنع فيقولون ربنا
انت اعلم به فيقول انا اعلم به ولكن اخبروني فيقولون رجيته شيا
فرجاه وخوفته فخافه فيقول الى اشهدكم اني قد امنته ما خاف
واوجبت له ما رجاه قال رجل كان في سرية فلقي العدو فانهزم اصحابه

وثبت هو حتى يقتل او يفتح الله عليهم فيقول الله لملايكته مثل هذه القصه
ورجل سرا في ليلة حتى اذا كان في اخر الليل نزل هو واصحابه فنام اصحابه
وقام هو يصلي فعجل الله لملايكته مذكر القصة قوله تعالى يدعون ربهم
في موضع نصب على الحال اي داعين ويحتمل ان يكون صفة مستانفه اي هم في
جنوبهم وهم ايضا في كل حال يدعون لعلمهم وتهارهم خوفا مفعول من اجله
ويجوز ان يكون مصدرا وطمعا مثله اي خوفا من العذاب وطمعا في الثواب
ومما رزقناهم ينفقون تكون ما بمعنى الذي وتكون مصدرا في كلا الوجهين
يجب ان تكون منفصلة من مرجعه ينفقون قيل معناه الزكاة المفروضة
وقيل النوافل وهذا اقوى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قره اعين قرا حمزه ما اخفي لهم ما سكن الياء منها الباقون وفي قراه
عبد الله ما اخفى بالنون مضمومه وفتح الفا وقرا بن مسعود وابو هريره
من وراي اعين من اسكن الياء من قوله ما اخفي فهو مستقبل والفه الف
المتكلم وما في موضع نصب باخفي في محل استفهام والجمله في موضع نصب
لوقوعها موقع المفعولين والضمير العايد على ما محذوف من نخع اليا
فهو فعل ما اخر مبني للمفعول وما في موضع رفع بالابتدا والخبر اخفي
وما بعده والضمير في اخفي عايد على ما قال الزجاج وتقرا ما اخفي لهم بمعنى
ما اخفى الله لهم وهو قراه محمد بن كعب وما في موضع نصب بالمعدوي
ومن قرا قرات اعين فهو جمع قره وحسن الجمع فيه لاضافته الى الجمع
والافراد لانه مصدر وهو اسم الجنس وقيل هو بمعنى الانسان وهذا غير
مخالف للمصحف لان تا قرة تكتب بالف على لغة من يقف على الوقف
كما كتبوا رحمت الله بالتا ولا يستنكر سقوط الالف من قرات في الخط
وهو موجود في اللفظ كما يستنكر سقوط الالف من الصلوات
وهي ثابته في اللسان والنطق والمعنى المراد انه اخبر تعالى انهم من عظم

الذي لم تعلم نفس ولا بشر ولا ملك وفي معنى هذه الاية قال النبي صلى الله
عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الاية تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا الى قوله بما كانوا يعملون
اخرجه الصحيح من سهل بن سعد الساعدي وقال بن مسعود في
التوراة مكتوب على الله للذين تتجافا جنوبهم عن المضاجع ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال بن عباس لا في هذا
اجل واعظم من ان يعرف بتفسيره قال الشيخ المصنف رحمه الله
وهذه الكرامة انما هي لا على اهل الجنة ، كما جاء مبينا في صحيح
مسلم عن المغيرة بن شعبة مرفوعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سأل موسى عليه السلام ربه فقال يا رب ما ادنى اهل الجنة منزلة
قال هو رجل يأتي بعد ما يدخل اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة
فيقول اي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال
له ارضيت ان يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت ربي فيقول
لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة
رضيت ربي فيقال هذا لك وعشرة امثاله ولك ما اشتهت نفسك
ولذت عينك فيقول رضيت ربي قال رب فاعلاهم منزلة قال
اولئك الذين اردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قوة اعين الاية وقد روي عن الاخير مرفوعا
قوله وخرج مسلم ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما اطلعكم
عليه ثم اقرأ ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قوة اعين وقال بن سيرين اراد به

الخير الي به خلق ولا الشر اجل من ان يضاف اليه ما هو من غير
ولا ادري سمعت قوله تعالى ان كان موسى كريما ما
يستوي فيه ثلث مسايل لا اعلم احدا تعلق من خبر
فاسقا لا يستوي اي ليس المؤمن كالفاسق ولا
الثواب العظيم قال ابن عباس وعطاء نزلت في علي بن ابي طالب
والوليد بن عقبة قال ابن عباس وذلك انهما لما قال الوليد
انا ادرب منك سنانا واحد حسانا واد لقلبه وروى انها
في الكتيبة حين قال له علي اسكت فانك فاسق فانزل الله
وذكر الزجاج والحاسن ما ذكرت ان عليا وعقبة بن ابي معيط قال
بن عقبة وهو يهددني انا اشد منك بطنا واكثر منك شعرا
وانا قائم في الحرب فاقعد فقال علي اسكت فانك فاسق فانزل الله
ويحتمل القول الاخر ما اطلق اسم الفسق في الوليد ذلك لان
ان يكون في صدر الاسلام والوليد لم يكن في ذلك الوقت من اهل
عن نبي المصطفى والدكن حتى تبلت فيه ان احد فاسق فسماه الله
على ما ياتي في الحجرات بيانه ويحتمل ان يطلق الشرع ذلك عليه
كان على الخمر وما ينبغي وهو الذي يشرب الخمر في زمن عثمان وعلى الصحيح
ما الناس يوم البعث وقال يزيد وزيدكم ونحو هذا ما يطول ذكره
الثانية لما قسم الله تعالى الناس بين والفاسقين الذين فسقهم بالكفر
لان التكذيب في اخر الاية يقتضي ذلك اقتضى ذلك نفي المساواة
بين المؤمن والكافر ولهذا منع القصاص منهما ادمن شرط وجوب
القصاص المساواة بين القاتل والمقتول وبذلك احتج علماؤنا على
ابي حنيفة في قوله المسلم بالذمي وقال اراد بنفي المساواة هاهنا
في الاخرة في الثواب وفي الدنيا بالعدالة ونحن حملناه على عمومه

وهو اصح الادلة لخصه قاله بن العربي المثالثة قوله تعالى
لا يستوون قال الزجاج وغيره من يصلح للواحد وللجمع النحاس لفظ
مزيدي عن الجماعة فلهذا قال لا يستوون وهذا قول كثير من النحويين
وقال بعضهم لا يستوون لان الاثنين جمع لانه واحد جمع مع اخر
وقاله الزجاج ايضا والحديث يدل على هذا القول لانه عن بن عباس وغيره
قالت نزلت افمن كان مومنا في علي بن ابي طالب كمن كان فاسقا في الوليد
بن عقبة بن ابي معيط وقال الشاعر

اليس الموت بينهما سواء اذا ماتوا وصاروا في القبور

قوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى
اخبر عن مقر الفريقين غدا فالمومنين جنات الماوى اي ماوون الى الجنات
فاضاف الجنات الى الماوى لان ذلك الموضع يتضمن جنات نزلا اي ضيافة
والنزل ما يهيا للنازل والضيف وقد مضى في اخر العمران وهو نصب
على الحال من الجنات اي لهم الجنات معدة ويجوز ان يكون مفعولا له
واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الايمان الى الكفر فماواهم النار اي مقامهم
فيها كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اي اذا دفعهم لهب النار
الى اعلاها ردوا الى موضعهم فيها لانهم يطمعون في الخروج منها وقد
مضى هذا في الحج وقيل لهم اي تقول لهم خزنة جهنم او يقول الله لهم ذوقوا
عذاب النار الذي كنتم به تكذبون والذوق يستعمل محسوسا ومعنى
وقد مضى في هذه السورة بيانه قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب
الادنى قال الحسن وابو العالية والضحاك وابو عبد الله الجدلي وابراهيم النخعي
العذاب الادنى مصايب الدنيا واسقامها وما يبتلى به العبد
حتى يتوبوا وقاله بن عباس وعنه ايضا انه الحدود وقال بن مسعود
والحسين بن علي وعبد الله بن الحرث هو القتل بالسيف يوم بدر

وقال مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى اكلوا الجيف وقاله مجاهد وعنه
ايضا العذاب الادنى عذاب القبر وقاله البراء بن عازب قالوا والاكبر
عذاب يوم القيامة قال القشيري وقيل عذاب القبر وفيه نظر لقوله
لعلهم يرجعون قال فمن جعل العذاب على القتل قال لعلهم يرجعون
اي يرجع من بقي منهم ولا خلاف ان العذاب الاكبر عذاب جهنم الا ما
روي عن جعفر بن محمد انه خروج المهدي بالسيف والادنى غلاء السعر
وقد قيل ان معنى قوله لعلهم يرجعون على قول مجاهد والبراء اي لعلهم
يريدون الرجوع ويطلبونه لقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة
الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم
الى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرا يرجعون على البناء للمفعول ذكره
الزمخشري قوله تعالى ومن اظلم اي لا احد اظلم لنفسه ممن ذكر
بايات ربه اي بحجه وعلاماته ثم اعرض عنها اي بترك القبول
انا من المجرمين منتقمون لتكذيبهم واعراضهم قوله تعالى ولقد
اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه قد ذكرنا ما قال المفسرون في
هاء الهاء في لقائه فلا تكن في شك من انك لقيته ليلة الاسراء والمعنى واحد
وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها وقيل
فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول قاله مجاهد والحجاج
وعن الحسن انه قال في معناه ولقد اتينا موسى الكتاب فاوذي وكذب
فلا تكن في شك من انه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والاذى
فالهاء عايدة على محذوف والمعنى من لقاء ما لاقى من الناس وهذا قول
غريب الا انه من رواية عمرو بن عبيد وقيل في الكلام تقديم وتاخير
والمعنى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلا تكن في مرية من
لقائه فجا معترضا بين ولقد اتينا موسى الكتاب وبين جعلناه

هدى لبني اسرايل والضمير في جعلناه فيه وجهان احدهما جعلنا موسى
قاله قتاده الثاني جعلنا الكتاب قاله الحسن وجعلنا منهم ائمة اي
قادة وقدوة يقتدى بهم في دينهم والكوفيون ائمة الخاسر وهو
لحن عند جميع النحويين لانه جمع بين همزتين في كلمة واحدة وهو من
دقيق النحو وشرحه ان الاصل أأممة ثم القيت حركة الميم على الهمزه
وادغمت الميم وخففت الهمزه الثانيه ليلا يجتمع همزتان والجمع
بين همزتين في حرفين بعيد فاما في حرف واحد فالجواز الا تخفيف الثانية
نحو قولك ادمر واخرز ويقال هذا أدم من هذا وايم بالواو والبا
وقد مضى في براءه يهدون بامرنا اي يدعون الخلق الى ما عندنا بامرنا
اي لامرنا هم بذلك وقيل بامرنا اي لامرنا اي يهدون الناس لدينا
ثم قيل المراد بالائمة انبيا قاله قتاده وقيل المراد الفقها والعلما
صبروا قراة العامه بفتح اللام وشد الميم وفتحها اي حين صبروا
وقرا يحيى وحمزه والكسائي وخلف وروبس عن يعقوب لما صبروا
اي لصبرهم جعلناهم ائمة واختاره ابو عبيده اعتبارا بقراءه من
مسعود لما صبروا بالبا وهذا الصبر صبر على الدين وعلى البلا وقيل
صبروا عن الدنيا ان ربك هو يفصل بينهم اي يقضي ويحكم بين المومنين
والكفار فيجازي كلا بما يستحق وقيل يقضي بين الانبيا وبين قومهم
حكاه النقاش قوله تعالى ولم يهد لهم قرا ابو عبد الرحمن
السلمي وقتاده وابو زيد عن يعقوب نهد لهم بالنون فهذه قراة
بينه النحاس وبالبا فيها اشكال لانه يقال الفعل لا يخلو من فاعل
فاين الفاعل ليهد فتكلم النحويون في هذا فقال الفراء هو في موضع
رفع بيهد وهذا نقض لاصول النحويين في قولهم ان الاستفهام
لا يعمل فيه ما قبله ولا في كم بوجه اعني ما قبلها ومذهب ابي العباس

أن يهد

وقيل

ان يهد يدل على الهدى والمعنى اولم يهد لهم الهدى المعنى اولم يهد
الله لهم فيكون معنى الباء والنون واحدا اي اولم يبين لهم اهلكنا القرون
الكافره من قبلهم وقال الزجاج كم في موضع نصب باهلكنا
مشغول في مساكنهم يحتمل الضمير ان يعود على الماشين في مساكن
المهلكين اي وهاولا مشغولون لا يعتبرون ويحتمل ان يعود على المهلكين
فيكون حالا والمعنى اهلكناهم ماشين في مساكنهم ان في ذلك لايات
افلا يسمعون ايات الله وعظاته فيتعظون قوله تعالى
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي اولم يعلموا كمال قدرتنا
بسوقنا الماء الى الارض اليابسة التي لا نبات فيها لنحييها الزمخشري
الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه
رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه
قوله فنخرج به زرعا قال ابن عباس هي ارض باليمن وقال مجاهد هي
ابين وقال عكرمة هي ارض الحبشه وقال الضحاك هي الارض السبيه
العطشى وقال الفرا هي الارض التي لا نبات فيها وقال الاصمعي هي التي
لا تنبت شيا قال محمد بن يزيد سمعت ان تكون لارض بعينها لدخول
الالف واللام الا انه يجوز على قول من قال العباس والضحاك والاسناد
عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه وهذا انما هو نعت والنعت المعرفة
يكون بالالف واللام وهو مشتق من قولهم رجل جروز اذا كان لا يبقي
شيا الا اكله قال الراجز خب جروز واذا جاع بكى ياكل التمر ولا يلغ النوى
وكذلك ناقة جروز اذا كانت تاكل كل شي تجده وسيف جرز اي
قاطع ماض وجرزت الجراد الزرع اذا استاصلته بالاكل يجلي
الفراء وغيره انه يقال ارض جرز وجرز وجرز وكذلك
نحل رعب ورهب في الاربعة أربع لغات وقد روي ان هذه الارض

لا انهار فيها وهي بعيدة من البحر وانما يأتيها في كل عام وعن مجاهد
ايضا انها ارض النيل فتخرج به اي بالماء زرعا تأكل منه انعامهم
من الكلا والحشيش وانفسهم من الحب والخضر والفواكه افلا
يبصرون هذا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم و فتخرج بكون معطوفا
على نسوق او منقطعا مما قبله تأكل منه انعامهم في موضع نصب
على النعت قوله تعالى ويقولون متى هذا الفتح متى في موضع
رفع ويجوز ان يكون في موضع نصب على الظرف قال قتادة الفتح
القضاء قال الفراء والقتبي يعني فتح مكة واولى من هذا ما قاله مجاهد
قال يعني يوم القيامة ويروى ان المؤمنين قالوا سيحكم الله عز وجل
بيننا يوم القيامة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء وقال الكفار
على التهدي متى يوم الفتح اي هذا الحكم ويقال للحاكم فاتح وفتاح
لان الاشياء تنفتح على يديه وتنفصل وفي القرآن ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وقد مضى هذا في البقرة وغيرها قل يوم الفتح
على الظرف واجاز الفراء الدفع لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم
ينظرون اي يؤخرون ويمهلون للتوبة ان كان يوم الفتح يوم بدر
او فتح مكة ففي بدر قتلوا ويوم الفتح هربوا فلحقهم خالد
بن الوليد فقتلهم قوله تعالى فاعرض عنهم قيل معناه اعرض
عن سفههم ولا تجبهم الا بما امرت به وانظرهم اي انتظر
اي انتظر يوم الفتح يوم يحكم الله تعالى عليهم ابن عباس اعرض
عنهم اي عن مشركي قريش مكة وان هذا منسوخ بالامر في
براءة في قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وانتظر اي
موعدي لك قيل يعني يوم بدر انهم منتظرون اي ينتظرون بكم
حوادث الزمان وقيل الاية غير منسوخة اذ قد وقع الاعراض

مع الامر بالقتال والفدية وغيرها وقيل اعرض عنهم بعد ما بلغت
الحجة وانتظر انهم منتظرون ان قيل كيف ينتظرون يوم القيامة وهم
لا يؤمنون في هذا جوابان احدهما ان يكون المعنى انهم منتظرون الموت
وهو من اسباب القيامة فيكون هذا مجازا والاخر ان فيهم من يشك
وفيهم من يوقن بالقيامة فيكون هذا جوابا لهذا الصنفين والله
اعلم وقرأ ابن السميفع انهم منتظرون بفتح الظاء وروي عن مجاهد
وابن محيصن قال الفراء لا يصح هذا الا باضمار مجازه انهم منتظرون
بهم قال ابو حاتم الصحيح الكسر اي انتظر عذابهم انهم منتظرون
هلاكك وقد قيل ان قراءة ابن السميفع بفتح الظاء معناها وانتظر
هلاكهم فانهم حقا بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة
وانتظر ذلك فان الملائكة في السما ينتظرونه ذكره الزمخشري
وهو معنى قول الفراء والله اعلم تمت السورة بحمد الله وعونه

سوره الاحزاب مدنيه في قول الجميع جميعها

نزلت في المنافقين وايذايهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطعنهم فيه وفي بناته وخبرها وهي ثلث وسبعون اية
وكانت هذه السوره تعدل سورة البقرة وكانت فيها اية الرجم
الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البته نكالا من الله والله
عزيز حكيم ذكره ابو بكر الانباري عن ابي بن كعب وهذا مما يحمله اهل
العلم على ان الله تعالى رفع من الاحزاب اليه ما يزيد على ما في ايدينا
وان اية الرجم رفع لفظها وقد حدثنا احمد بن الهيثم بن خالد
ابو عبد القاسم بن سلام حدثنا ابي عن حجاج عن ابن جريج عن ابي الاسود
عن عروة عن عايشة قال كانت سوره الاحزاب تعدل على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم مايتي اية فلما كتب المصحف

لم يقدر منها الا على ما هي الان قال ابن بكر فمعنى هذا من قول ام المؤمنين
عايشة رضي الله عنها ان الله تعالى رفع اليه من سوره الاحزاب
ما يزيد على ما عندنا قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا وجه من وجوه
النسخ وقد تقدم في البقره القول فيه مستوفى والحمد لله وروي ان
زر قال قال لي أبي بن كعب كم تعدون سوره الاحزاب قلت ثلاثا وسبعون
اية قال فوالذي يحلف به أبي بن كعب ان كانت لتعدل سوره البقره
او اطول ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموها
البته نكالا من الله والله عزيز حليم اراد ابي ان ذلك من جمله ما
نسخ من القرآن وامّا ما يحكى ان تلك الزياده كانت في صحيفه في بيت
عايشه فاكلتها الداجن فمن تاليف الملاحده والروافض

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها النبي اتق الله
الاية ضمّت اي لانه نداء مفرد والتنبيه لازم لها والتي نعت
لاي عند النحويين الا الاخفش فانه يقول انه صلة لاي معنى ولا يعرف
في كلام العرب اسم مفرد صلة لشيء الا الذي وهو خطا عند اكثر
النحويين لان الصلة لا تكون الا جملة والاحتيال له فيما قال انه لما
كان نعتا لازما سمي صلة فهذا الذي يسمون به النكره
صلة لها ولا يجوز نصبه على الموضع عند اكثر النحويين واجازه
الفارسي كقولك يا زيدا الظريف بنصب الظريف على موضع
زيد مع هذا نعت يستغني عنه ونعت اي لا يستغني عنه فلا
يحسن نصبه على الموضع وايضا وان نعت اي هو المنادى في المعنى
فلا يحسن نصبه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر
الى المدينه دان له باسلام اليهود قريظه والنضير وبني قينقاع
وقد تابعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم

صغيرهم وكبيرهم واذا اتي منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم
فنزلت وقيل انها نزلت فيما ذكر الواحدي والقشيري والثعلبي
والماوردي وغيرهم في ابي سفين بن حرب وعكرمة بن ابي جهل
وابي الاعور عمرو بن سفين بن عبد الله على عبد الله بن أبي بن سلول
راس المنافقين بعد أحد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم
الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح
وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن
الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل انّ لها
شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله
عليه وسلم ما قالوا فقال عمر يا رسول الله ايذن لنا في قتلهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر لتخرجوا
من غضب الله ولعنته قام النبي صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا
من المدينه فنزلت الاية يا ايها النبي اتق الله اي خف الله ولا تطع
الكافرين من اهل مكة يعني ابا سفين وابا الاعور وعكرمة والمنافقين
من اهل المدينه يعني عبد الله بن ابي وطعمة وعبد الله بن ابي سرح
فيما نهيت عنه ولا تقل اليهم ان الله كان عليما بكونهم حكيما فيما
يفعل بهم الزمخشري وروي ان ابا سفين بن حرب وعكرمه بن
ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم في
المدة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي
ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ارفض ذكر الهتنا وذكر الخير يعني ما عقده وان الاية نزلت
في نقض العهد ونقض المواعدة ولا تطع الكافرين من اهل مكة
والمنافقين من اهل المدينه فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا

عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع الى دينه ويعطوه
عشر امواله ويزوجه شيبة بن ربيعه بنته وحوله منافقوا
المدينه انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت الى قوله ان
الله كان عليما حكيما على انه كان يميل اليهم اذ دعاهم الى الاسلام
اي لو علم الله عز وجل ان ميلك اليهم فيه منفعه لما نهاك عنه
لانه حكيم ثم قيل الخطاب له ولامته قوله تعالى واتبع ما
يوحى اليك من ربك يعني القرآن وفيه زجر عن اتباع مراسم الجاهلية
وامر بجهادهم ومنابذتهم وفيه دليل على ترك اتباع الآراء
مع وجود النص والخطاب له ولأمته ان الله كان بما تعملون خبيرا
قراءة العامه بتاء على الخطاب وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرأ
السلمي وابو عمرو وابن ابي اسحق يعملون بالياء على الخبر وكذلك في
قوله بما يعملون بصيرا وتوكل على الله اي اعتمد عليه في كل احوالك
فهو الذي ينعمك ولا يضرك من خذلك وكفى بالله وكيلا حافظا
وقال شيخ من اهل الشام قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد
من ثقيف فطلبوا منه ان يتعهم باللات سنة وهي الطاغيه التي
كانت لثقيف تعبدها وقالوا لتعلم قريش منزلتنا عندك فهم التي
صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا
اي كافيا لهم ما تخافه منهم وبالله في موضع رفع لانه الفاعل
ووكيلا نصب على البيان او الحال قوله تعالى ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه الى قوله السبيل فيه خمس مسايل الاولى
قال المحاهد نزلت في رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهايه
وكان يقول ان لي في جوفي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل
من عقل محمد قال وكان من فهر الواحدي والقشيري وغيرهما

نزلت في جميل بن معمر الفهري وكان رجلا حافظا لما يسمع فقالت
قريش ما حفظ هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول لي قلبان
اعقل بهما افضل من عقل محمد فلما هزم المشركون يوم بدر ومعهم
جميل بن معمر رآه ابو سفيان في العير وهو معلق احدى نعليه
بيده والاخرى في رجله فقال ابو سفيان ما حال الناس قال انهزموا
قال فما بال احدى نعلك في يدك والاخرى في رجلك قال ما شعرت
الا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله
في يده وقال السهيلي كان جميل بن معمر الجمحي وهو بن معمر بن حبيب
بن وهب بن حذافه بن جمح واسم جمح تيم وكان يدعى ذا القلبين
فنزلت فيه الاية وفيه يقول الشاعر

وكيف تراءى بالمدينه بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر

قال الشيخ المصنف رحمه الله كذا قالوا لجميل بن معمر وقال الزمخشري
جميل بن اسد الفهري وقال ابن عباس سببها ان بعض المنافقين
قال لاصحاب له قلبان لانه ربما كان في شيء فنزع في غيره فنزعة ثم عاد
الى شانه الاول فقالوا ذلك عنه فاكذبهم الله عز وجل وقيل
نزلت في عبد الله بن خطل وقال الزهري في رجل من قريش نزل ذلك تمثيلا
في زيد بن حارثه لما تبناه النبي صلى الله عليه وسلم فالمعنى كما لا
يكون لرجل قلبان كذلك لا يكون ولد واحد لرجلين قال النحاس
وهذا قول ضعيف لا يصح في اللغة وهو من منقطعات الزهري
رواه معمر عنه وقيل هو مثل ضرب للظاهر اي كما لا يكون لرجل
قلبان كذلك لا تكون امراة الظاهر امه حتى يكون له اماء وقيل
كان الرجل من المنافقين يقول لي قلب يامرني بكذا وقلب يامرني
بكذا فالمنافق ذو قلبين فالمقصود رد النفاق وقيل لا اجتمع

الكفر والايمان بالله في قلب هما لا يجتمع قلبان في جوف فالمعنى لا يجتمع
اعتقادا متضادان في قلب ويظهر من الاية بجملتها نفي اشياء
كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت واعلام بحقيقة الامر والله
اعلم الثانية القلب بضعة صغيرة على هيئة الصنوبرة
خلقها الله في الادمي وجعلها محلا للعلم فيحصي به العبد من العلوم
ما لا يسع في اسفار كتبه الله في اللوح الالاهي وبضبطه فيه
بالحفظ الرباني حتى يحصيه ولا ينسى منه شيئا وهو بين اصبعين
من اصابع الرحمن كما قال عليه السلام خرجه
الترمذي قد مضى في البقرة وهو محل الخطرات والوساوس
ومكان الكفر والايمان موضع الاصرار والامانة ومجرى الانزعاج
والطمانينة والمعنى في الاية انه لا يجتمع في القلب الكفر والايمان
والهدى والضلالة والانابة والاصرار وهذا نفي لكل ما توهمه
احد في ذلك من حقيقة او مجاز والله اعلم الثالثة اعلم الله
عز وجل في هذه الاية ان لا احد يقلس ويدرى في هذا الحكم على هؤلاء
المنافقين الذين تقدم ذكرهم اي انما قلب واحد وعلى هذا النحو
يستشهد الانسان بهذه الاية متى نسي شيئا او وهم يقول على
جهة الاعتذار ما جعل الله لرجل من قلبين الرابعة قوله تعالى
وما جعل ازواجكم اللاي تظهرون منهن امهاتكم يعني قول الرجل
لامراته انت علي كظهر امي وذلك مذكور في سورة المجادلة
على ما ياتي ان شاء الله تعالى الخامسة قوله تعالى وما
جعل ادعياءكم ابناءكم اجمع اهل التفسير على ان هذا انزل في
زيد بن حارثة وروي الايمة ان بن عمر قال ما كنا ندعو زيدا بن حارثة
الا زيد بن محمد حتى نزلت ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله

فيه بالخط

وكان زيد فيما روي عن انس بن مالك وغيره مسبيا من الشام سبته
خيل من تهامة فاباعه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته
خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم
فاعتقه وتبناه فاقام عنده مدة ثم جاء عمه وابوه يرغبان
في فدايه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل البعثة
خيراه فان اختاركما فهو لكما دون فدء فاختار الرق مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه فقال محمد
صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا انه ابني
يرثني وارثه وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك ففي
ذلك عمه وابوه وانصرفا وكان ابوه لما سبي يدور على الشام ويقول

بكيت على زيد ولا ادر ما فعل ... أحي فيرجى ام اتى دونه الاجل
فوالله لا ادري وانبي لسائل ... اغالك بعدي السهل ام غالك الجبل
فيا ليت شعري هل لك الدهر اوبة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي نجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... ويعرض ذكراه اذا غربت قفل
واني لتبكي الريح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سافني نصف العيس في الارض جاهدا ... ولا اسام الطوف او تسام الابل
حياتي له ناع على مبيتي ... فكل امري فان وان غره الامل

فاخبر انه بمكة فجاء اليه فهلك عنده وروي انه جاء اليه فخيره النبي
صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا وانصرف سباتي من ذكره وشرفه
وفضله شفاعة عند قوله فلما قضا زيد منها وطرا ان شاء الله
وقتل زيد بمؤتة من ارض الشام سنة ثمان من الهجرة وكان النبي صلى الله
عليه وسلم امره في تلك الغزاة وقال ان قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر
فعبد الله بن رواحة فقتل الثلاثة في تلك الغزاة رضوان الله عليهم

ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى زيد وجعفر بن عمي وقال
اخواني ومونساي وحدثاني قوله تعالى ادعوهم لابائهم هو
اقسط عند الله الى قوله رحيما فيه بست مسايل الاولى قوله تعالى
ادعوهم لابائهم نزلت في زيد بن حارثه حين ما تبنى محمد وفي
قول من زعم ما كنا ندعوا زيد بن حارثه الا زيد بن محمد دليل على ان
التبني كان معمولا به في الجاهليه والاسلام يتوارث به ويتناصر
الى ان نسخ الله ذلك بقوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله
اي اعدل فرفع الله حكم التبني ومنع من اطلاق لفظه وارشد بقوله
الى ان الاولى والاعدل ان ينسب الرجل الى ابيه نسبا فيقال كان الرجل
في الجاهليه اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل
له نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال
فلان بن فلان وقال القاسم هذه الاية ناسخه لما كانوا عليه من التبني
وهو من نسخ السنه بالقرآن فامر ان يدعوا من دعوا الى ابيه المعروف
فان لم يعرف اب معروف نسبوه الى ولاية فان لم يكن له ولا
معروف قال يا اخي يعني في الدين قال الله تعالى انما المومنون اخوه
الثانيه لو نسبه انسان الى ابيه من التبني فان كان على جهة
الخطا وهو ان يسبق لسانه الى ذلك من غير قصد فلا اثم ولا
مواخذه لقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما اخطاتم به وكذلك
لو دعوت رجلا لغير ابيه وانت ترى انه ابوه ليس عليك باس
قاله قتاده ولا يجري هذا المجري ما غلب عليه اسم التبني كالحال
في المقداد بن عمرو فانه كان غلب عليه نسب التبني فلا يكاد
يعرف الا بالمقداد بن الاسود فان الاسود بن عبد يغوث كان قد
تبناه في الجاهليه وعرف به فلما نزلت الاية قال المقداد انا ابن عمرو

ومع ذلك فبقي الاطلاق عليه ولم يسمع فيمن مضى من عاصي مطلق
ذلك عليه وان كان متعمدا وكذلك سالم مولى ابي حذيفه وكان يدعى
لابي حذيفة وغيرها ولا ممن تبنى وانتسب لغير ابيه وشهر بذكر
وغلب عليه وكذلك خلاف الحال في زيد بن حارثه فانه لا يجوز ان يقال
فيه زيد بن محمد فان قاله احد متعمدا عصى بقوله تعالى ولكن ما تعمدت
قلوبكم اي فعليكم الجناح والله اعلم ولذلك قال بعده وكان الله غفورا
رحيما اي غفورا للعمد ورحيما برفع اثم الخطا الثالثه وقد قيل ان
قوله تعالى لا جناح عليكم فيما اخطاتم مجمل اي ليس عليكم جناح
في شي اخطاتم به وكانت فتيا عطا وكثير من العلما على هذا اذا
حلف رجلا لا يفارق غريمه حتى يستوفي منه حقه فاخذ منه ما يرى
انه جيد من دنانير فوجدها زجاجا انه لا شي عليه وكذلك هذه
اذا حلف ان لا يسلم على فلان فسلم عليه وهو لا يعرفه انه لا يحنث لانه
لم يعمد ذلك وما في هو موضع خفض رفع على اضمار مبتداء والتقدير ولكن
الذي تواخذون به ما تعمدت قلوبكم قال قتاده وغيره من نسب رجلا
الى غير ابيه وهو يرى انه ابوه فذلك من الخطا الذي رفع الله فيه الجناح
وقيل هو ان يقول له في المخاطبه يا بني على غير تبنين الرابعه قوله
تعالى ذلكم قولكم بافواهكم ما فواهكم تاكيد لبطلان القول بانه
قول لا حقيقة له في الوجود انما هو لساني فقط وهذا كما يقول
انا امشي اليك على قدم فانما تريد بذلك البته وهذا كثير وقد
تقدم هذا المعنى في غير موضع والله يقول الحق ويهدي السبيل المصدر
محذوف اي يقول القول الحق وهو يهدي معناه بين فهو يتعدى
بغير حرف وجر الخامسة الادعيا جمع الدعا وهو الذي يدعي
ابنا لغير ابيه او يدعيه غير ابنه والمصدر الدعوة بالكسر

فامر الله تعالى بدعاء الادعياء الى ابائهم للصلبيه فمن جهل ذلك فيه
ولم تشتهر انسابهم كان مولا واخا في الدين وذكر الطبري ان
ابا بكرة قرا هذه الاية ثم قال انا ممن لا يعرف ابوه وانا اخوكم
في الدين ومولاكم قال الراوي عنه ولو علم والله ان اباه حمار
لانتمى اليه ورجال الحديث يقولون بني بي بكرة نفيع بن الحرث
السادسة روي الصحيح عن سعد بن ابي وقاص وابي بكرة
كلاهما قال سمعته اذناي ووعاه قلبي محمد صلى الله عليه وسلم
يقول من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه
حرام وفي حديث ابي ذر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر قوله
تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم الى قوله مسطورا فيه
تسع مسايل الاولى قوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم
هذه الاية انزل الله بها احكاما كانت في صدر الاسلام منها
انه عليه السلام كان لا يصلي على ميت عليه دين فلما فتح الله عليه
الفتوح قال انا اولى بالمومنين من انفسهم فمن مات وعليه دين فعلي
قضاوه ومن ترك مالا فلورثته اخرجه الصحيحان وفيهما ايضا
فايكم ما ترك دينا او ضياعا فانا مولاه قال ابن العربي فانقلبت
الان المحال بالذنوب فان تركوا مالا ضوعق العصبة فيه وان
تركوا ضياعا اسلموا اليه فهذا تفسير الاية المذكورة في
هذه الاية بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم وتبيينه ولا عطر
بعد عروس قال ابن عطية وقال بعض علمائنا العارفين هو اولى
بهم من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم
الى النجاة قال ابن عطية ويويد هذا قوله عليه السلام انا اخذ

بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها تقتحم الفراش قال الشيخ المولف
رحمه الله هذا قول حسن في معنى الاية وتفسيرها والحديث الذي
ذكر اخرجه مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما مثلي ومثل امتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب
والفراش يقعن فيه وانا اخذ بحجزكم وانتم تقتحمون فيه وعن جابر
منه وقال انتم تغلبون من يدي قال العلما الحجزة للسراويل والعقد
للازار فاذا اراد الرجل امساك من خاف سقوطه اخذ بذلك الموضع
منه وهذا مثل لاجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في نجاتنا وحرصه
على تخليصنا من المهلكات التي بين ايدينا فهو اولى بنا من انفسنا
ولجهلنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وظفر عدونا اللعين
بنا صرنا احقر من الفراش اذ لا حول ولا قوة الا بالله
وقيل اولى بهم اي انه اذا امر بشيء ودعت النفس الى غيره كان امر النبي
صلى الله عليه وسلم اولى وقيل اولى بهم اي هواه اولى ان ينفذ على المومنين
فينفذ حكمه في انفسهم اي فيما يحكمون به لانفسهم مما لا نص فيه
الثانية قال بعض العلما يجب على الامام ان يقضي من بيت المال دين
الفقرا اقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه قد صرح بوجوب ذلك
عليه حيث قال وعلي قضاوه والضياع بفتح الضاد مصدر
ضاع ثم جعل اسما لكل ما يتوقع ان يضيع من عيال وبنين لا كافل
لهم ومال لا قيم له وسميت الارض ضيعة لانها معرضة للضياع
وجمع ضياعا بكسر الضاد الثالثة قوله تعالى وازواجه
امهاتهم شرف تعالى ازواج نبيه صلى الله عليه وسلم ان جعلهن
امهات المومنين اي في وجوب التعظيم والمبرة والاجلال وحرمة
النكاح وجبن رضي الله عنهن خلاف الامهات وقيل لما كانت

شفقتهن عليهم لشفقة الامهات انزلن منزلة الامهات ثم
هذه الامومة لا توجب ميراثا كامومة النسبي وجاز تزوج بناتهن
ولا جعلن اخوات للناس وسياتي عدد ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
في اية التخيير ان شاء الله تعالى واختلف الناس هل هن امهات
الرجال والنساء امهات الرجال خاصة على قولين فروى الشعبي
عن مسروق عن عايشة رضي الله عنها ان امراة قالت يا امة فقالت لها
لست لك بام انما انا ام رجالكم قال ابن العربي وهو الصحيح قال الشيخ
لا فايدة لاختصاص الحصر في الاباحة للرجال دون النساء والذي يتحد
لي انها امهات الرجال والنساء تعظيما لحقهن على الرجال والنسا يدل
عليه صدر الاية النبي اولى بالمومنين من انفسهم وهذا يشمل الرجال
والنساء ضرورة ويدل على ذلك حديث ابي امامة وجابر فيما ذكر قوله
وازواجه امهاتهم عايد الى الجميع ثم ان في مصحف ابي بن كعب وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم وقرا بن عباس من انفسهم وهو اب وازواجه
وهذا كله يوهن ما رواه مسروق ان صح من جهة الترجيح وان له
يصح فيسقط الاستدلال به في التخصيص ويقينا على الاصل الذي
هو العموم الذي يسبق الى الفهوم والله اعلم الرابعة قوله تعالى
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين
والمهاجرين قيل انه اراد بالمومنين الانصار وبالمهاجرين قريشا
وفيه قولان احدهما ان هذا ناسخ للتوارث بالهجرة — الى سعيد عن
قتادة قال كان نزل في سورة الانفال والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم
من ولايتهم من شيء حتى هاجروا فتوارث المسلمون بالهجرة حكي
سعيد عن قتادة فكان لا يرث الاعرابي المسلم من قريبه المسلم المهاجر
شيا حتى نسخ ذلك في هذه السورة بقوله واولوا الارحام بعضهم

اولى ببعض الثاني ان ذلك ناسخ للتوارث بالحلف والمواخاة في الدين
روى هشام بن عروة عن ابيه عن الزبير واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض في كتاب الله وذلك انا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا
ولا مال لنا فوجدنا الانصار نعم الاخوان فاخيناهم فاورثونا واورثناهم
فاخى ابو بكر خارجة بن زيد واخيت انا كعب بن مالك فوجدت
السلاح قد اثقله فوالله لقد مات عن الدنيا ما ورثه غيري حتى
انزل الله هذه الاية فرجعنا الى ميراثنا وثبت عن عروة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخى بين الزبير وبين كعب بن مالك فاورثت
كعب يوم احد فجا الزبير يقوده بزمام راحلته فلومات يومئذ
كعب عن الضحى والذبح لورثه الزبير فانزل الله جل وعز واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فبين الله ان القرابة اولى من الحلف
فترك الوراثة بالحلف وورثوا بالقرابة وقد مضى في الانفال الكلام
في توريث ذوي الارحام وقوله في كتاب الله يحتمل ان يريد القران
ويحتمل ان يريد اللوح المحفوظ الذي قضى فيه احوال الخلق ومن المومنين
متعلق باولى لا بقوله واولوا الارحام بالاجماع لان ذلك كان يوجب
تخصيصا ببعض المومنين ولا خلاف في عمومها وهذا جل اشكالها قاله
ابن العربي الخامسة واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله
من المومنين والمهاجرين يجوز ان يتعلق من المومنين بما ولوا فيكون
التقدير واولوا الارحام من المومنين والمهاجرين يجوز ان يكون للتعيين
اولى من المومنين وقال المهدوي في قيل ان معناه واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في كتاب الله الا ما جوز لازواج النبي صلى الله
عليه وسلم ان يدعين امهات المومنين السادسة واختلف في
كونهن امهات في المحرم واباحة النظر على وجهين احدهما ممن

محرم لا محرم النظر اليهن الثاني ان النظر اليهن محرم لان تحرم نكاحهن
انما كان حفظا لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن وكان من حفظ
حقه تحرم النظر اليهن لان عايشة رضي الله عنها كانت اذا اراد ت
دخول رجل عليها امرت اختها اسما ان ترضعه ليصير ابنا لاختها
من الرضاعة فيصير محرما يستبيح النظر واما اللاتي طلقهن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حياته فقد اختلف في ثبوت هذه الحرمة
لهن على ثلثة اوجه احدها تثبت لهن هذه الحرمة تغليبا لحرمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الثاني لا يثبت ذلك لهن بل هن
كساير النساء لان النبي صلى الله عليه وسلم قد ابت عصمتهن وقال
ازواجي في الدنيا هن ازواجي في الاخرة الثالث من دخل بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم منهن ثبتت حرمتها وحرم نكاحها
وان طلقها حفظا لحرمته وحراسة لخلوته ومن لم يدخل بها لم
تثبت لها هذه الحرمة وقد هم عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجم
امراة فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لم هذا ولا
على؟ ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حجابا ولا سميت ام المومنين
السادسة؟ فلف عنها الى خمسة قال قوم لا يجوز ان يسمى النبي صلى الله
عليه وسلم ابا لقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن
يقال مثل الاب للمومنين كما قال انما انا لكم بمنزله الوالد اعلمكم
الحديث خرجه ابو داود والصحيح انه يجوز ان يقال انه ابو
المومنين اي في الحرمة وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم
اي في النسب وسياتي في قرا بن عباس من انفسهم وهو ابت لهم
وازواجه وسمع عمر هذه القرا ة فانكرها وقال اكذا يا غلام
فقال له انها في مصحف ابي فذهب اليه فساله فقال له ابي انك

انه كان لصبي القران ولصبيك الصفق بالاسواق واغلظ
لعمر وقد قيل في قوله عليه السلام هن امهاتهم ولا بناتي انما اراد للمومنات
اي تزوجهن وقد تقدم السابعة قال قوم لا يقال بناته اخوات
اخوات المومنين ولا الاخوات من اخوات المومنين وخالاتهم قال الشافعي
تزوج الزبير اسما بنت ابي بكر وهي اخت عايشة ولم يقل هي خالة
المومنين واطلق قوم هذا وقالوا معاوية خال المومنين يعني في الحرمة
لا في النسب الثامنة قوله تعالى الا ان تفعلوا الى اوليايكم
معروفا يريد الاحسان في الحياة والوصية عند الموت اي ان ذلك
جايز له فادة والحسن وعطا وابن الحنفية قال محمد بن الحنفية نزلت
في اجازة الوصية للمهدي النصراني اي يفعل ذلك والقريب وان كان
كافرا فالمشرك ولي في النسب لا في الدين فيوصى له بوصية واختلف
العلما هل يجعل الكافر وصيا فجوز بعض ومنع بعض ورد النظر
الى السلطان في ذلك بعض منهم مالك رحمه الله وذهب مجاهد
وابن زيد والرماني الى ان المعنى الى اوليايكم من المومنين ولفظ الاية
تعضد هذا المذهب ونعيم الولي ايضا جنس ولاية النسب
لا يدفع الكافر وانما تدفع ان يلقى اليه بالمودة حولي الاسلام
التاسعة قوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا الكتاب
يحتمل الوجهين المذكورين المتقدمين في كتاب الله ومسطورا
من قولك سطرت الكتاب اذا اثبته اسطارا وقال قتادة اي
مكتوبا عند الله تعالى ان لا يرث كافر مسلما قال قتادة وفي بعض
القرا ة كان ذلك عند الله مكتوبا وقال القرظي كان ذلك في التوراة
قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي عهدهم على الوفا
بما حملوا وان يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضا اي كان

مسطورا حيث كتب الله ما هو كائن وحين اخذ الله المواثيق من الانبيا
ومنك يا محمد ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم وانما خصهم
الخمسة وان دخلوا في زمرة النبيين تفضيلا لهم وقيل لانهم اصحاب
الشرايع والكتب واولوا العزم من الرسل وايمة الامم ويحتمل ان يكون لهذا
هذا تعظيما في قطع الولاية بين المسلمين والكافرين اي هذا مما اختلف
فيه شرايع الانبيا اي كان في ابتدا الاسلام توارث بالهجرة والهجرة
سبب متاكد في الديانة ثم توارثوا بالقرابة مع الايمان وهو سبب
وتيد فاما التوارث بين مومن وكافر فلم يكن في دين احد من الانبيا الدين
اخذ عليهم الميثاق فلا تذاهنوا في الدين ولا تمايلوا الكفار ونظيره
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله ولا تتفرقوا فيه ومن ترك
التفرق في الدين ترك موالاة الكفار وقيل الى النبي اذ لي المومنين من
انفسهم كان ذلك في الكتاب مسطورا وما خوذ به المواثيق من
الانبيا واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا وثيقا محيطا على الوفا
بما لزموا من تبليغ الرسالة وان يصدق بعضهم بعضا والميثاق هو
اليمين بالله تعالى فالميثاق الثاني تاكيد للميثاق الاول باليمين وقيل الاول
هو الاقرار بالله والثاني في امر النبوة ونظير هذا قوله واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم
لتومنن به ولتنصرنه الايه اي اخذ عليهم ان يعلنوا ان محمدا رسول
الله ويعلن محمد ان لا نبي بعده وقدم محمدا في الذكر لما روي قتادة
عن الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن
قوله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
قال كنت اولهم في الخلق واخرهم في البعث وقال مجاهد هذا في ظهر
ادم عليه السلام قوله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم

المواثيق

اتيناكم

فيه اربعة اوجه احدها ليسئل الانبيا عن تبليغهم الرسالة الى قومهم
حكاه النقاش وفي هذا تنبيه اي اذا كان الانبيا يسئلون فكيف من سواهم
الثاني ليسئل الانبيا عما اجابهم به قومهم حكاه علي بن عيسى
الثالث ليسئل الانبيا عن الوفا بالميثاق الذي اخذه عليهم حكاه
بن شجره الرابع ليسئل الافواه الصادقة عن القلوب المخلصة وفي
التنزيل فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وقد تقدم وقيل
فايدة سوالهم توبيخ الكفار كما قال أ انت قلت للناس واعتدنا للكافرين
عذابا اليما وهو عذاب جهنم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جاتكم جنود الاية يعني يوم الاحزاب غزوة الخندق
والاحزاب بنو قريظه وكانت حالا شديدة محقبة بنعمة ورخا
وغبطة وتضمنت احكاما كثيرة وايات باهرات نحن نذكر
من ذلك بعون الله ما يكفي في عشر مسايل الاولى اختلف في اي سنة
كانت فقال بن اسحق كانت في شوال من السنة الخامسة وقال بن وهب
وبن القاسم عن مالك كانت وقعة الخندق سنة اربع وهي وبنو قريظة
في يوم واحد وبين بني قريظه والنظير اربع سنين قال بن وهب وسمعت
مالكا يقول امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمل من المدينه وذلك
قوله تعالى اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر قال ذلك يوم الخندق وجاات قريش من
ها هنا واليهود من ها هنا والنجديه من ها هنا يريد مالك ان الذين
جاوا من فوقهم بنو قريظة ومن اسفل منهم قريش وغطفان وكان
سببها ان نفرا من اليهود منهم كنانه بن الربيع بن ابي الحقيق وسلام
بن ابي الحقيق وسلام بن مشكم وحيي بن اخطب النضيريون وهوذة
بن قيس وابو عمار من بني وايل وهم كلهم يهود هم الذين حزبوا الاحزاب

والنواة جمعوا خرجوا في نفر من بني النضير ونفر من بني وايل فأتوا
مكة فدعوا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وواعدوهم
من انفسهم بعوق من انتدب الى ذلك فاجابهم اهل مكة الى ذلك
ثم خرج اليهود المذكورون الى غطفان فدعوهم الى مثل ذلك فاجابوهم
فخرجت قريش بقودهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم
عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري على فزارة والحرث بن عوف
المري على بني مرة ومسعود بن رخيلة على اشجع فلما سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم وخروجهم شاور اصحابه
فاشار عليه سلمان بحفر الخندق فرضي رأيه وقال المهاجرون
به سبد سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت وكان الخندق اول مشهد
شهده سلمان مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال
يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا فعمل المسلمون
في الخندق مجتهدين ونكص المنافقون وجعلوا يتسللون لواذا فنزلت
فيهم ايات من القرآن ذكرها ابن اسحق وغيره وكان من فرغ من المسلمين
من حصته عاد الى غيره حتى كمل الخندق وكانت فيه ايات بينات
وعلامات للنبوات قال الشيخ المصنف رحمه الله ففي هذا الذي ذكرناه
من هذا الخبر من الفقه وهي الثانية مشاورة السلطان اصحابه
وخاصته في امر القتال وقد مضى ذلك في الاعمران والمل وفيه التحصن
من العدو بما امكن من الاسباب واستعمالها وقد مضى ذلك
في غير موضع وفيه ان حفر الخندق يكون مقسوما على الناس فمن
فرغ منهم عاون من لم يفرغ فالمسلمون يد على من سواهم وفي البخاري
ومسلم عن البراء بن عازب قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول

الله صلى الله عليه وسلم رايته ينقل من تراب الخندق حتى واري عني الغبار
جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات بن رواحة
ويقول اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا واما ما كان
فيه من الايات وهي الثالثة فروى النسائي عن ابي سكنة رجل
من المحررين عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخرة
حالت بينهم وبين الحفر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ
المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال وتمت كلمة ربك الاية
فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قايم ينظر فبرق مع ضربة رسول
الله صلى الله عليه وسلم برقة ثم ضرب الثانية وقال وتمت الاية
فندر الثلث الاخر فبرقت برقة فراها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال
تمت الاية فندر الثلث الباقي فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذ رداءه وجلس قال سلمان يا رسول الله رايتك حين ضربت
ما تضرب ضربة الا كانت معها برقة قال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت ذلك يا سلمان قال اي والذي بعثك بالحق يا رسول
الله قال فاني حين ضربت الضربة الاولى رفعت لي مدائن كسرى
وما حولها ومدائن كثيرة حتى رايتها بعيني قال له من حضره من
اصحابه يا رسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا دراريهم ويخرب
بايدينا بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربت الضربة
الثانية الثالثة فرفعت مدائن قيصر وما حولها حتى رايتها بعيني قالوا يا
رسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا دراريهم فتخرب بايدينا
بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربت الثالثة فرفعت

لي هذا بن الحبشه وما حولها من الفرس حتى رأيتها بعيني قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند ذلك دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا
الترك ما تركوكم وخرجه ايضا عن البراء بن عازب قال لما امرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نحفر الخندق عرض لنا صخرة لا تأخذ
فيه المعاول فاستكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والقى ثوبه واخذ المعول وقال
بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة ثم قال الله اكبر اعطيت
مفاتيح الشام والله اني لابصر الى قصورها الحمراء الان من مكاني
هذا قال ثم ضرب اخرى وقال بسم الله فكسر ثلثا اخر ثم قال
الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر قصر المدائن
الابيض ثم ضرب الثالثه وقال بسم الله فقطع الحجر وقال الله
اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر باب صنعا من مكاني هذا
ابو محمد عبد الحق الرابعه فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الخندق واقبلت قريش في نحو عشرة الاف ممن معهم من كنانه
واهل تهامة واقبلت غطفان بمن معها من اهل نجد حتى نزلوا الى
جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى
نزلوا بظهر سلع في ثلثة الاف وضربوا عسكرهم بالخندق بينهم
وبين المشركين واستعمل على المدينه ابن ام مكتوم في قول ابن شهاب
وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضيري حتى اتى كعب بن اسد
القرظي وكان صاحب عقد بني قريظه ورئيسهم وكان قد وادع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاقده وعاهده فلما سمع كعب
بن اسد بحيي بن اخطب اغلق دونه باب حصنه واباى ان يفتح له
فقال له افتح لي يا اخي فقال لا افتح لك فانك رجل مشئوم وانك تدعوني

الى خلاف محمد وانا قد عاقدته وعاهدته ولم ار منه الا وفاء وصدقا
فلست بناقض ما بيني وبينه قال حتى افتح لي حتى اكلمك وانصرف
عنك قال لا افعل قال انما خاف ان اكل معك جشيشتك فغضب
كعب وفتح له فقال له يا كعب انما جيتك بعز الدهر جيتك
بقريش وسادتها وغطفان وقادتها قد تعاقدوا على ان يستاصلوا
محمدا ومن معه فقال له كعب جيتني والله بذل الدهر وبجهام لا
غيث فيه ويحك يا حيي دعني فلست بفاعل ما تدعوني اليه فلم
يزل حيي بكعب يعده ويغره حتى رجع اليه وعاقده على خذلان النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه وان يصير معهم وقاله له حيي بن اخطب
ان انصرفت قريش وغطفان ولم تخلص عندك من دمي من دهور فلما
انتهى خبر كعب وحيي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد
بن عبادة وهو سيد الخزرج وسيد الاوس سعد بن معاذ وبعث
معهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير وقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم انطلقوا الى بني قريظه فان كان ما قيل لنا حقا
فالحنوا لنا لحنا ولا تفتوا في اعضاد الناس وان كان غدرا فاجهروا
به للناس فانطلقوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما قيل لهم عنهم
ونالوا من رسول الله وقالوا لا عهد له عندنا فشاتمهم سعد بن معاذ
وشاتموه وكانت فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع عنك مشاتمتهم
فالذي بيننا وبينهم اكثر من ذلك ثم اقبل سعد وسعد حتى اتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة المسلمين فقالا عضل
والقارة يعرضان بغدر عضل والقاره باصحاب الرجيع خبيب
واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر
المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتى المسلمين

عدوهم من فوقهم يعني من فوق الوادي من قبل المشرق ومن اسفل منهم
من بطن الوادي من قبل المغرب حتى ظنوا بالله الظنونا واظهر المنافقون
كثيرا مما كانوا يسرون فمنهم من قال ان يعدنا محورة فلننصرف الينا
فانا نخاف عليها ومن قال ذلك اوس بن قيظي ومنهم من قال يعدنا محمد
ان يفتح كنوز كسرى وقيصر ولحدنا اليوم لا امن على نفسه يذهب
الى الغائط ومن قال ذلك معتب بن قشير احد بني عمرو بن عوف
فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون بضعا وعشرين
ليلة من شهر لم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصا فلما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اشتد على المسلمين البلاء بعث
الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحرث بن عوف المري
وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة لينصرفا بمن معهما
من غطفان ويخذلا قريشا ويرجعا بقومهما عنهم وكانت هذه
المقالة مراوضة ولم تكن عقدا فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهما انهما قد اتيا وارضيا اتى سعد بن معاذ سعد بن عبادة فذكر
ذلك لهما واستشارهما فقالا يا رسول الله امرا امرت به فنصنعه
لك او شيء امرك الله به فنسمع له ونطيع او شيء تصنعه لنا قال قد
بل امر اصنعه لكم والله ما اصنعه الا اني رأيت العرب قد رمتكم
عن قوس واحدة فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله والله لقد كنا
نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا
نعرفه وما طمعوا ان ناكل منها ثمرة الا شراء او قرى فحين اكرمنا
الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم اموالنا والله لا نعطيهم
الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فسر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك وقال انتم وذاك وقال للحيينة وللحرث انصرفا

قد رمتكم

فليس لكم عندنا الا السيف ونتاول سعد الصحيفة وليس فيها شيء كتبه
فمحاها الخامسة فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
على حالهم والمشركون يحاصرونهم ولا قتال بينهم الا ان فوارس من قريش
منهم عمرو بن ود العامري من بني عامر بن لؤي وعكرمة بن ابي جهل
وهبيرة بن ابي وهب وضرار بن الخطاب الفهري وكانوا فرسان
قريش وشجعانهم اقبلوا حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا ان
هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من
الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت بهم وجاوزوا الخندق وصاروا
بين الخندق وبين سلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى
اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان نحوهم وكان
عمرو بن عبد ود قد اثبتته الجراح يوم بدر فلم يشهد احدا واراد
يوم الخندق ان يرى مكانه فلما وقف هو وخيله نادى من يبارز
فبرز له علي بن ابي طالب وقال يا عمرو انك عاهدت الله فيما بلغنا
انك لا تدعى الى احدى خلتين الا اخذت احداهما قال نعم قال فاني
ادعوك الى الله والاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فادعوك الى
البراز قال يا ابن اخي والله ما احب ان اقتلك لما كان بيني وبين ابيك
فقال له علي اما والله احب ان اقتلك فحمي عمرو بن عبد ود ونزل
عن فرسه فعقره وصار نحو علي فتنازلا وتجاولا وثار النقع بينهما
حتى حال دونهما فما انجلى النقع حتى رئي عليا على صدر عمرو يبتدر
راسه فلما رأى اصحابه انه قد قتله علي اقتحموا الخيل عليهم الثغرة
منهزمين هاربين وقال علي رضي الله عنه في ذلك

نصرت الحجارة من سفاهة رايه ونصرت دين محمد بضرابه
وعففت عن اثوابه ولو انني كنت المقطر بز اثوابي

٢ حسبنا الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الاحزاب
قال ابن هشام واكثر اهل العلم بالسير [illegible] لعلي قال ابن هشام
هشام والقوعكة من ابي جهل ريحة [illegible] وهو منزوع عمرو
فقال حسان بن ثابت في ذلك فروا التي تبارحه [illegible] عكوه فعل

وليت تعدوا الطليم ما ان تحور من الذل
ولم تلق ظهرك مستانسا كان قفاك فيه فعل

قال ابن هشام فعل صغير الضباع وكانت عايشة رضي الله
عنها في حصن بني حارثة وام سعد بن معاذ معها وعلى سعد درع
مقلصة قد خرجت منها ذراعه وفي يده حربته وهو يقول

ليث قليلا يلحق الهيجا جمل لا بأس بالموت اذا كان الاجل

ورمى يومئذ سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل واختلف
فيمن رماه فقيل رماه جبان بن قيس بن العرقة احد بني عامر بن لوي
فلما اصابه قال له خذها وانا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله
وجهك في النار وقيل ان الذي رماه خفاجة بن عاصم بن حبارة وقيل
بل الذي رماه ابو اسامة الجشمي حليف بني مخزوم والحسان مع صفية
بنت عبد المطلب خبر ظريف يومئذ ذكره بن اسحق وغيره قالت صفية
بنت عبد المطلب رضي الله عنها كنا يوم الاحزاب في حصن حسان
بن ثابت وحسان معنا في النسا والصبيان والنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه في نحر العدو لا يستطيعون الانصراف الينا فاذا يهودي
يدور فقلت لحسان انزل اليه فاقتله فقال ما انا بصاحب هذا
يا ابنة عبد المطلب فاخرت عمودا ونزلت من الحصن فقتلته
فقلت يا حسان انزل فاسلبه فلم يمنعني من سلبه الا انه رجل
فقال ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب قال فنزلت فسلبته

قال ابو عمر بن عبد البر وقد انكر هذا عن حسان جماعة من اهل
السير وقالوا انما كان في حسان من الجبن ما وصفتم لنجاه بذلك
الدين كان بهاجيهم في الجاهلية والاسلام ولهجي بذلك ابنه عبد الرحمن
فانه كان كثيرا ما يهاجي الناس من شعراء العرب مثل النجاشي وغيره
السادسة واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيم بن مسعود
بن عامر الاشجعي فقال يا رسول الله اني قد اسلمت ولم يعلم قومي باسلامي
فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل
واحد من غطفان فلو خرجت فخذلت عنا ان استطعت كان احب
الينا من بقايك معنا فاخرج فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود
حتى اتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد
عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا قل فلست عندنا
بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم فيه
اموالكم وابناؤكم ونساؤكم وانكم ان قريشا وغطفان قد جاوا لحرب محمد
واصحابه وقد ظاهروهم عليه فان رأوا نهزة اصابوها وان كان
غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به
فلا تقاتلوا معهم حتى تاخذوا منهم رهنا ثم خرج حتى اتى قريشا
فقال لهم قد عرفتم ودي لكم معشر قريش وفراقي محمدا وقد بلغني
امر ارى من الحق ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال
تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما كان من خذلانهم محمدا
وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان ناخذ
من قريش وغطفان رهنا رجالا ونسلمهم اليك تضرب اعناقهم
ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستاصلهم ثم اتى غطفان فقال
مثل ذلك فلما كان ليلة السبت وكان ذلك من صنع الله عز وجل

لرسوله والمومنين ارسلا بوسفيان الى بني قريظة عكرمة بن ابي
جهل في نفر من قريش وغطفان يقول لهم انا لستنا بدار مقام قد هلك
الخف والحافر فاغدوا صبيحة غد للقتال حتى نناجز محمدا فارسلوا
اليهم ان اليوم يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى في السبت
ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فلما رجع الرسول
بذلك قالوا صدقنا والله نعيم بن مسعود فردوا اليهم الرسل
وقالوا والله لا نعطيكم رهنا ابدا فاخرجوا معنا ان شئتم والا فلا
عهد بيننا وبينكم فقال بنو قريظة صدق والله نعيم بن مسعود
وخذل الله بينهم واختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحا
عاصفا في ليال شديدة البرد فجعلت الريح تقلب آنيتهم وتكفا قدورهم
السابعة فلما اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف امرهم
بعث حذيفة بن اليمان لياتيه بخبرهم فاتاهم واستتر في عسكرهم
وسمع ابا سفيان يقول يا معشر قريش ليتعرف كل امرئ جليسه قال
حذيفة فاخذت بيد جليسي وقلت من انت فقال انا فلان ثم قال
ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد
هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ولقينا من هذه الريح
ما ترون ما يستمسك لنا بناء ولا تثبت لنا قدر ولا تقوم لنا نار
فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فحل عقال يده الا وهو
قايم قال حذيفة ولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لي اذ بعثني
قال لي مر الى القوم فاعلم ما هم عليه ولا تحدث شيا لقتلته بسهم
ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رحيلهم فوجدته قايما
يصلي في مرط لبعض نسايه مراجل قال بن هشام المرجل ضرب
من برد اليمن فاخبرته فحمد الله وكبر حذيفة هذا مذكور في صحيح

قال الشيخ احمد الله

مسلم وفيه اية عظيمة رواه جرير عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن
ابيه قال كنا عند حذيفة فقال رجل لو ادركت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قاتلت معه وابليت فقال حذيفة انت تفعل هذا لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب واخذتنا
ريح شديدة وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل ياتيني
بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه منا احد
ثم قال الا رجل ياتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا
فلم يجبه منا احد فقال قم يا حذيفة فاتنا بخبر القوم فلم اجد
بدا اذ دعاني باسمي ان اقوم قال اذهب فاتني بخبر القوم ولا تذعرهم
علي فلما وليت من عنده جعلت كانما امشي في حمام حتى اتيتهم فرايت
ابا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فاردت
ان ارميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعرهم
علي ولو رميته لاصبته فرجعت وانا امشي في مثل الحمام فلما اتيته
فاخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فالبسني رسول الله صلى الله
عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم ازل نايما حتى
اصبحت قال فلما ان نمت قال قم يا نومان فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد ذهب الاحزاب رجع الى المدينة ووضع المسلمون سلاحهم
فاتاه جبريل صلى الله عليه وسلم في صورة دحية بن خليفة الكلبي
على بغلة عليها قطيفة ديباج فقال له يا محمد ان كنتم قد وضعتم
سلاحكم فما وضعت الملايكة سلاحها ان الله يامرك ان تخرج
الى بني قريظة واني متقدم اليهم فمزلزل بهم حصونهم فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي المناصنة منادي فنادى الا يصلين
احد العصر الا في بني قريظة فخوف فاتى ناس قد ذهب الوقت فصلوا

خوف

باب قال تصويب

دون بني قريظة وقال لاخرون لا نصلي العصر الا حيث امرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان فاتنا الوقت فما عنف واحدا من الفريقين
وفي هذا من الفقه تصويب المجتهدين وقد مضا بيانه في الانبيا
وكان سعد بن معاذ اذا اصابه السهم دعا به فقال اللهم
ان كنت ابقيت من حرب قريش فابقني لها فانه لا قوم احب ان
اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك واخرجوه اللهم وان كنت
وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى
تقر عيني في بني قريظة وروي زوهب عن مالك قال بلغني ان سعد
بن معاذ مر ببعايشة رضي الله عنها ونساء معها في الاطم الذي
قارع وعليه درع مقلصة مشمر الكمين وبه اثر صفرة وهو يرتجز
ليث قليلا يدرك الهيجا جمل لا بأس بالموت اذا حان الاجل
فقالت عايشة رضي الله عنها لبئس اخا فارس اصاب سعد اليوم
الا من اطرافه فاصيب في اكحله وروي زوهب وابن القاسم عن مالك
قالت عايشة ما رايت رجلا اجمل من سعد بن معاذ حاشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاصيب في اكحله ثم قال اللهم ان كان حرب قريظة
لم يبق منه شيء فاقبضني اليك وان كان قد بقيت منه بقية فابقني حتى
اقاتل اجاهد مع رسولك اعداءه فلما حكم في بني قريظة توفي فخرج
الناس وقالوا نرجوا ان يكون قد استجيبت دعوته التاسعة
ولما خرج المسلمون الى بني قريظة اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الراية علي بن ابي طالب واستخلف على المدينة بزار مكتوم ونهض على
طايفة معه حتى اتوا بني قريظة ونازلوهم فسمعوا سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانصرف علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له يا رسول الله لا تبلغ اليهم وعرض له فقال له انك سمعت

منهم شتمي لو رأوني لكفوا عن ذلك ونهض اليهم فلما رأوه امسكوا
فقال لهم بعضهم العهد يا اخوه القرود اخزاكم الله وانزل بكم نقمته
فقالوا ما كنت جاهلا يا محمد فلا تجهل علينا ونزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة وعرض عليهم سيدهم
كعب ثلث خصال ليختاروا ايها شاؤا اما ان يسلموا ويتبعوا محمدا
على ما جاء به فيسلم فانهم قد تبين لكم انه النبي الذي تجدونه مكتوبا في كتابكم
فتحرزوا اموالكم ونساءكم وابناءكم واما ان
تقتلوا ابناءهم ونساءهم ثم سقدمون فتقاتلون حتى نظهر او نموت اجمعون
واما ان يبيتوا المسلمين ليلة السبت في حيطانهم فيقتلونهم
قتلا فقالوا له اما الاسلام فلا نسلم ولا نخالف حكم التوراة واما قتل
ابنايا ونسايا فما خير هم منا المساكين ان نقتلهم ونحن لا نعتدي
في السبت ثم بعثوا الى ابي لبابة وكانوا حلفا بني عمرو بن عوف وساير
الاوس فاتاهم فجعوا اليه ابناءهم ورجالهم ونساءهم وقالوا له
يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد فقال نعم واشار بيده الى حلقه
انه الذبح ان فعلتم ثم ندم ابو لبابة في الحين وعلم انه خان الله ورسوله
وانه امر لا يستره الله عليه عن نبيه صلى الله عليه وسلم فانطلق
الى المدينة ولم يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فربط نفسه في
سارية واقسم لا يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه فكانت امراته
تحله لوقت كل صلاة فان بعيسه وغيره فيه نزلت يا ايها الذين امنوا
لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم الاية واقسم ان لا يدخل
ارض بني قريظة ابدا مكانا اصاب فيه الذنب فلما بلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم من فعل ابي لبابة قال اما انه لو اتاني لاستغفرت
له واما اذ فعل ما فعل فلست اطلقه حتى يطلقه الله تعالى فانزل الله

في امر ابي لبابة واخوين اعترفوا بذنوبهم الاية فلما نزل فيه القران
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلاقه فلما اصبح بنو قريظة
نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوانت الاوس الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله قد علمت
انهم حلفاؤنا وقد اسعفت عبد الله بن ابي بن سلول في بني النضير
حلفا الخزرج فلا يكن حظنا اوكس وانقص عندك من حظ غيرنا
فهم موالينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الاوس
الا ترضون ان يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن
معاذ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب له خيمة في
المسجد ليعوده من قرب في مرضه من جرحه الذي اصابه في الخندق
فحكم فيهم بان تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والنساء وتقسم اموالهم
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله
تعالى من فوق سبع ارقعة فاخرجوا الى موضع بسوق المدينة اليوم
من بني اسحق فحفر فيها خنادق ثم امر عليه السلام فضربت
اعناقهم في تلك الخنادق وقتل يومئذ حيي بن اخطب وكعب
بن الاسد وكانا رأس القوم وكانوا من الستمائة ما بين الى السبع مائة
وكان على حيي حلة تفاحية قد شقها عليه من كل ناحية كموضع
الانملة انملة انملة ليلا يسلبها مجموعة فلما نظر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويداه الى عنقه بحبل قال اما والله ما لمت نفسي
في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل يا ايها الناس لا بأس بامر الله
كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت
عنقه وقتل من نسائهم امرأة وهي بنانة امرأة الحكم القرظي
التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته وامر رسول الله

وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم

حبر اتاه

قال

صلى الله عليه وسلم بقتل كل من أنبت منهم وترك من لم ينبت وكان
عطية القرظي ممن لم ينبت فاستحياه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مذكور في الصحابة ووهب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لثابت بن قيس بن شماس ولد الزبير بن باطا فاستحياهم منهم عبد الرحمن
بن الزبير اسلم وله صحبة ووهب ايضا عليه السلام رفاعة بن سموال
القرظي لام المنذر سلمى بنت قيس اخت سليط بن قيس من بني النجار
وكانت قد صلت القبلتين فاسلم رفاعة وله صحبة ورواية وروى
وهب بن القاسم عن مالك قال اتى ثابت بن قيس بن شماس الى ابن
باطا وكانت له عنده يد وقال قد استوهبتك من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليدك التي لك عندي قال ذلك يفعل الكريم بالكريم ثم
قال كيف يعيش رجل لا ولد له ولا اهل قال فاتى ثابت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فاعطاه اهله وولده فاتى فاعلمه
فقال كيف يعيش رجل لا مال له فاتى ثابت النبي صلى الله عليه وسلم فطلبه
فاعطاه ماله فرجع اليه فاخبره فقال ما فعل بن ابي الحقيق الذي
كان وجهه مرآة صينية قال قتل قال فما فعل الجلاس يعني بني
كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فما فعلت الفتيان
قال قتلتا قال ربيت ذمتك ولن اصب فيها ذلوا ابدا يعني النخل
فالحقني بهم فاجاز بقتله فقتله غيره واليد التي كانت لابن باطا
عند ثابت انه اسره يوم بعاث فجز ناصيته فاطلقه العاشرة
وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اموال بني قريظة فاسهم
للفارس ثلثة اسهم وللراجل سهما وقد قيل للفارس سهمان وللراجل
سهم وكانت الخيل للمسلمين ستة وثلثين فرسا ووقع
للنبي صلى الله عليه وسلم من سبيهم ريحانة بنت عمرو بن خناقة

احد بني عمرو بن قريظة فلم تزل عنده الى مات صلى الله عليه وسلم
وقيل ان غنيمة قريظة هي اول غنيمة قسم فيها للفارس والراجل
واول غنيمة جعل فيها الخمس وقد تقدم ان اول ذلك كان في
بعث عبد الله بن جحش فالله اعلم قال ابو عمر وتهذيب ذلك
ان تكون غنيمة قريظة اول غنيمة جرى فيها الخمس بعد نزول قوله
واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وان عبد الله بن جحش
قد خمس قبل ذلك في بعثه ثم نزل القرآن بمثل ما فعله وذلك من
فضايله رحمة الله عليه وكان فتح قريظة في اخر ذي القعدة
واول ذي الحجة من السنة الخامسة من الهجرة فلما تم امر بني
قريظة اجيبت دعوة الرجل الفاضل الصالح سعد بن معاذ
فانفجر جرحه وانفتح عرقه فجرى دمه ومات رضي الله عنه
وهو الذي اتى الحديث فيه اهتز لموته عرش الرحمن يعني سكان
العرش من الملايكة فرحوا بقدومه واهتزوا له وقال
بن القاسم عن مالك حدثني يحيى بن سعيد قال لقد نزل لموت سعد
بن معاذ سبعون الف ملك ما نزلوا الى الارض قبلها قال ملك

من الخندق؟

ولم يستشهد يوم الخندق من المسلمين الا اربعة او خمسة قال
الشيخ المصنف رحمه الله الذي يستشهد يقيناً احد من المسلمين

نظر؟

ستة فيما ذكر اهل العلم بالسير سعد بن معاذ ابو عمرو من
بني عبد الاشهل وانس بن اوس بن عتيك وعبد الله بن سهيل
وكلاهما ايضا من بني عبد الاشهل والطفيل بن النعمان وثعلبة
بن غنمة وكلاهما من بني سلمة وكعب بن زيد من بني دينار بن
النجار اصابه سهم غرب فقتله رضي الله عنهم وقتل من
الكفار ثلثة منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار

أصابه سهم مات منه بمكة وقد قيل انما هو عثمان بن أمية بن
منبه بن عبيد بن السباق ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي اقتحم
الخندق فتورط فيه فقتل وغلب المسلمين على جسده فروي عن
الزهري انهم اعطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جسده
عشرة الف درهم فقال لا حاجة لنا لجسده ولا بثمنه فخلى بينهم
وبينه وعمرو بن عبد الدي قتله علي مبارزة وقد تقدم واستشهد
يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو من بني الحرث
بن الخزرج طرحت عليه امراه من بني قريظة رحى فقتلته وما ت في
الحصار ابو سنان بن محصن بن حرثان الاسدي اخو عكاشة بن محصن
فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقبرة بني قريظة التي تداعى
فيها المسلمون للسكنى بها اليوم ولم يصب غيرها ذين ولم يغز كفار
قريش المسلمين بعد الخندق واسند الدارمي ابو محمد في مسنده
انا يزيد بن هارون عن ابن ابي ذيب عن المقبري عن عبد الرحمن بن ابي سعيد
الخدري عن ابيه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوي من الليل
حتى كفينا وذلك قول الله عز وجل وكفى الله المومنين القتال وكان
الله قويا عزيزا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فاقام فصلى
الظهر فاحسن كما كان يصليها في وقتها ثم امره فاقام العصر
فصلاها ثم امره فاقام المغرب فصلاها ثم امره فاقام العشا
فصلاها وذلك قبل ان ينزل فان خفتم فرجالا او ركبانا خرجه

الغزاة؟

النسائي ايضا وقد مضت هذه المسئلة في طه وقد ذكرنا في
هذه الغزاة احكاما كثيرة لمن تاملها في مسايل عشر ثم نرجع
الى اول الاي وهي تسع عشرة اية تضمنت ما ذكرنا قوله
تعالى اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب فارسلنا عليهم ريحا قال

قال مجاهد هي الصبا ارسلت على الاحزاب يوم الخندق حتى اقتلعت قدورهم
وتزعفت فساطيطهم قال للجنود الملايكة ولم تقاتل يومئذ وقيد
وقالت حذيفة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي لنصرة
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بالليل
فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا وروي سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور وكانت هذه الريح معجزة للنبي صلى الله
عليه وسلم والمسلمون كانوا اقربا منها لم تكن بينهم وبينها
الا عرض الخندق وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم بها وجنودا
لم تروها وقرئ بالياء اي لم يروها المشركون قال المفسرون بعث الله
عليهم الملايكة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط
واطفأت النيران واكفأت القدور وحالت الخيل بعضها في بعض
وارسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملايكة في جوانب
العسكر حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا
قال لهم النجا النجا لما بعث الله عليهم من الرعب وكان الله بما
تعملون بصيرا وقرئ يعملون بالياء على الخبر وهي قراءة ابو عمرو والباقون
بالتاء بعني من حفر للخندق والحرز من العدو قوله تعالى اذ
جاءوكم من فوقكم اذ في موضع نصب بمعنى واذكروا كذا واذ فالت
طايفة منهم من فوقكم يعني من فوق الوادي وهو اعلاه من قبل
المشرق جاءته عوف بن مالك في بني نضر وعيينة بن حصن في اهل
نجد وطليحة بن خويلد الاسدي في بني اسد ومن اسفل منكم يعني من
بطن الوادي من قبل المغرب جاءته ابو سفيان بن حرب على اهل مكة
ويزيد بن خشرم على قريش وجاء ابو الاعور السلمي ومعه حيي بن اخطب
اليهودي في يهود بني قريظة مع عامر بن الطفيل من وجه الخندق واذ الاء
زاغت الابصار اي شخصت وقيل مالت فلم تلتفت الى عدو لهول ما شاهدت
من فرط الهول وبلغت القلوب الحناجر اي زالت عن اماكنها من القلوب
حتى بلغت القلوب الحناجر وهي الحلاقيم واحدها حنجرة فلولا ان الحلوق
ضاقت عنها لخرجت قاله قتادة وقيل هو على معنى المبالغة على مذهب
العرب على اضمار كاد قال اذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما اي كادت تقطر ويقال
ان الرية تنتفخ عند الخوف فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة مثلا
ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره وقيل انه مثل مضروب في شدة الخوف
ببلوغ القلوب الحناجر وان لم تزل عن اماكنها مع بقاء الحياة قال معناه
عكرمة وروي حماد بن زيد عن ايوب عن عكرمة قال بلغ فزعها والاظهر
انه اراد اضطراب القلب وضربانه اي كانه لشدة اضطرابه بلغ
الحنجرة والحنجرة والحنجور زيادة النون حد في الخلق تظنون بالله
الظنونا قال الحسن ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن
المؤمنون انهم ينصرون وقيل هو خطاب للمنافقين اي قلتم هلك محمد
واصحابه واختلف القراء في قوله الظنونا والرسولا والسبيلا في آخر
السورة فاثبت الفها في الوصل والوقف نافع وبن عامر وروي
عن ابي عمرو والكسائي تسكنها بخط المصحف مصحف عثمان وجميع
المصاحف في جميع البلدان واختاره ابو عبيد الا انه قال لا ينبغي للقاري
ان يدرج القراءة بعد هذا لكن يقف عليهن والوا ولان الحرف تفعل لك
في قوافي اشعارهم ومصاريعها قال

نحن جلبنا القرح القوافلا نستنفر الاواخر الاوايلا

وقرا ابو عمرو والكسائي وحمزة بحذفها في الوصل والوقف

والجحدبي

معا قالوا الي زايدة في الخط كما زيدت الالف في قوله وه وصعوا
خدالكم فكتبوها كذلك وغير هذا واما الشعر فموضع ضرورة
لخلاف القرآن فانه افصح اللغات ولا ضرورة فيه قال ابن الانباري
ولم يخالف المصحف من قرأ الظنون والسبيل والرسول بغير الف
في الحروف الثلاثة وخطهن في المصحف بالف لان الالف التي هي اطعنا
او الداخله في اول الرسول والظنون والسبيل كفى من الالف المتطرفه
الساخرة كما كفت الف ابي جاد من الف هواز وفيه حجة اخري
ان الالف انزلت منزلة الفتحه وما لحق دعامة للحركة التي
تسبق النية فيه السقوط فلما عمل على هذا كانت الالف
مع الفتحه كالشي الواحد يوجب الوقف سقوطها ويعمل على ان
صورة الالف في الخط لا توجب موضعا في اللفظ وانها كالالف
في يساحران وفي فاطر السموات وفي واعدنا موسي وما يشبههن
مما يحذف من الخط وهو موجود في اللفظ ويثبت في اللفظ وهو
مسقط من الخط وفيه حجة ثالثه هي انه كتب على لغة من يقول
لقيت الرجلا وقري على لغة من يقول لقيت الرجل بغير الف اي
احمد بن يحيي عن جماعة من اهل اللغة انهم رووا عن العرب قام الرجلو
بواو ومررت بالرجلي بيا في الوصل والوقف ولقيت الرجلا بالف
في الحالين وعليها قال الشاعر اسايلة عميرة عن ابيها
خلال الجيش تعترف الركابا فاثبت الالف في الركابا
على هذه اللغة وقال الاخر اذا الجوزا اردفت الثريا
ظننت بآل فاطمة الظنونا وعلى هذه اللغة بني نافع وغيره وقرا
ابن كثير وابن محيصن والكسائي باثباتها في الوقف وحذفها في الوصل
قال ابن الانباري ومن وصل بغير الف ووقف بالف فجايز ان يحتج بان

الالف احتاج اليها عند السكت حرصا على بقاء الفتحة وان الالف
تدغمها وتقوبها قوله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون هنا للتقريب
المكان وهنالك للبعيد وهناك للوسط ويشار به الي الوقت اي
عند ذلك اختبر المؤمنون ليتبين المخلص من المنافق وكان هذا الابتلا
بالخوف والقتال والجوع والحصر والنزال وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا
تحريكا قال الزجاج كل مصدر من المضاعف على فعال الحرف فيه الكسر
والفتح نحو قلقته قلقالا وقلقلا وزلزلوا زلزالا وزلزالا والكسر اجود
لان غير المضاعف على الكسر نحو دحرجته دحراجا وقراة العامه بكسر
الزاي وقراعاصم والحدري زلزالا بفتح الزاي قال ابن سلام اي حركوا
بالخوف تحريكا شديدا وقال الضحاك هو ازاحتهم عن اماكنهم حتى لم
يكن لهم الا موضع الخندق وقيل انه اضطرابهم عما كانوا عليه
فمنهم من اضطرب في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه وهناك
يجوز ان يكون العامل فيه ابتلي فلا يوقف على هنالك ويجوز ان يكون
وتظنون بالله الظنونا فيوقف على هنالك قوله تعالى واذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق وعدنا الله
ورسوله الا غرورا اي باطلا من القول وذلك ان معتب بن قشير
بن قشير وجماعة نحو من سبعين رجلا قالوا يوم الخندق كيف نعد انا
كنوز كسري وقيصر ولا يستطيع احدنا ان يتبرز وانما قالوا ذلك
لما فشي في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عند ضرب الصخره
على ما تقدم في حديث النسائي فانزل الله هذه الاية قوله تعالى
واذ قالت طايفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الطايفة
تقع على الواحد فما فوقه وعني به هنا اوس بن قيظي والاعرابة
بن اوس الذي يقول فيه الشماخ اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
باليمين

ويثرب هي المدينة وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة
وطابة وقال ابو عبيدة يثرب اسم ارض المدينة ناحية منها السهلي
وسميت يثرب لان الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب بن مهليل بن
مهلاييل بن عوص بن عماق بن لاوذ بن ارم وفي بعض هذه الاسما
اختلاف وبنو اميل هم الذين سكنوا الجحفة فاجحفت بهم السيول
فيها وبها سميت الجحفة لامقام لكم بفتح الميم قراة العامة وقرا
حفص والسلمي والمحدري وابو حيوة بضم الميم يكون مصدرا من اقام
يقيم اي لا اقامة او موضعا يقيمون فيه ومن فتح فهو اسم مكان اي
لا موضع لكم تقيمون فيه فارجعوا الى منازلكم امروهم بالهروب
من عسكر النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس قالت اليهود لعبد الله
ابن ابي بن سلول واصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على قتل انفسكم
بيد ابي سفيان واصحابه فارجعوا الى المدينة فانا معكم على القوم فانتم
آمنون قوله تعالى ويستاذن فريق منهم النبي في الرجوع الى
منازلهم بالمدينة وهم بنو حارثة بن الحرث في قول ابن عباس وقال
يزيد بن رومان قال ذلك اوس بن قيظي عن ملا من قومه يقولون
ان بيوتنا عورة اي سايبة ضايعة ليست بحصينة وهي ما يلي
العدو وقيل ممكنة للسراق لخلوتها من الرجال يقال دار معورة
وذات عورة اذا كان يسهل دخولها يقال عور المكان عورا
فهو عور وبيوت عورة واعور فهو معور وقيل عورة ذات
عورة وكل مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو عورة قاله الهروي
وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابو رجا العطاردي بكسر
الواو عورة بتشديد الواو يعني قصيرة الجدران فيها حال يقول
العرب دار فلان عورة اذا لم تكن حصينة وقراءة العامة

عورة

اذا بدا فيه

الضيف

اذا بدا فيه خلل للضرب والطعن قال الشاعر
متى ما تلقهم لم تلق في البيت معورا ولا البيت مفجوعا ولا الجار موهلا
الجوهري والعوره كل خلل تخوف منه في ثغر او حرب النحاس
يقال اعور المكان اذا بينت فيه عورة واعور الفارس اذا بين
منه موضع الخلل العبدوي من كسر الواو في عورة فهو شاذ
ومثله قولهم رجل عور لوز اي لا شيء له وكان القياس ان يعل
فيقال عارة كيوم راح ورجل مال اصلها روح ومول ثم قال
تعالى وما هي بعورة تكذيبا لهم ورد عليهم فيما ذكروه ان يريدون
الا فرارا اي ما يريدون الا الهرب قيل من القتل وقيل من الدين وحكي
النقاش ان هذه الاية نزلت في قبيلتين من الانصار بني حارثة
وبني سلمة وهموا ان يتركوا مراكزهم يوم الخندق وفيهم انزل
الله تعالى اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا الاية فلما نزلت
هذه الاية قالوا والله ما سرنا ما كنا هممنا به اذ الله ولينا
وقال السدي الذي استاذنه منهم رجلان من الانصار من بني
الحارثة احدهما ابو عرابة بن اوس والاخر اوس بن قيظي قال
الضحاك ورجع ثمانون رجلا بغير اذنه قوله تعالى ولو
دخلت عليهم من اقطارها وهي البيوت او المدينة اي من نواحيها
وجوانبها الواحد قطر وهو الجانب والناحية وكذلك القتر
لغة في القطر ثم سيلوا الفتنة لاتوها اليها وجاؤها هذا على
قراءة نافع وابن كثير بالقصر وقرا الباقون بالمد اي لاعطوها من
انفسهم وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقد جاء في الحديث ان
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعذبون في الله ويسئلون
الشرك فكل اعطى ما سالوه الا بلالا وفيه دليل على قراءة المد

من الاعطاء ويدل على قراءة القصر قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من
قبل لا يولون الادبار فهذا يدل على ان توها مقصورا وفي الفتنة هنا
وجهان احدهما سيلوا القتال في العصبية لاسرعوا اليه قاله الضحاك
الثاني ثم سيلوا الشرك لاجابوا اليه مسرعين قاله الحسن وما
تلبثوا بها اي بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا قاله
السدي والقتبي والحسن والفراء اكثر المفسرين اي وما احتبسوا
عن فتنة الشرك الا قليلا ولاجابوا بالشرك مسرعين وذلك
لضعف نياتهم ولفرط نفاقهم فلو اختلطت بهم الاحزاب
لاظهروا الكفر قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي
من قبل غزوة الخندق وبعد بدر قال قتادة وذلك انهم غابوا عن
بدر وما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والنصر فقالوا لئن
اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وقال يزيد بن رومان هم بنو حارثة
همّوا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل
عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها فذكرهم الله لهم الذي اعطوه من
انفسهم وكان عهد الله مسئولا اي مسئولا عنه قال مقاتل والكلبي
هم سبعون رجلا بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة
وقالوا اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط لربي
ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما
تمنعون منه نساءكم وامهاتكم واولادكم ففعلوا فما لنا اذا فعلنا
ذلك يا نبي الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة فذلك
قوله وكان عهد الله مسئولا اي ان الله يسئلهم عنه يوم القيامة
قوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
اي من حضر اجله مات او قتل فلا ينفع الفرار واذا لا تمتعون

الا قليلا اي في الدنيا بعد الفرار الى ان تنقضي اجالكم وكل ما هو آت
قريب وروى الساجي عن يعقوب الحضرمي واذا لا يتمتعون بياء وفي
بعض الروايات واذا لا تتمتعوا نصب باذن الرفع معنى ولا تمتعون
واذا ملغاة وجوز اعمالها فهذا حكمها اذا كان قبلها الواو والفا
فاذا كانت مبتدأة نصبت بها فقلت اذا اكرمك قوله تعالى
قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي يمنعكم منه ان اراد بكم سوءا
اي هلاكا او اراد بكم رحمة اي خيرا او نصرا وعافية ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا اي لا قريبا ينفعهم ولا ناصرا ينصرهم
قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم اي المعترضين منكم
لان يصدوا الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشتق من عاقني
عن كذا اي صدني عنه وعوق على التكثير والقايلين لاخوانهم هلم
الينا على لغة اهل الحجاز وغيرهم يقولون هلم للجماعة وهلمي
للمراة لان الاصل فيها التي للتثنية ضمت اليها ثم حذفت
الالف استخفافا وبنيت على الفتح ولم يجز فيها الكسر ولا الضم
لانها لا تتصرف معنى هلم اقبل فلما اولا يفتان اي منكم من يثبط
ويعوق والعوق المنع والصرف يقال عاقه يعوقه عوقا وعوقه
واعتاقه بمعنى واحد قال عبد الله هم عبد الله بن ابي واصحابه المنافقون
والقايلين لاخوانهم هلم فينا ثلثه اقاويل احدها انهم المنافقون
قالوا للمسلمين ما محمد واصحابه الا اكلة رأس هو هالك ومن
معه فهلموا الينا الثاني انهم اليهود من بني قريظة قالوا لاخوانهم
من المنافقين هلم الينا اي تعالوا الينا وفارقوا محمدا فانه هالك
والثالث ان ابا سفيان ان ظفر لم يبق منكم احدا الثالث ما حكاه ابن
زيد ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بث الرماح والسيوف

فقال اخوه وكان من امه وابيه هلم الي فتبيع بك وبصاحبك
اي فتحاط بك وبصاحبك فقال له كذبت والله لاخبرنه
بما ترى وذهب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجده
قد نزل عليه جبريل عليه السلام بقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين
منكم والقايلين لاخوانهم هلم الينا ذكره الماوردي والثعلبي
ايضا ولفظه قال يزيد هذا يوم الاحزاب انطلق رجل من
عند النبي صلى الله عليه وسلم فوجد اخاه بين يديه رغيف وشواء
ونبيذ فقال انت في هذا ونحن في الرماح والسيوف فقال هلم
الي هذا فقد تبيع لك ولا صحابك والذي يحلف به لا يستقل بها
محمد ابدا فقال كذبت فذهب الي النبي صلى الله عليه وسلم يخبره
فوجده قد نزل جبريل بهذه الاية ولا ياتون البأس الا قليلا خوفا
من الموت وقيل لا يحضرون القتال الا رياء وسمعة **قوله تعالى**
اشحة عليكم اي بخلا عليكم اي بالحفر في الخندق والنفقه في سبيل
الله قاله مجاهد وقتاده وقيل بالقتال معكم وقيل بالنفقه علي
فقرايكم ومساكينكم وقيل اشحة بالغنايم اذا اصابوها قاله
السدي وانتصب على الحال مال الزجاج ونصبه عند الفراء من
اربع وجوه احدها ان يكون على الذم ويجوز ان يكون عنده نصبا
بمعنى يقولون اشحة ويجوز ان يكون بالتقدير والقايلين اشحة
ويجوز عنده ولا ياتون البأس الا قليلا يا تونه اشحة اي اشحة
على الفقرا بالغنيمة جبنا الخامس ولا يجوز ان يكون العامل فيه
المعوقين ولا القايلين لانه لا يفرق بين الصله والموصول بالاخباري
الا قليلا غير تام لان اشحة متعلق بالاول فهو ينصب من اربعة
اوجه احدها ان ينصبه على القطع من المعوقين كانه قال قد

يعلم الله الذين يعوقون عن القتال ويثبطون على الانفاق على فقرا المسلمين
ويجوز ان يكون منصوبا على القطع من القايلين اي وهم اشحة ويجوز
ان ينصبه على القطع ما في ياتون كانه قال ولا ياتون البأس الا جبنا
جبنا ويجوز ان ينصب اشحة على الذم فمن هذا الوجه الرابع
يحسن الوقف على قوله الا قليلا اشحة عليكم وقف حسن ومثله
اشحة على الخير حال من المضمر في سلقوكم وهو العامل فيه فاذا
جا الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه
من الموت وصفهم بالجبن وكذا سبيل الجبان ينظر امينا وشمالا
محددا بصره وبما غشي عليه وفي الخوف وجهان احدهما من القتال
العدو اذا اقبل قاله السدي الثاني الخوف من النبي صلى الله عليه
وسلم اذا غلب قاله بن شجرة رايتهم ينظرون اليك خوفا من
القتال على القول الاول ومن النبي صلى الله عليه وسلم على الثاني تدور
اعينهم لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر الى جهة الخوف
وقيل لشدة خوفهم حذرا ان ياتيهم القتل من كل جهة فاذا ذهب
الخوف سلقوكم بالسنة حداد وحكى الفراء سلقوكم بالصاد
وخطيب مسلاق وصلاق اذا كان بليغا واصل السلق الصوت
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الصالقة والحالقة والشاقة
قال الاعشى فيهم المجد والسماحة والنجدة فيهم والخاطب السلاق
قال قتادة معنى بسطوا السنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة
يقولون اعطنا اعطنا فانا قد شهدنا معكم فعند الغنيمة اشح
قوم وابسطهم لسانا ووقت البأس اجبن قوم واخورهم قال
الحارس هذا قول حسن لان بعده اشحة عليكم وقيل المعنى بالغوا
في مخاصمتهم الاحتجاج عليكم وقال القتبي المعنى اذهبوا كلما بالكلام

الشديد والسلق الاذى ومنه قول الشاعر

ولقد سلقنهم ازنا بنواهد حتى احنينا

اشحة على الخير اى على الغنيمة قال يحيى بن سلام وقيل على المال ان
ينفقوه فى سبيل الله قاله السدى اذا لبك لرعدة اى يغشى عليهم
وان كان ظاهرهم الايمان والنفاق كافر على الحقيقة لوصفهم
تعالى الله عز وجل بالكفر فاحبط الله اعمالهم اى لم يثبهم عليها اذ
لم يقصدوا وجه الله بها وكان ذلك على الله يسيرا لخلل وجهين
احدهما وكان نفاقهم على الله هينا الثانى وقال احباط
عملهم على الله هينا قوله تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
اى لجبنهم يظنون الاحزاب لم ينصرفوا وان كان انصرفوا ولكنهم
لم يبتاعدوا فى السير وان يات الاحزاب اى وان يرجع الاحزاب
اليهم للقتال يودوا لو انهم بادون فى الاعراب فتى ان يكونوا مع
الاحزاب حذرا من القتل وتربصا للدوائر وقرا طلحة بن مصرف
لو انهم بدا فى الاحزاب يقال بادٍ وبدى مثل غازٍ وغدًا ويقال
مثل صائم وصوام بدا فلان يبدو اى خرج الى البادية وفى
البداوة والبداوة بالكسر والفتح واصل الكلمة من البدو وهو
الظهور يسئلون عن انبائكم اى عن اخبار النبى صلى الله عليه وسلم
يتحدثون اما هلك محمد واصحابه اما غلب ابو سفيان ولحزابه
اى يودوا لو انهم بادون سايلون عن انبائكم من غير مشاهدة
القال لشرط جبنهم وقيل هم ايضا لجبنهم يسئلون عن اخبار
المومنين هل اصيبوا وقيل كان منهم فى اطراف المدينة من لم
يحضر الخندق جعلوا يسئلون عن اخباركم ويتمنون هزيمة المسلمين
ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا اى جبنا بالنبل والحجارة على

طريق الرياء والسمعة ولو كان ذلك لله لكان قليله كثيرا قوله
تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة هذا عتاب للمتخلفين
عن القتال اى كان لكم قدوة فى النبى صلى الله عليه وسلم حيث بذل
نفسه لنصرة دين الله فى خروجه الى الخندق والاسوة القدوة
وقراعاصم أُسوة بضم الهمزة الباقون بالكسر على لغة من كسر
فى الواحدة الفرق بين ذوات الواو وذوات اليا فيقولون كسوة
وكسًا وكبية وكبًى الجوهرى والاسوة والاسوة بالضم والكسر
لغتان والجمع إسًى وأُسًى وروى عقبة بن حسان الجرئى عن
مالك بن انس عن نافع عن ابن عمر لقد كان لكم فى رسول الله أسوة
حسنة قال فى جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الخطيب
ابو بكر احمد وقال تفرد به عقبة بن حسان عن مالك ولم اكتبه
الا بهذا الاسناد الثانيه **قوله تعالى** اسوة الاسوة القدوة
والاسوة ما يتاسى به اى يتعزى به فيقتدى به فى جميع افعاله ويتعزى
به فى جميع احواله فلقد شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه
حمزة وجاع بطنه ولم يلف الا صابرا محتسبا وشاكرا راضيا
وعن انس بن مالك عن ابى طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن حجرين خرجه ابو عيسى الترمذى وقال فيه حديث
غريب وقال صلى الله عليه وسلم لما شج اللهم اغفر لقومى فانهم
لا يعلمون قد تقدم لمن كان يرجو الله قال سعيد بن جبير المعنى
لمن كان يرجو لقاء الله بايمانه ويصدق بالبعث الذى فيه جزاء
الاعمال وقيل اى لمن كان يرجو ثواب الله فى اليوم الاخر ولا
يجوز عند الحذاق من النحويين ان يكتب يرجو الا بغير الف اذا

كان لواحد لان العلة التي في الجمع ليست في الواحد وذكر الله كثيرا
خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وقيل ان المراد من قوله لله ولا
تجيزه البصريون لان الغايب لا يبدل من الخاطب وانما اللام من نعم
متعلقه بحسنة واسوه اسم كان ولكم للخبر واختلف فيمن
اريد الخطاب على قولين احدهما المنافقون على ما تقدم من خطابهم
الثاني المومنون لقوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر واختلف
في هذه الاسوه بالرسول عليه السلام هل هي على الايجاب او
على الاستحباب على قولين احدهما على الايجاب حتى يقوم دليل
على الاستحباب الثاني على الاستحباب حتى يقوم دليل على الايجاب
ويحتمل ان تكون الاية في امور الدين وعلى الاستحباب في امور
الدنيا قوله تعالى ولما راى المومنون الاحزاب ومن العرب
من يقول رايت على القلب قالوا هذا ما وعدنا الله يريد قوله تعالى
في سورة البقرة ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم الاية فلما راى الاحزاب يوم الخندق قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله قاله قتادة وقول ثان رواه كثير
بن عبد الله عن عمرو المزني عن ابيه عن جده قال خط رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام ذكرت الاحزاب فقال اخبرني
جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها على قصور الحيرة ومداين
كسرى فابشروا بالنصر فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله
موعد صادق وعدنا بالنصر بعد الحصر فطلعت الاحزاب
فقال المومنون هذا ما وعدنا الله ورسوله ذكره الماوردي
وما وعدنا ان جعلت ما بمعنى الذي فالها محذوفة وان جعلتها
مصدرا لم تحتج الى عايد وما زادهم الا ايمانا وتسليما قال الفرا

وما زادهم النظر الى الاحزاب وقال علي بن سليمان رأي يدل
على الرويه وتانيث الرويه غير حقيقي والمعنى ما زادهم الرويه
الا ايمانا بالرب وتسليما للقضا قاله الحسن ولو قال ما زادوهم
لجاز ولما اشتد الامر على المسلمين وطال المقام في الخندق
قام عليه السلام على التل الذي عليه مسجد الفتح في بعض الليالي
وتوقع ما وعد الله من النصر وقال من يذهب ليا تينا بخبرهم
وله الجنة فلم يجبه احد فقال ثانيا وثالثا فلم يجبه احد
فنظر الى جانبه وقال من هذا فقال حذيفة فقال له تسمع
كلامي منذ الليلة قال حذيفه فقلت يا رسول الله منعني ان
اجيبك الضر والقر فقال انطلق حتى تدخل في القوم فتسمع
كلامهم وتاتيني بخبرهم اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله حتى ترده الي انطلق ولا تحدث شيا
حتى ياتيني فانطلق حذيفه بسلاحه ورفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يا صريخ المكروبين واجيب المضطرين اكشف
همي وغمي وكربي فقد تراحاني وحال اصحابي فنزل جبريل
وقال ان الله سمع دعوتك وكفاك هول عدوك فخر رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وبسط يديه وارخا
عينيه شكرا شكرا كما رحمتني ورحمت اصحابي واجبره
جبريل ان الله مرسل عليهم ريحا فبشر اصحابه بذلك قال
حذيفه فانتهيت اليهم واذا نيرانهم تتقد فاقبلت ريح
شديدة فيها حصبا فما تركت لهم نارا الا اطفاتها ولا بناء
الا طرحته وجعلوا يتترسون من الحصبا وقام ابو سفيان
الى الجاحلته وصاح في قريش النجا النجا وفعل كذلك حيينة

بن حصن والحرث بن عوف والاقرع بن حابس وتفرقت الاحزاب
واصح رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد الى المدينة وبه من
الشعث ما شاء الله فجاءه فاطمة بغسول فكانت تغسل
راسه فاتاه جبريل فقال وضعت السلاح ولم يضعه اهل
السماء ما زلت اتبعهم حتى جاوزت بهم الروحاء قال انهض
الى بني قريظة وقال ابو سفيان ما زلت اسمع قعقعة السلاح
حتى جاوزت الروحاء قوله تعالى من المومنين رجال رفع
بالابتداء وصح الابتداء بالنكرة لانه في موضع النعت فمنهم
من قضى نحبه من في موضع رفع بالابتداء وخبره ومنهم من ينتظر
والنحب في الجوهري والنحب النذر والعهد تقول منه نحبت النحب
بالضم قال الشاعر أنحبت فيقضى امضلال ام باطل
وقال اخر واذا نحبت كلب على الناس انهم احق بناح الماجد المكرم
وقال اخر قد نحب المجد علينا نحبا وروى البخاري ومسلم
والترمذي عن انس قال قال عمي انس بن النضر سميت به ولم
يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر عليه قال
اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه
اما والله ليرانى الله ما اصنع قال فهاب ان يقول غيرها فشهد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد من العام المقابل
فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو اين قال واها لريح
الجنة أجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده
بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت عمتي
الربيع بنت النضر فما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم
ينتظر وما بدلوا تبديلا لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن
صحيح وقالت عايشة رضي الله عنها في قوله تعالى من المومنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية منهم طلحة بن عبيد الله
ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة وفي الترمذي عنه
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل
سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترون على مسئلته
يوقرونه ويهابونه فساله الاعرابي فاعرض عنه ثم ساله فاعرض
عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر فلما راني
النبي صلى الله عليه وسلم قال اين السايل عمن قضى نحبه قال الاعرابي
انا يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه قال هذا حديث حسن غريب
لا نعرفه الا من حديث يونس بن بكير وروى البيهقي عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد
مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه
ودعا له ثم قرا هذه الاية من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه الاية ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهد وا انهم لم يشهد عند الله يوم القيامة فاتوهم
وزوروهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة
الا ردوا عليه وقيل النحب الموت اي مات على ما عاهد عليه
عن ابن عباس والنحب ايضا الوقت والمدة قضى فلان نحبه اذا
مات وقال ذو الرمة عشية فر الحارثيون بعدما قضى نحبه
في ملتقى الهبرة والنحب ايضا الحاجة والهمة يقال

قابلهم مالي عندهم نحب وليس المراد بالاية والمعنى في هذا
الموضع التحبب الذي ذكرنا قدمنا اه لا اي منهم من يبذل نحمده
على الوفا بعهده حتى قتل مثل حمزه وسعد بن معاذ وانس بن
النضر وغيرهم ومنهم من ينتظر الشهادة وما عدلوا
وندرهم وقدروا وعن ابن عباس انه قرا فمنهم من قضى نحبه
ومنهم من ينتظر ومنهم من بدل تبديلا قال ابو بكر الانباري
وهذا الحديث عند اهل العلم مردود لخلافه الاجماع ولان فيه
طعنا على المومنين الرجال الذين مدحهم الله وشرفهم بالصدق
والوفا فما يعرف منهم مغير وما وجد من هذا عنهم مبدل رضي
الله عنهم ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي امر الله بالجهاد
ليجزي الصادقين في الاخره بصدقهم ويعذب المنافقين في
الاخره ان شاء اي ان شاء ان يعذبهم اميتهم على التوبة وان لم
يشا ان يعذبهم تاب عليهم قبل الموت ان الله كان غفورا رحيما
قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا
قال محمد بن عمرو برفعه الى عايشه رضي الله عنها قال الذين كفروا
هاهنا ابو سفيان وعيينه بن بدر رجع ابو سفيان ورجع
عيينه الى نجد ولقي الله المومنين القتال بان ارسل عليهم ريحا
وجنودا حتى رجعوا ورجعت بنو قريظة الى صياصيهم فلقي عزيزا
امر قريظة بالرعب وكان الله قويا امره عزيزا لا يغلب
قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب يعني
الذين عاونوا الاحزاب قريشا وغطفان وهم بنو قريظة وقد
مضى خبرهم من صياصيهم اي حصونهم واحرزها صيصة
قال الشاعر فاصبحت الثيران صرعى واصبحت نساتيم يبتدرن الصياصيا

ومنه قيل لشوكة الحايك التي بها يسوي السداه واللحمة
صيصة قال دريد بن الصمه
بجيت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج المدد
ومنه صيصة الديك التي في رجله وصياصي البقر قرونها لانها
تمتنع بها وربما كانت تركب في الرماح مكان الاسنة ويقال
حد الله صيصته اي اصله وقد قذف في قلوبهم الرعب فريقا
تقتلون وهم الرجال وتاسرون فريقا وهم النساء والذريه
على ما تقدم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا
لم تطوها بعد قال يزيد بن رومان وابن زيده مقاتل يعني خيبر
ولم يكونوا نالوها فوعدهم الله اياها وقال قتادة كنا نتحدث
انها مكة وقال الحسن هي فارس والروم وقال عكرمة كل ارض
تفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شي قديرا فيه وجهان
احدهما على ما اراد بعباده من نعمة او عفو قدير قاله محمد
بن اسحق الثاني على ما اراد ان يفتحه من الحصون والقرى قدير
قاله النقاش وقيل وكان الله على كل شي مما وعدكموه قديرا
لا ترد قدرته ولا يجوز عليه العجز تعالى ويقال ياسرون وتاسرون
بكسر السين وضمها حكاه الفراء **قوله تعالى** يا ايها النبي
قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى قوله
عظيما فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك
قال علماءنا هذه الاية متصله بمعنى ما تقدم من المنع من ابتدا
النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد تاذى بعض ازواجه قيل
سالته شيا من عرض الدنيا وقيل زيادة في النفقة وقيل لغيره
بعضهن على بعض وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم بتاديه

بدلوا اي

الى يمامه

هذه الاية عليهن و تخيير هن بين الدنيا و الاخرة و قال الشافعي
رحمه الله ان ملك زوجة فليس عليه تخييرها و امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يخير نساءه فاخترنه وجملة ذلك
ان الله سبحانه خير النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا
وعرض عليه مفاتيح خزائن الدنيا و بين ان يكون نبيا مسكينا
فشاور جبريل فاشار عليه بالمسكنة فاختارها فلما اختارها
وهي اعلى المنزلتين امره الله جل وعز ان يخير زوجاته فربما كان
فيهن من يكره المقام معه على الشدة شريكا له وقيل ان الذي
اوجب التخيير لاجله ان امراة من ازواجه سالته ما يصوغ لها حلقة
من فضة وطلاها بالذهب و قيل ما لزعفران فابت الا ان يكون من
ذهب فنزلت اية التخيير فخيرهن فقلن اخترنا الله و رسوله
وقيل ان واحدة منهن اختارت الفراق فالله اعلم روى البخاري ومسلم
واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن
على رسول الله فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم
قال فاذن لابي بكر ثم جاء عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى
الله عليه وسلم جالسا حوله نساءه واجما ساكتا قال فقال
والله لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات
عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما
ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة جاء عنقها وقام
عمر الى حفصة جاء عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسال رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او تسعا

وعشرين ثم نزلت عليه هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك حتى بلغ
للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدا بعايشة فقال يا عايشة اني
اريد ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك
قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية قالت افيك يا رسول الله
استشير ابوي بل اختار الله و رسوله والدار الاخرة واسالك
ان لا تخبر امراة من نسايك بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن
الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما
ميسرا وروى الترمذي عن عايشة قالت لما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتخيير ازواجه بدا بي فقال يا عايشة اني ذاكر لك امرا
فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستامري ابويك قالت وقد علم ان ابوي
لم يكونا ليامراني بفراقه قالت ثم قال ان الله يقول يا ايها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا
جميلا حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما فقلت افي هذا استامر
ابوي فاني اريد الله و رسوله والدار الاخرة وفعل ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم مثل ما فعلت قال هذا حديث حسن صحيح قال العلما
وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم عايشة ان تشاور ابويها لانه كان
يحبها وكان يخاف ان يحملها فرط الشباب على ان تختار فراقه ويعلم
من ابويها انهما لا يشيران عليها بفراقه الثانية قوله تعالى
قل لازواجك كان النبي صلى الله عليه وسلم ازواج منهن من دخل بها
ومنهن من عقد عليها ولم يدخل بها ومنهن من خطبها فلم يتم نكاحه
معها فاول من خدرجه بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي
بن كلاب وكانت قبله عند ابي هالة واسمه زرارة بن النباش الاسدي
وكانت قبله عند عتيق بن عايذ ولدت منه غلاما اسمه عبد مناف

فدخل

ولد من ابي هالة هند ابن ابي هالة وعاش الي زمان الطاعون فمات
فيه ويقال ان الذي عاش الي الطاعون هند بن هند وسمعت نادبته
تقول حيزمات واهند بن هنداه واربيب رسول الله ولم يتزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي خديجه غيرها حتي ماتت وكانت
يوم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت اربعين سنة وتوفيت
بعد ان مضي من النبوه سبع سنين قيل عشر وكان لها حين توفيت
خمس وستون سنه وهي اول امراه امنت به وجميع اولاده منها
غير ابراهيم فانه من مارية وتوفيت خديجة فخرجنا بها من منزلها
حتي دفناها بالحجون ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها
ولم تكن بمدينة سنة الجنازة الصلاة عليها ومنهن سوده بنت
زمعة بن قيس بن شمس العامريه أسلمت قديما وبايعت
وكانت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو وأسلم ايضا وهاجرا
جميعا الي ارض الحبشه في الهجرة الثانيه فلما قدما مكة مات
زوجها وقيل مات بالحبشة فلما حلت خطبها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتزوجها ودخل بها بمكة وهاجر بها الي المدينه
فلما كبرت اراد طلاقها فسالته ان لا يفعل وان يدعها في نسائه
وجعلت ليلتها لعايشة حسب ما هو مذكور في الصحيح فامسكها
وتوفيت بالمدينه في شوال سنة اربع وخمسين ومنهن
عايشه بنت ابي بكر الصديق وكانت مسماة بجبير بن مطعم
فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله
دعني اسلمها من جبير سلما رفيقا فتزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث سنين وبنا
بها بالمدينه وهي بنت تسع وبقيت عنده تسع سنين ومات

صلى الله عليه وسلم وهي بنت ثمان عشره ولم يتزوج بكرا غيرها
ومائت سنة تسع وخمسين وقيل تمان وخمسين ومنهن
حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشيه العدويه تزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم طلقها فاتاه جبريل فقال ان الله يامرك
ان تراجع حفصة فانها صوامة قوامة فراجعها قال الواقدي
وتوفيت في شعبان سنة خمس واربعين في خلافه معاوية وهي
ابنة ستين سنه وقيل ماتت في خلافه عثمان بالمدينه ومنهن
ام سلمة واسمها هند بنت ابي أمية المخزوميه واسم ابي امية
سهيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال
سنة اربع زوجها منه ابنها سلمة علي الصحيح وان عمر ابنها صغيرا
وتوفيت في سنة تسع وخمسين وقيل سنه ستين وستين والاول
اصح وصلي عليها سعيد بن زيد وقيل ابو هريرة ودفنت بالبقيع
وهي ابنة اربع وثمانين سنه ومنهن ام حبيبة
رملة بنت ابي سفيان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو
بن امية الضمري الي النجاشي ليخطب عليه ام حبيبة فزوجه
اياها وذلك سنة سبع من الهجرة واصدق النجاشي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربع مائة دينار وبعث بها مع شرحبيل
بن حسنة وتوفيت سنه اربع واربعين وقال الدارقطني
كانت ام حبيبه تحت عبيد الله بن جحش فمات بارض الحبشه
على النصرانية فزوجها النجاشي النبي صلى الله عليه وسلم وامهرها
عنه اربعة الاف درهم وبعث بها اليه مع شرحبيل بن
حسنه ومنهن زينب بنت جحش بن رياب الاسديه وكان
اسمها برة فقالت يا رسول الله بدل اسم ابي فان البره حقيره

زينب وكان اسم ابيها برة
فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لو كان لاحد منا سميناه
باسم رجل منا اهل البيت ولكني قد سميته حشاو الحش اكبر
من البره ذكر هذا الحديث الدارقطني تزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينه في سنة خمس من الهجرة وتوفيت سنه
عشرين وهي بنت ثلاث وخمسين **ومنهن** زينب بنته
خزيمة بن الحرث بن حمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة
الهلالية كانت تسمى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم
تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان على راس احدى
وثلاثين شهرا من الهجرة فمكثت عنده ثمانية اشهر وتوفيت في حياته
في اخر ربيع الاول على راس تسعه وثلثين شهرا ودفنت بالبقيع
ومنهن جويريه بنت الحارث بن ابي ضرار الخزاعية المصطلقه
اصابها في غزوه بني المصطلق وقعت في سهم ثابت بن قيس بن
شماس فكاتبها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها
وذلك في شعبان سنة ست وكان اسمها برّة فسماها رسول الله
صلى الله عليه وسلم جويريه وتوفيت في ربيع الاول سنة ست
وخمسين وقيل سنه خمسين وهي ابنة خمس وستين **ومنهن**
صفية بنت حيي بن اخطب الهارونيه سباها النبي صلى الله عليه
وسلم من خيبر واصطفاها لنفسه واسلمت واعتقها وجعل
عتقها صداقها وفي الصحيح انها وقعت في سهم دحية الكلبي
فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة ارؤس وماتت
في سنة خمسين وقيل سنة اثنين وخمسين ودفنت بالبقيع
ومنهن ريحانه بنت زيد بن عمرو بن خناقة من بني النضير
سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقها وتزوجها في سنة

ست وماتت مرجعه من حجة الوداع فدفنها بالبقيع وقال
الواقدي ماتت سنة ست عشرة وصلى عليها عمر قال ابو الفرج
الجوزي قد سمعت من يقول انه كان وطاها بملك اليمين ولم يعتقها
قال الشيخ المصنف رحمه الله ولعمري والله اعلم لم يذكرها ابو
القاسم عبد الرحمن السهيلي في عداد ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ومنهن ميمونه بنت الحارث الهلاليه تزوجها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسرف على عشرة اميال من مكة وذلك في سنة
تسع من الهجرة في عمرة القضيه وهي اخر امراة تزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقدر الله تعالى انها ماتت في المكان الذي بنا فيه
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ودفنت هناك وذلك
في سنة احدى وستين وقيل ست وستين وقيل سبع وستين فهذه
المشهورات من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ومن اللاتي دخل
بهن رضي الله عنهن **فاما** من تزوجها ولم يدخل بهن
منهن الكلابيه واختلفوا في اسمها فقيل فاطمه وقيل عمره
وقيل العاليه فقال الزهري تزوج فاطمة بنت الضحاك الكلابية
واستعاذت منه فطلقها وكانت تقول انا الشقيه تزوجها
في ذي القعده سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين **ومنهن**
اسماء بنت النعمان بن الجون بن الحرث الكنديه وهي الجونية
قال قتاده لما دخل عليها دعاها فقالت تعال انت فطلقها
وقال غيره هي التي استعاذت منه وفي البخاري قال تزوج النبي صلى الله
عليه وسلم امامة بنت شراحيل فلما دخلت عليه بسط يده اليها
فكانها كرهت ذلك فامر ابا اسيد ان يجهزها ويكسوها ثوبين
وفي لفظ اخر قال لابي اسيد الحقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجونيه

فلما دخل عليها قال هبي لي نفسك فقالت وهل تهب الملكة
نفسها لسوقة فأهوى بيده ليضعها عليها لتسكن فقالت
اعوذ بالله منك قال قد عذت بمعاذ ثم خرج علينا فقال
يا ايا اسيد آكسها رازقيتين ولحقها باهلها ومنهن
قتيلة بنت قيس اخت الاشعث بن قيس زوجها اياه
الاشعث ثم انصرف الحضرموت فحملها اليه فبلغه وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم فردها الى بلاده فارتدت وارتد معه
ثم تزوجها عكرمة بن ابي جهل وجد من ذلك ابو بكر وجدا
شديدا فقال له عمر انها والله ما هي من ازواجه ما خيرها ولا
حجبها ولقد براها الله منه بالارتداد وكان حمزة بن عمرو ان
يكون تزوجها ومنهن ام شريك الازدية واسمها
غزية بنت جابر بن حكيم وكانت قبله عند ابي عمرو بن ابي
سلمى فطلقها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها وهي التي
وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت
حكيم ومنهن خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهلكت قبل ان يصل اليه ومنهن شراف
بنت خليفة اخت دحية تزوجها ولم يدخل بها ومنهن
ليلى بنت الخطيم اخت قيس تزوجها وكان غيورا فاستقاله
فاقالها ومنهن عمرة بنت معاوية الكندية تزوجها
النبي صلى الله عليه وسلم وانكر بعضهم وجود ذلك ومنهن
الغفارية قال بعضهم تزوج امراة من غفار نامرها فنزعت
ثيابها فرأى بياضا فقال الحقي باهلك ويقال انها رأى ابيا
بأبكا ابيه فهاولا التي عقد عليهن ولم يدخل

فارتدوا وارتدت

عائشة

صلى الله عليه وسلم فاما من خطبن فلم يتم نكاحه معهن ومن
وهبت له نفسها فمنهن مهانى بنت ابي طالب واسمها
فاخته خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت انى امراة مصبية
واعتذرت اليه فعذرها ومنهن ضباعة بنت عامر ومنهن
صفية بنت بشامة بن نضله خطبها النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان شئت انا وان شئت زوجك قالت زوجني فارسلها
فلعبتها بنو تميم قاله بن عباس ومنهن ام شريك وقد تقدم
ذكرها ومنهن ليلى بنت الخطيم وقد تقدم ذكرها ومنهن
خولة بنت حكيم بن امية وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم
فاردها فتزوجها عثمن بن مظعون ومنهن جمرة بنت الحرث
بن عوف الذي خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابوها ان بها سوأ
ولم يخبر بها فرجع اليها ابوها وقد برصت وهي ام شبيب بن
البرصا الشاعر ومنهن سوده القرشية خطبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت مصبية فقالت اخاف ان يضعو
حبيبي عند راسك فحمدها ودعالها ومنهن امراة لم يذكر
اسمها قال مجاهد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة
فقالت الا امر ابي فلقيت اباها فاذن لها فلقيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قد اخفنا لحا فاعزل فهاولا جميع
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان له من السراري
سبع بنات مارية القبطية وريحانة في قول قتادة وقال غيره
كان له اربع مارية وريحانة واخرى جعله اصابها في السبي
وجارية وهبتها له زينب بنت جحش الثالثة قوله
تعالى ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ان شرط وجوابه

فتعالين فعلق التخيير على شرط وهذا يدل على ان التخيير والطلاق
المعلقين على شرط صحيحان فينفذان ويضيان خلافا للجهال المبتدعة
الذين يزعمون ان الرجل اذا قال لزوجته انت طالق ان دخلت الدار
انه لا يقع الطلاق ان دخلت الدار لان الطلاق الشرعي هو المنجز
في الحال لا غير الرابعة قوله تعالى فتعالين هو جواب الشرط
وهو فعل جماعة النساء من قولك تعال هو دعاء الى الاقبال اليه
يقال تعال بمعنى اقبل وضع لمنزله جاله ورفعه ثم صار في الاستعمال
لكل داع الى الاقبال واما في هذا الموضع فهو على اصله فان الداعي
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتعكن قد تقدم الكلام في
المتعة وفي امتعكن بضم العين وكذا واسرحكن بضم الحا
على الاستيناف والسراح الجميل هو ان يكون طلاقا للسنة من غير
ضرار ولا منع حق واجب لها الخامسة اختلف العلما في
كيفية تخيير النبي صلى الله عليه وسلم ازواجه على قولين الاول
انه خيرهن اذن الله في البقا على الزوجيه او الطلاق فاخترن البقا
قالته عايشة ومجاهد وعكرمه والشعبي وبن شهاب
وربيعة ومنهم من قال انما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن او بين
الاخره فيمسكهن لتكون لهن المنزلة العليا كما كانت لزوجهن
ولم يخيرهن في الطلاق ذكره الحسن وقتاده ومن الصحابه علي
فيما رواه عنه احمد بن حنبل انه قال لم يخير رسول الله صلى الله
عليه وسلم نساءه الا بين الدنيا والاخره قال الشيخ المصنف
رحمه الله القول الاول اصح لقول عايشة رضي الله عنها لما سيلت
عن الرجل يخير امراته فقالت قد خيرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم افكان طلاقا في رواية فاخترناه فلم نعده طلاقا

في البقره ٢

ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا التخيير المامور
بين البقا او الطلاق ولذلك قال يا عايشة اني ذاكر لك امرا
فلا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك الحديث ومعلوم
انه لم يرد الاستشارة في اختيار الدنيا وزينتها على الاخره فثبت
ان الاستشارة انما وقع في الفرقه والنكاح والله اعلم السادسة
اختلف العلما في المخيره اذا اختارت زوجها فقال جمهور
العلما من السلف وغيرهم وايمة الفتوى انه لا يلزمه طلاق
لا واحده ولا اكثر هذا قول عمر بن الخطاب وعلي وبن مسعود
وزيد بن ثابت وبن عباس وعايشة ومن التابعين عطا ومسروق
وسليمان بن يسار وربيعة وبن شهاب وروي عن علي وزيد
ايضا ان اختارت زوجها فواحدة بائنه وهو قول الحسن البصري
والليث حكاه الخطابي والنقاش عن مالك وتعلقوا بان قوله
اختاري كناية في ايقاع الطلاق فاذا اضافه اليها وقعت طلقة
كقوله انت بائن والصحيح الاول لقول عايشة خيرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعده علينا طلاقا اخرجه
الصحيحان قال بن المنذر وحديث عايشة يدل على ان المخيره اذا
اختارت زوجها لم يكن ذلك طلاقا ويدل على ان اختيارها نفسها
يوجب الطلاق ويدل على معنى ثالث وهو ان المخيره اذا اختارت
نفسها انما تطلقه بملك زوجها رجعتها اذ غير جايز ان يطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما امر الله روي هذا عن عبد
وبن مسعود وبن عباس وبه قال بن ابي ليلى والثوري والشافعي
وروي عن علي اذا اختارت نفسها انها واحدة بائنه وهو
قول ابي حنيفة واصحابه ورواه بن خواز منداد عن مالك وروي

عبيد بن رباب انها اذا اختارت نفسها انها ملات وهو قول
الحسن البصري وبه قال مالك والليث لان الملك انما يكون بذلك
وروي عن علي رضي الله عنه انها اذا اختارت نفسها فليس
بشي وروي عنه انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية الى
السابقة ذهب جماعة من المدنيين وغيرهم ان التمليك
والتخيير سواء والقضاء ما قضت فيهما جميعا وهو قول
عبد العزيز بن ابي سلمة قال ابن شعبان وقد اختاره كثير من
اصحابنا وهو قول جماعة من اهل المدينة قال ابو محمد وعلى هذا
القول اكثر الفقهاء والمشهور من مذهب مالك الفرق بينهما
وذلك ان التمليك عند مالك هو قول الرجل لامراته قد ملكتك
اي قد ملكتك ما جعل الله لي من الطلاق واحدة او اثنتين او ثلاثا
فلما جاز ان يملكها بعض ذلك دون بعض وادعا ذلك كان
القول قوله مع يمينه اذا انكرها وقالت طائفة من اهل المدينة
له المناكرة في التمليك وفي التخيير سواء في المدخول بها والاول قول
مالك المشهور وروي عن حماد عن مالك ان للزوج ان يناكر
المخيرة في البتات وتكون طلقة بائنة كما قال ابو حنيفة وبه
قال ابو الحكم قال ابن حبيب وعليه اكثر اصحابنا وتحصيل مذهب
مالك ان المخيرة اذا اختارت نفسها وهي مدخول بها فهو الطلاق
كله وان انكر زوجها فلا نكرة له وان اختارت واحدة فليس
بشي وانما الخيار البتات اما اخذته واما تركته لان معنى
التخيير التسريح قال الله تعالى في اية التخيير فتعالين امتعكن
واسرحكن سراحا جميلا فمعنى التسريح البتات قال الله
تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان والتسريح

باحسان هي الطلقة الثالثة روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
كما تقدم ومن جهة المعنى ان قوله اختاري او اختاري نفسك
يقتضي ان لا يكون له عليها سبيل اذا اختارت نفسها ولا يملك
منها شيئا اذ قد جعل اليها ان تخرج ما يملكه منها او تقيم
معه اذا اختارته فاذا اختارت البعض من الطلاق لم تعمل
بمقتضى اللفظ وكانت بمنزلة من خير بين شيئين فاختارت
غيرهما واما التي لم يدخل بها فله مناكرتها في التخيير والتمليك
اذا زادت على واحدة لانها بين في الحال المتامنه اختلفت
الرواية عن مالك متى يكون لها الخيار فقال مرة لها الخيار ما دامت
في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض فان لم تختر
ولم تقض شيئا حتى افترقا من مجلسهما بطل ما كان من ذلك اليها
وعلى هذا اكثر الفقهاء وقال مرة لها الخيار ابدا ما لم يعلم انها تركت
ذلك يعلم بان تمكنه من نفسها بوطء او مباشرة فعلى هذا ان
منعت نفسها ولم تختر شيئا حتى له رفعها الى الحاكم ليقع
او تسقط فان ابت اسقط الحاكم تمليكها وعلى القول الاول
اذا احدثت في غير ذلك من حديث او عمل او فتوى ما ليس من
التخيير شيء كما ذكرنا سقط تخييرها واختيار بعض اصحابنا
هذا القول بقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وايضا فان الزوج اطلق لها القول ليعرف الخيار منها فصار
كالعقد بينهما فان قبلته والا سقط كالذي يقول قد وهبت
لك او بايعتك فان قبل والا كان الملك باقيا لحاله هذا قول الثوري
والكوفيين والاوزاعي والليث والشافعي وابي ثور وهو اختيار
ابن القاسم ووجه الرواية الثانية ان ذلك قد صار في يدها وملكته

على زوجها تمليكه اياها فلما ملكت ذلك وجب ان يبقى في يدها
كتمليكه في يد زوجها قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا هو
الصحيح لقوله عليه السلام لعايشة اني ذاكر لك امرا فلا
عليك ان لا تعجلي حتى تستامري ابويك رواه الصحيح وخرجه
البخاري وصححه الترمذي وقد تقدم في اول الباب وهو حجة
لمن قال انه اذا خير الرجل امرأته او ملكها ان لها ان تقضي
في ذلك وان افترقا من مجلسهما نحو هذا عن الحسن والزهري
وقاله ملك في احدى روايته قال ابو عبيد والذي عندنا في هذا
الباب اتباع السنة في عايشة في هذا الحديث حين جعل لها التخاير
الى ان تستامر ابويها ولم يجعل قيامها من مجلسها خروجا
من الامر قال المروزي هذا اصح الاقاويل عندي وقاله ابن المنذر والطحاوي

قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة

فيه بلغت مسايل الاولى قال العلماء لما اختار نساء رسول الله
صلى الله عليه وسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم شكر من الله
على ذلك فقال تكرمة لهن لاجل ذلك النساء من بعد الآية
وبين حكمه في غيرهن وقال وما كان لكم ان توذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وجعل ثواب طاعتهن
وعقاب معصيتهن اكثر مما لغيرهن فقال يا نساء النبي
من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
فاخبر تعالى ان من جا من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بفاحشة
والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك يضاعف
لها العذاب ضعفين لشرف منزلتهن وفضل درجتهن وتقدمهن
على ساير النساء اجمع وكذلك بينت الشريعة في غير ما موضع

بحسب ما تقدم بيانه غير مرة انه كلما تضاعفت الحرمات
فهتكت تضاعفت العقوبات ولذلك ضوعف حد الحر
على العبد والثيب على البكر وقيل لما كان ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم في مهبط الوحي وفي منزل اوامر الله ونواهيه قوي
الامر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن اكثر مما يلزم
غيرهن فضوعف لهن الاجر والعذاب وقيل انما ذلك لعظم
الضرر في جرايمهن ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
تعالى ان الذين يؤذون رسول الله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
واختار هذا القول الكيا الثانية قال فلو قدر الزنا من واحدة
منهن وقد اعاذهن الله عز ذلك لكانت تحد حدين لعظم قدرها
كما يزاد حد الحر على الامة والعذاب بمعنى الحد قال الله تعالى
وليشهد عذابهما طايفة من المومنين وعلى هذا فمعنى الضعفين
معنى المثلين او المرتين وقال ابو عبيدة ضعف الشي يثنى حتى
يكون ثلاثة وقال ابو عمرو فيما حكي الطبري عنه فيضاف اليه
عذابا مثله فيكون ثلثه اعذبه وضعفه الطبري وكذلك
هو غير صحيح وان كان له باللفظ تعلق الاحتمال وكون الاجر مرتين
مما يفسد هذا القول لان العذاب في الفاحشة باذا الاجر في
الطاعة قاله ابن عطية وقال النحاس فرق ابو عمرو بين يضاعف
ويضعف قال يضاعف للمرار الكثيرة ويضعف مرتين وهذا
يضعف لهذا وقال ابو عبيد يضاعف لها العذاب نجعل ثلثه
اعذبه قال النحاس الفرق الذي جا به ابو عمرو وابو عبيدة لا
يعرفه احد من اهل اللغة علمته والمعنى في يضاعف ويضعف
واحد اي نجعل ضعفين كما تقول اذ دفعت الي درهما دفعت اليك

ضعفيه اي مثليه يعني درهمين ويدل على هذا نونها اجرها مرتين
ولا يكون العذاب اكثر من الاجر وقال في موضع اخر اتهم ضعفين
من العذاب اي مثلين وروي عمر عن قتادة بضاعفها العذاب
ضعفين قال عذاب الدنيا وعذاب الاخرة قال القتبي او نصر
الظاهر انه اراد بالضعفين المثلين لانه قال نؤتها اجرها مرتين
فاما في الوصايا لو اوصى لانسان بضعفي نصيب ولده فهو وصية
بان يعطى مثل نصيبه ثلث مرات قاله صايا يجري على العرف فيما
بين الناس وكلام الله يرد تفسيره الى كلام العرب والضعف
في كلام العرب المثل الى ما زاد وليس مقصورا على مثلين قال هذا
ضعف هذا اي مثله وهذا ضعفاه اي مثلاه فالضعف في الاصل
زيادة غير محصورة قال الله تعالى فاولئك لهم جزاء الضعف
ولم يرد مثلا ولا مثلين كل هذا قول الازهري وقد تقدم في النور
الاختلاف في حد من قذف واحدة منهن والحمد لله الشافي قال
ابو رافع كان عمر رضي الله عنه كثيرا ما يقرا سورة يوسف وسورة
الاحزاب في الصبح وكان اذا بلغ يا نساء النبي رفع بها صوته فقيل
له في ذلك فقال اذكرهن العهد قرا الجمهور من يات بالياء وكذلك
من تقنت حملا على لفظ من والقنوت الطاعة وقد تقدم وقرا
يعقوب من ياتي وتقنت بالتاء من فوق حملا على المعنى وقال قوم
الفاحشة اذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط واذا وردت
منكرة فهي سايرالمعاصي واذا وردت مبهمة فهي عقوق الزوج
وفساد عشرته وقالت فرقة بل قوله فاحشة مبينة يعم
جميع المعاصي وكذلك الفاحشة ليف وردت وقرا بن كثير مبينة
بفتح الياء وقرا نافع وابو عمرو بكسرها وقرات فرقة يضاعف

وكسر العين على اسناد الفعل الى الله تعالى وقرا ابو عمرو فيما روى
خارجة يضاعف بالنون المضمومة ونصب العذاب وهذه
قراءة بن كثير وهذه مفاعلة من واحد كطارقت النعل
وعاقبت اللص وقرا نافع وحمزه والكسائي يضاعف بالياء
وفتح العين العذاب رفعا وهي قراءة الحسن بن كثير وعيسى
وقرا بن كثير وبن عامر يضعف وكسر العين للشدة العذاب
نصبا فامثل هذا التضعيف في العذاب انما هو في الاخرة
لان ايتاء الاجر مرتين ايضا في الاخرة وهذا احسن لان نساء النبي
صلى الله عليه وسلم لا ياتين بفاحشة توجب حدا وقد قال
بن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما خانتا في الايمان والطاعة
وقال بعض المفسرين العذاب الذي توعدن به ضعفين هو عذاب
الدنيا وعذاب الاخرة وكذلك الاجر قال بن عطية وهذا ضعيف
اللهم الا ان يكون ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لا تدفع عنهن
حدود الدنيا عذاب الاخرة على ما هي حال الناس عليه بحكم
حديث عبادة بن الصامت وهذا امر لم يرد في ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم ولا حفظ تقدره واهل التفسير على ان الرزق
الكريم الجنة ذكره النحاس **قوله تعالى** يا نساء النبي لستن
كاحد من النساء ان اتقيتن يعني في الفضل والشرف وقال كاحد
ولم يقل كواحدة لان احدا تنفي من المذكر والمونث والواحد
والجماعة وقد يقال على ما ليس بادمي يقال ليس فيها احد لا شاه
ولا بعير وانما خصص النساء بالذكر لان فيمن يقدم اسوة
ومرم وقد اشار الى هذا قتادة وقد تقدم في الاعراف الاختلاف
في المفضل بمن قبله هناك ثم قال ان اتقيتن اي خفتن الله

فبين ان الفضيلة انما تتم لهن بشرط التقوى لما يخص الله من محبة
الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن **قوله تعالى**
ولا تخضعن بالقول في موضع جزم بالنهي لانه مبني على الماضي
هذا مذهب سيبويه اي لا تلن القول لرجل من الله ان يكون قولهن
جزلا وكلاما فصلا ولا يكون على وجه يطمع في القلب علاقة
مما يظهر عليه من اللين كما كانت الخال عليه في نساء العرب من
مخالفة الرجال لترخيم الصوت ولينه مثل كلام البغايا والمومسات
فنهاهن عن مثل هذا **قوله تعالى** فيطمع بالنصب على جواب
النهي الذي في قلبه مرض اي شك ونفاق عن قتادة والسدي وقيل
تشوف للفجور وهو الفسق والغزل قاله عكرمة وهذا اصوب
وليس للنفاق مدخل في هذه الآية وحكى ابو حاتم فيطمع بفتح
الياء وكسر الميم النحاس حسب هذا غلطا وان يكون قرأ فيطمع
بفتح الياء وكسر الميم يعطفه على يخضعن فهذا وجه جيد
حسن ويجوز فيطمع بمعنى فيطمع للخضوع او القول **قوله تعالى**
وقلن قولا معروفا قال ابن عباس امرن بالامر بالمعروف والنهي عن
المنكر والمرأة تندب اذا خاطبت الاجانب وكذا المحرمة
عليها بالمصاورة الى الغلظة في الصوت من غير رفع صوت فان
المرأة مأمورة بخفض الكلام على جهة المعروف هو
الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا المروءة **قوله تعالى**
وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى فيه اربع
مسايل الاولى قوله تعالى وقرن قرأ الجمهور بكسر القاف
وقرأ عاصم ونافع بفتحها فاما القراءة الاولى فقد وجهت احدها
ان يكون من وقر يقر وقارا اي سكن والامر قروا

وللنساء قرن مثل عدن وزن والقول الثاني هو قول السدي ان يكون
من القرار يقال قررت بالمكان بفتح الراء اقر والاصل اقررن بكسر
الراء فحذفت الراء الاولى تخفيفا كما قالوا في ظللت ظلت ومسست
مست وتقلوا حركتها الى القاف واستغني عن الف الوصل لتحرك
القاف قال ابو علي بل على ان ابدلت الراء الثانية كراهة التضعيف كما
ابدلت في قيراط او دينار وتصبر لليا حركة الحرف المبدل منه
فالتقدير اقيرن ثم القي حركة الياء على القاف كراهة تحرك الياء
بالكسر فتسقط الياء لاجتماع الساكنين وتسقط همزة الوصل
لتحرك ما بعدها فيصير قرن واما قراءة اهل المدينة وعاصم فعلى
لغة العرب قررت في المكان اذا اقمت فيه بكسر الراء افر بفتح
من القاف من باب ضرب يضرب لغة اهل الحجاز ذكرها ابو عبيد في الغريب
المصنف عن الكسائي وهو اجل مشايخه وذكرها الزجاج وغيره
والاصل اقررن حذفت الراء الاولى لثقل التضعيف والقيت حركتها
على القاف فتقول قررن قال الفراء هو كما تقول حسست صاحبك
اي هل احسست وقال ابو عمر الزاهد قررت به عينا بالكسر
لا غير من قرة العين ولا يجوز قررت في المكان بالكسر وانما هو قررت
بفتح الراء فما انكره من هذا لا يقدح في القراءة اذا ثبتت عن النبي
صلى الله عليه وسلم فيستدل بما ثبت عنه من القراءة على المعنى
وزعم ابو حاتم ايضا ان قرن لا مذهب له في كلام العرب قال النحاس
واما قول ابي حاتم انه لا مذهب له فقد خولف فيه وفيه مذهبان
احدهما ما حكاه الكسائي والاخر ما سمعت علي بن سليمان يقول
قال هو من قررت به عينا اقر قرة العين اقررن به عينا في سوتكن
وهو وجه حسن الا ان الحديث يدل على انه من الاول كما روي

ان عمارا قال لعائشة رضي الله عنها ان الله قد أمرك ان تقري في
منزلك فقالت يا ابا اليقظان ما زلت قوالا بالحق فقال الحمد لله
الذي جعلني كذلك على لسانك وقرا ابن ابي مليكة واقررن بالف وصل
وراين الاولى بكسر الراء معنى هذه الاية الامر بلزوم البيت
وان كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل غيرهن
فيه بالمعنى هذا لو لم يرد دليلا يخص جميع النساء لكن ورد الشريعة
طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها الا
لضروره على ما تقدم في غير موضع فامر الله تعالى نساء النبي صلى الله
عليه وسلم بملازمة بيوتهن وخاطبهن وقد تقدم (لين)
ونهاهن عن التبرج واعلم ان فعل الجاهلية الاولى فقال ولا تبرجن
تبرج الجاهلية الاولى وقد تقدم معنى التبرج في النور وجه تسميه
اظهار ما ستره احسن وهو ما وجد من السعة يقال في اسنانه
برج اذا كانت متفرقة قاله البرد واختلف الناس في الجاهلية
الاولى فقيل هو الزمن الذي ولد فيه ابرهيم عليه السلام كانت
المراة تلبس الدرع من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها
على الرجال وقال الحكم بن عتيبة ما بين ادم ونوح وهي ثمان مائة
سنه وكانت لهم سير ذميمة وقال ابن عباس ما بين نوح
وادريس الكلبي ما بين نوح وابرهيم قيل ان المراة كانت تلبس
الدرع من اللولو غير مخيط الجانبين وتلبس الثياب الرقاق
ولا تواري بدنها وقالت فرقه ما بين موسى وعيسى الشعبي
ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ابو العالية هي زمان
داود وسليمان كان فيه للمراة قميص من الدر غير مخيط الجانبين
وقال ابو العباس البرد والجاهلية الاولى كما تقول الجاهلية الجهلا

فلو كان النساء في الجاهلية الجهلا يظهرن ما يقبح اظهاره حتى كانت
المراة تجلس مع زوجها وغلمانها فينفرد عنهما بما فوق الازار
الاعلى ويخمر رجليها بما دون الازار الى اسفل وربما سال احدهما
صاحبه البدل وقال مجاهد كان النساء يمشين فذلك التبرج
قال ابن عطية والذي يظهر عندي انه اشار للجاهلية التي لحقتها
فامرن بالقعله عن سير تهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة
الكفرة لانهم كانوا لا غيرة عندهم فكان امر النساء دون زجبة
وجعلها اولى بالنسبة الى ما كن عليه وليس المعنى انهن جاهلية
اخرى وقد اوقع اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام فقالوا
جاهلي في الشعراء وقال ابن عباس في البخاري سمعت ابي يقول في الجاهلية
الاخرى هذا قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا قول حسن ويعترض
بان العرب كانت اهل كشف وضنك في الغالب وان التنعم واظهار
الزينة انما جرى في الازمان السابقة وهي المراد بالجاهلية الاولى وان
المقصود من الاية مخالفة من قبلهن من المشية على تعنيج وتكسير
واظهار المحاسن للرجال الاجنبي ذلك مما لا يجوز شرعا وذلك يشمل
الاقوال والافعال ويعمها فليس من البيوت فان مست الحاجة الى الخروج
فليكن على تبذل وتستر تام والله اعلم قوله تاليه ذكر الثعلبي وغيره
ان عائشة رضي الله عنها كانت اذا قرات هذه الاية بكى حتى تبل
خمارها وذكر ان سودة قيل لها الا تحجين ولا تعتمرين كما تفعل
اخواتك فقالت قد حججت واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي
فالله اري فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى اخرجت جنازتها
رضوان الله عليها قال ابن العربي لقد دخلت بيتها على الف قرية فما رايت
نساء اصون عيالا ولا اعف نساء من نسائنا بلبس التي بها الخليل صلى الله

عليه وسلم بالنار فانى اقمت فيها فما رايت امراة فى طريق نهارا الا
يوم الجمعة فانهن خرجن اليها حتى يقتل المسجد منهن فاذا قضيت
الصلاة وانقلبن الى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن الى الجمعة
الاخرى وقد رايت بالمسجد الاقصى عفايف ما خرجن من معتكفهن
حتى استشهدن فيه الرابعة قالت عطية بكا عايشة
رضى الله عنها انما كان سببه سفرها ايام الجمل وحنيذ قال
لها عمار ان الله امرك ان تقري في بيتك فان العدي تعلق الرافضة
لعنهم الله بهذه الاية على ام المومنين عايشة رضى الله عنها
اذ قالوا انها خالفت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجت
تقود الجيوش وتباشر الحروب وتفتحهم مازق الطعن والضرب
فيما لم يفرض عليها ولا لجوز لها قالوا ولقد حصر عثمان فى الدار
ذلك امرات بر واحلها فعزمت لتخرج الى مكة فقال لها مروان
اقيمي هنا يا ام المومنين وردي هاولا الدعاع فان الاصلاح بين الناس
خير من حجك قال ابن العربي قال علماونا رحمة الله عليهم ان عايشة
رضى الله عنها نذرت الحج قبل الفتنة فلم تر التخلف عن نذرها
ولو خرجت في تلك الكايرة لكان ذلك صوابا لها واما خروجها
الى حرب الجمل فما خرجت لحرب ولكن تعلق الناس بها لما شكوا
اليها ما صاروا اليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس ورجوا
بركتها وطمعوا في الاستجابة منها اذا وقفت الى الخلق وظنت
هي ذلك مقتدية بالله في قوله لا خير في كثير من نجواهم الا من
امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وبقوله وان طايفتان
من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما والامر بالاصلاح مخاطب
به جميع الناس من ذكر وانثى حر او عبد فلم يرد الله بساير ذلك

ان تقع اصلاح ولكن جرت مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى
الفريقين فعمد بعضهم الى النخل فحرقه فلما سقط الحينه ادرك
محمد بن ابي بكر عايشة رضى الله عنها فاحتملها الى البصرة وخرجت
في اثر امراة قد تقدم علي بها حتى اوصلها الى المدينه برة تقية
مجتهدة مصيبة شابه فيما تناولت ماجوره فيما فعلت اذ كل
مجتهد في الاحكام مصيب وقد تقدم في النحل اسم هذا الجمل
وبه يعرف ذلك اليوم قوله تعالى واقمن الصلاة واتين الزكاة
واطعن الله ورسوله اي فيما امرونها انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت قال الزجاج قيل اراد به نساء النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل اراد به نساءه واهله الذين هم اهل بيته على ما ياتي
بيانه واهل نصب على المدح قال وان شيت على البدل قال
ويجوز الرفع والخفض قال النحاس اذا خفض على انه بدل من الكاف والميم
لم يجز عند ابي العباس محمد بن يزيد قال لانه لا يبدل من المخاطب ولا من المخاطب
لانها لا يحتاجان الى تبيين ويظهر كذا تظهيرا مصدر فيه معنى
التوكيد قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة
هذه الالفاظ تدل على ان اهل البيت نساءه وقد اختلف اهل العلم
في اهل البيت من هم فقال عطاء وعكرمة وابن عباس هم زوجاته
خاصة لان رجلا محمدا ذهبوا الى ان البيت اريد به مساكن النبي
صلى الله عليه وسلم لقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن وقالت فرقة منهم
الحسن الكلبي هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة وفي هذا
احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا بقوله تعالى ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ولو كان للنساء خاصة
لكان عنكن ويطهركن الا انه يحتمل ان يكون خرج على لفظ الاهل

كما يقول الرجل لصاحبه كيف اهلك اي امراتك ونساؤك فيقول
هم بخير قال الله تعالى فجميعهن من اهل الله رحمة وبركاته عليكم اهل
البيت والذي يظهر من الاية انها عامة في جميع اهل البيت من الازواج
وغيرهم وانما قال ليطهركم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليا
وحسنا وحسينا كان منهم واذا اجتمع المذكر والمونث غلب
المذكر فاقتضت الاية ان الزوجات من اهل البيت لان الاية فيهن
والمخاطبة لهن يدل عليه سياق الكلام والله اعلم اما ازام سلمة
قالت نزلت هذه الاية في بيتي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كساء خيبري
وقال هاؤلا اهل بيتي وقرا الاية وقال اللهم اذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا قالت ام سلمة وانا معهم يا نبي الله قال انت
على مكانك وانت على خير اخرجه الترمذي وغيره وقال هذا
حديث غريب وقال الثعلبي وقالت ام سلمة ادخلت راسي
في الكساء وقلت انا منهم قال نعم وقال الثعلبي هم بنو هاشم
فهذا على ان البيت يراد به بيت النسب فيكون العباس واولاده
وبنو اعمامه منهم وروي نحوه عن زيد بن ارقم رضي الله عنه وعلى
قول الكلبي يكون قوله واذكرن ابتداء مخاطبة الله عز وجل ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الموعظة وتعديد النعمة بذكر
ما يتلى في بيوتهن من ايات الله والحكمة قال اهل العلم بالتاويل
ايات الله القران والحكمة السنة والصحيح ان قوله واذكرن
منسوق على ما قبله وقال عنكم لقوله اهل فالاهل يذكر
فسما فلو ان كن اناث باسم التذكير فلذلك صار عنكم ولا اعتبار
بقول الكلبي واشباهه فانه يوجد له اشبا في هذا التفسير

ما لو كان في زمان السلف الصالح لسمعوه من ذلك وحذروا عليه
فالايات كلها من قوله يا ايها النبي فلازواجك الى قوله ان الله كان
لطيفا خبيرا منسوق بعضها على بعض فكيف صار في الوسط
كلاما منفصلا لغير هذا شيء جرا في الاخبار ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه هذه الاية دخل عليه علي فاطمة
والحسن والحسين فعد النبي صلى الله عليه وسلم الى كسا فالقاها عليهم
ثم الوى بيده الى السما فقال اللهم هاؤلا اهلي اللهم اذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا فعده دعوة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد نزول الاية احب ان ادخلهم في الاية التي خوطب بها الازواج
فذهب الكلبي لطايفة فصيرها لهم خاصة وهي دعوة لهم خارجة
من التنزيل الى ما فيه لفظ الذكر فحمل ثلثه معان الى اذكرن موضع
النعمة اذ صير كن الله في بيوت يتلى فيها ايات الله والحكمة الثاني
اذكرن ايات الله واقدرن قدرها وفكرن فيها حتى تكون منكن على
بال لتتعظن بواعظ الله ومن كان هذا حاله ينبغي ان يحسن افعاله
والثالث اذكرن يعني احفظن واقرأن ازواجه الا لسنة
فكانه يقول واحفظن لوامر الله ونواهيه وذلك هو الذي يتلى
في بيوتهن من ايات الله فامر سبحانه ان يخبرن ما ينزل من القران
في بيوتهن وما يرين من افعال النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعن من
اقواله حتى يبلغن ذلك الى الناس ويعملن عليه ويقتدون به فدل
على جواز قبول خبر الواحد من الرجال والنسا في الدين اشا لله
قال ابن العربي في هذه الاية فضيلة بديعة وهي ان الله تعالى امر
نبيه عليه السلام بتبليغ ما انزل عليه من القران وتعليم ما على
من الدين فكان اذا قرا على احد ما اتفق سقط عنه الفرض وكان

على من سمعه ان يبلغه الى غيره ولا يلزمه ان يذكره لجميع الصحابة
ولا كان عليه اذا علم ذلك ان يخرج الى الناس فيقول لهم نزل
كذا ولا كان كذا ولهذا قلنا يجوز العمل لخبر بشرة في الجماع
الوضوء من مس الذكر لانها روت ما سمعت وبلغت ما هو حجة
ولا يلزم ان يبلغ ذلك الرجال كما قال ابو حنيفة على انه قد نقل عن
سعد بن ابي وقاص وابن عمر قوله تعالى ان المسلمين
والمسلمات الاية فيه مسلتان الاولى روى الترمذي من حديث عمارة
الانصارية انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما ارى كل شيء
الا للرجال وما ارى النساء يذكرن بشيء فنزلت هذه الاية ان المسلمين
والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاية هذا حديث حسن غريب
وللمسلمين اسم ان المسلمات عطف عليه ويجوز رفعهن عند
البصريين واما الفراء فالجر عنده الا فيما لا يتبين فيه الاعراب
الثانية بدا تعالى في هذه الاية بذكر الاسلام الذي هو الايمان
وعمل الجوارح ثم ذكر الايمان تخصيصا له وتنبيها على انه عظم الاسلام
ودعامته والقانت العابد المطيع والصادق معناه فيما هو هو عليه
ان يفي به والصابر عن الشهوات وعلى الطاعات في المكره والمنشط
والخاشع الخائف لله والمتصدق بالفرض والنفل وقيل بالفرض خاصة
والاول امدح والصايم كذلك والحافظين فروجهم والحافظات
اي هما لا يحل من الزنا وغيره وفي قوله والحافظات حذف يدل
عليه المقدر تقديره والحافظاتها فاكتفى بما تقدم وفي الذاكرات
ايضا مثله ونظيره قول الشاعر

وهتا مرماة كأن متونها جرى فوقها واستشعرت لونا ذهب

وروي بسببه لون مذهب بالنصب وانما جوز الرفع على حذف

الها كانه قال واستشعرته فيمن رفع لونا والذاكر قيل في ادبار
الصلوات وغدوه وعشيا وفي المضاجع وهذا الاشباه من الفوائد
وقد تقدم هذا كله منصلا في مواضعه وما يترتب عليه من الفوائد
والاحكام فاغنى عن الاعادة والحمد لله قال مجاهد لا يكون ذاكرا
لله جل وعز كثيرا حتى يذكره قايما وجالسا ومضطجعا وقال ابو
سعيد الخدري من ايقظ اهله بالليل وصليا اربع ركعات كتبا
من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات قوله تعالى وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم
فيه اربع مسايل الاولى روى قتادة وابن عباس ومجاهد في سبب
نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت
جحش وكانت بنت عمته فظنت ان الخطبة لنفسه فلما بين
انه يريدها لزيد كرهت وابت وامتنعت فنزلت الاية فاذعنت
زينب حينيذ وتزوجته في رواية فامتنعت وامتنع اخوها
عبد الله لنسبها من قريش وان زيدا كان بالامس عبدا الى ان نزلت
هذه الاية فقال له اخوها مرني بما شيت فزوجها من زيد وقيل
انها نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت وهبت
نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد بن حارثة
فكرهت ذلك هي واخوها وقالوا انما اردنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فزوجنا غيره فنزلت الاية بسبب ذلك فاجابا
الثانية قال زيده قال الحسن ليس لمؤمن ولا مؤمنة اذا
حكم الله جل وعز ورسوله صلى الله عليه وسلم بامر ان يعصياه
الثالثة انبه لفظة ما كان وما ينبغي ونحوها معناها الحظر
والمنع فيحمى لحظر الشيء والحكم بانه لا يكون كما في هذه الاية

وربما كان امتناع ذلك الشيء عقلا كقوله ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها وربما كان العلم بامتناعه شرعا كقوله وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا وربما كان في المندوبات كما تقول ما كان
لك ما فلان ان تترك النوافل ونحو هذا الثالثة في هذه الاية دليل
بل نص في ان الكفاءة لا تعتبر في الاحساب وانما تعتبر في الاديان
خلافا لمالك والشافعي في المشهور وتحرير ذلك ان الله تعالى لما زوجت
في قريش تزوج زيد زينب بنت جحش وتزوج المقداد بن الاسود
ضباعة بنت الزبير وزوج ابو حذيفة سالما من هند بنت
الوليد بن عتبة وتزوج بلال اخت عبد الرحمن بن عوف وقد تقدم
هذا المعنى في غير موضع الرابعة قوله تعالى ان يكون لهم
الخيرة قرا الكوفيون ان يكون بالياء وهو اختيار ابي عبيد لانه قد
فرق بين المؤنث فجعله الباقون بالتاء لان اللفظ مؤنث فجعله حسن
والتذكير على ان الخيرة بمعنى التخير فالخيرة مصدر بمعنى الاختيار
وقرا ابن السميفع الخيرة باسكان الياء هذه الاية في ضمن قوله تعالى
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ثم توعد تعالى واخبر ان من يعص
الله ورسوله فقد ضل وهذا دليل على ان ما ذهب اليه الجمهور
من قفها بنا وفقها اصحاب الشافعي بعض الاصوليين من ان
صيغة افعل للوجوب في اصل وضعها لان الله تبارك وتعالى
نفى خيرة المكلف عند سماع امره وامر رسوله ثم سمى من
يجعل له خيرة عند صدور الامر اسم المعصية ثم
بذلك الضال فدل على ان حمل الامر على الوجوب والله اعلم
واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الى قوله مفعولا فيه
تسع مسايل روى الترمذي عن علي بن حجر عن داود بن الزبرقان

الاولى

الزبرقان عن

حادي عشر

مزاحم عن الشعبي عن عايشة قالت لو كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول
للذي انعم الله عليه يعني بالاسلام وانعمت عليه بالعتق فاعتقته
امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه الى قوله وكان امر الله مفعولا
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها قالوا تزوج حليلة
ابنه فانزل الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله
وخاتم النبيين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه وهو
صغير فلبث حتى صار رجلا يقال له زيد بن محمد فانزل الله ادعوهم
لابايهم هو اقسط عند الله قال ابو عيسى هذا حديث قد روي
عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن مسروق عن عايشة قالت لو كان
النبي صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه هذا الحرف لم يذكره بطوله قال الشيخ
المؤلف رحمه الله هذا القدر هو الذي اخرجه مسلم في صحيحه وهو
الذي صححه الترمذي في جامعه وفي البخاري عن انس نحو من هذه
الاية وتخفي في نفسك ما الله مبديه نزلت في شان زينب بنت
جحش وزيد بن حارثة وقال عمرو بن مسعود وعايشة والحسن
ما انزل الله على رسوله اية اشد عليه من هذه وقال الحسن وعايشة
لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه
الاية لشدة ما عليه وروي في الخبر انه اتى منزل زيد فاذي الى داره شيء
فقالت زينب لم يستطعني زيد وما امتنع منه غير ما منعه
الحسن البصري على هذه رواية ابي عصمة نوح بن ابي مريم رفع
الحديث الى زينب انما قالت ذلك وفي بعض الروايات ان زيدا

تؤذيه بذلك منه حين اراد ان يتزوجها فهذا قرب مزارك وجاء
زيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان زينب تؤذيني بلسانها
وتفعل وتفعل واني اريد ان اطلقها فقال له امسك عليك زوجك
واتق الله الاية فطلقها زيد فنزلت واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه الاية واختلف الناس في تاويل هذه الاية فذهب
قتاده وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم الطبري وغيره الى
ان النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزينب بنت جحش
وهي في عصمة زيد وكان حريصا على ان يطلقها زيد فيتزوجها فلما
ثم ان زيدا لما اخبره بانه يريد فراقها ويشكو امرها غلظ قول
وعصيان امره واذى اللسان وتعظمها بالشرف قال له اتق الله اي
فيما تقول عنها وامسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص على
من طلاق زيد اياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه ولكنه لزم ما
يجب الامر بالمعروف وقال مقاتل نزوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم زينب بنت جحش من زيد فمكثت عنده حينا ثم انه عليه
السلام اتى زيدا يوما يطلبه فابصر زينب قائمة وكانت بيضاء
جميلة جسيمة من اتم نساء قريش فهويها وقال سبحان الله مقلب
القلوب فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن زيد
فقال يا رسول الله ايذن لي في طلاقها فان فيها كبرا تعظم علي وتؤذيني
بلسانها فقال عليه السلام امسك عليك زوجك واتق الله وقيل
ان الله بعث ريحا فرفعت الستر وزينب متفضلة في منزلها
فراى زينب فوقعت في نفسه ووقع في نفس زينب انها وقعت
في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لما جاء في نفسها
زيد فاخبرته بذلك فوقع في نفس زيد ان يطلقها وقال ابن عباس

وطلقها؟

وتخفي في نفسك الحب لها وتخشى الناس اي تستحيهم وقيل تخاف
وتكره لامة المسلمين لو قلت طلقها رجلا يطلق امراته
ثم نكحها حين طلقها والله احق ان تخشاه في كل الاحوال وقيل والله
احق ان تستحيي منه ولا امر زيدا بامساك زوجته بعد ان اعلمك
الله انها ستكون زوجتك فعاتبه الله على جميع ذلك هذا وروي
عن علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اوحي الله اليه ان
زيدا يطلق زينب وانها ستكون من ازواجه فلما جاء زيد يشكوها قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الادب والوصية اتق الله
في قولك وامسك عليك زوجك وهو يعلم انه سيفارقها ويتزوجها
وهذا هو الذي اخفى في نفسه ولم يبده انه يامره بالطلاق لما علم انه
سيتزوجها وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلحقه قول
من الناس في ان زوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها
فعاتبه الله على هذا القدر من خشي الناس في شيء قد اباحه الله له
بان قال امسك مع علمه بانه يطلق واعلمه ان الله احق بالخشية
اي في كل حال قال علماؤنا فهذا القول احسن ما قيل في هذه
الاية وهو الذي عليه اهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين
كالزهري والقاضي بكر بن العلا القشيري والماضي ابو بكر بن الفرج
وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس انما هو ارجاف المنافقين
بانه نهى عن تزوج حليلة الابناء وتزوج بزوجة ابنه فاما ما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم هوى زينب امراة زيد وربما اطلق بعض
المجان لفظ عشق فهذا انما يصدر عن جاهل بعصمة النبي صلى الله عليه
وسلم عن مثل هذا او مستخف بحرمته قال الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
واسند الى علي بن الحسين قوله فعلي بن حسين جاء بهذا من خزانة العلم

جوهرًا من الجواهر وذرًا من الدرر انه انما عتب الله عليه في انه قد
اعلمه ان ستكون هذه من ازواجك وكيف قال بعد ذلك هذا الذي
امسك عليك زوجك واخذت خشية الناس ان تقول انه تزوج
امرأة ابنه والله احق ان تخشاه وقال النحاس قال بعض العلماء ليس
هذا من النبي صلى الله عليه وسلم خطيئة الا ترى انه لم يؤمر بالتوبة
ولا بالاستغفار منه وقد يكون الشيء ليس بخطيئة الا ان غيره احسن
منه واخفى ذلك في نفسه خشية ان يقول الناس الثانية قال
ابن العربي قال قيل لاي معنى قال له امسك عليك زوجك وقد اخبره
الله انها زوجه فلما اراد ان يختبر منه ما لم يعلمه الله من رغبته فيها
او رغبته عنها فأبدا له زيد من النفرة عنها والكراهة فيها
ما لم يكن علمه منه فأمرها فان قيل كيف يأمره بالتمسك بها وقد
علم ان الفراق لا بد منه وهذا تناقض قلنا بل هو صحيح للمقاصد
الصحيحة كاقامة الحجة ومعرفة العاقبة الا ترى ان الله تعالى امر
العبد بالايمان وقد علم انه لا يؤمن فليس في مخالفة متعلق الامر
متعلق العلم ما يمنع من الامر به عقلا وحكما وهذا من نفيس العلم
فتقبلوه وتقبلوه وقوله واتق الله اي في طلاقها فلا تطلقها واراد
نهي تنزيه لا تحريم فان الاولى ان لا يطلق وقيل اتق الله فلا تدمها
بالنسبة الى الكبر واذى الزوج وخفي في نفسك قيل تعلق
قلبه وقيل مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها
لان الله قد اعلمه بذلك الثالثة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لزيد ما اجد في نفسي او ثوقك فاخطب زينب علي قال
فذهبت ووليتها ظهري توقير النبي صلى الله عليه وسلم وخطبتها
ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر ربي فقامت

ونزل القرآن فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها قال الشيخ
المؤلف رحمه الله معنى هذا الحديث ثابت في الصحيح وترجم النسائي
صلاة المرأة اذا خطبت واستخارتها ربها وروى الائمة واللفظ
لمسلم عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لزيد فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي
تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع
ان انظر اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها
ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر
ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فقال ولقد رأيتنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار الحديث
في رواية حتى تركوه وفي رواية عن انس ايضا قال ما ربت رسول الله
صلى الله عليه وسلم أولم على امرأة ما اولم على زينب فانه ذبح
شاة قال علماؤنا فقوله عليه السلام لزيد فاذكرها علي أي اخطبها
كما بينه الحديث الاول وهذا امتحان لزيد واختبار له حتى يظهر
صبره وانقياده وطوعه قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد
يستنبط من هذا ان يقول الانسان لصاحبه اخطب علي فلانة لزوجه
المطلقه منه ولا حرج في ذلك والله اعلم الرابعة لما وكلت
امرها الى الله وصح تفويضها اليه تولى الله انكاحها ولذلك
قال فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وروي جعفر بن
بن محمد عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وطرا زوجتكها
ولما اعلمه الله بذلك دخل عليها بغير اذن ولا تجديد عقد ولا

تقدير صداقه ولا شيء مما يكون شرطا في حقوقها ومشروعا لنا
وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها احد
باجماع من المسلمين ولهذا كانت زينب تفاخر نساء النبي صلى
الله عليه وسلم وتقول زوجكن اباكن وزوجني الله تعالى
وسياتي اخرجه النسائي عن انس بن مالك قال كانت زينب
تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم تقول ان الله عز وجل انكحني
من السماء وفيها نزلت اية الحجاب الخامسة المنعم عليه في
هذه الاية هو زيد بن حارثة كما بيناه وقد تقدم خبره في اول
السورة وروي ان عمه لقيه يوما وكان ورد مكة في شغل
له فقال ما اسمك يا غلام قال زيد قال بن من قال بن حارثة قال
بن من قال بن شراحيل الكلبي قال فما اسم امك قال سعدى وكنت
فيما حكي قضمه الى صدره وارسل الى اخيه وقومه فحضروا
واراد وامنه ان يقيم معهم فقالوا من انت قال محمد بن عبد الله فاتوه
وقالوا هذا ابننا فمره علينا فقال اعرض عليه فان اختاركم
فخذوا بيده فبعث الى زيد وقال هل تعرف هاولا قال نعم هذا ابي
وهذا اخي وهذا عمي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاي صاحب
كنت لك فبكى وقال لم سالتني عن ذلك قال لخيرك فان اجبت
ان الحق بهم فالحق وان اردت ان تقيم فانا من قد عرفت فقال
ما اختار عليك احدا فجذبه عمه وقال يا زيد اخترت العبودية
على ابيك وعمك فقال اي والله العبودية عند محمد احب الي
من ان اكون عندكم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
اني وارث وموروث فلم يزل يقال زيد بن محمد الى ان نزل قوله
تعالى ادعوهم لابائهم ونزل ما كان محمد ابا احد من رجالكم

السادسة قال الامام ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي رضي الله
عنه كان يقال زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لابائهم فقال انا زيد
بن حارثة وحرم عليه ان يقول انا زيد بن محمد فلما نزع عنه هذا
الشرف وهذا الفخر منه وعلم الله وحشمته من ذلك شرفه
بخصيصة لم يكن يخص بها احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وهي انه سماه في القرآن فقال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا يعني من
زينب ومن ذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرآنا يتلى
في المحاريب نوه به غاية التنويه فكان في هذا ما ينسيه ويعوض
من الفخر بابوة محمد صلى الله عليه وسلم له الا ترى الى قول ابي بن كعب
حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد امرني ان اقرأ عليك سورة
كذا فبكى وقال او ذكرت هناك وكان بكاؤه من الفرح حين لجبر
ان الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى مخلدا لا يبيد يتلوه
اهل الدنيا اذا قرؤا القرآن واهل الجنة كذلك ابدا لا يزال على الستة
المؤمنين كما لم يزل مذكورا على الخصوص عند رب العالمين في القرآن
كلام ابن قتيبة القديم وهو باق لا يبيد فاسم زيد هذا في الصحف المكرمة
المرفوعة المطهرة تذكره في الملاء الاعلى السفرة الكرام البررة وليس
ذلك لاسم من اسماء المؤمنين الا لنبي من الانبياء ولزيد بن حارثة تعويضا
من الله له مما نزع عنه وزاد في الاية ان قال واذ تقول للذي انعم الله
عليه اي بالايمان فدل على انه من اهل الجنة علم ذلك قبل الموت ان لم يمت
وهذه فضيلة لخرى السابعة قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا كل حاجة
للمرء فيها همة والجمع الاوطار قال بن عباس اي بلغ ما اراد من حاجته
معنى الجماع وفيه اضمار اي لما قضى وطره منها وطلقها زوجناكها
وقراة اهل البيت زوجتكها وقيل الوطر عبارة عن الطلاق قاله قتادة

وسياتي

وطرا

الما منه ذهب بعض الناس من هذه الامة ومن قول شعيب اني اريد
ان انكحك الى ان ترتيب هذا المعنى في الامور ينبغي ان يكون انكحه اياها
فيقدر ضمير الزوج كما في الايتين وكذلك قوله عليه السلام لصاحب
الرداذ هب فقد انكحتكها بما معك من القرآن قال ابو عطية وهذا
خطأ لازم لان الزوج في الاية مخاطب فحسن تقديمه وفي الامور الزوجان
التاسعة قوله تعالى زوجناكها دليل على ثبوت الولي في النكاح
وقد تقدم الخلاف في ذلك روي ان عايشة وزينب تفاخرتا فقالت
عايشة انا التي جاء بي الملك الى النبي صلى الله عليه وسلم في سرقة من
حرير فيقول هذه امرأتك اخرجه الصحيح وقالت زينب انا التي
زوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاد لعليك بثلث ما من نسايك
امراة تدل بهن زجدي وجدك واحد وان الله انكحك اياي من السما
وان السفير في ذلك جبريل وروي عن زينب انها قالت لما وقعت
في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستطعني زيد وما امتنع
منه غير ما منعه الله تعالى مني فلا يقدر علي قوله تعالى
سنة الله في الذين خلوا من قبل هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الامة
اعلمهم ان هذا ونحوه من السنن الاقدم في الانبيا ان يتناولوا ما احله لهم
اي سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه في النكاح سنة
الانبيا الماضية كداود وسليمان وكان لداود مايا امراة وثلث مايه
سرية ولسليمان ثلث مايا امراة وسبع مايا سريه وذكر الثعلبي
عن مقاتل وابن الكلبي ان الاشاره الى داود عليه السلام حيث جمع
الله بينه وبين من فتن بها وسنة نصب على المصدر اي سن الله له
سنة واسعة والذين خلوا هم الانبيا بدليل وصفهم بعد بقوله

الذين يبلغون رسالات الله قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من
رجالكم الى قوله عليما فيه ثلث مسايل الاولى لما تزوج زينب قال الناس
تزوج امراة ابنه فنزلت الاية اي ليس هو بابنه حتى يحرم عليه حليلته
ولكنه ابو امته في التبجيل والتعظيم وان نساءه عليهم حرام فاذهب الله
بهذه الاية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم واعلم ان محمدا لم يكن ابا
احد من رجال المعاصرين له في الحقيقة ولم يقصد بهذه الاية ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يكن له ولد فقد ولد له ذكور ابراهيم والقاسم والطيب
والمطهر ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلا واما الحسن والحسين قوله تعالى
فكانا طفلين لم يكونا رجلين معاصرين له الثانية ولكن رسول الله
قال الاخفش والفراي ولكن كان رسول الله وأجاز ولكن رسول الله وأجاز
وخاتم بالرفع وكذلك قرأ ابن ابي عبلة وبعض الناس ولكن رسول الله
بالرفع على معنى هو رسول الله وخاتم النبيين وقرأت فرقة ولكن بشد
النون ونصب رسول الله على انه اسم كان والخبر محذوف وخاتم قرأ
عاصم وحده بفتح التا بمعنى انهم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لغير
وقرأ الجمهور بكسر التا بمعنى انه ختمهم اي جا آخرهم وقيل الخاتم
والخاتم لغتان مثل طابع وطابع ودانق ودانق وطابق وطابق في اللحم
الثالثة قال ابو علية هذه الالفاظ عند جماعة علما الامة خلفا وسلفا
متلقاة على العموم التام مقتضية نصا انه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم
وما ذكره القاضي ابو الطيب في كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال
في الفاظ هذه الاية ضعيف وما ذكره الغزالي في هذه الاية هذا المعنى
في كتابه الذي سماه بالاقتصاد الحاد عندي وخروج حيث الى
تشويش عقيدة المسلمين فختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوة فلا خبر
الخبر منه والله الهادي برحمته قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد روى

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا نبوة تبقى بعدي الا ما شاء الله قال
ابو عمر يعني الرويا او الله اعلم التي هي جزء منها كما قال ليس بقي بعدي
من النبوة الا الرويا الصالحة وقرا ابن مسعود من رجالكم ولكن نبيا
ختم النبيين قال المازري خص به عليه السلام الاستصلاح فمن لم
يصلح به فيؤمن من صاحبه قال الشيخ المصنف رحمه الله ومن هذا
المعنى قوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وفي صحيح مسلم
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبيا
كمثل رجل بنى دارا فاتمها واحكمها الا موضع لبنة فجعل الناس
يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لو لا موضع اللبنة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانا موضع اللبنة جيء بي فختمت الانبيا ونحوه
عن ابي هريرة خبرانه قال فانا اللبنة وانا خاتم النبيين قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا الاية امر الله تعالى عباده
بان يذكروه ويشكروه ويكثروا من ذلك على ما انعم به عليهم وجعل
تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد ولعظيم الاجر فيه قال
ابن عباس لم يعذر احد في ترك ذكر الله الا من غلب عن عقله وروي
ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا
مجنون وقيل الذكر الكثير ما جرى على اللسان من القليل والقليل ما
يقع على حكم الاتفاق كالذكر بالاسحار قوله تعالى وسبحوه بكرة
واصيلا اي اشغلوا السنتكم في معظم احوالكم بالتسبيح والتهليل
والتحميد والتكبير قال مجاهد وهذه كلمات يقولهن الطاهر
والمحدث والجنب وقبل ادعوه قال الحرير

فلا تنس تسبيح الضحى ان يوسفا دعا ربه فاجتاره حين سبحا

وقيل المراد صلوا لله بكرة واصيلا والصلاة تسمى تسبيحا وخص
الفجر والمغرب والعشا بالذكر انها احق بالتحريض عليها لاشتغالها
باطراف الليل وقال قتادة والطبري الاشارة الى صلاة الغداة وصلاة
العصر والاصيل العشي وجمعه اصايل والاصل يعني الاصيل جمعه
اصال قاله السيرد وقال غيره اصل جمع اصيل كرغيف ورغف
وقد تقدم حسله هذه الاية مدنيه فلا تعلق بها لمن زعم ان
الصلاة انما فرضت اولا صلاتين في طرفي النهار والرواية بذلك
ضعيفة فلا التفات اليها ولا معول عليها وقد مضى الكلام في كيفية
فرض الصلاة وما للعلما في ذلك في سحن والحمد لله قوله تعالى
هو الذي يصلي عليكم الاية قال ابن عباس لما نزل ان الله وملايكته يصلون
على النبي قال المهاجرون والانصار هذا لك يا رسول الله خاصة وليس
لنا فيه شي فانزل الله هذه الاية قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذه
نعمة من الله تعالى على هذه الامة من اكبر النعم ودليل على فضيلتها
على سايرالامم وقد قال كنتم خير امة اخرجت للناس والصلاة من
الله على العبد هي رحمته له وبركته لديه وصلاة الملايكة دعاؤهم
للمومنين واستغفارهم لهم كما قال ويستغفرون للذين امنوا وسياتي
وفي الحديث ان بني اسرايل سالوا موسى عليه السلام ان يصلي ربك جل وعز
فاعظم ذلك فاوحى الله جل وعز الى صلاتي يا رحمتي سبقت غضبي
ذكره النحاس وقال من عطية وروت فرقة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قيل له يا رسول الله كيف صلاة الله على عباده قال سبوح قدوس
رحمتي سبقت غضبي واختلف في تاويل هذا القول فقيل انه كله
من كلام الله تعالى هو صلاته على عباده وقيل سبوح قدوس من
كلام محمد صلى الله عليه وسلم وقدمه بين يدي نطقه بالفظ الذي
هو صلاة الله وهو رحمتي سبقت غضبي من حيث فهم من السايل

ه يوم في صلاة الله على عباده وجها لا يليق بالله عز وجل
فقدم التنزيه والتعظيم من يدي الله إخباره قوله تعالى
ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من ضلاله الى الهدى ومعنى
هذا التثبيت على الهداية لانهم كانوا في وقت الخطاب على
الهداية ثم اخبر تعالى برحمته بالمومنين تاسيسا لامر فقال وكان
بالمومنين رحيما قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام
اختلف في الضمير الذي في يلقونه على من يعود فقيل على الله تعالى
اي كان بالمومنين رحيما فيومنهم من عذاب الله بعد القيامه
وفي ذلك اليوم يلقونه وتحيتهم اي تحية بعضهم لبعض سلام
اي بسلامة لنا ولكم من عذاب الله وقيل هذه التحية من
الله تعالى المعنى فيسلمهم من الافات او يبشرهم بالامن من
المخالفات يوم يلقونه اي يوم القيامة بعد دخول الجنه قال
معناه الزجاج واستشهد بقوله جل وعز تحيتهم فيها سلام
وقيل يوم يلقونه اي يوم يلقون ملك الموت وقد ورد انه لا يقبض
روح مومن الا سلم عليه روي عن البراء بن عازب قال تحيتهم
يوم يلقونه سلام فيسلم ملك الموت على المومن عند قبض روحه
لا يقبض روحه حتى يسلم عليه قوله تعالى يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا الايه هذه الايه فيها تانيس
للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين وتكريم لجميعهم وهذه
الايه تضمنت من اسمايه صلى الله عليه وسلم ستة اسما
ولنبينا صلى الله عليه وسلم اسماء كثيرة وسمات ورد
ذكرها في الكتاب والسنه والكتب المتقدمة وقد سماه
الله في كتابه محمدا واحمد وقال صلى الله عليه وسلم فيما رويي

عنه الثقات العدول لي خمسة اسما انا محمد واحمد وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وانا العاقب وفي صحيح مسلم من حديث جبير بن مطعم وقد سماه
الله رءوفا رحيما وفيه ايضا عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا محمد واحمد
والمقفى والحاشر ونبي التوبه ونبي الرحمة وقد تتبع القاضي ابو
الفضل عياض في كتابه المسمى بالشفا ما جاء في كتاب الله وفي
سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما نقل في الكتب القديمة
واطلاق الامة اسماء كثيرة وصفاة عديدة صدقت عليه صلى
الله عليه وسلم سمياتها ووجدت فيه معانيها وقد ذكر القاضي
ابو بكر بن العربي في احكامه في هذه الاية من اسما النبي صلى الله عليه
وسلم سبعة وستين اسما وذكر صاحب وسيلة المتعبدين
الى متابعه سيد المرسلين عن ابن عباس ان لمحمد صلى الله عليه وسلم
مايه وثمانين اسما من اراد ها وجدها هناك وقال ابن عباس
لما نزلت هذه الايه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا
فبعثهما الى اليمن قال اذهبا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فانه
قد انزل علي في هذا الاية قوله شاهدا قال سعيد عن قتادة
شاهدا على امته بالتبليغ اليهم وعلى سايرالامم بتبليغ انبيايهم
ونحو ذلك ومبشرا معناه للمومنين برحمة الله وبالجنه ونذيرا
معناه للعصاة والمكذبين من النار وعذاب الخلد وداعيا الى الله
الدعا الى الله هو تبليغ التوحيد والاخذ به ومكافحة الكفرة
وباذنه هنا معناه بامره اياك وتقديره ذلك في وقته وانه
وسراجا منيرا استعارة للنور الذي تتضمنه شرعه وقيل

وسراجا اي هاديا من ظلم الضلاله وانت كالمصباح المضيء
ووصفه بالاناره لان من الشرح ما لا يضيء اذا قل سليطه
ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضيء سول بطيء سراج
لا يضيء وقايدة ينتظر لها من يجيء وسيل يأتيهم عن الوحشيين
فقال الحمار سائر وسراج فاتر واسند الخبر حدثنا محمد
بن ابرهيم الرازي قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الازدي قال ثنا عبد الغفار
بن محمد الحماني عن شيبان النحوي قال حدثنا قتاده عن عكرمة
عن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا ومعاذا فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا فانه
قد نزل علي الليلة اية انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا من
النار وداعيا الى الله فال شهاده ان لا اله الا الله باذنه بامره وسراجا
منيرا قال الفراء على قول الزجاج ... ذا سراج منيرا ى كتاب
منير واجاز ايضا ان يكون معنى وتاليا كتاب الله قوله تعالى
وبشر المومنين الواو عاطفة جملة على جملة والمعنى منقطع
مما لي قبله امره تعالى ان يبشر المومنين بالفضل الكبير من الله
عز وجل وعلى قول الزجاج ذا سراج منيرا وتاليا سراجا منيرا
يكون معطوفا على الكاف في ارسلناك قال ابن عطية قال لنا
ابي رضي الله عنه هذه من ارجى اية عندي في كتاب الله لان الله
تعالى قد امر نبيه ان يبشر المومنين بان لهم عنده فضلا كبيرا
وقد بين تعالى الفضل الكبير في قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل
الكبير فالاية التي في هذه السورة خبر والتي في حم عسق تفسير

لها

لها ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا تطعهم فيما يشيرون عليك
من المداهنة في الدين ولا تبالهم الكافرين ابي سفيان وعكرمة
وابي الاعور السلمي والمنافقين عبد الله بن ابي
وعبد الله بن سعد وطعمة بن ابيرق حثوا النبي صلى الله عليه وسلم
على اجابتهم بعلة المصلحة ودع اذاهم اي دع ان تؤذيهم
مجازاة على اذايتك اياهم فامره بترك معاقبتهم والصفح
عنهم للهم فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول ونسخ من الاية
على هذا التاويل ما محض الكافرين وناسخه اية السيف وفيه
معنى ثان اي اعرض عن اقوالهم وما يوذونك ولا تشتغل به
فالمصدر على هذا التاويل مضاف الى الفاعل وهذا تاويل مجاهد
والاية منسوخة باية السيف وتوكل على الله امره بالتوكل عليه
وانسه بقوله وكفى بالله وكيلا وفي قوة الكلام وعد بنصر
والوكيل الحافظ القايم على الامر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها
مسايل الاولى لما حرت قصة زيد وتطليقه زينب وكانت
مدخولا بها وخطبها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها
كما بيناه خاطب الله المومنين بحكم الزوجة تطلق قبل البنا
وبين ذلك الحكم للامة فالمطلقة اذا لم تكن ممسوسة لا عدة
عليها بنص الكتاب واجماع الامة فان دخل بها فعليها العدة
اجماعا الثانية النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لما يستتبعه
له من حيث انه طريق اليه وبطريقه تسميتهم الخمر اثما لانه سبب
في اقتراف الاثم ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد
لانه في معنى الوطء وهو من اداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة

على ذلك

اليه

والمماسة والقربان والتغشي والاتيان الثالثه استدل بعض
العلما بقوله تعالى ان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ثم على ان النكاح لا
يكون الا بعد الطلاق ان من طلق امراة قبل نكاحها او ان عينها
فان ذلك لا يلزمه وقال هذا ينيف على ثلثين من صاحب وتابع
وامام سمى البخاري منهم اثنين وعشرين وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم لا طلاق قبل نكاح ومعناه ان الطلاق لا يقع حتى يحصل
النكاح قال حبيب بن ثابت سئل علي بن الحسين رضي الله عنهما
عن رجل قال لامراته ان تزوجتك فانت طالق فقال ليس بشي ذكر
الله عز وجل النكاح قبل الطلاق قالت طايفة من اهل العلم
ان طلاق المعينه الشخص او القبيل او البلد لازم قبل النكاح
منهم ملك وجميع اصحابه وجمع عظيم من علما الامة وقد مضى
في تحرير اوله الكلام فيها ودليل الفريقين والله اعلم واذا قال لكل
امراة اتزوجها الى عشرين سنة او ان تزوجت من بلد فلان او
من نهر فلان فهي طالق لزمه الطلاق ما لم يخف العنت على نفسه
في طول السنين او يكون عمره في الغالب لا يبلغ ذلك فله ان
يتزوج وانما يلزمه الطلاق اذا عم اذا ضيق على نفسه المنافع
فلو منعناه ان لا يتزوج لحرج وخيف عليه العنت وقد قال
بعض اصحابنا انه ان وجد ما يتسرر به لم ينكح وليس بشي
وذلك ان الضرورات والاعذار ترفع الاحكام فيصير هذا
من حيث الضروره كمن لم يحلف قاله نوح بن مناد الرابعه
استدل داود ومن قال بقوله ان المطلقه الرجعيه اذا راجعها
زوجها قبل ان ينقضي عدتها ثم فارقها قبل ان يمسها انه ليس

والخامسة

لانه

عليه ان يتم عدتها ولا عدة مستقبله لانها مطلقه قبل الدخول
بها وقال عطا بن ابي رباح وفرقه مضى في عدتها من طلاقها الاول
وهو احد قولي الشافعي لان طلاقه لها اذا لم يمسها في حكم من
طلقها في عدتها قبل ان يراجعها ومن طلق امراته في كل طهر مره
بنت ولم تستانف وقال مالك اذا فارقها قبل ان يمسها انها
لا تبني على ما مضى من عدتها وانها تبني من يوم طلقها عدة مستقبلة
وقد ظلم زوجها نفسه واخطا ان كان اراد رجعتها ولا حاجة له بها
وعلى هذا اكثر اهل العلم لانها في حكم الزوجات المدخول بهن في النفقه
والسكنى وغير ذلك وكذلك تستانف العدة من يوم طلقت
وهو قول جمهور فقهاء البصره والكوفه والمكة والمدينة والشام
وقال الثوري اجمع الفقها عندنا على ذلك الخامسة فلو كانت
باينة غير مبتوته فتزوجها في العدة ثم طلقها قبل الدخول فقد اختلفوا
في ذلك ايضا فقال مالك والشافعي وزفر وعثمان البتي لها نصف
الصداق وتتم بقية العدة الاولى وهو قول الحسن وعطا وعكرمة
وابن شهاب وقال ابو حنيفه وابو يوسف والثوري والاوزاعي
لها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقبلة فجعلوها في حكم
المدخول بها لاعتدادها من مائه وقال داود لها نصف الصداق
وليس عليها بقيه العدة الاولى ولا عدة مستقبله والاولى ما قاله
مالك والشافعي والله اعلم السادسة هذه الاية مخصصة
لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولقوله
واللاي يئسن من المحيض من نسايكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر
وقد مضى في البقره ومضى فيها الكلام في المتعه فاغنى عن الاعادة
هنا وسرحوهن سراحا جميلا فيه وجهان احدهما انه دفع المتعة

بحسب الميسرة والعسرة قاله بن عباس الثاني انه طلاقها طاهرا
من غير جماع قاله قتاده وقيل فسر حوهن بحد الطلاق الي العدل
فلا تجتمع الرجعه والطلقه في موضع واحد السابعه قوله
تعالى وستعوهن قال سعيد هي منسوخه بالاية التي في البقره وهي
قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضه
فنصف ما فرضتم اي فلم يذكر المتعة وقد مضى الكلام في هذا في
البقرة مستوفى وقوله سرحوهن الطلاق والتسريح كنايه
عن الطلاق عند الحنيفة لانه يستعمل في غيره محتاج الى النيه وعند
الشافعي صريح وقد مضى في البقره القول فيه فلا معنى للاعاده جميلا
بسنة من غير بدعة قوله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك
ازواجك الى قوله رحيما فيه تسع عشرة مسله الاولى روي
السدي عن ابي صالح عن ام هاني بنت ابي طالب قالت خطبني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا
احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما
افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك
وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك فلم اكن احل له لانني لم اهاجر
كنت من الطلقاء اخرجه ابو عيسى وقال هذا حديث حسن لا نعرفه الا
من هذا الوجه قال ابن العربي وهو ضعيف جدا وفيه ثلاث هذا الحديث
من طرق صحيح تحتج بها الثانيه لما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم نساءه فاخترنه حرم عليه التزويج لخبر هن
والاستبدال بهن مكافاة لهن على فعلهن والدليل على ذلك
قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد الايه وهل كان تحل
له ان يطلق واحدة منهن بعد ذلك فقيل لا تحل له ذلك

قال ع

جزاء لهن على اختيارهن له وقيل كان يحل له ذلك آخره من
الناس ولكن لا يتزوج بدلها ثم نسخ هذا التحريم فاباح له
ان يتزوج من شاء عليهن من النساء والدليل عليه قوله تعالى
انا احللنا لك ازواجك والاحلال يقتضي تقدم حظر وزواجه
اللاتي في حياته لم تكن محرمات عليه وانما كان يحرم عليه
التزوج بالاجنبيات فانصرف الاحلال اليهن ولانه قال في
سياق الاية وبنات عمك الاية ومعلوم انه لم يكن تحته
احد من بنات عمه ولا بنات عماته ولا بنات خاله ولا
بنات خالاته فثبت انه احل له التزوج بهذا ابتداء وهذه
الاية وان كانت متقدمة في التلاوة فهي متاخره في النزول
على الاية المنسوخه بها كما بينا الوفاء في البقره وقد اختلف
الناس في دليل قوله تعالى احللنا لك ازواجك فقيل المراد
بها ان الله تعالى احل له ان يتزوج كل امراة يوتها مهرها قاله
بنة يد والضحاك فعلى هذا تكون الاية مبيحة جميع النساء
حاشى ذوات المحارم وقيل المراد احللنا لك ازواجك اي
الكاينات عندك لانهن قد اخترنك على الدنيا والاخره قاله
الجمهور من العلماء وهو الظاهر لانه قوله اتيت ماض ولا
يكون الفعل الماضي بمعنى الاستقبال الا بشروط وبجي الامر
على هذا الباب دليلا على النبي صلى الله عليه وسلم ويويد هذا
التاويل ما قاله بن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتزوج في الناس ما شاء وكان ذلك يشق ذلك على نسايه
فلما نزلت هذه الاية وحرم عليه بها النساء الا من سمى
ستر نساؤه بذلك قال الشيخ المولف رحمه الله والقول الاول

اصح لما ذكرناه ويدل ايضا على صحته ما خرجه الترمذي عن
عطا قال قالت عايشة ما مات رسول الله حتى احل الله له
له النسا قال هذا حديث حسن صحيح التحاله قوله تعالى
وما ملكت يمينك احل الله السراري لنبيه صلى الله عليه
وسلم ولامته مطلقا واحل الازواج لنبيه مطلقا واحله
للخلق بعدد وقوله مما افا الله عليك اي رده عليك من الكفار
والغنيمة قد تسمى فيا اي مما افا الله عليك من النسا
الماخود على وجه القهر والغلبة الرابعة قوله تعالى
وبنات عمك وبنات عماتك اي احللنا لك ذلك زايدا
من الازواج اللاتي اتيت اجورهن على قول الجمهور لانه لو
اراد احلالنا لك كل امراة تزوجت واتيت اجرها لما قال
بعد ذلك وبنات عمك وبنات عماتك لان ذلك داخل فيما
تقدم قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا لا يلزم وانما خص
هاء لا بالذكر تشريفا لمن كانا قال فيهما فاكهة ونخل ورمان
والله اعلم الخامسة قوله تعالى اللاتي هاجرن معك
فيه قولان الاول لا تحل لك من قد ابنك كبنات عمه العباس
وغيره من اولاد عبد المطلب وبنات اولادهن بنات عبد
المطلب وبنات الخال من ولد بنات عبد مناف من زهرة
الا من اسلم لقوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه الثاني
لا تحل لك منهن الا من هاجر الى المدينة لقوله تعالى الذين
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
ومن لم يهاجر لم يكمل ومن لم يكمل لم يصلح لرسول الله

صلى الله عليه وسلم الذي كمل وشرف وعظم صلى الله عليه
وسلم السادسة قوله تعالى معك المعبر هنا
الاشتراك في الهجرة لا في الصحبة فمهما فمن هاجر حل له
كان في صحبته اذ هاجر او لم يكن بقال دخل فلان معي وخرج
معي اي كان عمله كعملي وان لم يقترن فيه عملكما ولو قلت
خرجنا معا لاقتضى ذلك المعنيين جميعا الاشتراك في
الفعل والاقتران السابعة ذكر الله عز وجل العم فردا
والعمات جمعا وكذلك فالخالك وخالاتك والحكمة في
ذلك ان العم والخال في الاطلاق اسم جنس كالشاعر والراجز
وليس كذلك العمة والخالة وهذا فرق لغوي فجا الكلام عليه
بغاية البيان ورفع الاشكال هذا دقيق فتامله قاله ابن العربي
الثامنة قوله تعالى وامراة مومنة عطف على احللنا لك
امراة وهب نفسها من غير صداق وقد اختلف في هذا المعنى
فروي عن ابن عباس انه قال لم تكن عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم امراة الا بعقد نكاح او ملك من اماء الهبة فلم يكن
عنده منهن احد وقال قد مر لي ان كانت عنده موهوبة قال الشيخ
المولف رحمه الله والذي في الصحيحين يقوي هذا القول ويعضده
روي مسلم عن عايشة انها قالت كنت اغار على اللاتي وهبن
انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول اما تستحي امراة
تهب نفسها لرجل حتى انزل الله ترجي من تشا منهن وتوي
اليك من تشا فقلت والله ما ارى ربك الا يسارع في هواك
وروى البخاري عن عايشة انها قالت كانت خولة بنت حكيم
من اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم

تستحي

دل على هذا انهن خمس غير واحدة والله اعلم الزمخشري وقيل
الموهوبات اربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة ام المساكين
الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم قال الشيخ
المؤلف رحمه الله وفي بعض هذا الخلاف ما اقدمناه هي ميمونة بنت
الحرث وقال الشعبي زينب بنت خزيمة ام المساكين امراة من
الانصار وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت
جابر الاسدية وقال عروة بن الزبير حكيم بنت الاوقص السلمية
التاسعة وقد اختلف في اسم الواهبة نفسها فقيل هي ام
شريك الانصارية اسمها غزية وقيل غزيلة وقيل ليلى بنت حكيم
وقيل هي ميمونة بنت الحارث حين خطبها النبي صلى الله عليه وسلم
فجاءها الخاطب وهي على بعيرها فقالت البعير وما عليه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل هي ام شريك الانصارية العامرية وكانت
عند ابي العكر الازدي وقيل عند الطفيل بن الحرث فولدت له شريكا
وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها ولم يثبت ذلك
والله اعلم ذكره ابو عمر بن عبد البر وقال الشعبي وعروة هي زينب
بنت خزيمة ام المساكين فالله اعلم العاشرة قراجمهور الناس
ان وهبت بكسر الالف وهذا يقتضي استيناف الامر اي ان وقع فهو
حلال له وقد روي عن ابن عباس ومجاهد انهما قالا لم يكن عند النبي صلى الله
عليه وسلم امراة موهوبة وقد دللنا على خلافه وروى الائمة من طريق
سهل وغيره في الصحاح ان امراة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
جئتك اهب لك نفسي فسكت حتى قام رجل فقال زوجنيها ان لم يكن
لك بها حاجة فلو كانت هذه الهبة غير جايزة لما سكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه لا يقر على الباطل اذا تقرر هذا فقد سمعه

البصري

سكوته منتظرا بيانا فنزلت الاية بالتحليل والتخيير فاختارته فتزوجها
وزوجها من غيره ويحتمل ان يكون سكت ناظرا في ذلك حتى قام الرجل
لها طالبا وقرا الحسن وابن كعب والشعبي ان وهبت بفتح الالف
وقرا الاعمش امراة مومنة وهبت قال النحاس وكسر ان اجمع للمعاني
لانه قيل انهن نسا واذا فتح كان المعنى على واحدة بعينها لانه وقع على
البدل من امراة او بمعنى لان الحادية عشرة قوله تعالى مومنة
يدل على ان الكافرة لا تحل له قال الامام المحرمين وقد اختلف في تحريم
الحرة الكافرة عليه قال ابن العربي والصحيح عندي تحريمها عليه وبهذا
تميز علينا فانه من كان من جانب الفضايل والكرامة فحظه فيه اكثر
وما كان من جانب النقايص فجانبه عنها اظهر فجوز لنا نكاح
الحرايرالكتابيات وقصر هو صلى الله عليه وسلم لجلالته على المومنات
واذا كان لا يحل له من لم يهاجر لنقصان فضل الهجرة فاحرى ان لا
تحل له الكتابية الكافرة لنقصان الكفر الثانيه عشره
قوله تعالى ان وهبت نفسها للنبي دليل على ان النكاح عقد
معاوضة على صفات مخصوصة قد تقدمت في النسا وغيرها وقال
الزجاج معنى ان وهبت نفسها للنبي اي ان وهبت نفسها للنبي حلت
وقرا الحسن ان وهبت بفتح الهمزة وان في موضع نصب قال الزجاج
اي لان وقال غيره ان وهبت بدل الاشتمال من امراة الثالثه عشرة
قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اي اذا وهبت المراة نفسها
وقبلها النبي صلى الله عليه وسلم حلت له وان لم يقبلها لم يلزم ذلك
كما اذا وهب لرجل شيا فلا يجب عليه القبول بيد ان من مكارم
الاخلاق بيننا ان نقبل من الواهب هبته ونرى الاكارم ان ردها
منة في العادة ووصمة على الواهب واذاية لقلبه فنبرا الله ذلك

في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله قرأنا يتلى ليرفع عنه الحرج
ويبطل بذلك الناس في عاداتهم وقولهم الرابعة عشرة قوله تعالى
خالصة لك اي هبة النساء انفسهن خالصة ومزية لا يجوز ان تهب
المرأة نفسها لرجل وجه الخاصية انها لو طلبت فرض المهر
قبل الدخول فمهر المثل بعد الدخول الخامسة عشرة اجمع
العلماء على ان هبة المرأة نفسها غير جايز وان هذا اللفظ من الهبة
لا يتم عليه نكاح الامام وعن ابي حنيفة وصاحبيه فانهم قالوا
اذا وهبت فاشهد هو على نفسه بمهر فذلك جايز قال ابن عطية
فليس في قولهم الا تجويز العبارة ولفظة الهبة والا الافعال التي اشترطوها
هي افعال النكاح بعينه وقد تقدمت هذه المسئلة في القصص
مستوفاة والحمد لله السادسة عشرة خص الله رسوله
في احكام الشريعة بما لم يشاركه فيها احد في باب الفرض
والتحريم والتحليل مزية على الامة وهبت له ومرتبة خص بها فرضت
عليه اشياء ما فرضت على غيره وحرمت عليه افعال لم تحرم عليهم
وحللت له اشياء لم تحل لهم منها متفق عليه ومختلف فيه فاما
ما فرض عليه فتسعة الاول التهجد بالليل الثاني الضحى الرابع الوتر
وهو يدخل في قسم التهجد الخامس السواك السادس قضا
دين مات معسرا السابع مشاورة ذوي الاحلام في غير
الشرايع الثامن تخيير النساء التاسع اذا عمل عملا اثبته
زاد غيره وكان يجب عليه اذا رأى منكرا انكره واظهره لان
اقراره لغيره على ذلك يدل على جوازه ذكره صاحب البيان واما
ما حرم عليه فجملته عشر الاول تحريم الزكاة عليه وعلى آله
الثاني صدقة التطوع عليه وعلى آله تفصيل باختلاف الثالث

وعلى

فلا يجوز؟

في قوله تعالى خالصة لك

في قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم

خايِنة الاعين وهو ان يظهر خلاف ما يضمر او يخدع عما يجب وقد
ذم بعض الكفار عند إذنه ثم الازله القول عند دخوله الرابع عليه اذا
لبس لامته ان يخلعها حتى او يحكم الله بينه وبين محاربه الخامس
الاكل متكيا السادس اكل الاطعمة الكريهة الرابعة السابع
التبدل بازواجه وسياتي الثامن نكاح امرأة تكره صحبته التاسع
نكاح الحرة الكتابية العاشر نكاح الامة وحرم الله عليه
اشياء لحرمها على غيره تنزيها له وتطهيرا فحرم الله عليه الكتابه
وقول الشعر وتعليمه تاكيدا لحجته وبيانا لمعجزته قال الله تعالى
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وذكر النقاش
ان النبي صلى الله عليه وسلم ما مات حتى كتب والاول هو المشهور
وحرم عليه ازهد عينيه الى ما متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم واما ما احل له فجملته
ستة عشر الاول صفي المغنم الثاني الاستبداد بخمس الخمس او
الخمس الثالث الوصال الرابع الزيادة على اربع نسوة الخامس النكاح
بلفظ الهبة السادس النكاح بغير ولي السابع النكاح بغير صداق
الثامن نكاحه في حالة الاحرام التاسع سقوط القسم بين الازواج
عنه وسياتي العاشر اذا وقع بصره على امراة وجب على زوجها
طلاقها وحل له نكاحها قال ابن العربي هكذا قال امام الحرمين وقد
مضى للعلما في قصة زيد من هذا المعنى الحادي عشر انه اعتق
صفية وجعل عتقها صداقها الثاني عشر دخوله مكة بغير احرام
وفي حقنا فيه اختلاف الثالث عشر القتال بمكة الرابع عشر
انه لا يورث وانما ذكر هذا في قسم التحليل لان الرجل اذا قارب الموت
بالمرض زال عنه اكثر ملكه وله سؤله الا الثلث خالصا وبقي ملك

حرم؟

الاية؟

رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقرر بيانه في اية المواريث
وسوره مريم بيانه ايضا الخامس عشر بتاز وجيته السادس
عشر اذا طلق امراة تبقى حرمته عليها فلا تنكح وهذه الاقسام
الثلثه تقدم معظمها مفصلا في مواضعها وما ان شا الله
السابقة وابيح له عليه السلام اخذ الطعام والشراب من
الجايع والعطشان وان كان من هو معه محتاج على نفسه الالاف
لقوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وعلى كل احد من المسلمين
ان يقي النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وابيح له ان يحمي لنفسه
واكرمه الله بتحليل الغنايم وجعل الارض له ولامته مسجدا وطهورا
وكان من الانبيا لا تصح صلاتهم الا في المسجد المساجد ونصر بالرعب
فكان يخافه العدو من مسيرة شهر وبعث الى كافة الخلق وقد
كان من قبله من الانبيا يبعث الواحد الى بعض الناس دون بعض
وحفظت معجزاته كمعجزات الانبيا قبله وزيادة وكانت معجزة
موسى عليه السلام العصا وانفجار الما من الصخره وقد انشق القمر
للنبي صلى الله عليه وسلم وخرج الما من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم
وكانت معجزة عيسى صلى الله عليه وسلم احيا الموتى وابرا الاكمه
والابرص وقد سبحت الحصى في يد النبي صلى الله عليه وسلم وحن
الجذع اليه وهذا بلغ وفضله الله عليهم بان جعل القران معجزته
وجعل معجزته فيه باقية الى يوم القيامة ولهذا جعلت نبوته
مؤبدة لا تنسخ الى يوم القيامه السابعة عشرة قوله
ان يستنكحها اي تنكحها يقال نكح واستنكح مثل عجب واستعجب
وعجل واستعجل ويجوز ان يرد الاستنكاح بمعنى طلب النكاح
او طلب الوطء وخالصة نصب على الحال قاله الزجاج وقيل حال

من ضمير متصل بفعل مضمر دل عليه المضمر تقديره احللنا لك
ازواجك واحللنا لك امراة مومنه احللنا ها خالصة بلفظ
الهبة وبغير صداق وغيرولي لنا منه عشره قوله تعالى
من دون المومنين فايدته ان الكفار وان كانوا مخاطبين بفروع الشريعة
عندنا فليس لهم في ذلك دخول لان تصرف الاحكام انما يكون
فيهم على تقدير الاسلام قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم
في ازواجهم اي ما اوجبنا على المومنين وهو ان لا يتزوجوا الا باربع
نسوه بمهر وبينه وولي قال معناه ابي ابن كعب وقتاده وغيرهما
التاسعه عشره قوله تعالى لكيلا يكون عليك حرج
اي ضيق في امر انت فيه محتاج الى السعة اي بينا هذا البيان
وشرحنا هذا الشرح لكي لا يكون عليك حرج فلكي لا تتعلق بقوله
انا احللنا لك ازواجك اي فلا يضيق قلبك حتى يظهر منك انك
قد اثمت عند ربك في شيء ما انس تعالى جميع المومنين بغفرانه
ورحمته فقال تعالى وكان الله غفورا رحيما قوله تعالى ترجي
من تشا منهن وتوي اليك من تشا فيه احد وعشرة مسئله الاولى
قوله تعالى ترجي من تشا قرئ مهموزا وغير مهموز وهما لغتان يقال
ارجيت الامر وارجاته اذا اخرته وتوي تضم يقال اوا اليه
ممدودة الالف ضم اليه واوي مقصورة الالف انضم اليه الثانيه
واختلف العلما في تاويل هذه الايه واصح ما قيل فيها التوسعه
على النبي صلى الله عليه وسلم في ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم
بين زوجاته وهذا القول هو الذي يناسب ما مضى وهو الذي
ثبت معناه في الصحيح عن عايشة رضي الله عنها قالت كنت اغار
على اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول

وتهب المراة نفسها لرجل فلما انزل الله عز وجل ترجي من تشا منهن
وتوي اليك من تشا ومن ابتغيت ممن عزلت قالت قلت والله
ما اري ربك الا يسارع في هواك قال ابن العربي هذا الذي ثبت في
الصحيح هو الذي ينبغي ان يعول عليه والمعنى المراد هو ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان مخيرا في ازواجه ان شا ان يقسم قسم وان شا
ان يترك القسم ترك فخص النبي صلى الله عليه وسلم بان جعل الامر
اليه فيه لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون فرض ذلك عليه
تطييبا لنفوسهن وصونا لهن عن اقوال الغيره التي تزري الا ما لا
ينبغي وقيل كان القسم واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نسخ
الوجوب عنه بهذه الاية قال ابو رزين كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد هم بطلاق بعض نسايه فقلن له اقسم لنا ما شيت
فكان مما وي عايشة وحفصة وام سلمة وزينب فكان قسمتهن
من نفسه وماله سوا بينهن وكان ممن ارجي سودة وجويرية
وام حبيبه وميمونه وصفية فكان يقسم لهن ما شا وقيل
المراد الواهبات روي هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة في
قوله ترجي من تشا منهن قالت هذا في الواهبات انفسهن
قال الشعبي هن الواهبات انفسهن تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم منهن وترك منهن وقال الزهري ما علمنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارجا احدا من ازواجه بل اوا هن كلهن
وقال ابن عباس وغيره المعنى في طلاق من شا ممن حصل في عصمته
وامساك من شا وقيل غير هذا وعلى كل معنى فالاية معناها
التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاباحة وما اخترناه
اصح والله اعلم الثالثة ذهب هبة الله في الناسخ والمنسوخ

الى ان قوله ترجي من تشا الاية ناسخ لقوله لا يحل لك النسا من بعد الاية
وقال البصري في كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخ سوى هذا وكلامه
يضعف من جهات وفي البقره عدة المتوفى عنها اربعة اشهر وعشر
وهو ناسخ للحول وقد تقدم عليه الرابعة قوله تعالى
ومن ابتغيت ممن عزلت ابتغيت طلبت والابتغا الطلب
وعزلت ازلت والعزلة الازالة اي ان اردت ان تؤوي اليك امراة
ممن عزلتهن من القسمة وتضمها اليك فلا باس عليك في ذلك الخامسة ؟
وكذلك حكم الارجاء فدل احد الطرفين على الثاني قوله
تعالى فلا جناح عليك اي لا ميل يقال جنحت السفينه اي مالت
الى الارض اي لا ميل عليك بالدور والتوبيخ السادسة
قوله تعالى ذلك ادنى ان تقر اعينهن قال قتاده وغيره اي
ذلك التخيير الذي خيرناك في محبتهن ادنى الى رضاهن اذا كان
من عندنا لانهن اذا علمن ان العدل من الله قرت اعينهن بذلك ورضين
لان المرة اذا علم انه لا حق له في شي كان راضيا بما اوتي منه وان
قل واذا علم ان له حقا لم يقنعه ما يوتى منه واشتدت غيرته
عليه وعظم حرصه فيه فكان ما فعل الله لرسوله من تفويض
الامر اليه في احوال ازواجه اقرب الى رضاهن معه والى استقرار
اعينهن بما يسمح به لهن دون ان يعلق قلوبهن باكثر منه
وقرى تقر اعينهن بضم التا ونصب الاعين وتقر اعينهن
على البنا للمفعول وكان عليه السلام مع هذا يشد دعلى نفسه لنفوسهن ؟
في رعاية التسوية بينهن تطييبا لقلوبهن كما قدمناه ويقول
اللهم هذه قدرتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني
قلبه لا يتاره عايشة دون ان يكون لظهر ذلك في شي من فعله

وكان في مرضه الذي توفي فيه يطاف به محمولا على بيوت ازواجه
الى ان استحلهن ان يقيم في بيت عايشة قالت عايشه رضي الله
عنها او لما استكى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة
فاستاذن ازواجه ان يمرض في بيتها يعني بيت عايشة
فاذن له الحديث اخرجه الصحيح وفي الصحيح ايضا عن عايشة
قالت ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستقدر يقول اين انا
اليوم اين انا غدا استبطاء ليوم عايشة قالت فلما كان يومي
قبضه الله بين سحري ونحري صلى الله عليه وسلم السابعه
على الرجل ان يعدل بين نسايه لكل واحدة منهن يومها وليله
هذا قول عامة العلما وذهب بعضهم الى وجوب ذلك في الليل
دون النهار ولا يستحق حق الزوجه مرضها ولا حيضها ويلزمه
القيام عندها في يومها وليلتها وعليه ان يعدل بينهن في مرضه
كما يفعل في صحته الا ان يعجز عن الحركة فيقيم حيث غلب
عليه المرض فاذا صح استانف القسم والاما والحرايروالكتابيات
والمسلمات في ذلك سوا قال عبد الملك للحرة ليلتان وللامة
ليلة واما السراري فلا قسم بينهن وبين الحرايروله ان يجمع
فيه الثمانيه ولا يجمع بينهن في منزل واحد الا برضاهن
ولا بد ان يدخل لاحداهن في يومها الاخرى وليلتها لغير حاجة واختلف
في دخوله لحاجة وضروره والاكثرون على جوازه ملك
وغيره وفي كتاب ابن حبيب منعه وروى ابن بكير عن يحيى
بن سعيد ان معاذ بن جبل كانت له امراتان فاذا كان يومه ومبيته
له شرب من بيت الاخرى الما قال ابن بكير وحدثنا مالك عن
يحيى بن سعيد ان معاذ بن جبل كانت له امراتان فاذا كان يومه

قاسم بينهما ابهما تدلي اول التاسعه فالملك ويعدل بينهن في النفقة والكسوة اذا كن معتدلات للحال لا يلزم ذلك في المختلفات المناصب واجاز ملك ان يفضل احداهما في الكسوة على غير وجه الميل فاما الحب والبغض فخارجان عن الكسب فلا يتاتى العدل فيهما وهو المعنى بقوله عليه السلام في قسمته اللهم هذا فعلي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك اخرجه النسائي وابو داود عن عايشة رضي الله عنها وفي كتاب ابي داود معنى القلب والميل الاشارة بقوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم وقوله والله يعلم ما في قلوبكم وهذا هو وجه تخصيصه بالذكر هنا تنبيها منه لنا على انه يعلم ما في قلوبنا من ميل بعضنا الى بعض من عندنا من النسا دون بعض وهو العالم بكل شي لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما بعلم السر واخفى لكنه سمح في ذلك اذ لا يستطيع العبد ان يصرف قلبه عن ذلك الميل والى ذلك يعود قوله وكان الله غفورا رحيما وقد قيل في قوله ذلك ادنى ان تقر اعينهن وهي المعاشرة اي ذلك اقرب ان لا يحزن اذا رجع احداهن مع الاخرى ويعاشرن الاثره والميل رواه ابو داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من كانت له امراتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامه وشقه مايل او ساقط وروى عن ما اتيتهن الهمز توكيد للمضمراي ويرضين كلهن واجاز ابو حاتم والزجاج ويرضين ما اتيتهن الهمز على التوكيد للمضمر الذي في اتيتهن والفوا لا جيزه كان المعنى ليس عليه اذ كان المعنى ترضى كل واحده منهن ليس المعنى عما اعطيتهن كلهن القاسم الذي قاله حسن وقوله تعالى

والله يعلم ما في قلوبكم خبر عامر والاشارة الى ما في قلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من محبة شخصه وزشخصه كذلك يدخل في المعنى ايضا
المومنون وفي البخاري عن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه
على جيش ذات السلاسل فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال
عايشة فقلت من الرجال فقال اما قلت ثم من قال عمر بن الخطاب
فعد رجالا وقد تقدم القول في القلب بما فيه كفاية في اول البقرة وفي
اول هذه السورة يروى ان لقمان الحكيم كان عبدا نجارا قال له سيده
اذبح شاة وايتني باطيبها بضعتين فاتاه بالقلب واللسان ثم امره
بذبح شاة اخرى فقال له القها بضعتين فالقى اللسان والقلب
فقال امرتك ان ايتني باطيبها بضعتين فاتيتني باللسان والقلب
وامرتك ان تلقي اخبثها بضعتين فالقيت اللسان والقلب فقال
ليس شي اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا قوله
تعالى لا تحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج فيه سبع
مسايل الاولى اختلف العلماء في تاويل قوله لا تحل لك النساء من بعد
على اقوال سبعة الاول انها منسوخة بالسنة والناسخ لها حديث
عايشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء
وقد تقدم الثاني انها منسوخة بآية اخرى روى الضحاك عن ام سلمة
قالت لما تزلت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله له ان يتزوج
من شا الا ذات محرم وذلك قوله عز وجل ترجي من تشا منهن
واحد وتوي اليك من تشا قال النحاس وهذا والله اعلم اولى ما قيل في الآية
وهو قول عايشة سوا في النسخ وقد يجوز ان تكون عايشة اردت
احل له ذلك بالقرآن وهو مع هذا قول علي بن ابي طالب وابن عباس وعلي
بن الحسين والضحاك وقد عارض هذا بعض فقها الكوفيين فقال لا يجوز ان يستخ

هذه الاية يعني ترجي من تشا منهن لا يجوز ان النسا من بعدهن
في المصحف الذي اجمع عليه المسلمون وهذا قول من قال نسخت بالسنة
قال النحاس وهذه المعارضة لا تلزم وقايلها غالط لان القرآن بمنزلة
سورة واحدة كما صح عن ابن عباس انزل الله القرآن جملة واحدة الى
السما الدنيا في شهر رمضان ويبين لك ان اعتراض هذا لا يلزم قوله عز
وجل انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون
الحول غير اخراج منسوخة على قول اهل التاويل لا يعلم بينهم خلافا
ما الاية التي قبلها والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن باعشهن
اربعة اشهر وعشرا الثالث انه صلى الله عليه وسلم حظر عليه
ان يتزوج على نسايه لانهن اخترن الله ورسوله والدار الاخرة هذا قول
الحسن وابن سيرين وابي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال النحاس
وهذا القول يجوز ان يكون فعلى هذا ثم نسخ الرابع انه لما حرم عليهن
ان يتزوجن بعده حرم عليه ان يتزوج غيرهن قاله ابو امامة بن سهل بن حنيف
الخامس لا تحل لك النسا من بعد اي من بعد الاصناف التي سميت قاله
ابي بن كعب وعكرمة وابو رزين وهو اختيار محمد بن جرير ومن قال بان
الاباحة كانت له مطلقة قال انما لا تحل لك النسا معناه لا تحل لك
اليهوديات ولا النصرانيات وهذا ما ويل فيه بعد روي عن مجاهد
وسعيد بن جبير وعكرمة ايضا وهو القول السادس قال مجاهد
لما لم يكن كافرا اما الله سبحانه وهذا القول بعيد لانه يقدره من
بعد المسلمات ولم يحل للمسلمات وكذلك قدره لا ان تبدل
بهن ازواجا ولا ان تطلق مسلمة لتستبدل بها عقابه السابع
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له حلال ان يتزوج من شا ثم نسخ
ذلك قال وكذلك كانت الانبيا قبله صلى الله عليه وسلم

قاله محمد بن كعب القرظي الثانيه قوله تعالى ولا ان
تبدل بهن من ازواج قال ابن زيد هذا شيء كانت العرب تفعله
يقول احدهم خذ زوجتي واعطني زوجتك رواه الدارقطني
عن ابي هريره قال كان البدل في الجاهليه ان يقول الرجل للرجل
انزل لي عن امراتك وانزل لك عن امراتي وازيدك فانزل الله
عز وجل ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن قال
فدخل عيينه بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعنده عايشه فدخل بغير اذن فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا عيينه فاين الاستيذان فقال يا رسول الله
ما استاذنت على رجل من مضر منذ ادركت قال فمن هذه الحميرا
الى جنبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عايشه
ام المومنين قال افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال يا عيينه
ان الله قد حرم ذلك قال فلما خرج قالت عايشة يا رسول الله
من هذا قال الاحمق المطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وقد
انكر الطبري والنحاس وغيرهما ما حكاه ابن زيد عن العرب
من انها كانت تبادل بازواجها قال الطبري وما فعلت
العرب قط هذا وما روي من حديث عيينة بن حصن من انه
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عايشه الحديث
فليس بتبديل لا اراد ذلك وانما احتقر عايشه لانها كانت
صبيه قال هذا القول قال الشيخ المولف رحمه الله وما
ذكرناه من حديث زيد بن اسلم يخرج عطا بن يسار عن ابي هريره
من ان البدل كان في الجاهليه يدل على خلاف ما انكره من ذلك
والله اعلم قال المبرد وقرئ لا تحل بالياء والتا فمن قرا بالتا

احتقر

فعلى معنى حماعة النسا وبالياء من تحت على معنى جميع النسا
وزعم الفراء ان اجتمعت القرا على القراة بالياء وهذا غلط وكيف
يقال اجتمعت القرا وقد قرا ابو عمرو بالتا بلا اختلاف عنه التاليه
قوله تعالى ولو اعجبك حسنهن قال ابن عباس نزل ذلك
بسبب اسما بنت عميس اعجب رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين ماتت عنها جعفر بن ابي طالب حسنها فاراد ان
يتزوجها فنزلت الاية وهذا حديث ضعيف قاله ابن العربي
الرابعه في هذه الايه دليل على جواز ان ينظر الرجل الى من
يريد زواجها وقد راد المغيره بن شعبه زواج امراة فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه احدر ان يودم بينكما
وقال عليه السلام لاخر انظر اليها فان في اعين الانصار شيا
اخرجه الصحيح قال الحميدي وابو الفرج الجوزي صغرا او زرقا
وقيل مصابا فخامسه الامر بالنظر الى المخطوبه انما هو على
جهة الارشاد الى المصلحة فانه اذا نظر اليها فلعله يرى ما يرغبه
في نكاحها ومما يدل على ان الامر على جهة الارشاد ما ذكره
ابو داود من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر منها الى ما يدعوه
الى نكاحها فليفعل فقوله فان استطاع فليفعل لا يقال مثله
في الواجب وبهذا قال جمهور الفقها منهم مالك والشافعي والاوزاعي
وغيرهم واهل الظاهر وقد كره ذلك قوم لاجتلاة يقع لهم
للاحاديث الصحيحه وقوله تعالى [illegible] قال
سهل بن ابي حثمه رايتني مع [illegible] فاتكا على احجار من احجار
على اجار من احجار المدينة فقلت [illegible] فقال

النبي صلى الله عليه وسلم اذا القى الله في قلب احدكم خطبة امرأة
فلا باس لن ينظر اليها السادسة اختلف فيما يجوز ان ينظر
منها فقال مالك ينظر الى وجهها وكفيها ولا ينظر الا بادنها وقال
الشافعي واحمد باذنها وبغير اذنها اذا كانت مستترة وقال
الاوزاعي ينظر اليها ويجتهد وينظر مواضع اللحم منها قال داود
ينظر الى سائر جسدها تمسكا بظاهر اللفظ واصول الشريعة
ترد عليه وتحرم الاطلاع على العورة والله اعلم السابعة
قوله تعالى ملكت يمينك اختلف العلماء في احلال الامة
الكافرة للنبي صلى الله عليه وسلم على قولين فحكى العموم قوله
الا ما ملكت يمينك قاله مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحكم
قالوا قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد اي لا تحل لك النساء من
غير المسلمات فاما اليهوديات والنصرانيات والمشركات
فحرام عليك اي لا يحل لك ان تتزوج كافرة فتكون اما لاولادك منين
ولو اعجبك حسنها الا ما ملكت يمينك فانه ان يتسرى بها
القول الباقي نزيها لقدره عز وجل عن مشورة الكافرة وقد قال تعالى
ولا تمسكوا بعصم الكوافر فكيف به صلى الله عليه وسلم وما
في قوله الا ما ملكت يمينك في موضع رفع بدل من النساء ويجوز
ان يكون في موضع نصب على الاستثناء وفيه ضعف ويجوز ان يكون
مصدرية والتقدير الا ملكت يمينك وملك بمعنى ملك وهو
في موضع نصب لانه استثناء من غير جنس الاول في قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى قوله عظيما
فيه ست عشرة مسئلة الاولى قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا
ان يؤذن لكم في موضع نصب على معنى الا بان يؤذن لكم او يكون

الا استثنا ليس من الاول للطعام غير ناظرين اناه انتم ونظير
هذا من النحو هذا رجل مع رجل ملازم له وان شئت قلت هذا رجل
مع رجل ملازم له هو وهذه الاية تضمنت قصتين احدهما الادب
في امر الطعام والجلوس والثانية امر الحجاب وقال احاد بن زيد
هذه الاية نزلت في الثقلا فاما القصة الاولى فالجمهور من
المفسرين على ان سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب
بنت جحش امرأة زيد اولم عليها فدعا الناس فلما طعموا جلس
طوايف منهم يتحدثون في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته
مولية وجهها الى الحايط فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انس فما ادري اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم ان القوم قد
خرجوا او اخبر بي قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل
معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب قال وعظ القوم بما
وعظوا به وانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي
الى قوله ان ذلكم كان عند الله عظيما اخرجه الصحيح وقال قتادة ومقاتل
في كتاب الثعلبي ان هذا السبب جرى في بيت ام سلمة والاول
الصحيح لما رواه الصحيح وقال ابن عباس نزلت في ناس من المومنين
كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون قبل ان
يدرك الطعام ثم يقعدون ولا يخرجون وقال اسماعيل بن ابي حليم
فهذا ادب ادب الله به القلا ان الشرع لم يحتلهم واما
قصة الحجاب فقال انس بن مالك وجماعة سببها امر
التعرد في بيت زينب القصة المذكورة انفا وقالت عايشة
رضي الله عنها وجماعة سببها ان عمر قال قلت يا رسول الله ان
نسايك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية

وروي الصحيح عن عمر قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث في مقام
ابراهيم وفي الحجاب وفي اسارى بدر هذا اصح ما قيل في امر الحجاب
وما عدا هذا دون القولين من الاقوال والروايات فواهيه لا يقوم
شيء منها على ساق واضعفها ما روي عن ابن مسعود ان عمر امر
نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب بنت جحش
يا ابن الخطاب انك تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فانزل
الله تعالى واذا سالتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب وهذا
باطل لان الحجاب نزل يوم البناء بزينب كما بيناه لخرجه البخاري
ومسلم والترمذي وغيرهم وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصاب يد رجل منهم يد عايشه
فكره النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت اية الحجاب قال ابن عطية
وكانت سيرة القوم اذا كان لهم طعام وليمة او نحوه ان يبكر
من شاء الى الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه وكذلك اذا
فرغوا منه جلسوا كذلك فنهى الله المومنين عن امتثال ذلك
في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ودخل في النهي سائر المومنين
والتزم الناس ادب الله تعالى لهم في ذلك فسوغ لهم الدخول
الا باذن عند الاكل لا قبله لانتظار نضج الطعام الثاني
في قوله تعالى بيوت النبي دليل على ان البيت للرجل يجري به
فان الله اضافه له فان قيل فقد قال الله تعالى واذكرن ما يتلى
في بيوتكن الاية قلنا اضافة البيوت الى النبي اضافة ملك
واضافة البيوت الى الازواج اضافة محل بدليل انه جعل
فيها الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم والاذن انما يكون للمالك
المسالة واختلف العلماء في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان

اصحابه؟

يسكن فيها اهله بعد موته هل هي ملك لهن او لا على قولين فقالت
طايفه كانت ملكا لهن وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وهب ذلك
لهن في حياته الا ترى ان ذلك كان اسكانا كما يسكن الرجل اهله
ولم يكن هبة وتمادى اسكانه هن فيها الى الموت وهذا هو الصحيح
وهو الذي ارتضاه ابو عمر بن العربي وغيرهم فان ذلك من جملة حقهن
التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استثناها لهن كما استثنا
لهن نفقاتهن حين قال لا يقتسم ورثتي دينارا ولا درهما ما
تركت بعد نفقة اهلي ومؤونة عاملي فهو صدقة هكذا
قال اهل العلم قالوا ويدل على ذلك ان مسكنا لهن لم يرثها عنهن
ورثتهن قالوا ولو كان ذلك ملكا لهن كان لا شك قد ورثه
عنهن ورثتهن قالوا وفي ترك ورثتهن ذلك دليل على انها لم تكن
لهن ملكا وانما كان لهن سكنا حياتهن فلما توفين جعل ذلك
زيادة في المسجد الذي يعم المسلمون نفعه كما جعل ذلك الذي
كان لهن من النفقات في تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما مضين لسبيلهن فرد الى اصل المال فصرف في منافع المسلمين
مما يعم جميعهم نفعه والله الموفق وقوله تعالى غير ناظرين اناه اي غير
منتظرين وقت نضجه واناه مقصور وفيه لغات اني يكسر الهمزة
قال الشيباني وكسرى اذ تقسمه بنوه بآسيا وكما اقتسم اللحام
لحضت النوء له يوم اني ولكل حاملة تمام
وقرئ الى عبلة غير ناظرين مجرورا صفة لطعام الزمخشري
وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له من حق ضمير ما هو له
ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته
هي انا بفتحها وانا بفتح الهمزة والمد قال الخطيئة

ولخرت العشا الى سهيل او الشعري فطال بي الامر

يعني الطلوع سهيل واما مصدر ان الشيء يأتي اذا فرغ وحان وادرك

الرابعه قوله تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا

فاكد المنع وحضر وقت الدخول الا ان يكون عند الاذن على وجه

الاذب وحفظ الحضرة الكريمة من المباسطة المكروهة

قال في الحرى وتقدير الكلام ولكن اذا دعيتم واذن لكم

فادخلوا والا فنفس الدعوة لا تكون اذنا كافيا في الدخول

والفا في جواب اذا الازمة لما فيها من معنى الجازاة الخامسة

قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا امر تعالى بعد الطعام

بان يفترق جمعهم وتنشر والرد الذام للخروج من المنزل عند

انقضاء المقصود من الاكل والدليل على ذلك ان الدخول حرام

وانما جاز لاجل الاكل فاذا انقضا الاكل زال السبب المبيح

وعاد التحريم الى اصله السادسة في هذه الاية دليل على ان

الضيف ياكل على ملك المضيف لا على ملك نفسه لانه قال فاذا

طعمتم فلم يجعل له اكثر من الاكل ولا اضاف الطعم سواه وبقي

الملحق بالاصل السابعه قوله تعالى ولا مستانسين

لحديث عطف على قوله غير ناظرين وغير منصوبة على الحال

من الكاف والميم في لكم اي غير ناظرين ولا مستانسين والمعنى

المقصود لا تمكثوا مستانسين بالحديث كما فعل اصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب بنت جحش

ان ذلك كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق

اي لا يمنع من بيانه واظهاره ولما جاز ذلك يقع من البشير

لعلة الاستحيا نفى عز الله تعالى العلة المجتبة لذلك في البشر

وفي الصحيح عن ام سلمة قالت جاءت ام سليم الى النبي صلى الله عليه وسلم

فقالت يا رسول الله ان الله لا يستحيي من الحق فهل على المراة من غسل

اذا هي احتلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اذا رأت

الماء الثامنة قوله تعالى واذا سالتموهن متاعا الاية

روى ابو داود الطيالسي عن انس بن مالك قال قال عمر واتفقت ربي

في اربع الحديث وفيه قلت يا رسول الله لو ضربت على نسائك الحجاب

فانه يدخل عليهن البر والفاجر فانزل الله عز وجل واذا سالتموهن متاعا

فاسلوهن من وراء حجاب واختلف في المتاع فقيل ما يتمتع به من العواري

وقيل فتوى وقيل صحف القرآن والصواب انه عام في جميع ما يمكن ان يطلب

من الاواني وساير المرافق للدين والدنيا الباسطة في هذه الاية دليل

على ان الله تعالى اذن في مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض او مسئلة

يستفتين فيها ويدخل في ذلك جميع النساء بالمعنى وبما تضمنته اصول

الشريعة من ان المراة كلها عورة بدنها وصوتها اذا تقدم فلا يجوز كشف

ذلك الا لحاجة كالشهادة عليها او ذا يبين من بدنها او سوالها عما يعرض

وتعين عند العاشرة استدل بعض العلما باخذ الناس عن ازواج النبي

صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب على جواز شهادة الاعمى وان الاعمى يعلم

زوجته بمعرفة كلامها وعلى اجازة شهادته اكثر العلما

ولم يجزها ابو حنيفة والشافعي في غيرها قال ابو حنيفة تجوز في

الانساب وقال الشافعي لا تجوز الا فيما رآه قبل ذهاب بصره

الحادية عشرة قوله تعالى ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن يريد من

الخواطر التي تعرض للرجال في النساء وللنساء في امر الرجال اي ذلك انفى

للريبة وابعد للتهمة وابقى في العباية وهذا يدل على انه لا ينبغي لاحد

وانفى

ز منه نفسه في الخلوة مع من لا تحل له فان مجانبة ذلك احسن لحاله واحفظ
لعرضه وتم عصمته الثانيه عشره قوله تعالى وما كان لكم ان توذوا رسول
الله الايه هذا تكرار للعلة وتاكيد لحكمها وتاكيد العلل اقوى في الاحكام
الثالثه عشره قوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا روى اسماعيل
بن اسحق قال حدثنا محمد بن عبيد قال نا ابو معشر عن محمد بن قيس عن عباده ان رجلا قال له
لو قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عايشه فانزل الله تعالى
وما كان لكم ان توذوا رسول الله الايه ونزلت وازواجه امهاتهم وقال
القشيري ابو نصر عبد الرحيم قال ابن عباس قال رجل من سادات قريش
من العشره الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على حرا في نفسه لو
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عايشه وهي بنت عمي
قال مقاتل هو طلحة بن عبيد الله قال ابن عباس وندم هذا الرجل على ما حدث
به في نفسه فمشى الى مكه على رجليه وحمل على عشرة افراس في سبيل الله
واعتق رقبا فكفر الله عنه وقال ابن عطيه روي انها نزلت بسبب
ان بعض الصحابه قال لو مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت
عايشة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاذى به هكذا
كنى عنه ابن عباس بعض الصحابة وحكي مكي عن معمر انه قال هو طلحة
بن عبيد الله قال الشيخ المصنف رحمه الله وكذا حكى النحاس عن معمر انه
طلحة ولا يصح قال ابن عطيه لله در ابن عباس هذا عندي لا يصح على طلحة
بن عبيد الله قال شيخنا الامام ابو العباس وحكي هذا القول عن بعض
فضلا الصحابة وحاشاهم عن مثله وانما الكذب في نقله وانما يليق
مثل هذا القول بالمنافقين الجاهلين روي ان رجلا من المنافقين قال لحين
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام سلمة بعد ابي سلمه

وحفصة بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نساءنا والله
لو قد مات لاجلنا السهام على ازواجه فنزلت الاية في هذا المحرم
الله نكاح ازواجه من بعده وجعل لهن حكم الامهات وهذه
من خصايصه تمييزا لشرفه وتنبيها على مرتبته صلى الله عليه
وسلم قال الشافعي رحمه الله وازواجه صلى الله عليه وسلم اللاتي مات
عنهن لا تحل لاحد نكاحهن ومن استحل ذلك كان كافرا لقوله
تعالى وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا قيل انما منع التزوج بزوجاته لانهن ازواجه في الجنه والله اعلم
في الجنه لا حرار واحها وقد ذكرنا ما للعلما في هذا في كتاب الذكره
من ابواب الجنه الرابعة عشره اختلف العلما في ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم بعد موته هل يقين لهن احكام ازال النكاح
بالموت واذا زال النكاح بالموت فهل
عليهن عده ام لا فقيل عليهن العده لانه توفي عنهن والعده عباده
وقيل لا عده عليهن لانها مده تربص لا ينتظرها الاباحه وهو
الصحيح لقوله عليه السلام ما تركت بعد نفقه عيالي وروي على
وهذا اسم خاص الزوجيه فانتفى عليهن النفقه والسكنى مده
حياتهن لكونهن نساءه وحرم على غيره وهذا هو معنى بقاء
النكاح وانما جعل الموت في حقه عليه السلام كهو في حقوقه
في حق غيره لكونهن ازواجا له في الاخره قطعا بخلاف سايز
الناس لان الرجل لا يعلم كونه مع اهله في دار واحده
فربما كان احدهما في الجنه والاخر في النار وبعدا انقطع السبب
في حق الخلق وبقي في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه
السلام زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الاخره وقال عليه السلام

كل سبب ونسب منقطع الا سببي ونسبي فانه باق الى يوم القيامة فرع فاما زوجاته عليه السلام اللاتي فارقهن في حياته مثل أكلبيه وغيرها فهل كان يحل لغيره نكاحهن فيه خلاف والصحيح جواز ذلك لما روي ان الكلبيه التي فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها عكرمة بن ابي جهل على ما يعدم وقيل ان الذي تزوجها الاشعث بن قيس الكندي قال القاضي ابو الطيب الذي تزوجها مهاجر بن ابي أميه ولم ينكر ذلك احد فدل انه اجماع الخامسة عشرة قوله تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما يعني اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم او نكاح ازواجه فجعل ذلك من جملة الكبائر ولا ذنب اعظم منه السادسة عشرة قد بينا سبب نزول الحجاب من حديث انس وقول عمر وكان يقول لسودة اذا خرجت وكانت امرأة طويلة قد بناي يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله اية الحجاب ولا بعد في نزول الاية عند هذه الاسباب كلها والله اعلم بيد انه لما ماتت زينب بنت جحش قال لا يشهد جنازتها الا ذو محرم منها مراعاة للحجاب الذي نزل بسببها فدلته اسما بنت عميس على ستر ها في النعش في القبة فاعلمت انها رات ذلك في بلاد الحبشة فصنعه عمر وروي ان ذلك صنع في جنازة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان تبدوا شيئا او تخفوه الاية الباري سبحانه وتعالى عالم ما بدا وما خفا وما كان وما لم يكن لا تخفى عليه ما مضى ولا مستقبل ياتي وهذا على العموم تتدح به وهو اهل المدح الحمد والمدح ان والمراد به ها هنا التوبيخ والوعيد لمن تقدم التعريض به

في الاية قبلها ممن اشير اليه بقوله ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ومن اشير اليه في قوله وما كان لكم ان يؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فقيل لهم في هذه الاية ان الله تعالى يعلم ما تحفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة وتجازيكم عليها فصارت هذه الاية منطوية على ما قبلها مبينة لها والله اعلم قوله تعالى لا جناح عليهن في ابائهن فيه ثلاث مسايل الاولى لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت هذه الاية الثانية ذكر الله في هذه الاية من محل المراة البروز له ولم يذكر العم والخال لانهما مجريان مجرى الوالدين وقد يسمى العم ابا قال الله تعالى نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسماعيل واسحق وكان العم قال الزجاج العم والخال يصفان المراة لولديهما فان المراة تحل لابن العم وابن الخال وكره ذلك الدوية وقد كره الشعبي وعكرمة ان تضع المراة خمارها عند عمها او خالها وقيل ذكر في هذه الاية بعض المحارم وذكر الجميع في سورة النور فهذه الاية بعض تلك وقد مضى الكلام هناك مستوفى والحمد لله الثالثة قوله تعالى واتقين الله لما ذكر الله تعالى الرخصة في هذه الاصناف والحزمت الاباحة عطف عليه ما هو اقوى عطف جملة وهذا في نهاية البلاغة والايجاز كانه قال اقتصرن على هذا واتقين الله فيه ان تتعدينه الى غيره وخص النساء بالذكر وعينهن في هذا الامر لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن والله اعلم ثم توعد تعالى بقوله ان الله كان على كل شئ شهيدا

قوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي هذه الاية شرف
الله بها رسوله عليه السلام حياته وموته وذكر منزلته منه
وظهر بها شرف فعل من استشعب في جهته فكرة سوء
او في امر زوجاته ونحو ذلك والصلاة من الله تعالى رحمته ورضوانه
ومن الملايكة الدعاء والاستغفار ومن الامة الدعاء والتعظيم
لامره مسئلة واختلف العلما في الضمير في قوله يصلون
فقالت فرقة الضمير فيه لله والملايكة وهذا قول من الله
تعالى شرفهم به ملايكته فلا يصحبه الاعتراض الذي جا في قول
الخطيب من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد
غوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بيس الخطيب انت
قل ومن يعص الله ورسوله لخرجه الصحيح قالوا لانه ليس
لاحد ان يجمع ذكر الله تعالى مع غيره في ضمير فله ان يفعل في
ذلك ما يشا وقالت فرقة في الكلام حذف وتقديره ان الله يصلي
وملايكته يصلون وليس في الاية اجتماع في ضمير وذلك
جايز للبشر فكيف ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيس الخطيب انت لهذا المعنى وانما قاله لان الخطيب وقف
على ومن يعصهما وسكت سكتة واستدلوا بما رواه ابو
داود عن عدي بن حاتم ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله ومن يعصهما فقال
قم او اذهب بيس الخطيب الا انه يحتمل ان يكون لما خطاه على
وقفه وقال له بيس الخطيب اذ لحق له بعد ذلك جمع كلامه
فقال قل ومن يعص الله ورسوله فحسن في كتاب مسلم وهو يؤيد
القول الاول فانه لم يقف على ومن يعصهما وقرا ابن عباس وملايكته

بالرفع على موضع اسم الله قبل دخول ان والجمهور بالنصب عطفا
على الهاء التي في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
امر تعالى عباده بالصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
دون انبيايه تشريفا له ولا خلاف في ان الصلاة عليه فرض
في العمر مرة وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة
التي لا يسع تركها ولا يغفلها الا من لا خير فيه الزمخشري فان
قلت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة مندوب
اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم
من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم
يصل علي فدخل النار فابعده الله وروي انه قيل له يا رسول الله
ارايت قول الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي فقال
عليه السلام هذا من العلم المكنون ولولا انكم سالتموني عنه
ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند مسلم
فيصلي علي الا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله وملايكته
جوابا لدينك للملكين امين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي
علي الا قال ذلك الملك لا غفر الله لك وقال الله وملايكته
جوابا لدينك الملكين امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس
مرة وان تكرر ذكره كما قال في اية السجدة وتشميت العاطس
وكذلك في كل دعا في اوله واخره وكذا قال في اظهار
الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عند كل ذكر
لما ورد من الاخبار في ذلك مسئلة واختلف الامر في صفة الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم فروى مالك عن ابن مسعود الانصاري قال اتانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة

فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف
نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه
لم يسله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على
محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم
ورواه النسائي عن طلحة مثله باسقاط قوله في العالمين وقوله والسلام
كما علمتم وفي الباب عن كعب بن عجرة وابي حميد الساعدي وابي
سعيد الخدري وعلي بن ابي طالب وابي هريرة وبريدة الخزاعي وزيد بن خارجة
ويقال بن حارثة اخرجها ائمة اهل الحديث في كتبهم وصحح الترمذي
حديث كعب بن عجرة اخرجه مسلم في صحيحه مع حديث ابي حميد
الساعدي قال ابو عمر روى شعبة والثوري عن الحكم بن عبد الرحمن
بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة فقال ا
قل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وبارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد
وهذا لفظ حديث الثوري لحديث شعبة وهو يدخل في
التفسير المسند لقول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
الاية فبين كيف الصلاة عليه وعليهم في التحيات كيف السلام
عليه وهو قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
وروى المسعودي عن عون بن عبد الله عن ابي فاخته عن الاسود
عن عبد الله انه قال اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا
الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا

آل
آل
ال

قال قولوا اللهم صل عليك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد
ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون
والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم
وال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد ورويناه بالاسناد
المتصل في كتاب الشفا للقاضي عياض عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن
في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت
على ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى ال محمد
كما تحننت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد قال ابن العربي
من هذه الروايات صحيح ومنها سقيم واصحها ما رواه مالك فاعتمدوه
وزيادة غير مالك من زيادة الرحمة مع الصلاة وغيرها لا يقوي
وانا على الناس ان ينظروا في اديانهم نظرهم في اموالهم وهم
لا ياخذون في البيع دينارا معيبا وانا نختار لهم السالم الطيب
كذلك لا ياخذ من الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم
الا ما صح سنده ليلا يدخل في حيز الكذب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم انتهى هو طلب الفضل اذا به قد اصاب النقص
بل ربما اصابت الخسران المبين الشامله في فضل الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى علي

انك حميد مجيد ؟

صلاه صلى الله بها عليه عشرا وقال اسمعيل بن عبد الله الصلاه على محمد
افضل العبادات لان الله تعالى تولاها هو وملائكته ثم امرنا المؤمنين
وسائر العبادات ليس كذلك قال ابو سليمان الدارانى من اراد ان
يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسأل
الله حاجته ثم يختم بالصلاه على النبى صلى الله عليه وسلم فان الله يقبل
الصلاتين وهو اكرم من ان يرد ما بينهما وروى سعيد بن المسيب
عن عمر بن الخطاب انه قال الدعا محجوب دون السما حتى يصلى على النبى
صلى الله عليه وسلم فاذا جات الصلاه على النبى صلى الله عليه وسلم
رفع الدعا وقال النبى صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل
الملايكة يصلون عليه ما دام اسمى فى ذلك الكتاب الرابعه
واختلف العلما فى الصلاه على النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاه فالذى
عليه الجم الغفير والجمهور الكثير ان ذلك من سنن الصلاه ومستحباتها
قال المنذر يستحب ان لا يصلى احد صلاة الا صلا فيها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك وصلاته مجزيه فى مذهب
مالك واهل المدينه وسفين الثورى واهل الكوفه من اصحاب الراى
وغيرهم وهو قول جمل اهل العلم وحكى عن مالك وسفين انها فى التشهد
الاخير مستحبة وان تاركها فى التشهد مسيئ وشذ الشافعى
فاوجب على تاركها فى الصلاه الاعاده واوجب اسحق الاعاده
من تعمد تركها دون النسيان وقال ابو عمر وقال الشافعى ذا لم يصلى
على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد الاخير بعد التشهد وقبل
السلام اعاد الصلاه قال وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه وهذا قول
حكاه عنه حرملة بن يحيى لا يكاد يوجد هكذا عن الشافعى فى الامر رواية
وهو من كبار اصحابه الذين كتبوا كتبه وقد نقله اصحاب الشافعى

التسليم

وماله اليه وناظروا عليه وهو عندهم تحصيل مذهبه وزعم الطحاوى
انه لم يقل به احد من اهل العلم غيره وقال الخطابى وهو من اصحاب
الشافعى ولبست بواجبه فى الصلاه وهو قول جماعه الفقها
الا الشافعى ولا اعلم له فيها قدوه والدليل على انها ليست من
فروض الصلاه عمل السلف الصالح قبل الشافعى واجماعهم عليه
وقد شنع عليه فى هذه المسله جدا وهذا تشهد بن مسعود
الذى اختاره الشافعى وهو الذى علمه النبى صلى الله عليه وسلم
ليس فيه الصلاه على النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى
التشهد عنه صلى الله عليه وسلم وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا
التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان فى الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر وليس فيه ذكر الصلاه على النبى صلى الله عليه وسلم
قال المصنف رحمه الله وقد قال بوجوب الصلاه على النبى صلى الله عليه
وسلم فى الصلاه محمد بن الموازمن اصحابنا فيما ذكر ابن القصار وعبد الوهاب
واختاره ابن العربى لحديث الصحيح ان الله امرنا ان نصلى عليك فعلم
الصلاه فتعينت كيفيته ووقتا وذكر الدارقطنى عن ابى جعفر
محمد بن على بن الحسين انه قال لو صليت صلاه لا اصلى فيها على النبى
صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم وروى مرفوعا
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم والصواب انه قول ابى جعفر
قاله الدارقطنى الخامسه قوله تعالى وسلموا تسليما قال
القاضى ابو بكر بن بكير نزلت هذه الايه على النبى صلى الله عليه وسلم
فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا
عليه عند حضورهم قبره وعند ذكره وروى النسائى عن عبد الله
ابن ابى طلحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم

والبشرى في وجهه فقلت انا لندري البشرى في وجهك قال انه
اتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك انه لا يصلي
عليك احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت
عليه عشرا وعن محمد بن عبد الرحمن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما منكم من احد يسلم علي اذا مت الا اتاني سلامه مع جبريل عليه
فقول يا محمد هذا فلان بن فلان يقرأ عليك السلام فاقول عليه السلام
ورحمة الله وبركاته وروى النسائي عن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي
السلام قال القشيري والتسليم قولك سلام عليك قوله تعالى
ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة فيه
خمس مسايل الاولى اختلف العلماء في اذاية الله بما ذا تكون
فقال الجمهور من العلماء معناه بالكفر ونسبة الصاحبة والولد
والشريك اليه ووصفه بما لا يليق به كقول اليهود لعنهم الله
يد الله مغلولة والنصارى المسيح بن الله والمشركين الملائكة بنات الله
والاصنام شركاؤه وفي صحيح البخاري قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم
ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك الحديث وقد تقدم
في سورة مريم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال الله تعالى
يؤذيني ابن ادم يقول يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله
ونهاره فاذا شئت قبضتهما هكذا جا هذا الحديث موقوفا
على ابي هريرة في هذه الرواية وقد جا مرفوعا عنه يؤذيني ابن ادم
يسب الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار اخرجه ايضا
مسلم وقال عكرمه معناه بالتصوير والتعرض لفعل ما لا يفعله
الا الله بخلق الصور وغيرها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لعن الله المصورين وقال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا ما نحوي قول مجاهد
في المنع من تصوير الشجر وغيرها اذ كل ذلك صفة اختراع وتشبه
بفعل الله الذي انفرد به سبحانه وتعالى قد تقدم هذا في سورة
النمل والحمد لله وقالت فرقه ذلك على حد وعيد شديد
يؤذون اولياء الله واما اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي
كل ما يؤذيه من الاقوال في غير معنى واحد ومن الافعال ايضا كساحر
شاعر كاهن مجنون واما فعلهم فكسر رباعيته وشج وجهه يوم
احد وبمكة القا السلا على ظهره وهو ساجد الى غير ذلك وقال
ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ صفية بنت حيي واطلق
ايذا الله ورسوله وقيد ايذا المومنين والمومنات لان ايذا الله ورسوله
لا يكون الا غير حق بدا واما ايذا المومنين والمومنات فمنه ومنه
الثانية قال علماءنا والطعن في امير اسامه بن زيد اذاية له عليه السلام
روى الصحيح عن ابن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا
وامر عليهم اسامة بن زيد فطعن الناس في امرته فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان تطعنوا في امرته فقد كنتم تطعنون في امر ابيه
من قبل وايم الله ان كان خليقا للامارة وان كان لمن احب الناس الي بعده
وهذا البعث هو الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اسامة
وامره عليهم وامره ان يغزو ابنى وهي الغزوة التي عند موتة الموضع
الذي قتل فيه زيد ابوه مع جعفر ابن ابي طالب وعبد الله بن رواحة
فامره ان ياخذ بثار ابيه فطعن من في قلبه ريب في امارته من حيث
انه من الموالي من حيث انه كان صغير السن لانه كان اذ ذاك
بن ثمان عشرة سنه فمات النبي صلى الله عليه وسلم وقد برز هذا
البعث عن المدينة ولم ينفصل بعد عنها فنفذه ابو بكر بعد النبي

قلنا

امره

والنعد الذي يجب الناس

عليه السلام الثالثه في هذا الحديث اوضح دليل على جواز امامة
المولى والتفضيل على غيرهما ما عدى الامامة الكبرى فقد قدم النبي
صلى الله عليه وسلم سالما مولى ابي حذيفة على الصلاة بهم فكان
يؤمهم وفيهم ابو بكر وعمر وغيرهم من كبراء قريش وروى الصحيح
عن عامر بن واثله ان نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان وكان
عمر استعمله على مكة فقال من استعملت على هذا الوادي قال ابزى
قال ومن ابزى قال مولا من موالينا قال فاستخلفت عليهم مولا قال انه
لقاري لكتاب الله وانه عالم بالفرايض قال اما ان نبيكم قد قال ان
الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به لخرين الرابعه كان لاسامة
رضي الله عنه المحبة من الحب وذلك كان زيد عمي كان اسود شديد
السواد وكان زيد ابوه ابيض من القطن هكذا ذكره ابو داود
عن احمد بن صالح وقال غير احمد كان زيد ازهر اللون وكان زيد شديد
الادمة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبس اسامة وهو
صغير ويمسح مخاطه وينقي انفه ويقول لو كان اسامة جارية
لزينناه وجهزناه وحبيناه الى الازواج وقد ذكر ان سبب ارتداد
العرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم انه لما كان في حجة الوداع
بجبل عرفة عشية عرفة عند النفر احتبس النبي صلى الله عليه
وسلم قليلا بسبب اسامة الى ان اتاه فقالوا ما احتبسك الا لاجل
هذا الحقير له فكان قولهم هذا سبب ارتدادهم ذكره البخاري في
التاريخ بمعناه والله اعلم الخامسه كان عمر رضي الله عنه يفرض
لاسامة في العطا خمسة الاف ولابنه عبد الله الفين فقال له عبد الله
فضلت علي اسامة وقد شهدت ما لم يشاهد فقال ان اسامة
كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك واباه كان احب

فقال؟

عليه السلام؟

يشهد؟

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك ففضل رضي الله عنه
محبوب رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبوبه وهكذا يجب ان
تحب ما احب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبغض ما ابغض
وقد قابل مروان هذا الحب بنقيضه وذلك انه مر بأسامة بن زيد
وهو يصلي عند باب البيت بيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
مروان انما اردت ان ترى مكانك فقد رأيناك فعل الله
بك وفعل قولا قبيحا فقال له اسامة انك آذيتني وانك فاحش
متفحش وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
يبغض الفاحش المتفحش فانظر ما بين الفعلين وقس ما بين الرجلين
فلقد آذى بنو امية النبي صلى الله عليه وسلم في احبابه وناقضوه
في اصحابه قوله تعالى لعنوا معناه ابعد من كل خير واللعن في
اللغة الابعاد ومنه اللعان واعد لهم عذابا اليما تقدم في غير
موضع قوله تعالى والذين يؤذون المومنين والمومنات اذا بغير
المومنين والمومنات هي ايضا الافعال والاقوال القبيحة كالبهتان
والتكذيب الفاحش وهذه الاية نظير الاية التي في النساء ومن
يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما
مبينا كما قال هنا وقد قيل ان من الاذايه تعييره بحسب مذموم
او حرفه دنيئة او شيء يثقل عليه اذا سمعه لان اذاه في الجملة
حرام وقد ميز الله تعالى بين اذاه واذى الرسول واذى المومنين
فجعل الاول كفرا والثاني كبيرة فقال في اذى المومنين فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا وقد بيناه وروي ان عمر بن الخطاب قال لابي
بن كعب قرات البارحة هذه الاية فقزعت منها والذين يؤذون
المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا الاية والله اني لاضربهم
وازجرهم فقال له ابي يا امير المومنين لست منهم انما انت معلم ومقوم

الآية

وقد قيل ان سبب نزول هذه الاية ان عمر رأى جارية من الانصار فضربها
وكره ما رأى من زينتها فخرج اهلها فاذوا عمر بالسان فانزل الله
هذه الاية وقيل نزلت في علي فان المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون
عليه رضي الله عليه قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن فيه ست مسائل
الاولى قوله تعالى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين تقدمي
الكلام في تفصيل ازواجه واحدة واحدة قال قتادة مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تسع خمس من قريش عايشة وحفصة وام
حبيبة وسودة وام سلمة وثلاث من سايار العرب ميمونة وزينب
بنت جحش وجويرية وواحدة من سبي هوازن صفية واما بناته فكان
للنبي صلى الله عليه وسلم اولاد ذكور واناث فالذكور من اولاده القاسم
وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم وهو اول من مات
من اولاده وعاش سنتين وقال عروة ولدت خديجة للنبي صلى الله
عليه وسلم القاسم والطاهر وعبد الله والطيب وقال ابو بكر البرقي
ويقال ان الطاهر هو الطيب وهو عبد الله وابرهيم امه مارية القبطية
ولد في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة وتوفي من سنته عشر شهرا
وقيل ثمانية عشر ذكره الدارقطني ودفن بالبقيع وقال صلى الله
عليه وسلم ان له مرضعا تتم رضاعه في الجنة وجميع اولاد النبي صلى الله
عليه وسلم من خديجة سوى ابرهيم وكان اولاده ماتوا في حياته غير
فاطمة واما الاناث من اولاده فمنهن فاطمة الزهرا تزوجت خديجة
ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين وهي اصغر
بناته وتزوجها علي رضي الله عنهما في السنة الثانية من الهجرة
في رمضان وبنى بها في ذي الحجة وقيل تزوجها في رجب وتوفيت بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير وهي اول من لحقه من اهل بيته

رضي الله عنها ومنهن زينب امها خديجة تزوجها بن خالتها
ابو العاص بن الربيع وكانت ام العاص هالة بنت خويلد اخت خديجة
واسم ابي العاص لقيط وقيل هاشم وقيل مهشم وقيل مقسم وكانت
اكبر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان
من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها ومنهن
رقية امها خديجة تزوجها عتبة ابن ابي لهب قبل النبوة فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه تبت يدا ابي لهب
قال ابو لهب لابنه راسي من راسك حرام ان لم تطلق ابنته ففارقها
ولم يكن بنا بها واسلمت حين اسلمت امها خديجة وبايعت رسول
وكانت الله صلى الله عليه وسلم هي واخواتها حين بايعه النسا وتزوجها
عثمان بن عفان وكان نساء قريش يقلن حسن بن وجها عثمان احسن
شخصين راي انسان زوجة وزوجها عثمان وهاجرت معه الى ارض
الحبشة الهجرتين وكانت قد اسقطت من عثمان سقطا ثم ولدت
بعد ذلك عبد الله وكان عثمان يكنى به في الاسلام وبلغ ست سنين
فنقره ديك في وجهه فمات ولم تلد له شيا بعد ذلك وهاجرت
الى المدينة ومرضت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز الى
بدر فخلف عثمن عليها فتوفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ببدر على راس سبعة عشر شهرا من الهجرة وقدم زيد بن حارثة
بشيرا من بدر فدخل المدينة حين تسوى التراب على رقية ولم
يشهد دفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهن ام كلثوم
امها خديجة تزوجها عتيبة ابن ابي لهب اخو عتبة قبل النبوة
وامره ابوه ان يفارقها للسبب المذكور في امر رقية ولم يكن
دخل بها فلم تزل بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلمت
حين اسلمت امها وبايعت رسول الله مع اخواتها حين بايعته

وبعلها

النسا وهاجرت الى المدينه حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما توفيت رقيه تزوجها عثمن وبذلك سمي ذا النورين وتوفيت في
حياة النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان سنه تسع من الهجرة وجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرها ونزل في حفرتها علي والفضل
واسامة وذكر الزبير بن بكار ان اكبر ولد النبي صلى الله عليه وسلم
القاسم ثم زينب ثم عبد الله وذان يقال له الطيب والطاهر ولد بعد
النبوه ومات صغيرا ثم ام كلثوم ثم فاطمه ثم رقيه فمات القاسم
بمكه ثم مات عبد الله لما كانت عاده الجديات السدل وكن
يكشفن وجوههن كما يفعل الاما وكان ذلك داعيه الى نظر الرجال
اليهن وتشعب الفكره فيهن امر الله رسوله ان يامرهن بارخا
الجلابيب عليهن اذا اردن الخروج الى حوائجهن وكن يتبرزن في الصحرا
قبل ان يتخذ الكنف فيقع الفرق بينهن وبين الاما فيعرف الحرائر بستره
فيكف عن معارضتهن من كان غزيا او شابا وكانت المراه من نسا
المومنين قبل نزول هذه الايه تبرز للحاجه فيتعرض لها بعض
الفجار يظن انها امة فيصيح به فيذهب فشكوا ذلك الى النبي صلى الله
عليه وسلم ونزلت الايه بسبب ذلك قال معناه الحسن وغيره
الثانيه قوله تعالى من جلابيبهن الجلابيب جمع جلباب وهو
ثوب اكبر من الخمار وروى عن ابن عباس وابن مسعود انه الرداء وقد
قيل انه القناع والصحيح انه الثوب الذي يستر جميع البدن وفي
صحيح مسلم عن ام عطيه قلت يا رسول الله احدانا لا يكون لها
جلباب قال لتلبسها اختها من جلبابها الرابعه واختلف الناس
في صوره ارخايه فقال ابن عباس وعبيده وعبيده السلماني ذلك
ان تلويه المراه حتى لا يظهر منها الا عين واحده تبصر بها وقال
ابن عباس ايضا وقتاده ذلك ان تلويه فوق الجبين وتشده

الثانيه

ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر
ومعظم الوجه وقال الحسن تغطي نصف وجهها الخامسة امر
الله سبحانه جميع النسا بالتستر وان ذلك لا يكون الا بهذه الصفه
جلدها الا اذا كانت مع زوجها فلها ان تلبس ما شاءت لان له
ان يستمتع بها كيف شاءت ان النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ
ليلة فقال سبحان الله ماذا انزل الليله من الفتن وماذا فتح من الخزائن
من يوقظ صواحب الحجرات كاسيات في الدنيا عاريه في الاخره
وروى ان دحيه الكلبي لما رجع من عند هرقل فاعطاه النبي
صلى الله عليه وسلم قبطيه فقال اجعل صديقا لك قميصا واعط بها
صاحبك صديقها فاختر به والصديق النصف ثم قال له مرها
تجعل تحتها شيا لئلا يصف وذكر ابو هريره رقة الثياب للنسا
فقال الكاسيات العاريات الناعمات المشتهيات ودخل
نسوه من بني تميم على عايشه عليهن ثياب رقاق فقالت عايشه
ان كنتن مومنات فليس هذا بلباس المومنات فتمتعينه وادخلت
امراة عروس على عايشه رضي الله عنها وعليها خمار قبطي معصفر
فلما رايتها قالت لو تمن بسوره النور امراة تلبس هذا وثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نساء كاسيات عاريات
مايلات ممايلات رووسهن مثل اسنمة البخت لا يدخلن الجنه ولا
يجدن ريحها وقال عمر رضي الله عنه ما يمنع المراة المسلمة اذا
كانت لها حاجه ان تخرج في خمار زوجها او خمار جارتها مستخفيه
لا يعلم بها احد حتى ترجع الى بيتها السادسه

قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين الحرائر لا يختلطن
بالاما فاذا عرفن لم يقابلن بالاذى من المعارضه مراقبة لريبة

يقابلن

الحرية فتقطع الاطماع عنهن وليس المعنى ان تعرف المراه حتى تعلم
من هي وكان عمر رضي الله عنه اذا رأى امة قد تقنعت ضربها بالدره
مخافة ان تتشبه بالحرائر وقد قيل انه انما اوجب الستر والتقنع الا في
حق الجميع من الحرائر والاماء وهذا كما ان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم منعوا النساء المساجد بعد وفاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم مع قوله لا تمنعوا اماء الله مساجد الله حتى قالت
عايشه رضي الله عنها لو عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
وقتنا هذا لمنعهن من الخروج الى المساجد كما منعت نساء بني
اسرايل وكان الله غفورا رحيما تا يسر لانساء ترك الجلابيب
قبل هذا الامر المشروع قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون ١٠
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينه لنغرينك بهم ثم لا
يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين فيه خمس سابيل الاولى اهل
التفسير على ان الاوصاف الثلاثة لشيء واحد كما روي سفين بن
سعيد عن منصور بن ابي زين قال المنافقون والذين في قلوبهم
مرض والمرجفون في المدينه قال هم شيء واحد يعني انهم قد جمعوا
هذه الاشياء الواو تجمعه كما قال
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبه في المزدحم
اراد الى الملك القرم بن الهمام ليث الكتيبه وقد مضى في البقره
وقيل كان منهم قوم يرجفون وقوم يتبعون النساء للريبه
وقوم يشككون المسلمين قال عكرمه وشهر بن حوشب
الذين في قلوبهم مرض يعني الذين في قلوبهم الزنا وقال الحاوس
نزلت هذه الايه في امر النساء وقال سلمة بن كهيل نزلت في
اصحاب الغوائل والمعنى متقارب وقيل المنافقون الذين
في قلوبهم مرض شيء واحد عبر عنهم بلفظين دليله اية المنافقين

في اول البقره والمرجفون في المدينه قوم كانوا يخبرون الاخبار
بما يسوءهم من عدوهم فيقولون اذا خرجت سرايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم انهم قد قتلوا وهزموا وان العدو قد اتاكم
قاله قتاده وغيره وقيل كانوا يقولون اصحاب الصفه قوم
جياع فهم الذين يتعرضون للنساء وقيل هم قوم من المسلمين ينطقون
بالاخبار الكاذبه حبا للفتنه وقد كان في اصحاب الافك قوم
مسلمون ولكنهم خاضوا حبا للفتنه وقال ابن عباس الارجاف
التماس الفتنه والارجاف اشاعة الكذب والباطل للاغتمام به
وقيل تحريك القلوب يقال رجفت الارض اذا تحركت وتزلزلت
ترجف رجفا والرجفان الاضطراب الشديد والرجاف البحر
سمي لاضطرابه قال الشاعر المطعمون اللحم كل عشيه
حتى تغيب الشمس في الرجاف والارجاف واحد الاراجيف
الاخبار وقد ارجفوا في الشيء اذا خاضوا فيه قال الشاعر
فانا وان عيرتمونا بقتله وارجف بالاسلام باغ وحاسد
وقال الفراء لا راجيف يا بني اللوم توعدوني وفي الاراجيف خلت اللوم
فالارجاف حرام لان فيه اذاية فنزلت الايه على تحريم الايذاء بالارجاف
الثانيه قوله تعالى لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم
فنستاصلهم بالقتل وقال ابن عباس لم يشتهوا عز واذ النساء ان الله
عز وجل قد اغراه بهم ثم انه قال عز وجل لا يصلى احد منهم مات
ابدا ولا يقوم على قبره وانه امره بلعنهم وهذا هو الاغراء قال محمد
بن يزيد قد اغراه بهم في الايه التي بعد هذه مع اتصال الكلام بها
وهو قوله عز وجل اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فهذا فيه
معنى الامر بقتلهم واحدهم اي هذا حكمهم اذا كانوا مقيمين على النفاق

والارجاف وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس من فعل
الحل والحرم فهذا فيه معنى الامر فالايه سوا المنا سر وهيز امس
احسن ما قيل في الايه وقيل انهم قد انتهوا عن الارجاف فلم يعزهم
ولام لنغرينك لام القسم والسين واقعة عليها وادخلت اللام
توطيه لها الثالثه قوله تعالى ثم لا يجاورونك فيها
اي في المدينه الا قليلا نصب على الحال من الضمير في يجاورونك
فكان الامر كما قال الله عز وجل لانهم لم يكونوا الا قليلا فهذا
لا يجاورونك احد جواب القراء هو الاولى عنده اي الا في حال قلتهم والجواب
الاخر ان يكون المعنى الا وقتا قليلا اي لا يبقون معك الا مدة يسيرة
اي لا يجاورونك فيها الا جوارا قليلا حتى يهلكوا او يخرجون نفيا
لمصدر او ظرف محذوف دل على ان كان معك ساكنا بالمدينه
فهو جار وقد مضى في النسا الرابعة قوله تعالى
ملعونين هذا تمام الكلام عند محمد بن يزيد وهو منصوب على الحال
وقال بن الانباري قليلا ملعونين وقف حسن الخاسر ويجوز ان
يكون التمام الا قليلا وتنصب ملعونين على الشتم لما قرا عيسى
بن عمر وامرأته حمالة الحطب وقد حكي عن بعض النحويين انه قال
يكون المعنى انما ثقفوا اخذوا ملعونين وهذا خطا لا نعمل ما
مع الجزاء فما قبله وقيل معنى الايه ان اصروا على النفاق لم يكن
لهم مقام بالمدينه الا وهم مطرودون ملعونين وقد فعل بهم
هذا فانه لما نزلت سورة براءة جمعوا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم فاخرج فقام باسمائهم
من المسلمين وتولوا اخراجهم من المسجد الخامسة قوله
تعالى سنة الله نصب على المصدر اي سن الله جل وعز
فيمن ارجف بالانبيا والمؤمنين نفاقه ان يوخذ ويقتل ولن تجد لسنة الله
تبديلا اي تحويلا وتغييرا حكاه النقاش وقال السدي معناه من قتل
بحق فلا دية على قاتله المهدوي وفي الايه دليل على جواز ترك انفاذ
الوعيد والدليل على ذلك بقاؤنا فقيض معه حيوانات والعروف
من اهل الفضل اتمام وعدهم وتاخير وعيدهم وقد مضى هذا
في ال عمران وغيرها قوله تعالى يسلك الناس عن الساعة
هاوا لمؤذون لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما توعدوا بالعذاب
سالوا عن الساعة استبعادا وتكذيبا موهمين انها لا تكون
قل انما علمها عند الله اي اجبهم عن سوالهم وقل علمها عند الله
وليس في اخفا الله وقتها عني ما يبطل نبوتي وليس من شرط النبي
ان يعلم الغيب بغير تعليم من الله جل وعز وما يدريك اي ما يعلمك
لعل الساعة تكون قريبا اي في زمان قريب وقال صلى الله عليه
وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار الى السبابه والوسطى
خرجه اهل الصحيح وقيل اي ليست الساعة تكون قريبا فحذف
ها التانيث ذهابا بالساعه الى اليوم كقوله ان رحمت الله
قريب من المحسنين لم يقل قريبه ذهابا بالرحمه الى العفو اذ
ليس تانيثها اصليا وقد مضى هذا مستوفى وقيل انما اخفى
وقت الساعة ليكون العبد مستعدا لها في كل وقت
قوله تعالى ان الله لعن الكافرين اي طردهم وابعدهم واللعن
الطرد والابعاد عن الرحمة وقد مضى في البقره بيانه واعد لهم
سعيرا خالدين فيها ابدا فانت السعير لانها بمعنى النار لا يجدون وليا
ولا نصيرا يحميهم من عذاب الله والخلود فيه قوله تعالى
يوم تقلب وجوههم في النار قراة العامه بضم التا وفتح اللام

على الفعل المجهول وقرا عيسى الهمداني وابن اسحق تُقلب بنون وكسر
اللام وجوههم نصبا وقرا عيسى ايضا تُقلب بضم التا وكسر اللام
على معنى تُقلب السعيرُ وجوههم وقرا ابو حيوه باختلاف عنه وابو جعفر
وبسيبة تَقلب بفتح التا واللام على معنى تتقلب وهذا التقليب
تغيير الوانهم بلفح النار فتسود مره وتخضر اخرى واذا بدلت
جلودهم جلود اخر فحينيذ يتمنون انهم ما كفروا يا ليتنا اى يقولون
يا ليتنا ويجوز ان يكون المعنى يقولون يوم يقلب وجوههم في النار
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا اى لم نكفر فننجو من هذا العذاب
كما نجا المومنون وهذه الالف تثبت في الفواصل فيوقف عليها
ولا يوصل بها وكذا السبيلا وقد مضى اول السوره وقرا الحسن
انا اطعنا سادتنا بكسر التا جمع ساده وكان في هذا زجر
عن التقليد والساده جمع السيد وهو فعلة مثل كتبة وفجرة
وسادات تاجمع للجمع والساده والكبرى يعني قال قاتلهم
المطعون في غزوه بدر والاظهر العموم في القاده والروساء في
الشرك والضلاله اى اطعناهم في معصيتك وما دعونا اليه
فاضلونا السبيل اى عن السبيل وهو التوحيد فلما حذف الجار
وصل الفعل فنصب والاضلال لا يتعدى الى مفعولين من غير توسط
حرف الجر كقوله لقد اضلني عن الذكر وقوله تعالى ربنا اتهم ضعفين
من العذاب قال قتاده عذاب الدنيا وعذاب الاخره وقيل عذاب
الكفر وعذاب الاضلال اى عذبهم مثلي ما تعذبنا فانهم ضلوا
واضلوا والعنهم لعنا كثيرا قرا ابن مسعود واصحابه وحمي
وعاصم بالباء الباقون بالثا واختاره ابو حاتم وابو عبيد والنحاس
لقوله تعالى اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهذا لعن كثير

وقال محمد بن ابي السري رايت في المنام داني في مسجد عسقلان
وكان رجلا ينا طرني فمر بعض اصحاب محمد فقال في العنهم
لعنا كثيرا كررها حتى غاب عني لا يقوله الا بالثا وقراة الباء
ترجع في المعنى الى الثا لان ما كثر كان عجيبا كثيرا عظيم المقدار
فعله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى لما ذكر
تعالى المنافقين في الكفار الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمومنين حذر المومنين من التعرض للايذاء ونهاهم عن التشبه
ببني اسرايل في اذايتهم نبيهم موسى واختلف الناس فيما اوذي
به محمد صلى الله عليه وسلم وموسى في النفاش ان اذاياتهم محمدا
قولهم زيد بن محمد وقالوا واياك اذاية انه عليه السلام قسم قسما
فقال رجل من الانصار ان هذه القسمه ما اريد بها وجه الله
فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال رحم الله موسى
لقد اوذي باكثر من هذا فصبر واما اذاية موسى صلوات الله عليه
فقال ابن عباس وجماعه هي ما تضمنه حديث ابي هريره عن النبي
صلى الله عليه وسلم وذلك انه قال كان بنو اسرايل يغتسلون
عراة وكان موسى عليه السلام يغتسل كثيرا وحده فقال
قوم هو ادر آدبر منا به آفة فانطلق ذات يوم يغتسل
في عين بارض الشام وجعل ثيابه على صخره ففر الحجر بثيابه
واتبعه موسى يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من
بني اسرايل فنظروا اليه وهو من احسنهم خلقا واعدلهم
صوره وليس به الذي قالوا فهو قوله فبراه الله مما قالوا اخرجه
البخاري ومسلم بمعناه ولفظ مسلم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانت بنو اسرايل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى
سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا

والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب يوما
يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى عليه
السلام باثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرايل الى
سوأة موسى وقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال
فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله انه بالحجر ندب
ستة او سبعة ضرب موسى بالحجر نهذا قول وروي عن عباس
عن علي بن ابي طالب انه قال لما ارد موسى ان قالوا ما قتل هارون وذلك
ان موسى وهارون خرجا من مصر الى التيه الى جبل فمات هارون فيه فجا
موسى فقالت بنو اسرايل لموسى انت قتلته وكان ألين لنا منك واشد
حبا فآذوه بذلك فامر الله ملايكة فحملته حتى مروا به في مجالس اسرايل
وراوا اية عظيمة دلتهم على صدق موسى ولم يكن فيه اثر وقد قيل ان
الملايكة تكلمت بموته ولم يعرف قبره الا الرخم وان الله تعالى جعله
اصم ابكم ومات هارون قبل موسى في التيه ومات موسى قبل
انقضاء مدة التيه بشهر بن وحكى العسكري عن علي بن ابي طالب
ان الله احيا هارون واخبرهم انه لم يقتله ثم مات وقد قيل ان اذاية
موسى ايهم اياه بالسحر والجنون والصحيح الاول ويحتمل ان يكونوا قالوا
كل ذلك فبراه الله من جميع ذلك مسئلة في وضع موسى ثوبه
على الحجر ودخوله في الماء عريانا دليل على جواز ذلك وهو مذهب
الجمهور ومنعه مالك في احدى الروايتين لحديث لا يصح وهو قوله عليه السلام
لا يدخلوا الماء الا بمئزر قال الحاكم عامر قال القاضي عياض هو ضعيف
عند اهل العلم قال المصنف رحمه الله يستحب التستر لما رواه ابو اسرايل
عن عبد الاعلى ان الحسن بن علي دخل غديرا وعليه برد له متوشحا
به فلما خرج قيل له قال انما استترت ممن يراني ولا يراه
من بني والملايكة فان قيل كيف نادى موسى الحجر ندا من يعقل

عليه السلام

قيل لانه صدر عن الحجر فعل من يعقل وحجر منادي مفرد محذوف
حرف النداء كما قال تعالى يوسف اعرض عن هذا وتوبي منصوب
بفعل مضمر التقدير اعطني توبي او اترك توبي فحذف الفعل
لدلالة الحال عليه قوله تعالى وكان عند الله وجيها اي عظيما
والوجيه عند العرب العظيم القدر الرفيع المنزلة ويروى انه كان
اذا سال الله شيا اعطاه اياه وقرا ابن مسعود وكان عبد الله
وقيل معنى وجيها اي كلمه تكليما قال ابو بكر الانباري في كتاب
الرد زعم من طعن في القران ان المسلمين صحفوا وكان عند الله وجيها
وان الصواب عنده وكان عبد الله وجيها وذلك يدل على ضعف
مقصده ونقصان فهمه وقلة علمه وذلك ان الاية لو حملت على
قوله وقريت وكان عبدا نقص من الثناء على موسى عليه السلام
وذلك ان وجيها يكون عند اهل الدنيا وعند اهل زمانه وعند اهل
الاخرة فلا يوقف على مكان المدح لانه ان كان وجيها عند بني الدنيا
كان ذلك انعاما من الله عليه لا يسبق عليه معه ثناء من الله كما
اوضح الله تعالى موضع المدح بقوله وكان عند الله وجيها استحق
الشرف واعظم الرفعة بان الوجاهة عند الله فمن غير اللفظة صرف
عن نهي الله آخر الثناء واعظم المدح قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وقولوا قولا سديدا اي قصدا وحقا وقال ابن عباس صوابا
وقال قتادة ومقاتل يعني قولوا قولا سديدا في شان زيد وزينب ولا
تنسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى ما لا يحل وقال عكرمة وابن عباس
ايضا القول السداد لا اله الا الله وقيل هو الذي يوافق ظاهره باطنه
وقيل هو ما اريد به وجه الله دون غيره وقيل هو الاصلاح بين المتشاجرين
وهو ما حمود من تسديد السهم ليصاب به الغرض والقول السداد

اما انه

يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر وغير ذلك وظاهر الاية تعطي
انه انما اشار الى ما يكون خلافا للاذى الذي قيل في جهة الرسول
وجهة المؤمنين وعدل وجل بانه مجاز على القول السداد
باصلاح الاعمال وغفران الذنوب وحسبك بذلك درجة ورفعة
منزلة ومن يطع الله ورسوله اي فيما امر به ونهى عنه فقد فاز
فوزا عظيما قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال الاية بين سبحانه وتعالى في هذه السورة من الاحكام
ما بين بالتزام اوامره والامانة تعم جميع وضايف الدين على الصحيح
من الاقوال وهو قول الجمهور روى الترمذي الحكيم ابو عبد الله حدثنا
اسماعيل بن نصر عن صالح بن عبد الله عن محمد بن زيد بن جوهر
عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى لادم يا ادم اني عرضت الامانة على السموات والارض
فلم تطقها فهل انت حاملها بما فيها قال وما فيها يا رب قال ان
حملتها اجرت وان ضيعتها عذبت فاحملها بما فيها فلم يلبث
في الجنة الا قدر ما بين صلاة الاولى الى العصر حتى اخرجه الشيطان
منها فالامانة هي الفرايض التي ائتمن الله عليها العباد وقد
اختلف في تفاصيل بعضها على اقوال فقال ابن مسعود هي في
امانات الاموال كالودايع وغيرها وروي عنه انها في كل الفرايض
واشدها امانة المال وقال ابي بن كعب من الامانة ان اؤتمنت
المراة على فرجها وقال ابو الدرداء غسل الجنابة امانة وان الله تعالى
لم يأمن ادم على شيء من دينه غيرها وفي حديث مرفوع الامانة
الصلاة ان شيئت قلت قد صليت وان شيئت قلت لم اصل
وكذلك الصيام وغسل الجنابة وقال عبد الله بن عمرو بن العاصي
اول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعتكها

فلا تلبسها الا بحق فان حفظتها حفظتك فالفرج امانة والاذن
امانة والبطن امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا
امانة له وقال السدي في ايتمان ادم ابنه قابيل على ولده واهله
وخيانته اياه في قتله اخيه وذلك ان الله تعالى قال يا ادم هل
تعلم لي بيتا في الارض قال اللهم لا قال فان لي بيتا بمكة فاته
فقال للسما احفظي ولدي بالامانة فابت وقال للارض احفظي
ولدي بالامانة فقال الجبال فابت فقال لقابيل احفظ ولدي بالامانة
فقال نعم تذهب وترجع فتجد ولدك كما يسرك فرجع فوجده
قد قتل الخاه فذلك قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال الاية وروي معمر عن الحسن ان الامانة عرضت على السموات
والارض والجبال فقالت وما فيها قيل لها ان احسنت جوزيت
وان اسات عوقبت فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله تعالى
ادم عرضها عليه قال وما هي قال ان احسنت اجرتك
وان اسات عذبتك قال فقد حملتها يا رب قال مجاهد فما
كان بين ان حملها الى ان اخرج من الجنة الا قدر ما بين الظهر
والعصر وروي علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال الاية قال ان ادم اتاهن وان
ضيعوها عذبهن فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية
ولكن تعظيما لدين الله عز وجل لا يقوموا به ثم عرضها ادم
فقبلها بما فيها قال الخازن وهذا القول هو الذي عليه اهل
التفسير وقيل لما حضرت ادم صلى الله عليه وسلم الوفاة
امر ان يعرض الامانة على الخلق ويعرضها فلم يقبلها الا بنوه وقيل
هذه الامانة هي ما اودعه الله تعالى في السموات والارض

والجبال والخلق من الاملاك على ربوبيته ان ظهروها فاظهروها
الا الانسان فانه كتمها وخبرها قاله بعض المتكلمين ومعنى عرضنا
الجهر نا كما تقول عرضت الجارية على البيع والمعنى انا عرضنا
الامانه وتضييعها على اهل السموات واهل الارض من الملايكه
والانس والجن فابين ان يحملنها اى يحملن وزرها كما جل وعز
ويحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وحملها الانسان قال الحسن
المراد الكافر والمنافق انه كان ظلوما لنفسه جهولا بربه
فيحمل على هذا الجواب مجازا مثل واسئل القريه وفيه جواب
اخر على ان يكون حقيقه انه عرض على السموات والارض والجبال
الامانه وتضييعها وهى الثواب والعقاب اى الجهر لهن ذلك
فلم يحملن وزرها واشفقن وقالت كما ينبغى تعابا ولا عقابا
وكل يقول هذا امر لا نطيقه ولكن لك سامعون مطيعون
فيما امرتنا به ويجوز ان يكون له قاله الحسن وغيره، قال العلما معلوم
ان الجماد لا يفهم ولا يجيب فلا بد من تقدير الحياة على القول
الاخير وهذا العرض عرض تخيير لا الزام والعرض على الانسان
الزام وقال القفال العرض فى هذه الايه ضرب مثل اى لو ان السموات
والارض على كبر اجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل
عليها بثقل الشرايع لما فيها من الثواب والعقاب اى لو التكليف
امر حقه ان تعجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه
الانسان وهو ظلوم جهول لو عقل وهذا كقوله لو انزلنا
هذا القران على جبل ثم قال وتلك الامثال نضربها للناس قال القفال
فاذا تقرر فى ان الله تعالى ضرب الامثال ورد علينا من الخبر
ما لا بد من حمله على ضرب المثل وجب حمله عليه وقال قوم ان الايه
من المجاز اى انا قايسنا ثقل الامانه بثقل السموات والارض

وغيره

رأينا انها لا تطيقها وانها لو تحملت لأبت وأشفقت فعبر
عن هذا المعنى بقوله انا عرضنا الامانه الايه وهذا كما تقول عرضت
الحمل على البعير فاباه وانت تريد قاسيت قوته بثقل الحمل
فرايت انها تقصر عنه وقيل عرضنا معنى عارضنا الامانه
بالسموات والارض والجبال فضعفت هذه الاشياء عن الامانه
ورجحت الامانه بثقلها عليها وقيل ان عرض الامانه على السموات
والارض والجبال انما كان من ادم عليه السلام وذلك ان الله تعالى
لما استخلفه على ذريته وسلطه على جميع من فى الارض من
الانعام والطير والوحش وعهد اليه عهدا امره فيه ونهاه
وحرم واحل فقبله ولم يزل عاملا به فلما ان حضرته الوفاه
سأل الله ان يجعله من يستخلفه بعده ويقلده من الامانه ما
قلده فامره ان يعرض ذلك على السموات بالشرط الذى اخذ عليه
من الثواب ان اطاع ومن العقاب ان عصى فابين ان يقبلنه شفقا
من عذاب الله ثم امره ان يعرض ذلك على الارض والجبال فابياه
ثم امره ان يعرض ذلك على الارض ولده فعرضه عليه فقبله
بالشرط ولم يهب منه ما هيبت السموات والارض والجبال
انه كان ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تقلد لربه قال
الترمذى الحكيم ابو عبد الله محمد بن على عجبت لهذا القايل
من اين اتى بهذه القصة فان نظرنا الى الاثار وجدناها بخلاف ما قال
وان نظرنا الى الظاهره وجدناه بخلاف ما قال وان نظرنا الى باطنه
وجدناه بعيدا ما قال وذلك انه ردد ذكر الامانه ولم يذكر
ما الامانه الا انه يومى الى انه سلطه على جميع ما فى الارض
وعهد الله اليه عهدا فيه امره ونهيه وحله وحرامه وزعم
انه امره ان يعرض ذلك على السموات والارض والجبال بالحلال والحرام
وما تسليطه على الانعام والطير والوحش وكيف اذا عرضه على

ك

فى مقالته ؟

ولده تقبله في اعناق ذريته من بعده وفي مبتدا الخبر في التنزيل
انه عرض الامانه على السموات والارض والجبال حتى ظهر الاباء
منهم ثم ذكر ان الانسان حملها اي من قبل نفسه لانه حمل ذلك
فسماه ظلوما اي لنفسه حملا بما فيها واما الاثار التي هي بخلاف
ما ذكر فحدثنا ابي رحمه الله قال ثنا الفيض بن الفضل الكوفي قال
السري بن اسماعيل عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال لما خلق الله الامانه مثلها فحزه ثم وضعها حيث شاء ثم دعا
لها السموات والارض والجبال ليحملنها وقال لهن ان هذه الامانه
ولها ثواب وعليها عقاب قالوا يا رب لا طاقة لنا بها ولا قبل
الانسان من قبل ان يدعا فقال للسموات والارض والجبال ما
وقوفكم قالوا دعانا ربنا ان نحمل هذه فاشفقن منها ولم نطقها
قال فحركها بيده وقال والله لو شئت ان احمل الحيلنها فحملها
حتى بلغ بها الي كتيبه ثم وضعها وقال والله لو شئت ان
ازداد لازددت قالوا دونك فحملها حتى بلغ بها حقويه
ثم وضعها وقال لو شئت ان ازداد لازددت قالوا دونك
فحملها حتى وضعها على عاتقه فلما اهوى ليضعها قالوا مكانك
ان هذه الامانه ولها ثواب وعليها عقاب وامرنا ربنا ان نحملها
فان شئت منها وحملتها انت من غير ان تدعى لها فهي في عنقك
وفي اعناق ذريتك الى يوم القيامه انك كنت ظلوما جهولا
وذكر اخبارا عن الصحابه والتابعين بتقدم اكثرها حملها الانسان
اي التزم القيام بحقها وهو في ذلك ظلوم لنفسه وقال ابن عباده
للامانه جهول لغدر ما دخل فيه وهذا ما يلي ابن عباس وابن جبير
وقال الحسن جهول بربه قال ومعنى حملها خان فيها وقال الزجاج
والايه في الكافر والمنافق والعصاه على قدرهم على هذا التاويل
وقال ابن عباس والضحاك وغيره الانسان ادم تحمل

الامانه فما نام له يوم حتى عصى المعصيه التي اخرجته من الجنه وعن
ابن عباس ان الله تعالى قال له احتمل هذه الامانه بما فيها قال وما فيها
قال ان احسنت جزيت وان اسات عوقبت قال انا احملها بما فيها
بين اذني وعاتقي فقال الله تعالى له اني ساعينك فجعلت لك بصرك
حجابا فاغلقه عمن لا يحل لك وفرجك لباسا فلا تكشفه الا على
ما احللت لك وقال قتاده الانسان النوع كله وهذا حسن مع عموم
الامانه كما ذكرنا اولا وقال السدي الانسان قابيل والله اعلم
ليعذب الله المنافقين والمنافقات اللام في ليعذب متعلقه بحمل
اي حملها ليعذب الخ وشبب المطيع فهي لام التعليل لان
العذاب نتيجة حمل الامانه وقيل بعرضنا اي عرضنا الامانه
على الجميع ثم قلدناها الانسان ليظهر شرك المشرك ونفاق
المنافق ليعذبهم الله وايمان المؤمن ليثيبه الله ويتوب الله
قراءة الحسن بالرفع يقطعه من الاول اي يتوب الله عليهم بكل
حال وكان الله غفورا رحيما خبر بعد خبر لكان ويجوز ان يكون
نعتا لغفور ويجوز ان يكون حالا من المضمر والحمد لله رب العالمين
سوره سبا مكيه في قول الجميع الا اية واحده
اختلف فيها وهي قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الاية فقالت
فرقه هي مكيه والمراد الموحدون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ابن عباس وقالت فرقه هي مدنيه والمراد المومنين من
اسلم بالمدينه كعبد الله بن سلام وغيره قاله مقاتل وقال عباده
هم امة محمد صلى الله عليه وسلم المومنون به كان من كان وهي
اربع وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض الذي في موضع
خفض على النعت او البدل ويجوز ان يكون في موضع رفع على

دكرناه

اصار مبتدا وان يكون في موضع نصب بمعنى اعني وحق سيبويه
الحمد لله اهل الحمد بالرفع والنصب والخفض والحمد الكامل
والثنا الشامل لله لله اذ النعم كلها منه وهو مضاف الى لام
فيه في اول الفاتحه وله الحمد في الاخره قيل هو قوله الحمد
لله الذي صدقنا وعده وقيل هو قوله واخر دعواهم ان الحمد
لله رب العالمين فهو المحمود في الاخره كما انه المحمود في
الدنيا وهو المالك للاخره كما انه المالك للاولى هو العالم
في فعله الخبير بامر خلقه قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض
اي ما يدخل فيها من قطر وغيره كما قال فسلكه ينابيع في
الارض من الكنوز والدفائن والاموات وما هي له كفات
قاله الحسن وغيره وما يخرج منها من نبات وغيره وما
ينزل من السما من الامطار والثلوج والبرد والصواعق
والارزاق والمقادير والبركات وقرا علي بن ابي طالب وما
تنزل بالتوز والتشديد وما يعرج فيها من الملايكه واعمال
العباد قاله الحسن وغيره وهو الرحيم الغفور وقوله تعالى
وقال الذين كفروا الاتاتينا الساعة قيل المراد اهل مكة قال
مقاتل قال ابو سفيان لكفار مكة واللات والعزى لا تاتينا
الساعة ابدا ولا نبعث فقال الله قل بلى وربي لتاتينكم
لتاتينكم وروى هارون عن ابي بكر المعلم قال سمعت اشياخنا
يقرون قل بلى وربي لياتينكم بيا هملوه على المعنى كانه قال
لياتينكم البعث او امره كما قال هل ينظرون الا ان تاتيهم
الملايكه او ياتي امر ربك فما ولا الكفار مقرون بالابتدا
منكرون الاعاده وهو نقض لما اعترفوا بالقدره على البعث
وقالوا ان قدر لا يفعل فذا لحكم بعد ان اخبر على السنة
الرسل انه يبعث الخلق واذا ورد الخبر بشي وهو ممكن في
الفعل مقدور فتكذيب من وجب صدقه محال عالم الغيب
بالرفع قراة نافع وابن كثير على الحمد عالم فعلى هذه القراة لا
يحسن الوقف على قوله لا تاتينكم وقراحمزه والكسائي علام
الغيب على المبالغه والبعث لا يغرب عنه اي لا يغيب عنه
ويغرب ايضا مال الفرا والكسر احب الي الجاير وهي قراة
ابي يحيى بن وثاب وهي لغة معروفه يقال عزب يعزب اذا بعد
وغاب مثقال ذره اي قدر نملة صغيره في السموات ولا في
الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وفي قراة الاعمش ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر بالفتح فهما عطفا على ذره وقراة العامه
بالرفع عطفا على مثقال الا في كتاب مبين فهو العالم بما خلق
ولا يخفى عليه شي ليجزي منصوب بلام كي والتقدير ليا تينكم
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات ما لثواب والكافرين
بالعقاب اولئك يعني المومنين لهم مغفره لذنوبهم ورزق
كريم وهو الجنه قوله تعالى والذين يسعون في اياتنا اي في
ابطال ادلتنا والتكذيب بايانا معاجزين مسابقين يحسبون
انهم يفوتونا والله لا يقدر على بعثهم في الاخره وظنوا انا
نسلمهم فما ولا لهم عذاب من رجز اليم يقال عاجزه واعجزه
اذا غالبه وسبقه واليم قراة نافع بالكسر نعتا للرجز
فان الرجز هو العذاب قال الله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا رجزا
من السما وقراابن كثير وحفص عن عاصم عذاب من رجز اليم
برفع اليم صفه وفي الجاثيه نعتا للعذاب وقراابن كثير وابن محيصن
وحميد بن قيس ومجاهد وابو عمرو معجزين اي مشاقين ليثبطوا
الناس عن الايمان بالمعجزات وايات القران وقوله تعالى

ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق لما ذكر
الذين سعوا في ابطال النبوة بين ان الذين اوتوا العلم يرون ان القرآن
حق قال مقاتل الذين اوتوا العلم هم موسى واهل الكتاب وقال ابن
عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جميع المسلمين
وهو اصح لعمومه والرؤية بمعنى العلم وهي في موضع نصب عطفا
على ليجزي اي ليجزي ويرى قاله الزجاج والفراء وفيه نظر لان قوله
ليجزي متعلق بقوله لتاتينكم الساعة ولا يقال لتاتينكم الساعة
ليرى الذين اوتوا العلم ان القرآن حق فانهم يرون الامر حقا وازلا
تاتيهم الساعة والصحيح انه رفع على الاستيناف ذكره القشيري
قال الشيخ المصنف رحمه الله واذا كان ليجزي متعلقا بمعنى اثبت
ذلك في كتاب مبين ليحسن عطف ويرى اي واثبت ايضا ويرى
الذين اوتوا العلم ان القرآن حق ويجوز ان يكون مستانفا الذي هو
موضع نصب على انه مفعول اول لترى هو الحق مفعول ثان وهو
فاصله والكوفيون يقولون زعماء ويجوز الرفع على ان يكون مبتدا
والحق خبره والجملة في موضع نصب على المفعول الثاني والنصب
اكثر فيما حذفت فيه الالف واللام عند جميع النحويين وكذا ما
كان نكرة لا يدخله الالف واللام فيشبه المعرفة فان كان الخبر
اسما معروفا نحو قولك كان احد زيدا فزعم الفراء ان الاختيار
فيه الرفع وكذا كان محمد هو عمرو وعلته في اختياره الرفع انه
لما لم تحز فيه الالف واللام اشبه النكرة في قولك كان زيد
هو جالسا لان كان لا يجوز فيه الا الرفع ويهدي الى صراط العزيز
الحميد اي يهدي القرآن الى طريق الاسلام الذي هو دين الله دل
بقوله العزيز على انه لا يغالب وبقوله الحميد على انه لا يليق به
صفة العجز قوله تعالى وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل

وان شئت ادغمت اللام في النون لقربها منها ينبئكم اذا مزقتم
كل ممزق هذا الخبر عن قال لا ماتينا الساعة اي هل ندلكم الى
رجل ينبئكم اي يقول لكم انكم تبعثون بعد البلى في القبور وهذا
صادر عن فرط انكارهم البعث فان قلت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مشهورا محلا في قريش وكانوا يناوه بالبعث
شايعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبئكم فكروه
لهم وعرضوا عليهم للدلالة كما يدل على المعدوم في السوق قلت
كانوا يقصدون بذلك الضرر والغرة والحيرة فلهذه النكت
التجئ بعض الحاجين الى حاجي بالتمني وكان متعللا
به وبامره واذا في موضع نصب العامل فيها مزقتم قال الكسائي
ولا يجوز ان يكون العامل فيها ينبئكم لانه ليس بجواب ذلك الوقت
ولا يجوز ان يكون العامل فيها ما بعد ان لانه لا يعمل فيما قبله وان
يتقدم عليها ما بعدها لا يعمل لها واجاز الزجاج ان يكون العامل
فيها محذوفا والتقدير اذا مزقتم كل ممزق بعثتم او يبعثكم ثم
تبعثون اذا مزقتم الثاني توكيد ولا يعمل فيه مزقتم لانه مضاف اليه
والمضاف اليه لا يعمل في المضاف اجاز بعضهم على ان يجعل اذا
للجزاء فيعمل فيها جميعا ما بعدها لانها غير مضافة البتة واكثر
ما تقع اذا للجزاء في الشعر ومعنى مزقتم كل ممزق فرقتم كل تفريق
والتمزق تخرق الاشياء يقال ثوب مزيق وممزوق ومتمزق وممزق
قوله تعالى افترى على الله كذبا لما دخلت الف الاستفهام
استغنيت عن الف الوصل فحذفتها وكان فتح الف الاستفهام
فرقا بينها وبين الف الوصل وقد مضى هذا في سورة مريم عند قوله تعالى
اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا ورده على ما تقدم من قوله

بداء

المشركين والمعنى مال المشركون افتراء على الله كذا والافتراء الاختلاق
اد به جنه اي جنون فهو يتكلم بما لا يدري ثم رد عليهم فقال بل
الذين لا يؤمنون بالاخره في العذاب والضلال البعيد اي ليس الامر
كما قالوا بل هو اصدق الصادقين من تحقق البعث فهو غد في
العذاب والبعد في الضلال عن الصواب اذ حاروا الى العجز الا له
ونسبة الافتراء الى من ايده الله بالمعجزات قوله تعالى افلم
يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض اعلم الله تعالى
انه الذي قدر على السموات والارض ما فيهن فاقدر على البعث
وعلى تعجيل العقوبة لهم فاستدل بقدرته عليهم وان السموات
والارض ملكه وانهما محيطتان بهم من كل جانب فكيف يامنون
الخسف والكسف كما فعلنا بقارون واصحاب الايكة وقراحزه
بالكسائي ان نشا نخسف بهم الارض لم يسقط بالياء في الثلاث
اي ان نشا الله امر الارض فتخسف بهم او السماء فتسقط
عليهم كسفا الباقون بالنون على التعظيم وقرا السلمي وحفص
كسفا بفتح السين الباقون بالاسكان وقد تقدم بيانه في سبحان
وغيرها ان في ذلك لايات اي في هذا الذي ذكرناه من قدرتنا
لايه اي دلاله ظاهره لكل عبد منيب اي تائب رجاع الى
الله بقلبه وخص المنيب بالذكر لانه المنتفع بالفكره
في حجج الله وآياته قوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا
بين لمنكري نبوه محمد صلى الله عليه وسلم ان ارسال الرسل
ليس امرا بدعا بل ارسلنا الرسل قبله ايدناهم بالمعجزات واحللنا
بمن خالفهم العقاب آتينا اعطينا فضلا اي امرا فضلناه به
على غيره واختلف في هذا الفضل على تسعة اقوال الاول النبوه
الثاني الزبور الثالث العلم قال الله تعالى ولقد اتينا داود

وسليمان علما الرابع القوه قال الله تعالى واذكر عبدنا داود
ذا الايد الخامس تسخير الجبال والناس والوحوش معه
السادس التوبه فغفرنا لداود الايه السابع الحكم بالعدل
يا داود انا جعلناك خليفه في الارض الايه الثامن الالانه الحديد
التاسع حسن الصوت هبة من الله وتفضل منه وهو
المراد بقوله جل وعز يزيد في الخلق ما يشاء على ما يأتي وقال
صلى الله عليه وسلم لابي موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير
آل داود قال العلماء المزمار المزمور الصوت الحسن وبه
سميت آلة الزمر مزمارا وقد استحسن كثير من فقهاء الامصار
القراءة بالترنيم والترجيع وقد مضى هذا في مقدمة الكتاب
والحمد لله قوله تعالى يا جبال اوبي معه اي قلنا يا جبال
اوبي معه اي سبحي معه لانه جل وعز انما سخر الجبال
معه يسبحن قال ابو ميسرة هو التسبيح بلسان الحبشه
ومعنى تسبيح الجبال هو ان الله تعالى خلق فيها تسبيحا كما خلق
الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من التسبيح معجزه
لداود عليه السلام وقيل المعنى سيري معه حيث شاء من التأويب
الذي هو سير النهار اجمع ونزل الليل قال ابن مقبل
تقاليح اوبوا السير بعد مادفعنا شعاع الشمس والطرف يخنس
وقرا الحسن وقتاده وغيرهما أوبي معه اي ارجعي معه من التأويب
يقال اوب اذا رجع اوبا وأوبة وايابا وقيل المعنى تصرفي
معه على ما تتصرف عليه داود بالنهار فكان اذا قرا الزبور
صوتت الجبال معه واصغت اليه الطير فكانها فعلت
ما فعل وقال وهب بن منبه المعنى نوحي معه والطير تسعده
على ذلك فكان اذا نادى بالنياحه اجابته الجبال بصداها

وعلقت الطير عليه من فوقه نصدا الجبال الذي يسمعه الناس
انا كان ذلك اليوم الى هذه الساعة فاريد بمساعدة الجبال
ليلا تجد فتره فاذا دخلت الفتره اهتاج اي ثار ونفر وقوي
بمساعدة الجبال وكان قد اعطي من الصوت ما يزاحم الوحوش
من الجبال على حسن صوته وكان الماء الجاري يقطع عن الجري وقوفا
لصوته والطير بالرفع قراءة ابن اسحق ونصر عن عاصم وابن هرمز
وسلمة بن عبد الملك عطفا على لفظ الجبال او على المضمر في اوبي
وحسنه الفصل مع الباقون بالنصب عطفا على موضع يا جبال
اي نادينا الجبال والطير قال سيبويه وعند الاخفش من العلا
باضمار فعل على معنى وسخرنا له الطير وقال الكسائي هو معطوف
على واتيناه الطير حملا على لفظ اتيناه داود منا فضلا النحاس
ويجوز ان يكون مفعولا معه كما تقول استوى الماء والخشبة
وسمعت الزجاج يجيز قمت وزيدا فالمعنى اوتي معه ومع الطير
والنا له الحديد قال ابن عباس صار عنده كالشمع وقال الحسن
كالعجين وكان يعمله من غير نار وقال السدي كان الحديد يعمل
في يده كالطين المبلول والعجين الشمع يصرفه كيف شاء من
غير ادخال نار ولا ضرب بمطرقه وقال مقاتل وكان يفرغ
من الدرع في بعض اليوم او بعض الليل ثمنها الف درهم
وقيل اعطي قوة يثني بها الحديد وسبب ذلك ان داود عليه
السلام لما ملك بني اسرائيل لقي ملكا وداود يظنه
انسانا وداود متنكر خرج يسئل عن نفسه وسيرته
في بني اسرائيل في خفاء فقال داود لذلك الشخص الذي
تمثل له ما قولك في هذا الملك داود فقال له الملك
نعم العبد لولا خلة فيه قال داود وما هي قال لو نزع من بيت

المال لو اكل من عمل يده فتنبه فضايله فرجع فدعا الله
في ان يعلمه صنعة ويسهلها عليه فعلمه صنعة لبوس
كما قال جل وعز في سورة الانبياء وعلمناه صنعة لبوس
الدروع فكان يصنع الدرع فيما بين يومه وليلته يساوي
الف درهم حتى ادخر منها كثيرا وتوسعت معيشته فترك
ويتصدق على الفقراء والمساكين وكان ينفق ثلث المال في
مصالح المسلمين وهو اول من اتخذ الدروع وصنعها وكانت
قبل ذلك صفايح ويقال انه كان يسع كل درع منها اربعة
الاف درهم والدرع مؤنثة اذا كانت للحرب ودرع المرأة مذكر
مسئلة في هذه الآية دليل على تعلم اهل الفضل الصنايع
وان التحرف بها لا يغض من مناصبهم بل ذلك زيادة في فضلهم
وفضايلهم اذ يحصل لهم التواضع في انفسهم والاستغناء
عن غيرهم وكسب الحلال الخلي عن الامتنان وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان خير ما اكل المرء من عمل يده وان
نبي الله داود كان ما كل من عمل يده وقد مضى هذا في الانبياء
مجودا والحمد لله قوله تعالى ان اعمل سابغات اي دروعا
سابغات اي كوامل تامات واسعات يقال سبغ الدرع
والثوب وغيرهما اذا غطى كل ما هو عليه وفضل منه
وقدر في السرد قال قتادة كانت الدروع قبله صفايح
فكانت ثقالا فامر بالتقدير فيما يجمع من الخفة والحصانة
اي قدر ما تاخذ من هاذين المعنيين بقسطه اي لا تقصد الحصانة
فتثقل ولا الخفة فتنزل المنعة وقال ابن زيد التقدير

الذي أمر به ﷺ من قدر الحلقة اي لا تغلظها صغيره فتضعف ولا
ولا تقوى الدرع على الدفاع ولا تغلظها كبيره فتثقل لابسها وقال
بن عباس التقدير الذي امر به هو في المسمار اي لا تجعل مسمار
الدرع رقيقا فيفلق ولا غليظا فيقصم الحلق روي بقصم
بالقاف والفا ايضا رواية في السرد السرد نسج حلق الدروع
ومنه قيل لصانع الدروع السراد والزراد بدل من السين الزاي
كما قيل سراط وزراط والسرد الخرز يقال سرد يسرد
اذا خرز والسرد المشقي ويقال سراد قال الشماخ
فظلت بناعاخبلنا في بيوتكم كما تباعت سرد العنز الخوارز
والسراد النسير الذي يخرز به قال لبيد
يسد صفاحها بالروق سردا كما خرج السراد من النعال
ويقال قد سرد الحديث والصوم والسرد فيهما ان يجئ به ولاء
في نسق واحد ومنه سرد الكلام وفي حديث عايشة
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث كسردكم
كان الحديث الحديث لو اراد العاد ان يعده لاحصاه ومنه
رجل سرندي اي جري قال انه يمشي قدما واصل ذلك في سرد
الدرع وهو ان يحكمها ويجعل نظام حلقها ولاء غير مختلف
قال لين صنع الحديد مضاعفا اسراده لينال طول العيش غير مذموم
وقال ابو دؤيب وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ
تبع ... واعملوا صالحا اي عملا صالحا وهذا خطاب لداود واهله كما
قال اعملوا آل داود شكرا اني بما تعملون بصير قوله تعالى ولسليمان
الريح قال الزجاج التقدير وسخرنا لسليمان الريح وقراءتهم في رواية
ابي بكر هنه الريح بالرفع

قال سيبويه ؛ نصبي

على الابتداء والمعنى له تسخير الريح او ما لاستقرار اي ولسليمان
الريح ثابته وفيه ذلك المعنى الاول فان قال قايل اذا قلت اعطيت
زيدا درهما ولعمرو دينارا فرفعته لم يعرف فيه معنى الاول
وجاز ان يكون لم يعطه الدينار قيل الامر كذا ولكن الايه على
خلاف هذا من جهة المعنى لانه قد علم انه لم يسخرها احدا الا
الله جل وعز غدوها شهر ورواحها شهر اي مسيرة شهر
قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة
شهر للمسرع ثم يروح من اصطخر ويبيت ببابل وبينهما شهر
للمسرع قال السدي كانت تسير به في اليوم مسيره شهرين
وروى سعيد بن جبير عن بن عباس قال كان سليمان اذا جلس
نصبت حوله اربع مايه الف كرسي ثم جلس رؤساء الانس مما
يليه وجلس سفلة الانس مما يليهم وجلس رؤساء الجن مما
يلي سفلة الانس وجلس سفلة الجن مما يليهم ووكل بكرسي
طاير لعل قد عرفه ثم تقلهم الريح والطير تظلهم من الشمس
فيغدو من بيت المقدس الى اصطخر فيبيت ببيت المقدس
ثم قرا بن عباس غدوها شهر ورواحها شهر وقال وهب ذكر لي
ان منزلا باحية دجلة مكتوبا فيه كتبه بعض خاية سليمان
اما من الجن واما من الانس نحن نزلنا وما بنينا ومبنيا وجدناه
غدونا من اصطخر فقلناه ونحن الجون منه ان شاء الله فبانوز
الشام وقال الحسن شغلت سليمان الخيل حتى فاتته صلاة
العصر فعقر الخيل فابدله الله خيرا منها واسرع ابدله الريح
تجري بامره حيث شاء غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن زيد
كان مستقر سليمان ببيت المقدس تدمر وكان امر الشياطين

من محوصه من الشام الى العراق فبنوها بالصفاح والنقد
والرخام الابيض والاصفر وفيه يقول النابغه

لسليمان اذ قال الاله له قم في البرية فاحددها على الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والنقد
فمن اطاعك فانفعه بطاعته كما اطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

ووجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بارض كشكر
انشا من بعض اصحاب سليمان عليه السلام

ونحن لاحول سوى حول ربنا نروح الى الاوطان من ارض تدمر
اذا الجن حنا كان ربك رحلنا مسيرة شهر والغدو الاخر
اناس شدوا الله طوعا نفوسهم بنصر بن داود النبي المطهر
ليهن في معالي الدين فضل وراثة وان نسبوا يوما فنحن معشر
متى ركبوا الريح المطيعة اسرعت مبادرها عن شهرها لم تقصر
تظلهم طير صفوف عليهم متى يرفرفت من فوقهم لم تنفر

قوله تعالى واسلنا له عين القطر القطر النحاس عن ابن عباس
وغيره اسيلت له مسيرة ثلثه ايام كما يسيل الماء وكانت
بارض اليمن ولم يدب النحاس فيما روي لاحد قبله وكان لا يذوب
ومن وقته ذاب وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرج الله لسليمان
قال مجاهد اسال الله عينا يستعملها فيما يريد وقيل لعكرمة الى
اين سالت فقال لا ادري وقال ابن عباس ومجاهد والسدي اجريت
له عين الصفر ثلثه ايام بلياليهن قال الفشيري وتخصيص الاسالة
بثلاثه ايام لا يدري ما حده ولعله وهم من الناقل اذ في رواية عن
مجاهد انها سالت من صنعاء ثلث ليال مما يليها وهذا يشير

الى بيان الموضع لا الى بيان المدة والظاهر انه جعل النحاس لسليمان في
معدنه عينا تسيل كعيون المياه دلالة على نبوته وقال الخليل الفطر
النحاس المذاب قال الشيخ المصنف رحمه الله دليله قراءة من قرا من قطر آز
ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه اي بامره ومن يزغ منهم
عن امرنا الذي اظهرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير في
الاخرة قاله اكثر المفسرين قبل ذلك في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل
بهم ملكا فيما روي عن السدي بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان
ضربه بذلك السوط ضربة من حيث لا يراه فاحرقته ومن في موضع
نصب بمعنى وسخرنا له من الجن من يعمل ويجوز ان يكون في موضع رفع
كما تقدم في الريح قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب
وتماثيل فيه تمام مسايل الاولى قوله تعالى من محاريب المحراب في اللغة
كل موضع مرتفع وقيل الذي يصلى فيه محراب لانه يحب ان يدفع ويعظم
وقال النحاك من محاريب اي من مساجد وكذا قال قتاده وقال مجاهد
المحاريب دون القصور وقال ابو عبيدة المحراب اشرف بيوت الدار قال
وما ذا عليك ان ذكرت اوانسا كغزلان رمل في محاريب اقبال
والهدى ترتيد كدمي العاج في المحاريب او كالبيض في الاطم قال الاخفش
وقوله فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي اشرف عليهم وفي الخبر انه امر ان
يعمل حول مسيره الفرسخ قبة الف رجل عليهم المسوح يصفون بين
يدي سليمان ويسبحون الله تعالى ويقدسونه والطير على رؤوسهم في وكره والمحارب حوله ويقول الهدهد
اذا اراد سليمان ان يسير الى ذي العلم فاذا بلغوه قال الله الى ذلك العلم
فاذا بلغوه قال الله الى ذي العلم الاخر فيتلقى الهدهد بالتسبيح
والتهليل الى ان يبلغ الى العلم الاخر فيتلقى الهدهد بالتسبيح
وتماثيل جمع تمثال وهو كل ما صور على مثل صورة من [illegible]
الذهب بالدرج كالغرفة للمسنة م

ما مثل الشيء يمثل مثولا

وكان ود ويغوث ونسرا تماثيل اشياء ليست بحيوان وذكر انها صور الانبياء
عليهم السلام والعلماء وكانت تصور في المساجد ليراها الناس
فيزدادوا عبادة واجتهادا فلما صلى الله عليه وسلم ان اولئك كان
اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه
تلك الصور اي ليتذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة وهذا
يدل على ان التصوير كان مباحا في ذلك الزمان ونسخ ذلك بشرع
محمد صلى الله عليه وسلم وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة نوح
عليه السلام وقيل التماثيل كانت للشمس كان يعملها ويحرمون على
كل مضر ان يجاوزها فلا يجاوزها فيعمل تمثالا للذباب او
للبعوض او للتماسيح في مكان يامرهم ان لا يتجاوزوه فلا يتجاوزه
واحد ابدا ما دام ذلك التمثال قايما وواحد التماثيل تمثال بكسر
التاء قال ويأرب يومئذ قدلهوت وليلة يانسة كانها خط
تمثال وقيل ان هذه التماثيل رجال الجن هم من نحاس وسأل ربه
ان ينفخ فيها الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولا يحيك فيهم السلاح
ويقال ان اسفندبار كان منهم والله اعلم وقيل انهم عملوا له
اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد
بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظلله النسران باجنحتهما
الثالثة حتى مر في الهداية له ان فرقه بجواز التصوير ونسخ
بهذه الاية قال ابن عطية وذلك خطاء ما لحفظ من ابهة العلم
من الجوزة قال الشيخ المصنف رحمه الله ما حكاه مجاهد ذكره
النحاس قبله قال النحاس قال فزعم ان الصور جائزة الا ما
اخبر الله عز وجل عن المسيح وقد اقتضى نسخ النبي عن الله
عليه وسلم والوعد لمن عملها او اتخذها فنسخ الله بعد ما كان
عنها

مباحا فنهاه وكانت الحكمة في ذلك لانه بعث عليه السلام
والصور تعبد فكان الاصلح ازالتها الرابعة التمثال على قسمين
حيوان وموات والموات على قسمين جماد ونام وقد كانت الجن
تصنع لسليمان جميعه لعموم قوله وتماثيل وفي الاسرائيليات
ان التماثيل من الطير كان على كرسي سليمان فان قيل لا عموم لقوله
وتماثيل فانه اثبات في نكرة والاثبات في النكرة لا عموم له
انما العموم في النفي في النكرة قلنا كذلك هو بيد انه قد اقترن بهذا
الاثبات ما يقتضي حمله على العموم وهو قوله ما يشاء فاقتران
المشيئة به تقتضي العموم له فان قيل كيف استجاز الصور المنهي عنها
قلنا كان ذلك جايزا في شرعه ونسخ ذلك بشرعنا كما بينا
والله اعلم الخامسة مقتضى الاحاديث تدل على ان الصور ممنوعة
ثم جاء الاما كان رقما في ثوب فخص من جملة الصور ثم ثبت
الكراهية فيه بقوله عليه السلام لعايشة في الثوب اخرية عني
فاني كلما رايته ذكرت الدنيا ثم بهتكه الثوب المصور على عايشة
منع منه ثم يقطعها له وسادتين حتى تغيرت الصورة وخرجت عن هيئتها
بالجواز ذلك اذا لم تكن الصور فيه متصلة الهيئة ولو كانت متصلة
الهيئة لم يجز لقوله لها في النمرقة المصورة اشتريتها لك لتقعد عليها
وتوسدها فمنع منه وتوعد عليه وتبين بحديث الصلاة الى الصور ان
ذلك جايز في الثوب ثم نسخه المنع منه فهكذا استقر الامر فيه
والله اعلم قال ابن العربي السادسة روى مسلم عن عايشة قالت
كان ستر فيه تماثيل فكان الداخل اذا دخله استقبله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم حوليه هذا فاني كلما دخلت رايته ذكرت الدنيا
قالت وكانت لنا قطيفة كنا نقول لها حرير فحنا نلبسها وعنها

قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مستترة بقرام فيه
صور فتلون وجهه ثم تناول الستر وهتكه ثم قال ان من اشد الناس
عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله عز وجل وعنها انه كان
لها ثوب فيه تصاوير معدود الى سهوه فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يصلي اليه فقال اخريه عني قالت فاخرته فجعلته وسادتين قال
بعض العلماء ويمكن ان يكون معنى قوله عليه السلام التوبة امره بتاخيره
ورجاء الان محل البنوة والرسالة الحال فتأمله السابعة قال النووي
عن الشافعي ان ادعى رجل الى عرس فراى صورة ذات روح او صورا ذات
روح لم يدخل ان كانت منصوبة وان كانت توطا او تمتهن لم يحرم
التحريم ولم يختلفوا ان التصاوير في الستور المعلقة مكروهة غير محرمة
وكذلك عندهم ما كان رقما او تمثالا في البناء واستثنى بعضهم ما كان
رقما في ثوب لحديث سهل بن حنيف قال الشيخ المؤلف رحمه الله لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم المصورين ولم يستثن وقوله ان اصحاب هذه
الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم احيوا ما خلقتم ولم يستثن في
الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يوم
القيامة له عينان تبصران واذنان تسمعان ولسان ينطق يقول اني وكلت
بثلث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين قال ابو
عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح وفي البخاري ومسلم عن عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة
المصورون وذل على المنع من تصوير شيء اي شيء كان وقد قال جابر عن ما كان
لكم ان تبقوا شجرها على ما تقدم بيانه فاطلق الشامة وقد استثنى
من هذا الباب لعب البنات لما بنت عائشة رضي الله عنها ان النبي
صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت سبع سنين وزفت اليه وهي

بنت تسع ولعبها معها ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة وعنها
ايضا قالت كنت العب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان
لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
يتقمعن منه فيسربهن الي فيلعبن معي وخرجهما مسلم قال العلماء وذلك
للضرورة الى ذلك وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية اولادهن ثم
انه لا يقاس ذلك وكذلك ما يصنع من الحلاوة او من العجين لا يقاله فرخص
في ذلك والله اعلم قوله تعالى وجفان كالجواب قال ابن عرفة الجواب
جمع الجابية وهي حفيرة كالحوض قال ابن هاجر تحياض الابل وقال ابن القاسم
عن مالك كالجوبة من الارض والمعنى متقارب وكان تقعد على الجفنة الواحدة
الف رجل النحاس وجفان كالجواب الاولى ان يكون ياليا ومن حذف
الياء قال بسبيل الالف واللام ان تدخل على النكرة فلا يغيرها عن حالها فلما
كان تمثالا جواب ودخلت الالف واللام اقرت على حالها فحذف الياء واحد
الجواب جابية وهي القدر العظيمة والحوض العظيم الكبير الذي يخفى فيه
الشيء لجمع ومنه جبيت الخراج وجبيت الجراد اذا جمعت الكسا
فجمعته قيه الا ان ليتارد وعن ابن هاجر قال الجواب جمع جوبة والجوبة
الحفيرة الكبيرة تحفر في الجبل لتحتبس فيها ماء المطر وقال الكسائي جبوت الماء
في الحوض وجبيته اذا جمعته والجابية الحوض الذي يجبى فيه الماء للابل
قال يروح على الجفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق
ومعنى قوله من المحاريب تماثيل الجفنة كجابية الشيخ ذكره النحاس ⊙
قوله تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور قال سعيد بن جبير هي قدر النحاس
قال مقاتل وقال النحاس هو قدور راسيات قال سعيد بن جبير هي قدر النحاس
قال مقاتل وقال النحاس هو قدور تعمل من الجبال عبره قد نحتت
من الجبل لسليمان عليه السلام فعملت له الشياطين اثنا فهما مما نحوته هذا
من الجبال محاريب وتماثيل وجفان راسيات قوائم لا تحرك لعظمها قال ابن العربي

وكذلك كانت قدرة عبد الله بن حدطان يصعد اليها في الجاهلية
بشلم وعنها عبر طرفة بن العبد بقوله

كالجواري لا تنى منزعة لقدي الاضياف والمحتضر

قال بن العربي ورايت برباط ابي سعيد قدر الصوفية على نحو ذلك
فانهم يطبخون جميعا ويأكلون جميعا من غير استيثار واحد
منهم على احد قوله تعالى اعملوا ال داود شكرا وقليل من
عبادي الشكور وقد مضى معنى الشكر في البقرة وغيرها وروى
النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فتلى هذه الاية قال ثلث
من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود قال فقلنا ما هن فقال
العدل في الرضا والقصد في الفقر والغنى وخشية الله في السر
والعلانية خرجه الترمذي الحكيم ابو عبد الله عن عطاء بن يسار
عن ابي هريرة وروي ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اطيق
شكرك على نعمك والهامي وقدرتي على شكرك نعمة لك فقال
يا داود الان عرفتني وقد مضى هذا المعنى في سورة ابراهيم وان
الشكر حقيقة الاعتراف بالنعمة للمنعم واستعمالها في طاعته
والكفران استعمالها في المعصية وقليل من يفعل ذلك لان الخبر
اقل من الشر والطاعة اقل من المعصية بحسب سابق التقدير
وقال مجاهد لما قال الله تعالى اعملوا ال داود شكرا قال داود
لسليمان ان الله عز وجل قد ذكر الشكر فاكفني صلاة الليل فقال
صلاة الليل قال لا اقدر قال فاكفني قال لا اقوى على صلاة
الظهر قال نعم فكفاه وقال الزهري اعملوا ال داود شكرا فعملوا
الحمد لله وشكرا نصب على جهة المفعول له اعملوا اعمال الشكر
وكان الصلاة والصيام والعبادات كلها هي في ضمن الشكر

اذ سدت مسدة هذا قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم وهو المراد بقوله وقليل من عبادي الشكور وقد قال
سفيان بن عيينة في تاويل قوله تعالى ان اشكر لي ان المراد بالشكر
الصلوات الخمس وفي صحيح مسلم عن عائشة رضوان الله عليها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تفطر
قدماه فقالت له عائشة اتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا انفرد باخراجه مسلم
فتظاهر القرآن والسنة ان الشكر يعمل بالابدان دون الاقتصار على
عمل اللسان فالشكر بالافعال عمل الاركان والشكر بالاقوال عمل اللسان
فاعلم قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور يحتمل ان يكون مخاطبة
لال داود ويحتمل ان يكون مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم قال
بن عطية وعلى كل وجه ففيه تنبيه وتحريض وسمع عمر بن الخطاب
رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل
اردت قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور فقال عمر رضي الله عنه
كل الناس اعلم منك يا عمر وروي ان سليمان عليه السلام كان
ياكل الشعير ويطعم اهله الخشكار ويطعم المساكين الدرمك
وقد قيل انه كان ياكل الرماد وينوسده والاول اصح اذ الرماد
ليس بقوت ولا روي انه ما شبع قط فقيل له في ذلك فقال الخائف
ان شبعت ان انسى الجياع وهذا من الشكر ومن القليل فتامله
فصل [illegible] فلما قضينا عليه الموت اي فلما حكمنا على سليمان
بالموت حتى صار [illegible] ما دلهم على منسأته
من قولهم لاحبة الارض تاكل منسأته وذلك انه كان متكيا على المنساة
والمنساة بلسان الحبشة في قول الاسدي وقيل هي لغة اليمن قاله

التشيري فمات كذلك وبقي خائفا في الحال الى ان سقط ميتا لانكسار
العصا تاكل الارضة اياها فعلم موته بذلك فكانت الارضة دالة
على موته اي سببا لظهور موته وكان بسل الله تعالى ان لا يعلموا
بموته حتى يمضي عليه سنة واختلفوا في سبب سواله لذلك على
قولين احدهما ما قال قتادة وغيره قال كانت الجن تدعي علم الغيب
فلما مات سليمان وخفي موته عليهم بينت الانس ان الجن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ابن مسعود اقام حولا
والجن تعمل بين يديه حتى اكلت الارضة منسأته فسقط ويروى انه
لما سقط ليعلم مندمات فوضعت الارضة على العصا فاكلت
منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك فوجدوه قد مات مند سنة
وقيل كان رؤساء الجن سبعة وكانوا منقادين لسليمان عليه السلام
وكان داود اسس بيت المقدس فلما مات اوصى الى سليمان في اتمام
بيت المقدس فامر سليمان الجن به فلما دنا وفاته قال لا اعلمه الا بعد يوم
موتي حتى يتموا بنا المسجد وكان بقي لاتمامه سنة وفي الخبر ان ملك الموت
كان صديقه فسأله عن اية موته فقال ان تخرج من موضع سجودك
شجرة يقال لها الخروبة فلم يخرج يوما يصبح فيه الا نبتت في بيت
المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فتقول
وايش انت فتقول لكذا وكذا فيامر بها فتقطع ويغرسها في بستان
له ويامر بكتب منافعها ومضارها واسمها وما تصلح له من الطب
فبينما هو يصلي ذات يوم اذ رأى شجرة نبتت بين يديه فقال لها
اسمك قالت الخروبة قال لاي شئ انت قالت لخراب هذا المسجد
فقال سليمان عليه السلام ما كان لخروبة وانا حي انت الدهر على جهدك
ملائي وملك بيت المقدس فغرسها وهدم ما في محرابه ثم قال اللهم

عم عن الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر
الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء وانهم يعلمون ما في غد ثم لبس كفنه
ومحنطه ودخل المحراب فقام يصلي واتكأ على عصاه على كرسيه فمات
ولم تعلم الجن الا ان مضت سنة وتم بنا المسجد قال ابو جعفر الخاس
وهذا احسن ما قيل في الاية ويدل على صحته الحديث المرفوع روي
ابرهيم بن طهمان عن موسى بن سايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كان نبي الله داود اذا صلى راى شجرة نابتة
بين يديه فيسألها ما اسمك فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء
كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم اذا شجرة نابتة بين يديه فقال لها
اسمك فقالت الخروب قال لاي شئ انت قالت لخراب هذا البيت
قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فتحتها
عصا فتوكأ عليها حولا لا يعلمون فسقطت فعلمت الانس ان الجن
لا يعلمون الغيب فحفروا مقدار ذلك فوجدوه سنة وفي قراءة ابن مسعود
وابن عباس تبينت الجن غير مسمي الفاعل ونافع وابو عمرو تاكل
منسأته بالف بين السين والتاء من غير همز والباقون بهمزة مفتوحة
من موضع الالف لغتان الا ان ذكوان اسكن الهمزة تخفيفا قال الشاعر

في كل معزاء اذا دبت على منساة من كبر فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وقال الخر معزاء وفي الصحاح انشد الاصمعي لابي ذؤيب
وقال الخر معزاء قد قام من كآبة كقومة الشيخ الى منسأته
واصل المنسأة من نسأت الغنم اي زجرتها وسقتها فسميت العصا بذلك
لانه يزجر بها الشخص قال طرفة

امون كالواح الاران نسأتها على لاحب كانه ظهر برجد

قال النحاس واشتقاقها يدل على انها مهموزة لانها مشتقة من نسأته

اي أخرته و دفعته فقيل لها منسأة لانه يدفع بها الشي ويوخر وقال
مجاهد وعكرمة هي العصا ثم قرأ منساته ابدل من الهمزة الفا فان قيل
البدل من الهمز قبيح جدا وانما يجوز في الشعر على بعد وشذوذ وابو
عمرو بن العلا لا يغيب عنه مثل هذا لا سيما واهل المدينة على هذه القراة
فالجواب على هذا ان العرب استعملت في هذه الكلمة البدل ونطقوا بها
هكذا كما يقع البدل في غير هذا ولا يقاس عليه حتى قال ابو عمرو
ولست ادري ممن هذا الا انها غير مهموزة لان ما كان مهموزا فقد
يترك همزه وما لم يكن مهموزا لم يجز همزه بوجه المهدوي ومن
قرا بهمزة ساكنة فهو شاذ بعيد لان هاء التانيث لا يكون ما قبلها
الا متحركا او الفا لكنه يجوز ان يكون مما سكن من المفتوح استخفافا
ويجوز ان يكون لما ابدل الهمزة الفا على غير قياس قلب الالف همزة كما
قلبوها في قولهم العألم والخأتم وروي عن سعيد بن جبير من مفصولة
سأته مهموزة مكسورة التا فقيل انه من سية القوس في لغة من
همزها وقد روي همز سئة القوس عن رؤبة قال الجوهري سية القوس
ما عطف من طرفيها والجمع سيات والها عوض من الواو والنسبة اليها
سيوي قال ابو عبيدة كان رؤبة يهمز سية القوس وسائر العرب
لا يهمزونها وفي دابة الارض قولان احدهما انها الارضة قاله ابن عباس
ومجاهد وغيرهما وقد قرئ دابة الارض بفتح الرا وهو جمع الارضة
ذكره الماوردي الثاني انها دابة تاكل العيدان قال الجوهري والارضة
بالتحريك دويبة تاكل الخشبة يقال ارضت الخشبة تؤرض ارضا
بالتسكين فهي مأروضة اذا اكلتها قوله تعالى فلما خر
سقط تبينت الجن مثل واسأل القرية وفي التفسير [illegible] ما بيد
الصحاح عن ابن عباس قال اقام سليمان بن داود صلى الله عليهما حولا

لا يعلم بموته وهو متوكئ على عصاه والجن متصرفة فيما كان امرها به الجن
ثم سقط بعد حول فلما خر تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين وهذه القراة من ابن عباس على جهة التفسير
وفي الخبر ان الجن شكرت ذلك الى الأرضة فاينما كانت ياتونها بالما
قال السدي والطين الم تر الى الطين الذي يكون في جوف الخشب
فانها مما تاتيها به الشياطين شكرا وقالت لو كنت تاكلين
الطعام والشراب لاتيناك بهما وان في موضع رفع على البدل
من الجن والتقدير تبين امر الجن فحذف المضاف اي تبين وظهر للانس
وانكشف لهم امر الجن انهم لا يعلمون الغيب وهذا بدل الاشتمال
ويجوز ان يكون في موضع نصب على تقدير حذف اللام ولبثوا اقاموا
والعذاب المهين السخرة والحمل والبنيان وغير ذلك وعمر سليمان
ثلثا وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة فملك وهو ابن ثلث
عشرة سنة وابتدا في بنيان بيت المقدس وهو ابن سبع عشرة
سنة وقال السدي وغيره كان عمر سليمان سبعا وستين سنة
وملك وهو ابن سبع عشرة وابتدا في بنيان بيت المقدس وهو
ابن عشرين سنة وكان ملكه خمسين سنة وحكي ان سليمان عليه السلام
ابتدا بنيان بيت المقدس في السنة الرابعة من ملكه وقرب بعد
فراغه منه اثني عشر الف ثور ومائة وعشرين الف شاة واتخذ
اليوم الذي فرغ فيه من بنيانه عيدا وقام على الصخرة رافعا
يديه الى الله تعالى بالدعا فقال اللهم انت وهبت لي هذا السلطان
وقويتني على بنا هذا المسجد اللهم فاوزعني شكرك على ما انعمت
علي وتوفني على ملتك ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني اللهم اني اسالك
لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة الا

غفرت له وثبت عليه ولا خايف الا امنته ولا سقيم الا شفيته
ولا فقير الا اغنيته والخامس ان لا تصرف نظرك عمن دخله حتى
يخرج منه الا مزاد الحاد اوهلما يارب العالمين ذكره الماوردي
قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا الصحيح من ما تقدم انه لم يفرغ بناؤه
الا بعد موته بسنه والدليل على صحة هذا ما خرجه النسائي وغيره
باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سال الله خلالا ثلاثة حكما يصادف
حكمه فاوتيه وسال الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال
الله حين فرغ من بنا يه المسجد ان لا ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاة
فيه ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه وقد ذكرنا هذا الحديث في
العمرة ذكرنا بناه في سبحان والحمد لله قوله تعالى لقد كان
لسبا في مسكنهم اية قرا نافع وغيره بالصرف والتنوين على انه اسم
حي وهو في الاصل اسم رجل جا بدلك التوقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم
رواه الترمذي قال ابو عبيد وغيره بن حميد قال ابو اسامه عن
الحسن بن الحكم النخعي قال ابو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك المرادي
قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الا اقاتل من
ادبر من قومي ممن اقبل منهم فاذن لي في قتالهم وامرني فلما خرجت
من عنده ما سال القطيق فاخبرني فقد سرت فقال ارسل في اثري
فردني فاتيته وهو في نفر من اصحابه فقال ادع الحرث بن سلمة
فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تعجل حتى احدث اليه فاتيته فاسلم
ما انزل فقال رجل يا رسول الله وما سبا امراة قال ليس
بامراة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة
وتشاءم منهم اربعة فاما الذين تشاءموا منهم فلخم وجذام

سال عني

وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكنده
ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم
خثعم وبجيله وروي في هذا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وقد ابن لهيعة وابو عمرو
سبا بغير صرف وجعله اسما للقبيله وهو اختيار ابي عبيد واستدل
على انه اسم قبيله ان بعده في مساكنهم النخاس ولو كان كما قال
لكان في مساكنها وقد مضى في النمل زيادة لهذا المعنى وقال الشاعر
في الصرف الوارد ورثيم قد ري سبا قد غص اهلها فهم جلد الجواميس
وقال الاخر في غير الصرف من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دونه
العرما وقرا قنبل وابو حيوه والبحتري لسبا بالسكان الهمزة في مساكنهم
قراة العامه على الجمع وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم لان لهم مساكن
كثيره وليس لسبا سكن واحد وقرا ابن هرمز وحمزه وحفص مسكنهم
موحدا الا انهم فتحوا الكاف وقرا يحيى والاعمش والكسائي موحدا
كذلك الا انهم كسروا الكاف وقال النحاس ومساكن وهذا بين لانه يجمع
اللفظ والمعنى فاذا قلت مسكنهم كان فيه تقديران احداهما ان يكون
واحدا يودي عن الجمع والاخر ان يكون مصدرا لا يثنى ولا يجمع كما
قال جل وعز ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فجا
بالسمع موحدا وكذا مقعد صدق في مسكن مثل مسجد ونحاري
عن القياس ولا يوحد مثله الا سماعا اية اسم دال على علامة دالة
على قدرة الله جل وعز على ان لهم خالقا خلقهم وان كل الخلايق لو
اجتمعوا على ان يخرجوا من الخشبه ثمرة لم يكنهم ذلك ولم يهتدوا
الى اختلاف اجناس الثمار والوانها وطعومها وروايحها وازهارها
وفي ذلك ما يدل على انها لا تكون الا من عالم قادر حتى ان يكون بدلا

مزاية ويجوز ان يكون خبر ابتدا محذوف فيوقف على هذا الوجه على اية
وليس بتام قال الزجاج اي الاية جنتان فجنتان رفع لانه خبر ابتدا
محذوف وقال الفراء رفع بتفسير الاية ويجوز ان ينصب اية على انها
خبر كان ويجوز ان تنصب الجنتين على الخبر ايضا في غير القرآن
وقال عبد الرحمن بن زيد ان الاية التي كانت لاهل سبا في مساكنهم
انهم لم يروا فيها بعوضة قط ولا ذبابا ولا برغوثا ولا قملة
ولا عقربا ولا حية ولا غيرها من الهوام واذا جاءهم الركب
في تياههم القمل والدواب فاذا نظروا الى ثيابهم ماتت الدواب
وقيل ان الاية هي ان كانت المراة تمشي فيها وعلى راسها
مكتل فيمتلئ من انواع الفاكهة من غير ان تمسها بيدها قاله قتادة
وروي ان الجنتين كانتا بين جبلين ماء ان سيحان ومجرد فيها قصران
ملكوب على احدهما نحن بنينا سلحين وسبعين خريبا دابين وعلى الاخر
مكتوب نحن بنينا صروح ممنع ومراح فكانت احدى الجنتين عن يمين
الوادي والاخرى عن شماله قال القتيبي ولم يرد جنتين اثنتين
بل اراد من الجهتين بستة وبشره اي كانت بلادهم ذات بساتين
واشجار وثمار تستر الناس من ظلالها كلوا من رزق ربكم
اي قيل لهم كلوا ولم يكن ثم امر ولكنهم تمكنوا من ذلك
النعم وقيل اي قالت الرسل لهم قد اباح الله لكم هذه النعم
فاشكروه بالطاعة من رزقه ربكم اي من ثمار الجنتين واشكروا
له يعني على ما رزقكم بلدة طيبة هذا كلام مستانف اي هذه
بلدة طيبة اي كثيرة الثمار وقيل غير سبخة وقيل طيبة ليس
فيها هوام لطيب هوائها وقال مجاهد هي صنعاء ورب غفور
اي والنعم بها عليكم رب غفور يستر ذنوبكم فجمع لهم بين

مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه وقيل
انما ذكر المغفرة منبها الى ان الرزق قد يكون فيه حرام وقد مضى القول
في هذا في البقرة وقيل انما امتن عليهم بعفوه عن عذاب الاستيصال
بتكذيب من كذبوه من سالف الانبياء الذين استداموا الاصرار
فاستوصلوا قوله تعالى فاعرضوا يعني عن امره واتباع
رسله بعد ان كانوا مسلمين قال السدي وهب بعث الى اهل
سبا ثلثة عشر نبيا فكذبوهم قال القتيبي وكان لهم رئيس يلقب
بالمعارب كانوا في زمن الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وقيل كان
له ولد فمات فرفع راسه الى السماء فبرق وكفر فلهذا يقال اكفر
من حمار وقال الهمداني وقولهم اكفر من حمار هو رجل من عاد مات
له اولاد فكفر كفرا عظيما فلا يعرض احد الا دعاه الى
الكفر فان اجابه والا قتله ثم لما سال السيل بحشهم تفرقوا
في البلاد على ما ياتي ولهذا قيل في المثل تفرقوا ايادي سبا وقيل الاوس
والخزرج منهم فارسلنا عليهم سيل العرم العرم فيما روي عن ابن عباس
السد فالتقدير سيل السد العرم وقال عطا العرم اسم الوادي قتادة
قيل من البحر واودية اليمن فدهم وارد ما بين جبلين وجعلوا في
ذلك الردم ثلثة ابواب بعضها فوق بعض فجاء ايسقون من
الاعلى ثم من الماني ثم من الماليت على قدر حاجاتهم فاخصبوا واثمرت
اموالهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفار فثقب الردم
وقال وهب كانوا يزعمون انهم يجدون في علمهم وكهانتهم
انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا جحره بين جحرتين الا ربطوا الى
جانبها هرة فلما جاء ما اراد الله بهم اقبلت فارة جرا الى بعض
تلك الهرر فساورتها حتى استاخرت عن الجحرة ثم نبشت

ودخلت في الفرجة التي كانت عندها ونقبت السد حتى اوهنته للسيل
وهم لا يدرون فلما جاء السيل دخل ذلك الخلل حتى بلغ السد وفاض الماء
على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم وقال الزجاج العرم اسم الجرذ الذي
نقب السكر عليهم وهو الذي يقال له الخلد وقاله قتادة ايضا وقد
قال ابن الاعرابي ايضا العرم من اسماء الفار وقال مجاهد وابن جبير العرم
ما احمر ارسله الله تعالى في السد فشقه وهدمه وعن ابن عباس ايضا
ان العرم المطر الشديد فنسب السيل اليه لانه سببه وقيل
العرم بسكون الراء عن الضحاك كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد
عليهما السلام وقال عمرو بن بشر جبل العرم السنساة وقاله الجوهري
قال ولا واحد لها من لفظها ويقال واحدها عرمة وقال محمد بن يزيد
العرم كل شيء حاجز بين شيئين وهو الذي يسمى السكر وهو جمع
عرمة كالتحاس وما اجتمع من مطر بين جبلين وفي وجهه مسناة
والمسناة هي التي يسميها اهل مصر الجسر فكانوا يفتحونها
اذا شاؤوا فاذا رويت جنانهم سدوها قال الهروي المسناة
الصغيرة تبنى للسيل ترده سميت مسناة لان فيها مفاتح الماء وروي
ان العرم سد بنته بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام
وهو المسناة بلغة حمير بنته بالصخر والقار وجعلت له ابوابا
ثلثه بعضها فوق بعض وهو مشتق من العرامة وهي الشدة
ومنه رجل عارم اي شديد وعرمت العظم اعرمه واعرمه عرما
اذا حرقته وكذلك عرمت الابل الشجر نالت منه والعرام
بالضم الفراق من العظم والشجر وتعرمت العظم تحرقته وصبي
عارم بين العرام بالضم اي شرس وقد عرم بعرم ويعرم عرامة
بالفتح والعرم العارم عن الجوهري قوله تعالى وبدلناهم
بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وقرا ابو عمرو اكل خمط بغير

سنون مضافا قال اهل التفسير والخمل الخمط الاراك للجوهري
الخمط ضرب من الاراك له حمل يؤكل وقال ابو عبيدة هو كل شجر
ذي شوك فيه مرارة الزجاج لا يمكن اكله البرد الخمط كما تغير
الى ما لا يشتهى واللبن خمط اذا حمض والاء لا عنده في الفراء داوني
اكل خمط بالتنوين على انه نعت لاكل وابدل منه لان الاكل هو الخمط
بعينه عنده فاما الاضافة فيجوز ان يكون تقديرها داوني
اهل حموضه او اكل مرارة وقال الاخفش والاضافة احسن في
كلام العرب نحو قولهم ثوب خز والخمط اللبن الحامض وذكر ابو عبيد
ان اللبن اذا ذهب عنه حلاوة الحلب ولم يتغير طعمه فهو ساوط
وان اخذ شيئا من الريح فهو خامط وخمط فان اخذ شيئا من طعم فهو
متحل فاذا حاز فيه طعم الحلاوة فهو قوهة وخمط النحل المدر
وخمط فلان اي تغضب وتكبر وخمط البحر اي التطم وخمطت
الشاة لبنها خمطا اذا نزعت جلدها وسويقا خمط والتمر
للتمر الذي قد اخذت ريح الادراك كريح التفاح ولم تدرك بعد
ويقال هي الحامضه قاله الجوهري قال الفراء وادب الكباب
الى الحامضه خمطه ويقال للخمطه التي قد اخذت شيئا من الريح
شيزا وكما التي ليست بخمطه ولا حلوة يكوى الشروب شهابها
وانل قال الفراء هو شبيه بالطرفا الواحدة اثلة والجمع اثلات
وقال الحسن الاثل الخشب قماده وهو ضرب من الخشب
يشبه الطرفا رايته بقيد وقيل هو السمر وقال ابو عبيد
هو سجر النضار وشيء من سدر قليل قال الفراء هو السمر
ذكره النحاس وقال الازهري السدر من الشجر سدرا ان يرى بعلم فيه نضار
لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول وله ثمر عفص لا يؤكل ومنه قول النضار

وهو الذي يسمى الضال والثاني سدر نبت على الماء وثمره النبق وورقه
غسول يشبه شجر العناب قال وعاده بنما شجر القوم من خير
شجر اذ صيره الله من شر الشجر باعمالهم فاهلك اشجارهم
للثمرة وانبت بدلها الاراك والطرفا والسدر القشيري
واشجار البوادي لا تسمى جنة وبستانا ولكن لما وقعت الثانية
في مقابلة الاولى اطلق لفظ الجنة وهو كقوله وجزاء سيئة
مثلها ويحتمل ان يرجع قوله ذلك الى جملة ما ذكر من الخمط والاثل
والسدر قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا اي هذا التبديل
جزاء كفرهم وموضع ذلك نصب اي جزيناهم ذلك بكفرهم
وهل نجازي الا الكفور قراءة العامة نجازي بنا مضمومة وزاي
مفتوحة الكفور رفعا على ما لم يسم فاعله وقرا يعقوب
وحفص وحمزة والكسائي نجازي بالنون وكسر الزاي الكفور
بالنصب واختاره ابو عبيد وابو حاتم قالا لان قبله جزيناهم
ولم يقل جوزوا النحاس والامر في هذا واسع والمعنى فيه بين
ولو قال قابل خلق الله ادم صلى الله عليه وسلم من طين وقال اخر
خلق ادم من طين لكان المعنى واحدا مسئلة في هذه الاية سوال
ليس في السورة اشد منه وهو ان يقال لم خص المجازاة بالكفور
ولم يذكر اصحاب المعاصي فتكلم العلماء في هذا فقال قوم ليس
نجازي بهذا الجزاء الذي هو الاصطلام والاهلاك الا من كفر
وقال مجاهد نجازي نعني نعاقب وذلك ان المؤمن يكفر الله
عنه سيئاته والكافر نجازي بكل سوء عمله فالمؤمن نجزي
ولا نجازي لانه لا ثواب وقال ظاهر هو المناقشة في الحساب
واما المؤمن فلا نناقش الحساب وقال قطرب خلاف هذا

جعلها في اهل المعاصي غير الكفار وقال المعنى على من كفر
بالنعم وعمل بالكبائر والحاسد اولى ما قيل في هذه الاية
واجل ما روي فيها ان الحسن قال سئل عن عائشة قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حوسب هلك
فقلت يا نبي الله اما تقول الله جل وعز فسوف يحاسب حسابا
يسيرا قال انما ذلك العرض ومن نوقش الحساب هلك
وهذا اسناد صحيح وشرحه ان الكافر يكافا على اعماله
ويحاسب عليها ويحبط ما عمل من خير وبين هذا قوله
جل وعز في الاول ذلك جزيناهم بما كفروا وفي الثاني وهل
نجازي معنى نجازي بكافا بكل عمل ومعنى جزيناهم وفيناهم
فهذا حقيقة اللغة وان كان مجازي يقع لمعنى جزى مجازا
قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى
ظاهرة قال الحسن يعني بين اليمن والشام والقرى التي يعرف فيها كانت
الشام والاردن وفلسطين والبركة قيل انها اربعة الاف
وسبع مائة قرية يورق فيها بالشجر والثمر والماء ويحتمل
ان يكون باركنا فيها بكثرة العدد قرى ظاهرة قال ابن عباس
يريد بين المدينة والشام وقال قتادة معنى ظاهرة متصلة
على الطريق يغدون ويقيلون في قرية ويروحون فيبيتون
في قرية وقيل كان على كل ميل قرية بسوق وهو سبب امن
الطريق قال الحسن كانت المراة تخرج معها مغزلها وعلى راسها
مكتلها تلتهي بمغزلها فلا ياتي بيتها حتى يمتلئ مكتلها من كل الثمار
فكان ما بين اليمن والشام كذلك وقيل ظاهرة اي مرتفعة قاله
المبرد وقيل انما قيل لها ظاهرة لظهورها اي اذا خرجت من هذه

ظهرت لك الاخرى فكانت قرى ظاهرة اى معروفة يقال هذا امر
ظاهر اى معروف وقدرنا فيها السير اى جعلنا السير بين قراهم وبين
القرى التى باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل الى منزل ومن قريه الى قريه
الفرا اى جعلنا من كل منزلين نصف يوم حتى يكون المقيل فى قريه
والمبيت فى اخرى وانما يبالغ الانسان لعدم الزاد والماء والخوف
الطريق فاذا وجد الزاد والامن لم يحمل على نفسه المشقه ونزل
اينما اراد سيروا فيها اى قلنا لهم سيروا فيها اى فى هذه
المسافه فهو امر تمكين اى كانوا يسيرون فيها الى مقاصدهم
اذا اراد وا امنين فهو امر بمعنى الخبر وفيه اضمار القول التالى
وايانا ظرفان امنين نصب على الحال قال التالى وايانا بلفظ
النكره تنبيها على قصر اسفارهم اى كانوا لا يحتاجون الى طول
السفر لوجود ما يحتاجون اليه قال قتاده كانوا يسيرون
غير خائفين ولا جياع ولا ظمأ وكانوا يسيرون مسيره اربعه
اشهر فى امان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقى الرجل قاتل
ابيه لم يحركه قوله تعالى وقالوا ربنا باعد بين
اسفارنا لما بطروا وطغوا وسئموا الراحه ولم يصبروا
على العافيه تمنوا طول الاسفار والكد فى المعيشه
كقول بنى اسرائيل ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض
من بقلها الايه وكالنضر بن الحارث اذ قال اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجاره من السما فلعبا به
الله وقتل يوم بدر بالسيف صبرا فكذلك هاؤلا يبدد وا فى
الدنيا ومزقوا كل ممزق وجعل بينهم وبين الشام فلوات ومفاوز
يركبون فيها الرواحل ويتزودون الازواد وقرا العامه بالنصب
على انه نداء مضاف وهو منصوب لانه مفعول به لان معناه

فى السير

نادوا ودعوت باعد سالوا المباعدة فى اسفارهم
فى اسفارهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن محيصن وهشام عن ابن عامر
ربنا كذلك على الدعا بعد من البعيد الخاسر باعد وبعد واحد
فى المعنى كما تقول قارب وقرب وقرا ابو صالح ومحمد بن الحنفيه وابو
العاليه ونصر بن عاصم ويعقوب ويروى عن ابن عباس ربنا باعد
بفتح العين والدال على الخبر تقديره لقد باعد ربنا بين اسفارنا كان
الله تعالى يقول قربنا لهم اسفارهم فقالوا اشرا وبطرا لقد بوعدت
علينا اسفارنا واختار هذه القرا ابو حاتم قال لانهم ما طلبوا البعيد
انما طلبوا اقرب من ذلك القرب بطرا وعجبا مع كفرهم وقرا يحيى
ابن يعمر وعيسى بن عمر ويروى عن ابن عباس ربعد بين اسفارنا بشد
العين من غير الف وفسرها ابن عباس قال شكوا ان يظهر باعد بين
اسفارهم وقرا سعيد بن ابى الحسن اخو الحسن البصرى ربنا بعد بين
اسفارنا برفع بين بالفعل اى بعد ما يتصل باسفارنا وروى الفرا
وابو اسحق قرا ساد سه مثل التى قبلها فى ضم العين الا انك تنصب
بين على انه ظرف وتقديره فى العربيه بعد سيرنا بين اسفارنا
النحاس وهذه القرا ات اذا اختلفت معانيها لم تجز فان قال احدها
اجود من الاخرى كما لا يقال ذلك فى اخبار الاحاد اذا اختلفت
معانيها ولكن خبر عنهم انهم دعوا ربهم ان يبعد بين اسفارهم
بطرا واشرا وخبر عنهم انه لما فعل ذلك بهم خبروا به وشكوا
كما قال ابن عباس وظلموا انفسهم اى بكفرهم فجعلناهم احاديث
اى نتحدث باخبارهم وتقديره فى العربيه ذوى احاديث ومزقناهم
اى كل ممزق مالحقهم تفرقوا وتمزقوا قال الشعبى لحقت الانصار
بيثرب وغسان الشام والاسد نعمان وخزاعة تهامة
وهاجت الصدف تفرقت بعد المثل فتقول تفرقوا ايدى سبا وايادى

ربنا

سبا او مذاهب سبا وطرقها ان فی ذلک لایات لکل صبار
شکور الصبار الذی یصبر عن المعاصی وهو تکثیر صابر تمدح
بهذا الاسم فان ارذب انه صبر عن المعصیة لم یستعمل فیه
الاصبار عن کذا شکور لنعمه ، قد مضی هذا المعنی فی البقره
قوله تعالی ولقد صدق علیهم ابلیس ظنه فیه اربع قرات
قرا ابو جعفر وشیبة ونافع وابو عمرو وابن کثیر وابن عامر
ویروی عن مجاهد ولقد صدق بالتخفیف علیهم ابلیس بالرفع
ظنه بالنصب ای فی ظنه قال الزجاج وهو علی المصدر ای
صدق علیهم ظنا ظنه ای صدق فی ظنه فنصب علی المصدر
او علی الظرف وقال ابو علی ظنه نصب لانه مفعول به ای صدق
الظن الذی ظنه اذ قال لاقعدن لهم صراطک المستقیم وقال
لاغوینهم اجمعین وجوز نقدیة الصدق الی المفعول به ویقال
صدق الحدیث ای فی الحدیث وقرا ابن عباس وابن زید وثاب والاعمش
وعاصم وحمزه والکسائی ای صدق بالتشدید ظنه بالنصب
بوقوع الفعل علیه قال مجاهد ظن ما فکان ما ظن فصدق
ظنه وقرا جعفر بن محمد والحجاج صدق علیهم بالتخفیف
ابلیس بالنصب ظنه بالرفع قال ابو حاتم لا وجه لهذه القراة
عندی والله اعلم وقد اجاز هذه القراة ابن ذکوانها الزجاج
جعل الظن فاعل صدق وابلیس مفعوله والمعنی ان ابلیس
سول له ظنه فیهم شیا فصدق ظنه فی ان قال صدق
علیهم ظن ابلیس وعلی متعلقه بصدق ای صدقت جلیة
فیما ظننته بک ولا تتعلق بالظن لاستحالة ان یتعدی من
الصلة علی الوصول والقراة الرابعة ولقد صدق علیه ابلیس

ظنه برفع ابلیس والطرح التخفیف فی صدق علی ان یکون ظنه
بدلا من ابلیس وهو بدل الاشتمال ثم قیل هذا فی اهل سبا ای کفروا
وغیروا وبدلوا بعد ان کانوا مسلمین الا قوما منهم اهنوا برسلهم
وقیل هذا عام ای صدق ابلیس ظنه علی الناس کلهم الا من اطاع
الله قاله مجاهد وقال الحسن لما اهبط آدم من الجنه ومعه حوا
وهبط ابلیس قال ابلیس انا اذ اصبت من الابوین ما اصبت
فالذریة اضعف واضعف فکان ذلک ظنا من ابلیس فانزل الله
ولقد صدق علیهم ابلیس ظنه وقال ابن عباس ان ابلیس قال خلقت
من نار وخلق آدم من طین والنار تحرق کل شی الا تحتکم ذریته
الا قلیلا فصدق ظنه علیهم وقال یزید بن اسلم ان ابلیس قال یارب
اریتک هاولا الذین کرمتهم وشرفتهم وفضلتهم علی لاجدن اکثرهم
شاکرین ظننا منه وصدق علیهم ظنه وقال الکلبی انه ظن انه ان
اغواهم اجابوه وان اخلهم اطاعوه فصدق ظنه فاتبعوه وقال
الحسن ما ضربهم بسوط ولا بعصا وانما ظن ظنا فکان کما
ظن بوسوسته الا فریقا من المومنین نصب علی الاستثنا
وفیه قولان احدهما انه یراد به بعض المومنین لان کثیرا من المومنین
یزیغ وینقاد لابلیس فی بعض المعاصی ای ما سلم من المومنین
ایضا الاقلیل وهم المعنیون بقوله ان عبادی لیس لک علیهم سلطان
فاما ان یکون فعله استثناء من المومنین کلهم فمن علی هذا التبیین
لا للتبعیض فان قیل کیف علم ابلیس صدق ظنه وهو لا یعلم الغیب
قیل انه لما انقاد له فی بعض ما تقرر غلب علی ظنه انه ینقاد له مثل ذلک
فی غیره فوقع له تحقیق ما لم یقع له تحقیق ما لم یقع جواب اخر وهو ما الجیب
من قوله یعلم ای استفز من استطعت منهم بصوتک واجلب

عليهم بخيلك ورجلك فاعطي من اقوه والاستطاعه فظن انه
يطيعهم كلهم فلما رأى انه تاب على آدم وانه سيكون له نسل
يتبعونه الى الجنه وقال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
من اتبعك من الغاوين فعلم ان له تبعا ولادم تبعا فظن ان تبعه
اكثر من تبع ادم لما وضع في يديه من سلطان الشهوات
ووضعت الشهوات في اجواف الاديميين فخرج على ما ظن حيث
يحب فيهم وزين في اعينهم تلك الشهوات ونسبهم اليها بالامانى
والخدايع فصدق عليهم الظن الذي ظنه والله اعلم قوله تعالى
وما كان له عليهم من سلطان اي لم يقهرهم ابليس على الكفر
وانما كان منه الدعاء والتزيين والسلطان القهر وقيل الحجه اي
لم تكن له حجة يشبههم بها وانما اتبعوه بشهوه وتقليد
وهوى نفس لا عن حجة ودليل الا لنعلم من يؤمن بالاخره ممن هو منها
الشهادة الذي يقع به الثواب والعقاب فاما الغيب فقد علمه
جل وعز ومذهب الفراء يكون المعنى الا لنعلم ذلك عندكم كما
قال ابن شركاي اي على قولكم وعندكم وليس قوله الا لنعلم بجواب
وما كان له عليهم من سلطان فظاهره انما هو محمول على المعنى
اي وما جعلنا له عليهم سلطانا الا لنعلم فالاستثنا منقطع
اي لا سلطان له عليهم ولكن ابتليناهم بوسوسته لنعلم فلا
بد لكن قيل هو متصل اي ما كان له عليهم سلطان الا
سلطانه عليهم ليتم الابتلاء وقيل كان غايته ان حملهم عليهم
من سلطان كقوله كنتم خير امة اي انتم خير امة وقيل لما اتصل
طرف منه بقصة سبأ قال ما كان لابليس على اولئك الكفار
من سلطان وقيل ما كان له في قضايانا السابق سلطان عليهم

وقيل الا لنعلم الا لنظهر وهو كما تقول النار تحرق الحطب فيقول الخر
لا بل الحطب يحرق النار فيقول الاول تعال حتى نجرب النار والحطب
لنعلم ايهما يحرق صاحبه اي لنظهر ذلك وان كان معلوما لهم ذلك
وقيل الا لتعلموا انتم وقيل اي ليعلم اولياونا وللايكة كقوله
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياء الله ورسوله
وقيل الا اي لنميز كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب وقد
مضى هذا المعنى في البقره وغيرها وقرا الزهري الا ليعلم على ما
لم يسم فاعله وربك على كل شي حفيظ اي انه عالم بكل شي
وقيل حفظ كل شي على العبد حتى يجازيه عليه قوله تعالى
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله اي هذا الذي مضى ذكره من
امر داود وسليمان وقصه سبا من آثار قدرتي فقل يا محمد لهؤلاء
المشركين هل عندكم شركاء بكم قدره على شي من ذلك وهذا خطاب
توبيخ وفيه اضمار اي ادعوا الذين زعمتم انهم الهة لكم من دون
الله ليشفعوا لكم او لتدفع عنكم ما قضاه الله عز وجل عليكم
فانهم لا يملكون ذلك ولا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا
في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير اي ما
لله من هؤلاء من معين على خلق شي بل الله المنفرد بالايجاد فهو
الذي يعبده عباده غيره محال قوله تعالى ولا تنفع الشفاعة
اي شفاعة الملايكة وغيرهم عنده اي عند الله الا لمن اذن له
قرأ العامة اذن مبنيا للمفعول لذكر الله جل وعز ولا وقرأ ابو
عمرو وحمزة والكسائي اذن بضم الهمزة على ما لم يسم فاعله
واذنه الله جل وعز ومن رجع الى الشافعين يجوز ان يرجع
الى المشفوع لهم حتى اذا فزع عن قلوبهم قال بعضهم لبعض عن

يجوز ؛

قلوبهم الفزع قطب اخرج ما فيها من الخوف مجاهد كشف
عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة اي ان الشفاعة لا تكون من احد
منهم ولا المعبودين من دون الله من الملايكة والانبياء والاصنام
الا ان الله يأذن للانبياء والملايكة في الشفاعة وهم على غاية
الفزع من الله كما قال وهم من خشيته مشفقون والمعنى انه اذا
اذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا لما يقترن
بتلك الحال من الامر الهايل والخوف ان يقع في تنفيذ ما اذن لهم فيه
تقصير فاذا سري عنهم قالوا الملايكة وهم الذين يوردون عليهم
الوحي ماذا قال ربكم اي ماذا امر الله به فيقولون لهم قال
الحق وهو اذن لكم في الشفاعة لمن ميز وهو العلي الكبير
فله ان يحكم في عباده ما يريد ثم يجوز ان يكون هذا اذنا لهم في
الدنيا في شفاعة اقوام ويجوز ان يكون في الاخرة وفي الكلام اضمار
اي ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فيفزع لما ورد عليه
من الاذن تهيبا لكلام الله جل وعز حتى اذا ذهب الفزع عن
قلوبهم اجاب بالانقياد وقيل هذا الفزع يكون يوم القيامة للملايكة
في كل امر يامر به الرب تعالى اي لا تنفع الشفاعة الا من الملايكة
الذين هم فزعون اليوم مطيعون لله تعالى روى الجماعات والشياطين
وفي صحيح الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا قضى الله في السما امرا ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا
لقوله كانها سلسلة على صفوان اذا فزع عن قلوبهم قالوا ما
ذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال والشياطين
بعضهم فوق بعض قال حديث حسن صحيح وقال النواس
ابن سمعان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اذا اراد ان يوحي بالامر

تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة او رعدة شديدة
خوفا من الله تعالى فاذا سمع اهل السموات ذلك صعقوا
وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل فيكلمه الله
من وحيه ما اراد فكلما مر بسما سأله ما ايكتها
ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير
فيقول كلهم كما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث
امره الله تعالى وذكر البيهقي عن ابن عباس في قوله عز وجل حتى
اذا فزع عن قلوبهم قال كان لكل قبيل من الخلق فيقر من السما
يستمعون صوت الوحي وكان اذا نزل الوحي سمع له صوت كمر
السلسلة على الصفوان فلا ينزل على اهل سما الا صعقوا فاذا
فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير
ثم يتوارى كل ملك هذا وهذا فتسمعه الجن فيخبرون
الكهنة به والكهنة الناس بعضهم على بعض كذا يجدونه كذلك فلما
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رجموا اي بالشهب فقالت
العرب حين رأوها تخبرهم الجن بذلك هلك من في السما فجعل صاحب
الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة وصاحب
الغنم شاة حتى اسرعوا في اموالهم فقالت ثقيف وكانت تعقل
العرب ابها الناس امسكوا على اموالكم فانه لم تمت من في السما
وان هذا ليس بانتثار النجوم تروون معالمكم من النجوم كما هي
والشمس والقمر واللیل والنهار فقال انا سيد لقد حدث في
الارض امر وحدث فاتوني من تدبو كل ارض فانظروا ما فجعل يشمها
فلما شم تربة مكة قال من هاهنا جا الحدث فنعتوا فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وقد مضى هذا المعنى مرفوعا

صل؟

مختصرا في سورة الحجر ومضى القول ايضا في رميهم بالشهب واحراقهم
بها وياتي في سورة الجن بيان ذلك وقيل انما يفزع عن قلوبهم عند قيام الساعة
قال الكلبي وكعب كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمس مائة
وخمسون سنة لا تجلى فيها الرسل فلما بعث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم كلم الله جبريل بالرسالة فلما سمعت الملائكة الكلام
ظنوا انها الساعة قد قامت فصعقوا مما سمعوا فلما اجلي الخدر
جبريل جعل كلما مر بكل سما فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم
لبعض ماذا قال ربكم فلم يدروا ما قال ولكنهم قالوا قال الحق
وهو العلي الكبير وذلك ان محمدا عند اهل السموات من اشراط
الساعة وقال الضحاك ان الملائكة الحفظة الذين يختلفون الى اهل
الارض يكتبون اعمالهم يرسلهم الرب تعالى فاذا الخدر واسمع لهم
صوت شديد فيحسب الذين هم اسفل من الملائكة انه من امر
الساعة فيخرون سجدا ويصعقون حتى يعلموا انه ليس من امر
الساعة وهذا تنبيه من الله تعالى واخبار ان الملائكة مع
اصطفائهم ورفعهم لا يمكنهم ان يشفعوا لاحد حتى يؤذن لهم
فاذا اذن لهم وسمعوا صعقوا وكان هذه حالهم فكيف تشفع
الاصنام او كيف تؤملون انتم الشفاعة ولا تعترفون بالقيامة
وقال الحسن بن زيد ومجاهد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب
المشركين قال مجاهد في الاخرة عند نزول الموت وقال الحسن بن
زيد اقامة الحجة عليهم قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في
الدنيا قالوا الحق فاقروا حين لا ينفعهم الاقرار اي قالوا قال الحق
وقراءة العامة فزع عن قلوبهم وقرا ابن عباس فزع من قلوبهم
مسمى الفاعل وفاعله ضمير يرجع الى اسم الله تعالى ومن شاء

للمفعول للجار والمجرور في موضع رفع والفعل في المعنى لله عز وجل
والمعنى في القراءتين ازيل الفزع عن قلوبهم حسب ما تقدم بيانه ومثله
اشكاه اذا ازال عنه ما يشكوه وقرا الحسن فزع مثل قراءة العامة
الا انه خفف الزاي والجار والمجرور في موضع رفع ايضا وهو كقولك
انصرف من كذا الى كذا وكذا معنى فزع بالزاي والفاء المعجمة والتخفيف
غير مسمى الفاعل المعنى فزع الله قلوبهم اي كشف عنها اي فزعها
من الفزع والضمير في ذلك يرجع البنا للمفعول على هذه القراءة
وعن الحسن ايضا فزع بالتشديد قوله تعالى قل من يرزقكم
من السموات والارض لما ذكر ان الهتهم لا يملكون مثقال ذره مما
يقدر عليه الرب قرر ذلك فقال قل يا محمد للمشركين من يرزقكم
من السموات والارض اي من خلق لكم هذه الارزاق التي تجنونها من
السموات اي من المطر والشمس والقمر والنجوم وما فيها من المنافع
والارض اي الخارجة من الارض من النبات والنبات اي لا يمكنهم ان يقولوا
هذا فعل الهتنا فيقولون لا ندري فقل ان الله يفعل ذلك الذي يعلم
ما في انفسكم وان قالوا الله يرزقنا فقد تقررت الحجة فانه الذي
ينبغي ان يعبد وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين هذا على وجه
الانصاف في الحجة كما يقول القائل احدنا كاذب وهو يعلم انه
صادق وان صاحبه كاذب والمعنى ما احدنا الا وهو على امر واحد
بل على امرين متضادين بعد الفريقين معتد وهو ملتبس والاخر
ضال وهو انتم فتحذيرهم ما احسن من تصريح التكذيب والمعنى انتم
البعداء حين اشركتم بالذي يرزقكم من السموات والارض او
اياكم معطوف على اسم ان لو عطف على الموضع لكان او انتم
ويكون على هذا للاول لا غير واذا قلت او اياكم كان للثاني او لي

نفوسكم

وحذفت من الاول لجواز ان يكون للاول وهو اختيار المبرد قال وهو معناه
معنى قول المستبصر لصاحبه على صحة الوعيد والاستظهار بالحجة
الواضحة احدنا كاذب وقد عرف المعنى كما تقول انا افعل كذا
وتفعل انت كذا واحدنا مخطئ وقد عرف انه هو المخطئ فهكذا وانا
أو اياكم لعلى هدًى او في ضلال مبين وعند البصريين على بابها
وليست للشك لكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا اذا
لم يرد المخبر ان يبين وهو عالم بالمعنى قال ابو عبيدة والفراهي
بمعنى الواو وتقديره وانا على هدًى واياكم لفي ضلال مبين وقال
جرير أتغلبة الفوارس او ربابا حدلت بهم طهية والربابا
يعني اتغلبة وربابا وقال اخر
فلما اشترا مرّ الحرب فينا تاملنا رياحًا او ذراما اي وذراما
قوله تعالى قل لا تسئلون عما اجرمنا اي اكتسبنا ولا نسئل
نحن ايضا عما تعملون اي انما اقصد ما ادعوكم اليه لخيركم لا
انه ينالني ضرر كفركم وهذا حاصل قال لكم دينكم ولي دين والله
مجازي الجميع فهذه اية مهادنة ومتاركة وهي منسوخة بالسيف
وقيل نزل هذا قبل اية السيف قوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا
يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق اي يقضي فيثيب المحق
ويعاقب المبطل وهو الفتاح اي القاضي بالحق العليم باحوال الخلق
وهذا كله منسوخ باية السيف قوله تعالى قل ارونيَ الذين
الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا اي وما ارسلناك الا للناس كافة اي عامة ففي الكلام
تقديم وتاخير وقال الزجاج اي وما ارسلناك الا جامعا للناس بالانذار
والابلاغ والكافة بمعنى الجامع وقيل معناه كافًا للناس تكفهم عما
هم فيه من الكفر وتدعوهم الى الاسلام وهاء للمبالغة وقيل اي الا ذا
كافة فحذف المضاف اي ذا منع الناس من ان يشذوا عن تبليغك او ذا
منع لهم من الكفر منه كف الثوب لانه ضم طرفيه بشيرا اي بالجنة
لمن اطاع ونذيرا من النار لمن كفر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما عند الله وهم
المشركون كانوا في ذلك الوقت اكثر من المؤمنين عددًا ويقولون
متى هذا الوعد يعني موعدكم لنا بقيام الساعة ان كنتم صادقين فقال
الله تعالى قل لكم ايا محمد لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة
ولا تستقدمون فلا يغرنكم تاخره والميعاد الميقات ويعني هذا الميعاد
وقت البعث وقيل وقت حضور الموف اي لكم قبل يوم القيامة
وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي قيل اراد بهذا اليوم
يوم بدر لان ذلك اليوم كان ميعادا عذابهم في الدنيا وقال الله تعالى وانا
النحويون ميعاد يوم على ان يكون ميعادٌ ابتداء ويوم مدلول عنه والخبر
لكم واجازوا ميعادٌ يوم ما يكون ظرفا ويكون الها في عنه ترجع الى يوم
ولا يصح ميعاد يوم لا تستاخرون بغير تنوين واضافة يوم الى ما بعده
اذا اقدرت الها عايدة على اليوم لان ذلك يكون من اضافة الشيء الى نفسه
من اجل الها التي في الصلة ويجوز ذلك على ان تكون الها للميعاد لا لليوم
قوله تعالى وقال الذين كفروا لا نؤمن بهذا القرآن

اي ليس الامر كما زعمتم وقيل ان كلا رد لجوابهم المحدوف كانه قال
لم تؤمنوا بالذي لعظمته به شركاء قالوا هي الاصنام فقال كلا اي ليس له شركاء
بل هو الله العزيز الحكيم قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا اي وما ارسلناك الا للناس كافة اي عامة ففي الكلام
تقديم وتاخير وقال الزجاج اي وما ارسلناك الا جامعا للناس بالانذار
والابلاغ والكافة بمعنى الجامع وقيل معناه كافًا للناس تكفهم عما هم
فيه من الكفر وتدعوهم الى الاسلام وهاء للمبالغة وقيل اي الا ذا
كافة فحذف المضاف اي ذا منع الناس من ان يشذوا عن تبليغك او ذا
منع لهم من الكفر منه كف الثوب لانه ضم طرفيه بشيرا اي بالجنة
لمن اطاع ونذيرا من النار لمن كفر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما عند الله وهم
المشركون كانوا في ذلك الوقت اكثر من المؤمنين عددًا ويقولون
متى هذا الوعد يعني موعدكم لنا بقيام الساعة ان كنتم صادقين فقال
الله تعالى قل لكم ايا محمد لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة
ولا تستقدمون فلا يغرنكم تاخره والميعاد الميقات ويعني هذا الميعاد
وقت البعث وقيل وقت حضور الموف اي لكم قبل يوم القيامة
وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي قيل اراد بهذا اليوم
يوم بدر لان ذلك اليوم كان ميعادا عذابهم في الدنيا وقال الله تعالى وانا
النحويون ميعاد يوم على ان يكون ميعادٌ ابتداء ويوم مدلول عنه والخبر
لكم واجازوا ميعادٌ يوم ما يكون ظرفا ويكون الها في عنه ترجع الى يوم
ولا يصح ميعاد يوم لا تستاخرون بغير تنوين واضافة يوم الى ما بعده
اذا اقدرت الها عايدة على اليوم لان ذلك يكون من اضافة الشيء الى نفسه
من اجل الها التي في الصلة ويجوز ذلك على ان تكون الها للميعاد لا لليوم
قوله تعالى وقال الذين كفروا لا نؤمن بهذا القرآن

ولا بالذي بين يديه قال سعيد عن قتادة ولا بالذي بين يديه من الكتب
والانبيا عليهم السلام وقيل من الاخرة وقال الزجاج قال ذلك ابو
جهل بن هشام وقيل ان اهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في
كتابنا فسألوه فلما سألوه فوافقوها قال اهل الكتاب قال المشركون
لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي قبله من التوراة والانجيل ان تكفر
بالجميع وكانوا قبل ذلك يراجعون اهل الكتاب فيما بينهم ويحتجون
بقولهم فظهر بهذا تناقضهم وقلة علمهم ثم اخبر الله تعالى عن
حالهم في الاخرة فقال ولو ترى يا محمد اذ الظالمون موقوفون عند ربهم
اي يحبسون في موقف الحساب يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم
والعتاب بعد ان كانوا في الدنيا اخلاء متناصرين وجواب لو محذوف
اي لرايت امرا هائلا فظيعا ثم ذكر اي شيء يرجع من القول بينهم فقال
يقول الذين استضعفوا في الدنيا من الكافرين للذين استكبروا وهم
القادة والرؤساء لولا انتم لكنا مؤمنين اي اغويتمونا واضللتمونا
واللغة الفصيحة لولا انتم ومن العرب من يقول لولاكم حكاها
سيبويه يكون لولا للخفض للمضمر ويرتفع المظهر بعدها بالابتدا
ويحذف خبره ومحمد بن يزيد يقول لا يجوز لولاكم لان المضمر عقيب
المظهر فلما كان المظهر مرفوعا بالابتداء وجب ان يكون المضمر
ايضا مرفوعا قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن
صددناكم عن الهدى هو استفهام بمعنى الانكار اي ما رددناكم
نحن عن الهدى ولا أكرهناكم بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اي
مشركين مصرين على الكفر وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل
مكر الليل والنهار المكر اصله في كلام العرب الاختيال والخديعة
وقد مكر به بمكر فهو ماكر ومكار قال الاخفش فهو على تقدير

هذا مكر الليل والنهار قال النحاس والمعنى والله اعلم بل مكركم في الليل
والنهار وقال سفيان الثوري اي مسارقتهم ايانا ودعاؤكم لنا الى
الكفر حملنا على هذا وقال سفيان الثوري بل عملكم في الليل والنهار
قتادة بل مكركم بالليل والنهار صدنا فاضيف المكر اليهما لوقوعه
فيهما وهو كقوله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر فاضاف الاجل الى
نفسه ثم قال فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة اذ كان الاجل فيهم
وهذا من قيل في ذلك ليله قايم ونهاره صايم قال الفراء اي بل مكركم
الليل والنهار كما تقول العرب نهاره صايم وليله قايم وانشد لجرير
لقد لعنتنا يا امامة بالضحى ومت ومالي الليل كيف ينايم
وانشد سيبويه فنام ليلي وتجتلي هم اي نشف فيه وظهيره والنهار
مبصرا وقرا قتادة بل مكر الليل والنهار والتقدير بل مكركم دائب
في الليل والنهار فحذف وقرا سعيد بن جبير بل مكر بفتح الكاف
وشد الراء يعني الكرور وانتصاعه بالابتداء والخبر محذوف ويجوز
ان يرتفع بفعل مضمر دل عليه الخبر صددناكم كما انهم لما قالوا لهم
الخبر صددناكم عن الهدى قالوا بل صدنا مكر الليل والنهار وروى
سعيد بن جبير بل مكر الليل والنهار قال مر الليل والنهار عليهم
فغفلوا وقيل هو كالسلامة فيهما كقوله فطال عليهم الامد وقرا
راشد بل مكر الليل والنهار بالنصب كما تقوله رايته مقدم
الحاج وانما يجوز هذا فيما يعرف لو قلت رايته مقدم زيد لم يجز
ذكره النحاس اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي
اشباها واشكالا ونظرا قال محمد بن يزيد ند فلان فلانا اي مثله
ويقال ند يند وانشد ايتيما تجعلون الي ندا وهاتم لذي حسب نديد
وقد مضى هذا في البقرة واسر الندامة اي اظهروها وهو من

الاضداد يكون بمعنى الاخفاء والابدا قال امرؤ القيس
فجاوزت احراسًا واهوال معشر علي حراص لو يسرون مقتلي
وقد روي يبشرون وقيل اسرّوا الندامة اي تبينت الندامة
في اسرار وجوههم وقيل الندامة لا تظهر وانما تكون في القلب
وانما يظهر ما يتولد عنها حسب ما تقدم بيانه في سورة يونس
قال عمران وقيل الضمائر كلها للندامة قولهم فلو ان لنا كرة فنكون
من المؤمنين وقيل اسرّوا الندامة فيما بينهم ولم يجهروا بالقول بها
كما قال اسرّوا النجوى وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا
الاغلال جمع غل يقال في رقبته غل من حديد ومنه قيل للمرأة السيئة
الخلق غل قمل واصله ان الغل كان يكون من قد حديد يقيد به البعير فيجمل
يده الى عنقه وقد غل فهو مغلول يقال ماله الا غل وغل والغل
ايضا والغلة حرارة العطش وكذلك الغليل يقال منه غل الرجل
يغل غلا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله عن الجوهري اي جعلت
الجوامع في اعناق التابعين والمتبوعين قيل من غيرها ولا التفريقين
وقيل يرجع للذين كفروا اليهم وقيل تم الكلام عند قوله لما راوا العذاب
ثم ابتدا فقال وجعلنا الاغلال بعد ذلك في اعناق سايرا لكفار
هل يجزون الا ما كانوا يعملون في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا
في قرية من نذير الا قال مترفوها قال قتادة اي اغنياؤها ورؤساؤها
وجبابرتها وقادة الشر للرسل انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا
نحن اكثر اموالا واولادا اي فضلنا عليكم بالاموال والاولاد ولو لم
يكن ربكم راضيا بما نحن عليه من الدين والفضل لم يخولنا ذلك
وما نحن بمعذبين لان من احسن اليه فلا يعذبه فرد الله عليهم
قولهم وما احتجوا به من الغنا وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم

قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء اي يوسعه ويقدر اي يقتر اي ان الله
هو الذي يفاضل بين عباده في الارزاق امتحانا منهم فلا يدل شيء من ذلك
ما في العواقب فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الاخرة فلا
تظنوا ايها الكفار واولادكم تغني عنكم غدًا شيئا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
هذا لانهم لا يتأملون ثم قال تاكيدًا وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى قال مجاهد اي قربى والزلفة القربة وقال الاخفش اي
ازلافا وهو اسم المصدر فيكون موضع قربى نصبا كانه قال بالتي تقربكم
عندنا تقريبا وزعم الفراء ان التي تكون للاموال والاولاد جميعا وله قول
اخر وهو مذهب ابي اسحق الزجاج يكون المعنى وما اموالكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ثم حذف
خبر الاول لدلالة الثاني عليه وانشد الفرا

نحن بما عندنا وانت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

ويجوز في غير القرآن باللتين وباللاتي وباللواتي وبالذين وبالذين للاولاد
خاصة اي لا تزيدكم اموالكم عندنا رفعة ودرجة ولا تقربكم تقريبًا
الا من امن وعمل صالحا قال سعيد بن جبير المعنى الا من امن وعمل صالحا
فلن يضره ماله وولده في الدنيا وروي ليث عن طاوس انه كان يقول
اللهم ارزقني الايمان والعمل وجنبني المال والولد فاني سمعت فيما اوحيت
وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل
صالحا قال الشيخ المصنف رحمه الله قول طاوس فيه نظر والله اعلم
والله اعلم جنبني المال والولد المطغيين او الدين لا خير فيهما فاما
المال الصالح والولد الصالح للرجل الصالح فنعم هذا وقد مضى
هذا في ال عمران ومريم والفرقان ومن في موضع نصب على الاستثنا
المنقطع اي لكن من امن وعمل صالحا فايمانه وعمله يقربانه مني

وزعم الزجاج انه في موضع نصب ما الاستثنا على البدل من الكاف والميم
للخاطب فلا يجوز البدل لوجاز هذا الجاز رايتك زيدا وقول الخليل
هذا هو قول الفرا الا ان الفرا لا يقول بدل لانه ابين من لفظ الكوفيين
ولكن قوله يؤول الى ذلك وزعم ان مثلكة الامن اتى الله بقلب سليم
يكون منصوبا عنده بينفع واجاز الفرا ان يكون في موضع رفع بمعنى
ما هو الا من اتى الله بقلب سليم فاولئك لهم جزا
الضعف بما عملوا بمعنى قوله من جا بالحسنة فله عشر امثالها
فالضعف الزيادة اى لهم جزا التضعيف وهو من باب اضافة
المصدر الى المفعول وقيل لهم جزا الاضعاف فالضعف في معنى الجمع
واضافة الضعف الى الجزا كاضافة الشي الى نفسه نحو حق اليقين
وصلاة الاولى اى لهم الجزا المضعف الواحد عشره الى ما يريد الله من
الزيادة وبعده الايه استدل من فضل الغني على الفقر وقال الحسن بن
كعب ان المومن اذا كان غنيا تقيا اتاه الله اجره مرتين بهذه الايه
وهم في الغرفات امنون قراه العامة جزا الضعف بالاضافة وقرا
الزهري ويعقوب ونصير عاصم جزا منونا منصوبا الضعف
رفعا اي فاولئك لهم الضعف جزا على التقديم والتاخير وجزا
الضعف على الزيادة وقرا الضعف وجزا الضعف مرفوعان بدل
من جزا وقرا الجمهور ايضا في الغرفات وهو اختيار ابي عبيد لقوله
لنبوئنهم من الجنة غرفا الزمخشري وقرى في الغرفات بضم
الرا وفتحها وسكونها وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة
في الغرفه على التوحيد لقوله تعالى لولئك يجزون الغرفه
يراد بها اسم الجمع واسم الجنس قال بن عباس هو غرفة من ياقوت
وزبرجد وذر وقد مضى بيان ذلك امنون اي من العذاب والموت

والاستقذار

والاستقذار والاحزان والدبر يسعون في اباتنا اي في ابطال ادلتنا
وحجتنا وكذبنا معاجزين معاندين لحسبون انهم يفوتونا بانفسهم
فاولئك في العذاب محضرون اي في جهنم لحضورهم الزبانيه فيها
قوله تعالى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر
له كرر تاكيدا وما انفقتم من شي فهو يخلفه اي قل يا محمد لهاولا
المغترين بالاموال والاولاد ان الله يوسع على من يشا ويضيق على من
يشا فلا تغتروا بالاموال والاولاد بل انفقوها في طاعة الله فان
ما انفقتم في طاعة الله فهو يخلفه وفيه اضمار اي فهو يخلفه عليكم
بقال اخلف له واخلف عليه اي يعطيك خلفه وبدله وذلك البدل
اما في الدنيا واما في الاخره وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان
فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وفيه
ايضا عن ابي هريره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله قال
لي انفق انفق عليك الحديث وهذه اشارة الى المخلف في الدنيا
مثل المنفق فيها اذا كانت النفقة في طاعة الله وقد لا يكون
المخلف في الدنيا فمدخر كالدعا كما تقدم سوا في الاجابة او التكفير
او الادخار والادخار هنا مثله في الاجر مسئله روى
الدار قطني وابو احمد بن عدي عن عبد الحميد الهلالي عن محمد بن المنكدر
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف في صدقه
وما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقه وما وقى
به الرجل عرضه فهو صدقه وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله
خلفها الا ما كان من نفقة في بنيان او معصية قال عبد الحميد
قلت لابن المنكدر ما وقى الرجل عرضه قال يعطي الشاعر ذا

اللسان عبد الحميد وثقه ابن معين قال الشيخ المصنف رحمه الله
أما ما انفق في معصية فلا خلاف انه غير مثاب عليه ولا مأجور
له واما النبيان اما كان منه ضروريا يحتاج الانسان ويحتاج
فذلك مخلوق عليه ومأجور بنبيانه وذلك لحفظ بنيته
وستر عورته قال صلى الله عليه وسلم ليس لابن ادم حق في سوى
هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز
والماء وقد مضى هذا المعنى في الاعراف مستوفى في قوله تعالى
وهو خير الرازقين لما كان يقال في الانسان انه يرزق عياله والامير
جنده قال هو خير الرازقين والرازق من المخلوق يرزق الشيء ذلك
من مال ملك عليهم ثم ينقطع والله الكريم تعالى يرزق خزائن لا تفنى
ولا تنتهي وما خرج من العدم الى الوجود فهو الرازق على الحقيقة
كما قال ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين قوله تعالى ويوم
نحشرهم جميعا هذا متصل بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
اي لو تراهم في هذه الحالة لرايت امرا فظيعا والخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد هو امته ثم قال ولو تراهم ايضا يوم
نحشرهم جميعا العابدين والمعبودين اي نجمعهم للحساب
ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قال سعيد عن قتادة
هذا استفهام كقوله عز وجل لعيسى انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله قال النحاس فالمعنى ان الملائكة صلى الله
عليهم اذا اكذبتهم كان ذلك تبكيتا لمن عبدهم استفهام
توبيخ للعابدين قالوا سبحانك اي تنزيها لك انت ولينا
من دونهم اي انت ربنا الذي نتولاه ونطيعه ونعبده لا هم
في العبادة له بل كانوا يعبدون الجن اي يطيعون ابليس واعوانه

وفي التفاسير ان حيا يقال لهم بنو مليح من خزاعة كانوا
يعبدون الجن ويزعمون ان الجن تنزل الله وانهم ملائكة وانهم
بنات الله وهو قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قوله
تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا اي شفاعة ونجاة
ولا ضرا اي عذابا وهلاكا وقيل اي لا تملك الملائكة دفع ضر
عن عابديهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والذوقوا
التي كنتم بها تكذبون يجوز ان يقول الله لهم او الملائكة ذوقوا
قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني القرآن قالوا ما
هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما
كان يعبد اباؤكم اي اسلافكم من الالهة التي كانوا يعبدونها وقالوا
ما هذا الا افك مفترى يعنون القرآن اي ما هو الا كذب مختلق وقال
الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين فتاره قالوا سحر وتاره
قالوا افك ويحتمل ان يكون فيهم من قال سحر ومنهم من قال افك
قوله تعالى وما اتيناهم من كتب يدرسونها اي لم يقرؤا في
كتاب اوتوه بطلان ما جئت به ولا سمعوه من رسول يحث اليهم
كما قال ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس
لتكذيبهم وجه ولا شبهة تتعلق كما يقول اهل
الكتاب وان كانوا مطلين في اهل كتاب وشرايع ومستندون
الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله الحق وكذب
الذين من قبلهم اي كذب قبلهم اقوام كانوا اشد منهم ابطشا
واكثر اموالا واولادا واوسع عيشا فاهلكتهم كقوم
هود وما بلغوا اي بلغ اهل مكة معشار ما اتينا تلك
الامم والمعشار والعشر سواء وقيل المعشار عشر العشر

لجوهري و معشار الشيء عشره ولا يقولون هذا في شيء سوى العشر
وقيل ما بلغ الدين من قللهم معشار ما احكامهم من العلم والبيان والحجه
والبرهان قال ابن عباس فليس امة اعلم من امته ولا كتاب ابين من
كتابه وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير عشر العشير
فيكون جزأ من الف جزء الماوردي وهو الاظهر لان المراد به المبالغة
في التقليل فكذبوا رسلي فكيف كان نكير اي عقابي في الامم وفيه
محذوف وتقديره فاهلكناهم فكيف نكيري قوله تعالى
قل انما اعظكم بواحدة تمام الحجة على المشركين اي قل لهم يا محمد انما
اعظكم اي اذكركم واحذركم سوء عاقبة ما انتم فيه بواحدة
اي بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام تقتضي نفي الشرك
واثبات الالاه قال مجاهد هي لا اله الا الله وهذا قول ابن عباس والسدي
ومجاهد ايضا بطاعة الله وقيل بالقرآن لانه يجمع كل المواعظ
وقيل تقديره بخصلة واحدة ثم بينها بقوله ان تقوموا لله مثنى
وفرادى فيكون ان في موضع خفض على البدل من واحدة او في موضع
رفع على اضمار مبتدا اي هي ان تقوموا ومذهب الزجاج انها في
موضع نصب بمعنى ان تقوموا وهذا القيام معناه القيام الى طلب
الحق لا القيام الذي هو ضد القعود وهو كما يقال قام فلان بامر كذا
اي لوجه الله والتقرب اليه وكما قال تعالى وان تقوموا لليتامى
بالقسط مثنى وفرادى اي وحدانا ومجتمعين قاله السدي
وقيل منفردا برأيه ومشاورا لغيره وهذا قول ابن ثور وقال
الفتبي مناظرا مع غيره ومفكرا في نفسه وكله متقارب ويحتمل
رابعا ان المثنى عمل النهار والفرادى عمل الليل لانه في النهار معان
وفي الليل وحيد قاله الماوردي وقيل انما قال مثنى وفرادى لان

الله حجة الله على العباد وهو العقل فاذا فرهم عقلا او فرهم حظا
من الله فاذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة واذا كانوا مثنى
تقابل الذهنان فترايا من العلم لهما ما اضيف على الانفراد والله
اعلم ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنه الوقف عند ابي حاتم وابن
الانباري على ثم تتفكروا وقيل ليس هو بوقف لان المعنى ثم تتفكروا
هل جربتم عليه صاحبكم كذبا او رايتم فيه جنه او في احواله من
فساد اداه اختلف الى احد ممن يدعي العلم بالسحر او تعلم الاقاصيص
وقرا الكتب او عرفتموه بالطمع في اموالكم او تقدرون على معارضته
في سورة واحدة فاذا عرفتم بهذا الفكر صدقه فما بال هذه المعاندة
ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ورهطك
قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم
المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا
فهتف ما صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا يا بني فلان
اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب
فاجتمعوا اليه فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا ان تم خ
الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد قال فقال ابو لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا
ثم قام فنزلت هذه السورة قوله تعالى قل ما سالتكم من اجر
اي جعل على تبليغ الرسالة فهو لكم اي ذلك لجعل لكم ان كنت
سالتكموه ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد اي رقيب وعالم
وحاضر لاعمالي واعمالكم لا يخفى عليه شيء وهو مجازي الجميع قوله
تعالى قل ان ربي يقذف بالحق اي يبين الحجه ويظهرها قال قتادة
بالحق اي جاء عنه الحق القرآن وقال ابن عباس اي يقذف الباطل بالحق

عالم الغيوب وقرا عيسى بن عمر علام الغيوب على انه بدل اي قل ان ربي علام الغيوب يقذف بالحق قال الزجاج والرفع من وجهين على الموضع لان الموضع موضع رفع او على البدل مما في يقذف الخامس في الرفع وجهان احدهما ان يكون خبرا بعد خبر ويكون على اضمار مبتدا وزعم الفراء ان الرفع في مثل هذا في كلام العرب اذا اتى بعد خبر ان او مثله ان ذلك لحق لخاصم اهل النار وقرئ الغيوب بالحركات الثلاث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصيود وهو الامر الذي غاب وخفي جدا

قوله تعالى قل جاء الحق قال سعيد عن قتادة يريد القرآن الخامس والمقذر جاء صاحب الحق اي الكتاب الذي فيه البراهين والحجج وما يبدئ الباطل قال قتادة الشيطان اي ما يخلق الشيطان احدا شيئا ولا يعيد فما نفي ويجوز ان يكون استفهاما بمعنى اي شيء اوجد الحق فاي شيء بقي للباطل حتى يعيده ويبديه اي لم يبق منه شيئا كقوله فهل ترى لهم من باقية اي لا ترى قوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وذلك ان الكفار قالوا ارجع الى دين ابائك فضللت فقال له صلى الله عليه وسلم ان ضللت كما تزعمون فانما اضل على نفسي وقرا العامة ضللت بفتح اللام وقرا الحسن بن ثابت وغيره قل ان ضللت بكسر اللام وفتح الضاد من ضل الضلال والضلالة ضد الرشاد وقد ضللت بفتح اضل بكسر الضاد قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي فهذه لغة نجد وهي الفصيحة واهل العالية يقولون ضللت بالكسر اضل اي انما ضلالتي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي من الحكمة والبيان انه سميع قريب اي سميع لمن دعاه قريب الاجابة وقيل وجه النظم قل ان ربي يقذف بالحق وبين الحجج وهو عالم من ضل لا يبطل الحجة ولو ضللت لاضررت بنفسي لا انه يبطل حجة

الله واذا اهتديت فذلك فضل الله اذ بينني على الحجة انه سميع قريب قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت ذكر احوال الكفار في وقت ما يضطرون فيه الى معرفة الحق والمعنى لو ترى اذ فزعوا في الدنيا عند نزول الملائكة او غيره من باس الله تعالى بهم روي معناه عن ابن عباس الحسن هو فزعهم في القبور من الصيحة وعنه ان ذلك الفزع انما هو اذا خرجوا من قبورهم وقاله قتادة وقال ابن مقاتل اذا عاينوا عقاب يوم القيامة السدي هو فزعهم يوم بدر حين ضربت اعناقهم بسيوف الملائكة فلا يستطيعوا فرارا ولا رجوعا الى التوبة سعيد بن جبير هو الجيش الذي يخسف به في البيداء فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي اصحابه فيفزعون فيدا هو فزعهم فلا فوت فالنجاة قاله ابن عباس مجاهد فلا مهرب ولا مفر وانا من مكان قريب اي من القبور وقيل من حيث كانوا فهم من الله قريب لا يعجزونه عنه ولا يفوتونه وقال ابن عباس نزلت في تميم الغابغون في آخر الزمان الكعبة ليخربوها فيحاربون فيخسف بهم فهو الاخذ من مكان قريب قال الشيخ المصنف رحمه الله وفي هذا المعنى خبر مرفوع عن حذيفة وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين اهل المشرق واهل المغرب فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق وجيشا الى المدينة فيصير الجيش نحو المشرق حتى ينزلوا بارض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة يعني مدينة بغداد قال فيقتلون اكثر من بلثه الاف ويقتضون اكثر من مائة امراة ويقتلون بها ثلثمائة كبش من ولد العباس ثم يخرجون

منه جهيز الى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش
منها على ليلتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر يمتقدون ما في
ايديهم من السبي والغنايم وبحل حيشه الثاني يا
ثلثيه ايام وليا لبها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيداء
بعث الله جبريل عليه السلام فيقول يا جبريل اذهب فابدهم فيخسفها
برجله خسفة يحشرهم الله بها وذلك قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا
فلا فوت واخذوا من مكان قريب فلا يبقى منهم الا رجلان احدهما
بشير والاخر نذير فيأتيان جهينة ولذلك جاء القول وعند جهينة الخبر
اليقين قبل اخذوا من مكان قريب اي فبعثت ارواحهم فاماتتها
فلم يمكنهم الفرار من الموت وهذا على قول من يقول هذا الفزع عند
النزع ويجوز ان يكون هذا من الفزع الذي هو معنى الاجابة يقال فزع
الرجل اي اجاب الصارخ الذي يستغيث به اذا نزل به خوف ومنه
الخبر اذ قال الانصار انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع
ومن قال اراد الخسف او القتل في الدنيا كيوم بدر قال اخذوا في الدنيا
قبل ان يوخذوا في الاخرة ومن قال هو فزع يوم القيامة قال اخذوا
من بطن الارض الى ظهرها وقيل اخذوا من مكان قريب من جهنم
فالقوا فيها قوله تعالى وقالوا امنا به اي بالقرآن وقال مجاهد
بالله عز وجل الحسن بالبعث قتادة بالرسول صلى الله عليه وسلم
وانى لهم التناوش من مكان بعيد قال ابن عباس والضحاك التناوش
الرجعة اي يطلبون الرجعة الى الدنيا ليبيعوا ويبتاعوا من ذلك
ومنه قول الشاعر تمنى ان تؤوب الي مني وليس الى منيتها سبيل
وقال السدي التناوش التناول قال ابن السكيت يقال للرجل اذا
تناول رجلا ليأخذ برأسه ولحيته ناشه ينوشه نوشا وانشد

فمي تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع اجواز الفلا

اي تناول ما الحوض من فوق وتشرب شربا كثيرا وتقطع بذلك
الشرب فلوات فلا تحتاج الى ماء آخر قال ومنه المناوشة في القتال
وذلك اذا تدانى الفريقان ورجل نوش اي وبطش والتناوش
التناول والانتياش مثله قال الراجز كانت نوشى الحقو انتياشا
وقوله تعالى وانى لهم التناوش من مكان بعيد تقول اي لهم تناول
الايمان في الاخرة وقد كفروا به في الدنيا وقرأ ابو عمرو والكسائي
والاعمش همزة وانى لهم التناؤش بالهمز النحاس وابو عبيدة
يستبعد هذه القراءة لان التناوش بالهمز البعد فكيف يكون انى لهم
البعد من مكان بعيد قال ابو جعفر القراءة جايزة حسنة ولها
وجهان في كلام العرب ولا يتناول بها هذا التناول البعيد فاحد
الوجهين ان يكون الاصل غير مهموز ثم همزت الواو لان الحركة فيها
خفيفة وذلك كثير في كلام العرب وفي المصحف الذي تقلته الجماعة
عن الجماعة واذا ارسل أقتت والاصل وقتت لانه مشتق من الوقت
ويقال في جمع دار ادؤر وهو الوجه الاخر ذكره ابو اسحق والكوز مشتقا
من التيئيش وهو الحركة فيما يظهر اي من ازلهم الحركة فيما قد بعد يقال
نأشت الشيء اخذته من بعد والتيئيش الشيء المبهم قال الجوهري
النأوشة بالهمز التأخر والتباعد وقد ناشت الامر اناشه نأشا
اخذته فانتاش ويقال فعله نيئشا اي أخيرا قال الشاعر

تمنى نيئشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور

وقال اخر قعدت زمانا عن اباك للعلى وجيت نيئشا بعدما فاتك الغير
وقال الفراء الهمز وترك الهمز في التناوش متقاربة مثل دمت
الرجل دأمته اي عثمته من مكان بعيد اي من الاخرة وروي ابو

اسحق عن التيمي عن ابن عباس وابي لهم قال الرد سالوه ولم يجيبوه
قوله تعالى وقد كفروا به يتسخل اي الله عز وجل وقيل محمد من قبل
يعني في الدنيا ويقذفون بالغيب العرب تقول لكل من تكلم بما لا يحققه
هو يقذف ويرجم بالغيب من مكان بعيد على جهة التمثيل لمن يرجم
ولا يصيب اي يرمون بالظن فيقولون لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار
رجما منهم بالظن قاله قتادة وقيل يقذفون اي يرمون في القرآن فيقولون
سحر وشعر واساطير الاولين وقيل في محمد فيقولون ساحر شاعر
كاهن مجنون من مكان بعيد اي انه بعد لهم ان يعلموا صدق محمد
وقيل اراد البعد عن القلب اي من مكان بعيد عن قلوبهم وقرا مجاهد
ويقذفون بالغيب غير مسمى الفاعل اي يرمون به وقيل يقذف به اليهم
من بعد ويضلهم قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون
قيل حيل بينهم وبين النجاة من العذاب وحيل بينهم وبين ما يشتهون
في الدنيا من امر الدين واهليهم ومذهب قتادة المعنى انهم كانوا يشتهون
لما رأوا العذاب ان يقبل منهم ان يطيعوا الله عز وجل وينتهوا الى ما
يامرهم به الله فحيل بينهم وبين ذلك لان ذلك انما كان في الدنيا
وقد زالت في ذلك الوقت والاصل حول فقلبت حركة الواو على
الحاء فانقلبت ياء ثم حذفت حركتها لثقلها كما فعل بالشياع من
الاشياع جمع شيع وشيع جمع شيعة من قبل اي بمن مضى من
القرون السالفة الكافرة انهم كانوا في شك من امر الرسل والبعث
والجنة والنار وقيل في الدين والتوحيد والمعنى واحد مريب اي ذا
ريبة يقال رابني الرجل اي صار ذا ريبة فهو مريب ومن
قال هو من الريب الذي هو الشك والتهمة قال يقال شك مريب
كما يقال عجب عجيب وشعر شاعر في التاكيد ختمت السورة

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم سورة فاطر مكية

في قول الجميع وهي خمس واربعون اية قوله تعالى
الحمد لله فاطر السموات والارض يجوز في فاطر ثلثة اوجه الخفض
على النعت والرفع على اضمار مبتدا والنصب على المدح وعلى يسببه
الحمد لله اهل الحمد وكذا جاعل الملايكة والفاطر الخالق وقد مضى
في يوسف وغيرها والفطر الشق عن الشيء يقال فطرته فانفطر وشقه
فطر ناب البعير طلع فهو بعير فاطر وتفطر الشيء تشقق وسيف
فطار اي فيه تشقق قال عنترة

وسيفي كالعقيقة فهو لحمي سلاحي لا افل ولا فطارا

والفطر الابتداء والاختراع قال ابن عباس لم كنت لا ادري ما فاطر السموات
والارض حتى اتاني اعرابيان تخاصما في بير فقال احدهما انا فطرتها
اي انا ابتدائها والفطر حلب الناقة بالسبابة والابهام والمراد
بذكر السموات والارض العالم كله ونبه بهذا على ان من قدر على
الابتداء قدر على الاعادة جاعل الملايكة لا يجوز فيه التنوين لانه
لما مضى رسلا منعوت فاذا وقال على اضمار فعل لان فاعلا اذا كان
لما مضى لم يعمل فيه شيء واعماله على انه مستقبل وحذف التنوين منه
تخفيفا وقرا الضحاك الحمد لله فطر السموات والارض على الفعل
الماضي جاعل الملايكة رسلا الرسل منهم جبريل وميكايل واسرافيل
وملك الموت صلى الله عليهم اجمعين وقرا الحسن جاعل الملايكة
بالرفع وقرا خليد بن نشيط جعل الملايكة وكله ظاهر اولي اجنحة
بحث اي اصحاب اجنحة مثنى وثلاث ورباع اي اثنين اثنين وثلثة
ثلثة واربعة اربعة قال قتادة بعضهم له جناحان وبعضهم

ثلثه وبعضهم اربعه ينزلون بها من السما الى الارض ويعرجون من
الارض الى السما وهي مسيرة كذا في وقت واحد اي جعلهم رسلا
قال يحيى بن سلام الى الانبياء قال السدي الى العباد برحمة او نقمة وفي
صحيح مسلم من مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل عليه
السلام له ستمايه جناح وعن الزهري ان جبريل عليه السلام
قال له يا محمد لو رايت اسرافيل انه لاثني عشر الف جناح منها جناح
بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل
لعظمة الله تعالى حتى يعود مثل الوصع والوصع عصفور
صغير حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته واولوا اسم جمع له وكذا
ان ما ولا اسم جمع لذا ونظيرهما في المتحيزة الخاضع والخلقة وقد
مضى الكلام في معنى وثلاث ورباع في النسا وانه غير منصرف في بيد
في الخلق ما يشا اي في خلق الملايكة في قول اكثر المفسرين ذكره المهدوي
وقال الحسن يزيد في الخلق اي في اجنحة الملايكة ما يشا وقال الزهري
وبن جريج يعني حسن الصوت وقد مضى القول فيه في مقدمة الكتاب
وقال الهيثم القارسي رايت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي فقال
انت الهيثم الذي تزين القران بصوتك جزاك الله خيرا وقال قتاده
يزيد في الخلق ما يشا الملاحة في العينين والحسن في الانف والملاحة
في الفم وقيل الخط الحسن وقال بها حد الكناني قال النبي صلى
الله عليه وسلم الخط الحسن يزيد الكلام وضوحا وقيل الوجه
الحسن وقيل في الخبر في هذه الاية هو الوجه الحسن والصوت
الحسن والشعر الحسن ذكره القشيري النقاش هو الشعر
الجعد وقيل العقل والتمييز وقيل العلوم والصنايع ان الله على
كل شي قدير من النقصان والزيادة الزمخشري والاية مطلقة

تتناول كل زياده في الخلق من طول قامة واعتدال صوره وتمام
في الاعضا وقوته في البطش وخصافه في العقل وجزاله في الراي
وحجة في القلب وسماحة في النفس ولباقة في اللسان ولباقة
في التكلم وحسن ثبات في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط
به وصف قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها واجاز النحويون في غير القران فلا ممسك له على لفظ ما ولها على
المعنى واجازوا وما يمسك فلا مرسل له واجاز وا وما يفتح الله للناس
من رحمه بالرفع تكون ما بمعنى الذي اي ان الرسل بعثوا رحمة للناس
فلا يقدر على ارسالهم غير الله وقيل ما يأتيهم به من مطر او رزق فلا
يقدر احد ان يمسكه وما يمسك من ذلك فلا يقدر احد على ان يرسله
وقيل هو الدعا قاله الضحاك بن عباس من توبة وقيل من توفيق
وهداية قال الشيخ المصنف رحمه الله ولفظ الرحمة تجمع
ذلك اذ هي منذره للاشاعه والابهام فهي متناولة لكل رحمه على
البدل فهو عام في جميع ما ذكروا في الموطا مالك انه بلغه ان ابا هريره
كان يقول اذا اصبح وقد مطر الناس مطرنا بنوء الفتح ثم يتلو احدى
الايه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو العزيز الحكيم
تقدم قوله تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم معنى
هذا الذكر الشكر هل من خالق غير الله يجوز في غير القران الرفع
والنصب والخفض فالرفع من وجهين احدهما بمعنى هل من خالق
الا الله بمعنى ما خالق الا الله والوجه الثاني ان يكون نعتا على
الموضع لان المعنى هل خالق غير الله ومن زايده والنصب على
الاستثناء والخفض على اللفظ قال حميد الطويل قلت للحسن
من خالق الشر فقال سبحان الله هل من خالق غير الله جل وعز

خلق الخير والشر وقد احترزه والاسماء هل من خالق غير الله بالخفض
الباقون بالرفع يرزقكم من السماء اي المطر والارض اي النبات لا اله الا هو
ثاني لم يكن من الافك بالفتح وهو الصرف يقال ما افكك عن هذا
اي ما صرفك عنه وقيل من الافك بالكسر وهو الكذب ويرجع هذا
ايضا الى ما تقدم لانه مصروف عن الصدق والصواب اي من اين
يقع لكم التكذيب بتوحيد الله والايمان به مع القدرة لانه تعالى
خالقا غير الله يشبهون معه خالقين على ما تقدم في غير موضع
قوله تعالى وان يكذبوك يعني كفار قريش وقد كذبت رسل
من قبلك يعزي نبيه ويسليه صلى الله عليه وسلم والتاسي من قبله
في الصبر والى الله ترجع الامور قرا الحسن والاعرج ويعقوب وابن
عامر وابو حيوة وابن محيص وحميد والاعمش وحمزة ويحيى والكسائي
وخلف بفتح التاء على انه مسمى الفاعل واختاره ابو عبيد لقوله تعالى
الا الى الله تصير الامور الباقون ترجع على الفعل المجهول لقوله تعالى
يا ايها الناس ان وعد الله حق هذا وعظ للكذبين الرسول بعذاب يصاح
الدليل على صحته قوله اي البعث والثواب والعقاب بحق فلا تغرنكم
الحياة الدنيا قال سعيد بن جبير غرور الحياة الدنيا ان يشتغل
الانسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الاخرة حتى يقول يا ليتني قدمت
لحياتي ولا يغرنكم بالله الغرور قال ابن السكيت وابو حاتم الغرور
الشيطان وغرور جمع غر وغرر مصدر ويكون الغرور مصدرا ايضا
يعيد عند ابي اسحق لان غررته معتل والمصدر المعتدي انما هو على
فعل نحو ضربته ضربا الا في اشياء يسيرة لا يقاس عليها قال الزمخشري
اذ وما وتفكد المرض نكدا فاما معنى الحرف فاحسن ما قيل فيه
ما قاله سعيد بن جبير قال الغرور بالله ان يقول الانسان يجعل

بالمعاصي ثم يتمنى على الله المغفرة وقراءة العامة الغرور بفتح الغين
وهو الشيطان اي لا يغركم بوساوسه وانه يجاوز عنكم لفضله ثم
وقراءة ابو حيوة وابو سماك العدوي ومحمد بن السميفع الغرور بضم
الغين فهو الباطل اي لا يغرنكم الباطل قال بن السكيت والغرور بالضم
ما اغتر به من متاع الدنيا قال الزجاج ويجوز ان يكون الغرور جمع غار
مثل قاعد وقعود التحاس اجمع غرا او يشبه بعولهم نهك المرض
نهوكا ولزمه لزوما الزمخشري او مصدر غره كالمزوم والهوى
قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ولا
تطيعوه ويدل على عداوته اخراجه اباكم من الجنة وخيبته اياكم
قوله في ولاضلنهم ولامنينهم الاية وقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
ثم لاتينهم من بين ايديهم الاية فاخبرنا جل وعز ان الشيطان لنا
عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا ادم صلى الله عليه وسلم
وكيف انتدب لعداوتنا وغرورنا من قبل في جودنا وبخلنا ونحن
مع ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا فيه هلاكنا وذكر الفضيل
بن عياض يقول يا كذاب يا مفتري اتوعد الله ولا يعد الشيطان في
التلاعب وانت صديقه في السر وقال بن السماك يا عجبا لمن يعصي المحسن
بعد معرفته باحسانه والجامع اللعين بعد معرفته بعداوته وقد
مضى هذا المعنى في البقرة مجودا وعدو في قوله ان الشيطان لكم عدو
يجوز ان يكون فعل معادل فيثنى ويجمع ويؤنث ويكون معنى النسب
فيكون موحدا بكل حال كما قال جل وعز فانهم عدو لي وفي المؤنث على
هذا ايضا عدو التحاس فاما قول بعض النحويين ان الواو وخفيفة
فجاؤا بها فخطأ بل الواو حرف جلد انما يدعو احزبه كقولك ما
ان عمر العمل فوقع بعدها الفعل حزبه اي اشياعه ليكونوا من اصحاب

اي؟

لهم؟

قوله

غيره

السعير فمعده عداوته الذين كفروا لهم عذاب شديد فيكون الذين بدلا
من اصحاب فيلون في موضع خفض او يكون بدلا من حزبه فيلون في
موضع نصب او يكون بدلا من الواو فيكون في موضع رفع وقول رابع
وهو احسنها يكون في موضع رفع بالابتداء ويكون خبره لهم عذاب شديد
وكانه سبحانه بين حال موافقته ومخالفته ويكون الكلام قد تم في قوله
من اصحاب السعير ثم ابتدا فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين
امنوا وعملوا الصالحات في موضع رفع بالابتداء ايضا وخبره لهم
مغفرة اي لذنوبهم واجر كبير وهو الجنة قوله تعالى افمن زين
له سوء عمله من في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف قال الاخفش
والذي يدل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
فالمعنى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا ذهبت نفسك عليهم
حسرات قال وهذا كلام عربي طريف لا يعرفه الا قليل وذكره
الزمخشري عن الزجاج قال النحاس والذي قاله الاخفش احسن جدا
مما قيل في الآية لما ذكرناه من الدلالة على المحذوف والمعنى ان الله جل وعز
نبيه عن شدة الاغتمام بهم والحزن عليهم كما قال عز وجل فلعلك
باخع نفسك قال اهل التفسير قائل قال نصر بن علي سالت الاصمعي
عن قول النبي صلى الله عليه وسلم في اهل اليمن هم ارق قلوبا واخع
طاعة ما معنى اخع فقال انفخ فقلت له ان اهل التفسير مجاهد
او غيره يقولون في قول الله عز وجل لعلك باخع نفسك معناه
قاتل نفسك فقال هو من ذاك بعينه كانه من شدة النصح لهم قاتل
نفسه وقال الحسن بن الفضل فيه تقديم وتاخير مجازه افمن زين
له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل الجواب محذوف المعنى

افمن زين له سوء عمله كمن هدي ويكون يدل على هذا المحذوف
قال الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقرا يزيد بن القعقاع فلا تذهب
نفسك وفيمن له سوء عمله اربعة اقوال احدها انهم اليهود والنصارى
والمجوس قاله ابو قلابة ويكون سوء عمله معانده الرسول صلى الله عليه
وسلم الثاني انهم الخوارج رواه عمر بن القاسم فيكون سوء عمله تحريف
التاويل الثالث الشيطان قاله الحسن ويكون سوء عمله الاهواء
الرابع كفار قريش قاله الكلبي ويكون سوء عمله الشرك وقيل
انها نزلت في العاص ابن وائل السهمي والاسود بن المطلب وقال
غيره نزلت في ابي جهل بن هشام فراه حسنا اي صوابا قال الكلبي
وقيل جميلا قال الشيخ المولف رحمه الله والقول بان المراد كفار
قريش اظهر الاقوال لقوله تعالى لست عليك هداهم وقوله ولا
يحزنك الذين يسارعون في الكفر وقوله فلعلك باخع نفسك على
اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث وقوله لعلك باخع نفسك الا
يكونوا مومنين وقوله في هذه الاية فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات وهذا اظهر بين اي لا ينفع تاسفك على مقامهم على كفرهم
فان الله اضلهم وهذه الاية ترد على القدرية قولهم المتقدم اي افمن
زين له سوء عمله فراه حسنا تريدان يهديه وانما ذلك الى الله لا
اليك والذي اليك هو التبليغ وقرا ابو جعفر وشيبة وابن محيص
فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصبا على المفعول والمعنى
متقاربان حسرات منصوب مفعول من اجله اي فلا تذهب نفسك
للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات
عليه حزنا وهو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان تتعلق بالحسرات
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا كان كلهن

صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

شق الهوى جرم الحسن مع السري حتى ذمين دلا كلا ومدورا

يريد رحض دلا دلا ومدورا اي لرسق الا دلا دلها ومدورها ومنه قول الاخر فعلي انتزم تسقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام او مصدر ان الله غلبه بما يصنعون وقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت ميت وميت واحد وكذا ميته وميته هذا قول الحذاق من النحويين قال محمد بن يزيد هذا قول البصريين ولم يستثن احدا واستدل على ذلك بدليل قاطع واستشهد

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحيا

انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجا

قال فهلا قيل من ميت وميت فرقا واستشهد

هينون لينون انيسار ينو يسر سوا سن مدرمه انا انيسار

قال فقد اجمعوا على ان هينون لينون واحد وكذا ميت وميت وسيد وسيد وقال فسقناه بعد ان قال الله الذي ارسل الرياح وهو من باب تلوين الخطاب وقال ابو عبيدة سيبه فتسوقه لانه قال فتثير سحابا قال الزمخشري فان قلت لم جاءت تثير على المضارعة دون ما قبلها وبعده قلت لتحكي الحال التي وقع فيها اثارة الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تميز وخصوصية حال تستغرب او تهم المخاطبين او غير ذلك كما قال تأبط شرا

باني قد لقيت الغول تهوي كالصحيفة صحصحان

فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران

لانه قصد ان يصور لقومه الحاله التي تشجع فيها بزعمه على ضرب

العقول كانه يبصرهم اياها فيطلعهم على كنهها مشاهده للتعجب من حيرته على كل هول وثباته عند كل شده وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت لما كانا من القدره الدلايل على القدره الباهره قيل فسقنا واحيينا فعدل لا يهما عن لفظة الغيبه الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه وقراه العامه الرياح وقرا ابن كثير والاعمش وحمزه والكسائي الريح توحيدا وقد مضى بيان هذه الايه واللام فيها مستوفى في كذلك التشورا لزلد تحيون بعد ما متم من نشر الاسنان نشورا قال الكاف في محل الرفع اي مثل احيا الموات نشر الاموات وعن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال اما مررت بوادي اهلك ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم يا رسول الله قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك اية في خلقه وقد ذكرنا هذا الخبر في الاعراف قوله تعالى من كان يريد العزه التقدير عند العزا من كان يريد علم العزه وكذا قال غيره من اهل العلم اي من كان يريد علم العزه التي لا ذلة معها لان العزه اذا اطلت ودي الى ذله فانما هي تعرض للذله والعزه التي لا ذله معها لله جل وعز جميعا منصوب على الحال وقدر الزجاج معناه من كان يريد بعبادته الله جل وعز والعزه لله سبحانه فان الله جل وعز يعزه في الاخره والدنيا قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا احسن وروي مرفوعا على ما يأتي فلله العزه جميعا لما ظهر هذا ايأس الكافرين من عزته وعرفهم ان ما وجب له من ذلك لا مطمع فيه لغيره فتدخل الالف واللام للعهد عند العالمين به سبحانه وما وجب له من ذلك

العزة

تهوي

وهو المفهوم من قوله الحق في سعده يونس والحرنك قوله ان
العزة لله ويحتمل ان يريد سبحانه ان ينبه ذوي الاقدار والهمم
ابن تنال العزة ومن اين تستحق فتكون الالف واللام للاستغراق والذي
المفهوم من ايات هذه السورة من طلب العز من الله وصدقه
في طلبها بافتقار وذل وسكون وخضوع وجد فما عنده ان شاء الله
غير ممنوعه ولا محجوب عنه قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله
رفعه الله ومن طلبها من غيره وكلها الى من طلبها عنده وقد ذكر
قوم ما طلبوا العزة عند من سواه فقال الذين يتخذون الكافرين اولياء
من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا انهاك
صريحا لاشكال فيه ان العزة لك يجز بها من يشاء ويذل من يشاء وقال
صلى الله عليه وسلم مفسرا لقوله من كان يريد العزة فلله العزة
جميعا من اراد عز الدارين فليطع العزيز وهذا معنى قول الزجاج
ولقد احسن من قال

واذا ذللت الرقاب تواضعا منا اليك فعزها في ذلها
من كان يريد العزة لينال الفوز الاكبر ويدخل دار العزة والله العزة
فليقصد بالذله الله سبحانه والاعتزاز به فانه من اعتز بالعبيد
اذله الله ومن اعتز بالله اعزه الله قوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فيه مسئلتان الاولى قوله
تعالى اليه يصعد الكلم الطيب ثم يبتدي والعمل الصالح يرفعه
على معنى رفعه التالي يرفع صاحبه ويكرم ويجوز ان يكون المعنى
والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب فيكون الكلام متصلا على ما بانا
بيانه والصعود هو الحركة الى فوق وهو الخروج ايضا ولا بد
ذكر في الكلام لانه عرض لكن ضرب صعوده مثلا لقبوله لان

وموضع
الثواب فوق وموضع العذاب أسفل وقال الزجاج يقال ارتفع الامر
الى القاضي اي عمله فمعنى العمل وخص الكلام الطيب بالذكر لبيان
الثواب عليه وقوله اليه اي الى الله يصعد وقيل يصعد الى سمائه والمحل
الذي لا يجري فيه لاحد غير محكم وقيل اي تخل الكتاب الذي كتبت فيه
طاعات العبد الى السماء الكلم الطيب هو التوحيد الصادر عن قلبه
طيبة وقيل هو التوحيد والتمجيد وذكر الله ونحوه وانشدوا

لا تزهد من رجل حلاوة قوله حتى يزين ما يقول فعال
فاذا وزنت فعاله بمقاله فتوازنا فاذا هناك جمال

وقال بن المقفع قول بلا عمل كسديد بلا سهم وسحاب بلا مطر وقوس
بلا وتر وفيه قيل

لا يكون المقال الا بفعل كل قول بلا فعال هباء
ان قول بلا فعال جميل ونكاح بلا ولي سواء

وقرا الضحاك يصعد بضم الياء وقراجمهور الناس الكلم جمع كلمة
وقال ابو عبد الرحمن الاسلام قال المصنف رحمه الله فالكلام
على هذا قد يطلق لمعنى الكلم وبالعكس وعليه تخرج قول ابي القاسم
انسام الكلام ملته فوضع الكلام موضع الكلم والله اعلم والعمل
الصالح يرفعه قال بن عباس ومجاهد وغيرهما المعنى والعمل
الصالح يرفع الكلم الطيب وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل
ولا يقبل قولا وعملا الا بنيه ولا يقبل قولا وعملا ونيه الا باصابه
السنه قال بن عباس فاذا اذكر العبد الله وقال كلاما طيبا وادى
فرايضه ارتفع قوله مع عمله واذا قال واله يود فرايضه رد قوله
على عمله قال بن عطيه وهذا قول يرد معتقد اهل السنه ولا يصح
عن ابن عباس والحق ان العاصي التارك للفرايض اذا ذكر الله تعالى

وقال كلاما طيبا فانه مكتوب له متقبل منه وله حسنات وعليه
سيات والله تعالى يتقبل من كل من اتى الشرك وايضا فان الكلم
الطيب عمل صالح وانما يستقيم قول من يقول ان العمل هو الرافع للكلم بان
يتاول انه يزيده في رفعه وحسن موقعه اذا تعاضد معه كما ان صاحب
الاعمال من صلاة وصيام وغير ذلك اذا اختلت اعماله لم يكن طيب وقد قال الله
تعالى اذا كانت الاعمال اشرف فيكون قوله والعمل الصالح يرفعه متوسطة
وتذكره وحطا على الاعمال واما الاقوال التي هي اعمال كقول سبحان الله
والتسبيح فمقبولة قال ابن العربي ان كلام المريد لله ان لم يقترن به
عمل صالح لم ينفع لان من خالف قوله فعله مهزوبا عليه وتحقيق هذا
ان العمل اذا وقع شرطا في قبول القول او مرتبطا فانه لا يقبل الا به
وان لم يكن شرطا فيه فان قلت الطيب يكتب له وعمله السيء عليه وتقع
الموازنة بينهما ثم يحكم الله بالفوز او الخسران قال الشيخ المصنف
رحمه الله كما قاله ابن العربي تحقيق والظاهر ان العمل الصالح شرط في
قبول القول الطيب وقد جاء في الاثار ان العبد اذا قال لا اله الا الله ان
صادقه نظرت الملائكة الى عمله فان كان العمل موافقا لقوله صعدا جميعا
وان كان عمله مخالفا وقف قوله حتى يتوب من عمله فعلى هذا العمل
الصالح يرفع الكلام الطيب الى الله والكناية في رفعة يرجع الى
الكلم الطيب وهذا قول ابن عباس وشهر بن حوشب وسعد بن جبير
ومجاهد وقتادة وابي العالية والضحاك وعلى ان الكلم الطيب هو
التوحيد هو الرافع للعمل الصالح لانه لا يقبل العمل الصالح الا مع الايمان
والتوحيد اي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فالكناية تعود على
العمل الصالح وروي هذا القول عن شهر بن حوشب قال الكلم الطيب القول
والعمل الصالح يرفعه القران وقيل يعود على الله جل وعز اي ان العمل الصالح

يرفعه الله على الكلم الطيب لان العمل تحقيق الكلم والعامل اشرف نفسا
من القايل هذا هو حقيقة الكلام لان الله هو المتاوض الرافع والثاني والاول
مجاز ولكنه سايغ جايز قال الخامس القول الاول وهما اولاهما اقواهما لغلو من
قال به وانه في العربية اولى لان الخبر اعلى رفع العمل ولو كان المعنى والعمل
الصالح يرفعه الله او العمل الصالح يرفع الكلم الطيب لكان الاختيار نصب
العمل ولا نعلم احدا قراه منصوبا الا شيا روي عن عيسى بن عمر انه قال
قراه الناس والعمل الصالح يرفعه وقيل والعمل الصالح يرفع صاحبه
وهو الذي اراد العزه وعلم انما تطلب من الله تعالى الثانية ذكروا
عند بن عباس ان الكلب يقطع الصلاه فقراهذه الاية اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه وهذا استدلال بعموم على مذهب السلف في
القول بالعموم وقد دخل في الصلاه بشروطها فلا يقطعها عليه شي لا
بثبوت ما يوجب ذلك من مثل ما انعقدت به من قران وسنه او اجماع
وقد تعلق من راى ذلك بقوله عليه السلام يقطع الصلاه المراه والحمار
والكلب الاسود فقلت ما بال الكلب الاسود من الكلب الابيض من الكلب
الاحمر فقال ان الاسود شيطان خرجه مسلم وقد جاء ما يعارض هذا
وهو ما خرجه البخاري عن ابن اخي ابن شهاب انه سال عمه عن الصلاة
يقطعها شي فقال لا يقطعها شي اخبرني عروه بن الزبير ان عايشة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقوم فيصلي من الليل واني لمعترضه بينه وبين القبله على فراش اهله

قوله تعالى والذين يمكرون السيات ذكر الطبري في كتاب
اداب النفوس حدثني يونس بن عبد الاعلى قال سفيان عن ليث بن
ابي سليم عن شهر بن حوشب الاشعري في قوله عز وجل والذين يمكرون
السيات لهم عذاب شديد وذكر اولئك هو يبور قال لهم اصحاب الريا

وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتاده وقال ابو العاليه هم الذين مكروا بالنبي
صلى الله عليه وسلم اجتمعوا في دار الندوة وقال الكلبي يعني الذين يعملون
السيئات في الدنيا مقاتل يعني الشرك فتكون السيئات مفعوله وقيل
بار يبور اذا هلك وبطل وبارت السوق اي كسدت ومنه بوار بالله
من بوار الايم وقوله كنتم قوما بورا اي هلكى والمكر ما عمل على سبيل اختيال
وخديعه وقد مضى في يسبا قوله تعالى والله خلقكم من تراب قال
سعيد عن قتاده قال يعني ادم عليه السلام والتقدير على هذا خلق اصلكم
من تراب ثم من نطفه قال اي اخرجها من ظهور ابائكم ثم جعلكم ازواجا
قال اي زوج بعضكم بعضا ما تذكر زوج الانثى ليتم البقاء في الدنيا الى انقضاء
مدتها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي جعلكم ازواجا فيتزوج
الذكر بالانثى فيتناسلان بعلم الله فلا يكون حمل ولا وضع الا والله عالم
به فما خرج شيء عن تدبيره وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب
سماه معمرا بما هو صائر اليه قال سعيد بن جبير عن ابن عباس وما يعمر
من معمر الا كتب عمره كم هو سنه كم هو شهرا كم هو يوما كم هو
ساعه ثم يكتب في كتاب اخر نقص من عمره يوم نقص شهر نقص سنه
حتى يستوفي اجله وقاله بن جبير ايضا قال فما مضى من اجله فهو
النقصان وما يستقبل فهو الذي يعمره فالهاء على هذا للعمر وعن سعيد
ايضا يكتب عمره كذا ولدا سنه ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم
ذهب يومان حتى يأتي على اخره وعن قتاده المعمر من بلغ ستين
سنه ومذهب الفراء في معنى وما يعمر من معمر اخر اي ولا ينقص
الاخر من عمره الا في كتاب فالكنايه في عمره ترجع الى اخر غير الاول
ولفي عنه بالها كانه الاول ومثله عندي درهم ونصفه اي
نصف اخر وقيل ان الله كتب عمر الانسان مائه سنه ان اطاع وستين

التي

والسنة في بعض الكتب الشهر بسنه

ان عمي فما يعمر فهو في كتاب وهذا مثل قوله عليه السلام من احب
ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه اي انه مكتوب في
اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنه فان وصل رحمه زيد في عمره كذا سنه
فبين ذلك في موضع اخر من اللوح المحفوظ اي بسبيل رحمه من المطلع
على الاول دون الثاني فمن انه زياده ونقصان وقد هذا المعنى عند قوله تعالى
يمحو الله ما يشاء ويثبت والكنايه على هذا ترجع الى المعمر وقيل المعنى
وما يعمر من معمر اي هرم ولا ينقص اخر من عمر الهرم الا في كتاب روي
معناه عن الضحاك واختاره النحاس قال وهذا اشبهها بظاهر التنزيل
وروي نحوه عن ابن عباس فالهاء على هذا يجوز ان تكون للعمر ويجوز ان تكون
لغير المعمر ان ذلك على الله يسير اي كتابة الاعمال والاجال غير متعذر
عليه وقراءة العامه ينقص بضم الياء وفتح القاف وقرات منهم يعقوب
ينقص بفتح الياء وضم القاف اي لا ينقص من عمره شيء يقال نقص الشيء
بنفسه ونقصه غيره وزاد بنفسه وزاده غيره معتد ولازم وقرا
الاعرج والزهري من عمره بتخفيف الميم وضمها الباقون وهما لغتان
مثل السحق والسحق ويسير اي احصاه طويل الاعمار وقصيرها لا
يتعذر عليه شيء منها ولا يعزب والفعل منه يسر ولو سميت بها انسانا
انصرف لانه فعيل قوله تعالى وما يستوي البحران هذا
عذب فرات فيه اربع مقابل الاولى قال ابن عباس فرات حلو
واجاج مر وقرا طلحه هذا ملح اجاج بفتح الميم وكسر اللام بغير الف
فاما المالح فهو الذي جعل فيه الملح وقرا علي وابن ابي اسحق
سيغ شرابه مثل سيد وميت الثانيه قوله تعالى
ومن كل تاكلون لحما طريا لا اختلاف في انه منهما جميعا وقد في الحل
للاكل فيه والثانيه قوله تعالى

مضى

مضى

انما تستخرج من الحليه الملح فقيل منهما لانهما مختلطان وقال مجيده
انما تستخرج الاصداف التي فيها الحليه من الدر وغيره من المواضع التي فيها
العذب والملح نحو العيون فهو ماخوذ منهما لان في البحر عيونا عذبه
وبينهما يخرج اللولو عند التمازج وقيل من مطر السما وقال محمد بن يزيد
قال قولا راجحا انما تستخرج الحليه من الملح خاصه للناس وهذا احسنها
وليس هذا عنده لانهما مختلطان ولكن جهاتم اخبر عن احدهما كما قال
جل وعز وهو الذي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من
فضله وكما تقول لو رايت الحسن والحجاج رايت خيرا وشرا وكما
تقول لو رايت الاصمعي وسيبويه لملات يدك لغه ونحوا فتعرف
معنى هذا وهو كلام فصيح لتيسر فخذا ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون
حليه تلبسونها جمعا في الاول وانفرد الملح بالثاني لانه
وفي قوله تلبسونها دليل على ان لباس كل شي بحسبه فالخاتم يجعل
في الاصبع والسوار في الذراع والقلاده في العنق والخلخال في الرجل
وفي البخاري والنسائي عن ابن سيرين قال قلت لعبيده اقتراش الحديد
قد اسود من قوله تعالى كلبسه قال نعم وفي الصحاح عن انس فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول ما
لبس الحديث الرابع وترى الفلك فيه مواخر قال ابن عباس رضي الله عنهما
الملح خاصه ولو ادلك لقال فيهما وقد مخرت السفينه تمخر اذا
شقت الماء وقد مضى هذا في النحل لتبتغوا من فضله قال مجاهد
التجاره في الفلك الى البلدان البعيده في مدة قريبه كما تقدم في
البقره وقيل مما يستخرج من حليته ويصاد من حيتانه ولعلكم تشكرون
على ما انالكم من فضله وقيل على ما احللكم من حلاله قوله تعالى
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل تقدم في ال عمران وغيرها
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى تقدم في لقمان بيانه ولله

ربكم له الملك اي هذا الذي من صفته ما تقرر هو الخالق المدبر القادر
المقتدر وهو الذي بعيد والذين تدعون من دونه يعني الاصنام ما يملكون
من قطمير اي لا يقدرون عليه ولا يملي حقه والقطمير القشره الرقيقه
البيضا التي بين النمره والنواه قاله اثنا عشر من المفسرين وقال ابن عباس هو
شق النواه وهو اختيار المبرد وقاله قتاده وعن قتاده ايضا ان القطمير
القمع الذي على راس النواه الجوهري ويقال هي الكته البيضا التي في ظهر
النواه تنبت منها النخله قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
اي ان تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم لانها جماد ان لا تبصر
ولا تسمع ولو سمعوا ما استجابوا لكم اذ ليس كل سامع قابلا وقال
قتاده المعنى لو سمعوا ما نفعوكم وقيل اي لو جعلنا لهم عقولا وحياه
سمعوا دعاءكم لكانوا الطوع لله منكم ولما استجابوا لكم على الكفر
ويوم القيامه يكفرون بشرككم اي يجحدون انكم عبدتموهم ويتبرؤن
منكم ثم يجوز ان يرجع هذا الى المعبودين مما يعقل كالملايكه والجن والانبيا
والشياطين اي يجحدون ان يكون ما فعلتموه حقا وانهم امروكم
بعبادتهم كما اخبر عن عيسى بقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
ويجوز ان تندرج فيه الاصنام ايضا اي تجيبها الله حتى تخبر بانها
ليست اهلا للعباده ولا ينبئك مثل خبير هو الله جل وعز اي لا
احد اخبر بخلق الله من الله فلا ينبئك عنده في علمه قوله تعالى
يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله اي المحتاجون اليه في بقايكم وكل احوالكم
الذاهتشري فان قلت عرف الفقرا قلنا قصد بذلك ان يعلم انهم
لشده افتقارهم اليه هم جنس الفقرا وان كانت الخلايق كلهم مفتقرين
اليه من الناس وغيرهم لان الفقر انما يتبع الضعف وكلما كان الفقير
اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في

قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف ولو ذكر لكان
المعنى انتم بعض الفقرا فان قلت قد قوبل الفقرا بالغنى فما فايدة
الحد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه
الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق
عليهم الحمد فذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد
المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه وتخفيف الهمزه الثانيه
اجود الوجوه عند الخليل وبجوز تخفيف الاولي وحدها وتخفيفها
وتحقيقهما جميعا والله هو الغني لكيد تكون هو زايده فلا يكون الكلام
من الاعراب وتكون مبتداة فيكون هو ضمير فصل قوله تعالى
ان يشا يذهبكم فيه حذف المعنى ان يشا يذهبكم ذهبكم اي يفنيكم
ويات بخلق جديد اي اطوع منكم وازكي وما ذلك على الله بعزيز اي ممتنع
عسير متعذر وقد مضى هذا في ابرهيم قوله تعالى ولا
تزر وازرة وزر اخرى يقدم الكلام فيه وهو مقطوع مما قبله والاصل
تزر وزر حذفت الواو لتبا تعالي تزر وازره نقلت لحذوف اي نفس وازره
وكذا وان تدع مثقله قال الفرا نفس مثقله اوذا به قال وهذا يقع
للمذكر والمونث قال الاخفش اي وان تدع مثقله اثما انا الي حملها
وهو دوبها والحمل ما كان على الظهر والحمل حمل المراه وحمل النخله
حكاهما الكسائي بالفتح لاغير وحكى بن السكيت ان حمل النخله بفتح
ويكسر لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربي التقدير على قول الاخفش
ولو كان الانسان المتدعو ذا قربي واجاز الفرا ولو كان ذو
قربي وهذا جايز عند سيبويه الثاني مجزوم باعمالهم ان خبر
مخبر على هذا وخبرا مخبر اعلى الاول وروي عن عكرمه ان قال يعني
ان اليهودي والنصراني يمشي الرجل المسلم يوم القيامه فيقول له

اكن قد استندت اليك يدا الراكن قد احسنت لك فيقول بلى فيقول
انفعني فلا يزال المسلم يسال الله تعالى حتى ينقض من عذابه وان الرجل الباقي
الى ابيه يوم القيامه فيقول الراكن لك بارا وعليك مشفقا واليك
محسنا وانت تدري فما انا فيه فهب لي حسنه من حسناتك او احمل عني
سيه فيقول ان الذي سالتني ليسير ولكني اخاف مثل ما تخاف وان الاب
ليقول لابنه مثل ذلك فيرد عليه كواحد من هذا وان الرجل ليقول لزوجته
الراكن حسن العشيره لك فاحمل عني خطيه لعلي اخف فتقول ان ذلك
لبسير ولكني اخاف مما تخاف فمنه ما يلي عنكم وان تدع مثقله الي
حملها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربي وقال الفضيل بن عياض في
المراه تلقى ولدها فتقول يا بني الم اكن بطني لك وعاء والم يكن حجري
لك وعاء والم اكن ثديي لك سقاء فيقول بلى يا اماه فتقول يا بني قد ثقلني
ذنوبي فاحمل عني منها ذنبا واحدا فيقول اليك عني يا اماه فاني
بذنبي عنك مشغول انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب انما
يقبل انذارك من يخشى عقاب الله وهي كقوله تعالى انما تنذر من
اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه اي ومن
اهتدي فانما يهتدي لنفسه وقدي ومن ازكى فانما يزكى لنفسه
والي الله المصير اي اليه مرجع جميع الخلق قوله تعالى
وما يستوي الاعمى والبصير اي المومن والكافر والجاهل والعالم
مثل قال لا يستوي الخبيثة والطيب ولا الظلمات ولا النور قال
الاخفش سعيد لا زايده والمعنى ولا الظلمات والنور ولا الظل
ولا الحرور قال الاخفش والحرور لا تكون الا مع شمس النهار والسموم
تكون بالليل وقيل عكسه وقيل وقال رويشة بن العجاج الحرور
يكون بالليل خاصه والسموم يكون بالليل خاصه حكاه المهدوي

وقال الفرا السموم لا يكون الا بالنهار والحرور يكون فيهما الخماس
وهو الريح لان الحرور فعول من الحر وفيه معنى التكثير اي الحر الموذي
قال الشيخ المولف رحمه الله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قالت النار ربّ اكل بعضي بعضا فاذن لي بنفس
فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فما وجدتم من
برد او زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر او حرور فمن نفس
جهنم وروي من حديث الزهري عن سعيد عن ابي هريرة فما تجدون
من الحر من سمومها وشده ما تجدون من البرد من زمهريرها وهذا
يجمع تلك الاقوال وان السموم والحرور يكون بالليل والنهار فتامله وقيل
المراد بالظل والحرور الجنة والنار فالجنة ذات ظل دايم كما قال تعالى
اكلها دايم وظلها والنار ذات حرور قال معناه السدي وقال بن
عباس اي ظل الليل وحر السموم بالنهار فطرب الحرور الحر والظل
البرد وما يستوي الاحيا ولا الاموات قال بن قتيبه الاحيا العقلا
والاموات الجهال قتاده هذه لهما مثال اي كما لا يستوي هذه
الاشيا كلها كذلك لا يستوي الكافر والمومن ان الله يسمع من يشا
اي يسمع اولياه الذين خلقهم لجنته وما انت بمسمع من في القبور
اي الكفار الذين اماتت الكفر قلوبهم اي كما لا تسمع من مات
عندك لا تسمع من مات قلبه وقرا الحسن وعيسى الثقفي
وعمرو بن ميمون تسمع من في القبور بحذف التنوين تخفيفا
اي هم بمنزله القبور فانهم لا يتنفعون بما يسمعونه ولا يقبلونه
قوله تعالى ان انت الا نذير اي رسول منذر فليس عليك الا
التبليغ ليس لك من الهدى شي الهدى بيد الله جل وعز
قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي بشيرا

بالجنه اهل طاعته ونذيرا بالنار اهل معصيته وان من امة الا خلا
فيها نذير اي سلف فيها نبي قال بن جريج الا العرب قوله تعالى
وان يكذبوك يعني كفار قريش فقد كذب الذين من قبلهم انبياهم يسلي
رسوله صلى الله عليه وسلم جاتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرات
والشرايع الواضحات وبالزبر اي الكتب المكتوبه والكتاب المنير الواضح
وكرر الزبر والكتاب وهما واحد لاختلاف اللفظين وقيل يرجع
البينات والزبر والكتاب الى معنى واحد وهو ما انزل على الانبيا من الكتب
وشبهه ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي كيف كان عقوبتي لهم واثبت
ورش عن نافع الياي في نكيري حيث وقعت في الوصل دون الوقف واثبتها
يعقوب في الحالين وحذفها الباقون في الحالين وقد مضى هذا كله والحمد
لله قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما هذه الرويه رويه
القلب والعلم اي الم يثبت علمك ورايت يغلبك ان الله انزل فان واسمها
وخبرها سدت مسد مفعولي الرويه فاخرجنا به ثمرات هو من
باب تلوين الخطاب مختلفا الوانها نصبت مختلفا نعتا لثمرات لان الوانها
رفع لمختلف وصح ان يكون نعتا لثمرات لما عاد عليه من ذكره ويجوز
في غير القران رفعه ومثله رايت رجلا خارجا ابوه اي بالما وهو واحد
والثمرات مختلفه ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها الجدد
جمع جدة وهي الطرايق المختلفه الالوان وان كان الجميع حجارا او
ترابا قال الاخفش ولو كان جمع جديد لقال جدد بضم الجيم والدال
نحو سرير وسرر وقال زهير كانه اسفع الخدين ريد وجدد طامر
وريد بعد الصيف عريانا وقيل ان الجدد القطع ما خود من جددت
الشي اذا قطعته حكاه بن بحر قال الجوهري والجدة الخطة
التي في الظهر لمخالفة لونه والجدة الطريقة والجمع جدد

وقال بعضهم ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها اي طرائق تخالف لون الجبل ومنه قولهم ركب جدة من الامر اذا ركب فيه رأيا وكنا نجد فيه خطوط تختلفه الزمخشري وقد الزمدي جدد بالضم جمع جديده وهي الجدة يقال جديده وجدد وجدايد كسفينه وسفائن وسفن وقد فسرها كقول ابي دويب جون السراة له جدايد اربع

وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المستبين وضده موضع الطرائق والخطوط الواضحه المنفصل بعضها من بعض ومن الناس والدواب من الدواب مخففا وتطهير هذا التخفيف مراه من قرا ولا الغالين لان كل واحد منها فر من التقا الساكنين فحرك ذاك اولهما وحرك هذا اخرهما قاله الزمخشري والانعام تختلف الوانه اي ضيم الاحمر والابيض والاسود وغير ذلك وكل ذلك دليل على صنايع مختار وقال مختلف الوانه قد كفر الضمير مرا عاة لمن قاله لورد وقال ابو بكر بن عياش انما ذكر الكنايه لاجل ما مر ذكره الى ما مضره كجازه ومن الناس ومن الدواب ومن الانعام ما هو مختلف الوانه اي ابيض واحمر واسود وغرابيب سود قال ابو عبيده الغربيب الشديد السواد وفي الكلام تقديم وتاخير والمعنى ومن الجبال سود غرابيب والعرب تقول للشديد السواد الذي لونه كلون الغراب اسود غربيب قال الجوهري وتقول هذا اسود غربيب اي شديد السواد واذا قلت غرابيب سود تجعل السود بدلا من غرابيب لا تاكيد الا لوان لا يتقنه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشيخ الغربيب الذي يخضب بالسواد قال المبرد القليس العير ظاهره واليد سابحه والرجل لاحقه والوجه مزيلب وقال اخر يصف كرما

ومن

وقري والدواب

ومن تعاجيب خلق الله عالطيه نخرج منها ملاحي وغريبه كذلك هنا تمام الكلام اي كذلك تختلف احوال العباد في الخشيه ثم استانف فقال انما يخشى الله من عباده العلما يعني بالعلما الذين يخافون قدرته فمن علم ان الله جل وعز قدير ايقن بمعاقبته على المعصيه كما روي علي بن ابي طلحه عن ابن عباس انما يخشى الله من عباده العلما قال الذين علموا ان الله على كل شي قدير وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم وقال مجاهد انما العالم من خشي الله عز وجل وعن مجاهد بن مسعود لفي خشيه الله علما وبالاغترار جهلا وقيل لسعد بن ابرهيم ما فقه اهل المدينه قال اتقاهم لربه عز وجل وعن مجاهد قال انما الفقيه من يخاف الله وعن علي رضي الله عنه قال ان الفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يو منهم من عذاب الله ولم يدع القران رغبه عنه الى غيره انه لا خير في عبادة لا علم فيها ولا علم لا فقه فيه ولا قرا ه لا تدبر فيها واسند الدارمي ابو محمد عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم تلى هذه الايه انما يخشى الله من عباده العلما ان الله وملايكته واهل سماواته وارضيه والنون في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير الخبر مرسل قال الدارمي وحدثنا ابو النعمان حدثنا حماد بن زيد بن خازم قال حدثني عمي جرير بن يزيد انه سمع تبيعا تحدث عن كعب قال اني لاجد نعت قوم يتعلمون لغير العمل ويتفقهون لغير العباده ويطلبون الدنيا بعمل الاخره ويلبسون جلود الضان قلوبهم امر من الصبر فبي يغترون ايايي يخادعون فبي حلفت لاتيحن لهم فتنه تدع الحليم فيها حيرانا خرجه الترمذي مرفوعا من حديث ابي الدرداء وقد كتبناه في مقدمه الكتاب والحمد لله الزمخشري فان قلت ما وجه مرا ه من

معا ٤ يحضر

وقرا انما يخشى الله بالرفع من عباده العلماء بالنصب وهو عمر بن عبد
العزيز وحكي عن ابي حنيفه قلت الخشيه في هذه القراءه استعاره
والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل الهيب المخشي من الرجال من الناس
من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشيه لدلالته
على عقوبته العصاه ومنه لهم وانابه اهل الطاعه والعفو عنهم
والمثاب وجه ان يحتج قوله تعالى ان الذين يتلون كتاب
الله واقاموا الصلاه وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانيه هذه ايه
القرا العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاه الفرض والنفل والذي في الانفاق
وقد مضى في مقدمه الكتاب ما ينبغي ان يخلق به قاري القرآن ويجمل
تجارة لن تبور قال احمد بن يحيى خسران مرجون ويزيدهم من فضله وقوله في
قبل الزياده الشفاعه في الاخره وهذا مثل الايه الاخري رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الي قوله ويزيدهم من فضله وقوله في
اخر النساء واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله وهناك بينا انه غفور للذنوب شكور يقبل القليل من
العمل الخالص ويثيب عليه الجزيل من الثواب قوله تعالى
والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن هو الحق مصدقا لما بين
يديه اي من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير قوله تعالى
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فيه اربع مسائل الاولى
هذه الايه مشكله لانه قال جل وعز اصطفينا من عبادنا ثم قال
فمنهم ظالم لنفسه وقد تكلم العلما فيها من الصحابه والتابعين
ومن بعدهم قال النحاس فمن احسن ما روي في ذلك ما روي عن ابن عباس
فمنهم ظالم لنفسه قال الكافر رواه ابن عيينه عن عمرو بن دينار
عن عطا عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال نجت فرقتان وبقيت العذيرى في
العربيه فمنهم من عبادنا ظالم لنفسه اي كافر وقال الحسن اي فاسق
ويكون الضمير الذين في يدخلونها يعود على المقتصد والسابق لا على
الظالم وعن عكرمه وقتاده والضحاك والعزا ان المقتصد المؤمن
العاصي والسابق التقي على الاطلاق قالوا وهذه الايه نظير قوله في
سوره الواقعه وكنتم ازواجا ثلاثه قالوا ويبعد ان يكون ممن يصطفي
ظالم وروى مجاهد عن ابن عباس قال مجاهد فمنهم ظالم لنفسه اصحاب
المشئمه ومنهم مقتصد اصحاب الميمنه ومنهم سابق بالخيرات السابقون
من الناس كلهم وقيل الضمير في يدخلونها يعود على الثلاثه الاصناف على ان
لا يكون الظالم ههنا كافرا ولا فاسقا وممن روي عنه هذا القول عمر وعثمان
وابو الدرداء وابن مسعود وعقبه بن عمرو وعائشه والتعويل على هذا
القول ان يكون الظالم لنفسه الذي عمل الصغاير والمقتصد
قال محمد بن يزيد هو الذي اعطي الدنيا حقها والاخره حقها فيكون حسنات
هذين يدخلونها جميعا واعلى الجميع على هذا الشرح والتبيين وروى عن
ابي سعيد الخدري وقال كعب الاحبار استوت مناكبهم ورب الكعبه
وتفاضلوا بامالهم وقال ابو اسحق السبيعي واما الذي سمعت منه
يستثني منه فالظالم تاج وروى اسامه بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا هذه الايه وقال كلهم في الجنه وقد اعمر بن الخطاب هذه الايه ثم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج
وظالمنا مغفور له فعلى هذا القول يقدر مفعول الاصطفاء من قوله
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا مضافا احذف كما احذف
المضاف في وسل القريه اي اصطفينا دينهم فبقي اصطفيناهم فحذف
العايد الي الموصول كما حذف في قوله ولا اول للذين تدري اعينك

اختلفت؟

اي تزدريهم ولا اصطفا إذ امر وجه الى دينهم كما قال تعالى ان الله اصطفى لكم الدين قال الخامس وقول ثالث يكون الظالم صاحب الكبائر والمقتصد الذي لم يستحق الجنه بزياده حسناته على سيئاته فيكون جنات عدن يدخلونها للذين سبقوا بالخيرات لاغير وهذا اول جماعه من الثلاثه ان الضمير في حقيقه الظلم لما يليه اولهم قال الشيخ المصنف رحمه الله القول الاوسط اولاها واصحها ان شاء الله لان الكافر والمنافق لم يصطفوا بحمد الله ولا اصطفى دينهم وهو قول سته من الصحابه وحسبك وسنزيده بيانا وايضاحا في باقي الايه الثانيه قوله تعالى ورثنا الكتاب اي اعطينا والميراث عطا حقيقه او مجازا فانه يقال فيما صار للانسان بعد موت اخر والكتاب هاهنا يريد به معاني الكتاب وعلمه واحكامه وغرائبه وكان الله تعالى لما اعطى امه محمد صلى الله عليه وسلم الشرف الذي كان في الامم قبلنا اصطفينا اي اخترنا واشتقاقه من الصفو وهو الخلوص من شوائب الكدر واصله اصتفونا فابدلت التاء طاء والواو ياء من عبادنا قيل المراد امة محمد صلى الله عليه وسلم قاله بن عباس وغيره وكان اللفظ يحتمل جميع المومنين من كل امه الا ان عباره توريث الكتاب لم تكن الا لامه محمد صلى الله عليه وسلم والاول لم يرثوه وقيل المصطفون الانبيا ورثوا الكتاب بمعنى انه انتقل من بعضهم الى اخر قال الله تعالى وورث سليمن داود وقال يرثني ويرث من ال يعقوب فاذا جاز ان تكون النبوه موروثه فكذلك الكتاب منهم ظالم لنفسه من وقع في صغيره قال بن عطيه وهذا قول مردود من غير ما وجه قال العلماء معنى فمنهم ظالم لنفسه اي من درنهم ظالم لنفسه وهو المتورط الجس

من اسمعهم على ما تقدم ذكره من الخلاف في الظالم والايه في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت عبارات ارباب القلوب في الظالم والمقتصد والسابق فقال سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل وقال ذو النون المصري الظالم الذاكر الله بلسانه فقط والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل الذاكر الله بقلبه والسابق الذي لا يفتر ساعه وقال الانطاكي الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال وقال بن عطا الظالم الذي يحب الله من اجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من اجل العقبى والسابق الذي اسقط مراده مراد الحق وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفا فمن النار والمقتصد الذي يعبد الله طمعا في الجنه والسابق الذي يعبده لوجهه لا لسبب وقيل الظالم الزاهد في الدنيا لانه ظلم نفسه فترك لها حظا وهي المعرفه والمحبه والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل الظالم الذي يجزع عند البلاء والمقتصد الصابر على البلاء والسابق المتلذذ بالبلاء وقيل الظالم الذي يعبد الله على الغفله والعاده والمقتصد الذي يعبده على الرغبه والرهبه والسابق الذي يعبده على الهيبه وقيل الظالم الذي اعطى فمنع والمقتصد الذي اعطى فبذل والسابق الذي منع فشكر واتي روي ان عابدين التقيا فقال كيف احوال اخوانكم بالبصره قال لكنهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا فقال هذه حاله الكلاب عندنا ببلخ عبادنا ان منعوا شكروا وان اعطوا ايثروا وقيل الظالم من استغنى بماله والمقتصد من استغنى بدينه والسابق من استغنى بربه وقيل الظالم التالي للقران ولا يعمل به والمقتصد التالي للقران ويعمل به والسابق القاري للقران العامل به والعالم به وقيل السابق الذي يدخل المسجد قبل تاذين المودن والمقتصد الذي يدخل المسجد

الفصلين

وقد ادن المؤذن والظالم الذي يدخل المسجد وقد اقيمت الصلاة لانه
ظلم نفسه الاجر فلم يحصل لها ما حصله غيره وقال بعض اهل العلم
في هذا مثل السابق الذي يدرك الوقت والجماعة فيدرك الفضيلتين والمقتصد
الذي ان فاتته الجماعة لم يفرط في الوقت والظالم الفاضل عن الصلاة حتى
يفوت الوقت والجماعة فهذا اولى بالظلم وقيل الظالم الذي يحب نفسه
والمقتصد الذي يحب دينه والسابق الذي يحب ربه وقيل الظالم الذي
لا يتصدق ولا يتصدق والمقتصد الذي يتصدق ولا يتصدق والسابق
الذي يتصدق ولا يتصدق وقالت عائشة رضي الله عنها السابق
الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد من اسلم بعد الهجرة والظالم من لم
يسلم الا بالسيف وهم كلهم مغفور لهم قال الشيخ المصنف رحمه
الله ذكر هذه الاقوال وزيادة عليها الثعلبي في تفسيره
وبالجملة فهما لمرفان وواسطة وهو المقتصد اللازم للقصد
وهو ترك الميل ومنه قول جابر بن حني الثعلبي

تعالى الملوك السلم ما قصدوا لنا ولسين علينا قتالهم بمحرم

اي ما قصدهم الصلح ما تركوا بنا القصد اي ما لم يجوروا وليس قتالهم
بمحرم علينا اذ جاروا فلذلك كان المقتصد منزلة بين المنزلتين
موقوف الظالم لنفسه ودون السابق بالخيرات ذلك هو الفضل
الكبير يحيى اتيانا الكتاب لهم وقيل ذلك الاصطفاء ثم علمنا
بيوتهم ذلك هو الفضل الكبير وقيل وعد الجميع لقاء ولا الثلاثة
فضل كبير الثالثة وبدلهم الناس في تقديم الظالم على المقتصد
والسابق فقيل التقديم في الذكر لا يقتضي تشريفا لقوله تعالى لا
يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وقيل قدم الظالم لكثرة
الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم

والسابقون اقل من القليل ذكره الزمخشري لم يذكر غيره وقيل قدم
الظالم لتاكيد الرجاء في حقه اذ ليس له شيء يتكل عليه الا رحمة ربه
واتكل المقتصد على حسن ظنه والسابق على طاعته وقيل قدم الظالم
ليلا ييئس من رحمة الله واخر السابق ليلا يعجب بعمله وقال جعفر بن
محمد بن علي الصادق رضي الله عنهم قدم الظالم ليخبر انه لا يتقرب اليه
الا بصرف رحمته وكرمه وان الظلم لا يوثر على الاصطفائية اذا كانت
ثم عناية تعني بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين
ليلا يأمن احد مكر الله وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الاخلاص لا اله الا
الله محمد رسول الله وقال محمد بن علي الترمذي جمعهم في الاصطفاء
ازالة للعلل عن العطايا لان الاصطفا يوجب الارث لا الارث يوجب
الاصطفاء ولذلك قيل في الحكمة صحح النسبة ثم ادعي في الميراث
وقيل اخر السابق ليكون اقرب الى الحسنات والثواب كما قدم الصوامع
والبيع في سورة الحج على المساجد لتكون الصوامع اقرب الى الهدم
والخراب وتكون المساجد اقرب الى ذكر الله وقيل ان الملوك اذا
اراد وا الجمع بين الاشياء بالذكر قدموا الادنى كقوله لشديد
العقاب وانه لغفور رحيم وقوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن
يشاء الذكور وقوله لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة قال
الشيخ المصنف رحمه الله ولقد احسن من قال في غاية هذا الجود
انت وانا به افي الغايات في اخر الامر الرابعة قوله
تعالى جنات عدن يدخلونها جمعهم في الدخول لانه
ميراث والعاق والبار في الميراث سواء اذا كانوا معترفين للنسب
فالعاصي والمطيع مقرون بالذب وقرئ جنة عدن على الافراد
كما ذكرنا جنة تحتمله بالسابقين لقولهم على ما تقدم وجنات عدن

بالنصب على اضمار فعل بفسره الظاهر اي يدخلون جنات عدن
يدخلونها وهذا للجميع وهو الصحيح ان شاء الله وقرا ابو عمرو
يدخلونها بضم الياء وفتح الخا مثل يقولون وقد مضى في الحج
الكلام في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم
فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قال ابو ثابت
دخل رجل المسجد فقال اللهم ارحم غربتي وانس وحدتي ويسر
لي جليسا صالحا فقال ابو الدرداء التمست صيدا فلانا اسعدك
بذلك عندي سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات قال فاما هذا السابق فيدخل الجنة بغير حساب
واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس
في المقام ويلوح ويقرع ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وفي لفظ اخر
واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم هم
الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الى قوله ولا يمسنا فيها لغوب
ولا يمسنا فيها اللغوب وقيل هو الذي يوجد منه في معاشه
يعني يلغز عنه ما يصيبه من الهم والحزن ومنه قوله تعالى
ومن يعمل سوءا يجز به يعني في الدنيا قال التغلبي وهذا التاويل
اشبه بالظاهر لانه قال جنات عدن يدخلونها ولقوله الذين
اصطفينا من عبادنا والكافر والمنافق لم يصطفوا قال
الشيخ المصنف رحمه الله وهذا هو الصحيح وقد قال صلى الله
عليه وسلم مثل المنافق الذي يقرا القران مثل الترجة

طيب

طيب وطعمها مر فاخبر ان المنافق بقرؤه واخبر الحق سبحانه بان
المنافق في الدرك الاسفل من النار وكثير من الكفار اليهود والنصارى
يقرؤنه في زماننا هذا وقال ملك قد يقرا القران من لا خوف فيه والنصب
التعب واللغوب الاعياء قوله تعالى والذين كفروا لهم نار
جهنم لما ذكر اهل الجنة واحوالهم ومقالهم ذكر اهل النار واحوالهم
ومقالتهم لا يقضى عليهم فيموتوا مثل لا يموت فيها ولا يحيى ولا
يخفف عنهم من عذابها مثل اذا نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
ليذوقوا العذاب كذلك نجزي كل كفور اي كافر بالله ورسوله
وقرا الحسن فيموتون بالنون ولا يكون للنفي حينئذ جواب ويكون
فيموتون عطفا على يقضى بتقديره لا يقضى عليهم ولا يموتون لقوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون قال الكسائي ولا يؤذن لهم فيعتذرون
تقول بالنون في المصحف لانه رأس اية ولا يقضى عليهم فيموتوا لانه ليس
رأس اية ويجوز في احدهما ما جاز في صاحبه وهم يصطرخون
فيها اي يستغيثون في النار بالصوت العالي والصراخ الصوت
العالي والصارخ المستغيث والمصرخ المغيث قال

انا اذا ما اتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب

ربنا اخرجنا اي يقولون ربنا اخرجنا من جهنم وردنا الى الدنيا
نعمل صالحا قال ابن عباس نقل لا اله الا الله وهو معنى قوله غير
الذي كنا نعمل اي من الشرك اي نؤمن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية
ونمتثل امر الرسل ولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر هذا جواب
دعائهم اي فيقال لهم فالقول مضمر وترجم البخاري باب
من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله اليه في العمر لقوله عز وجل
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير يعني الشيب

حدثنا عبد السلام بن مطهر عن عمر بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن
سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اعذر الله الى امرء اخر اجله حتى بلغه ستين سنة قال الخطابي اعذر
اليه اي ابلغ به اقصى العذر ومنه قولهم قد اعذر من انذر اي اقام عذرا
نفسه في تقدم نذارته والمعنى ان من عمره الله ستين سنة لم يبق له عذر ان
الستين قريب من معترك المنايا وهو سن الانابة والخشوع وترقب
المنية ولقاء الله تعالى ففيه اعذار بعد اعذار الاول بالنبي صلى الله عليه
وسلم والثاني في الاربعين والستين قال علي وابن عباس وابو هريرة
في تاويل قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر انه ستون سنة وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في موعظته ولقد ابلغ في الاعذار
من تقدم في الانذار وانه لينادي منادٍ من قبل الله تعالى ابنا الستين اولم
نعمركم ما يتذكر فيه تذكر وجاءكم النذير وذكر الترمذي الحكيم من حديث
عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم القيامة نودي ابنا الستين وهو العمر الذي قال الله اولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وعن ابن عباس ايضا الله ارجون سبعون
الحسن البصري وميسرون مثله ولهذا القول ايضا وجه وهو صحيح
والحجة له قوله جل وعز حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة الاية
ففي الاربعين تناهي العقل وما قبل ذلك وما بعده منتقص عنه والله
اعلم وقال ملك ادركت اهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم
ويخالطون الناس حتى يأتي لاحدهم اربعون سنة فاذا اتت عليهم اعتزلوا
الناس واشتغلوا بالعبادة حتى يأتيهم الموت وقد مضى هذا المعنى
في سورة الاعراف والحمد لله ويخرج بن ماجه عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين

واقلهم من يجاوز ذلك قوله تعالى وجاءكم النذير وقد جاءهم
النذر واختلف فيه فقيل القرآن وقيل الرسول قاله زيد بن علي وابن زيد
وقال ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين بن الفضل والفراء
والطبري هو الشيب وقيل النذير الحمى وقيل موت الاهل والاقارب
وقيل كمال العقل والنذير بمعنى الانذار قال الشيخ المصنف رحمه
الله فالشيب والحمى وموت الاهل كله انذار بالموت قال صلى الله عليه وسلم
الحمى رائد الموت قال الازهري معناه ان الحمى رسول الموت تاتي كانها تشعر
بقدومه وتنذر بمجيئه والشيب نذير ايضا لانه ياتي في سن الاكتهال
وهو علامة لمفارقة سن الصبى الذي هو سن اللهو واللعب وقال

رايت الشيب من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير

وقال اخر فقلت لها الشيب نذير عمري ولست مسودا لوجه النذير

واما موت الاهل والاقارب والاصحاب والاخوان فانذار بالرحيل
في كل وقت واذان وحين وزمان قال

اراك تحملهم ولست ترد هم وكانك قد حملت فلم ترد

وقال اخر الموت في كل حين ينشر الكفنا وخر في غفلة عما يراد بنا

واما كمال العقل فيه تعرف حقايق الامور ويفصل بين الحسنات والسيات
فالعاقل يعمل لاخرته ويرغب فيما عند ربه فهو نذير وابنا محمد صلى
الله عليه وسلم فبعثه الله جل وعز مبشرا ونذيرا الى عباده قطعا
لحجتهم قال الله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا قوله تعالى فذوقوا بما كنتم
عذاب جهنم لانكم ما اعتبرتم ولا اتعظتم فما للظالمين من نصير اي
مانع من عذاب الله قوله تعالى ان الله عالم غيب السموات
والارض انه عليم بذات الصدور تقدم معناه في غير موضع والمعنى

معناه؟

علم انه لو ردكم الى الدنيا لم تعملوا صالحا فيما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وعالم اذا كان بغير تنوين صلح ان يكون للماضي والمستقبل واذا كان
منونا لم يجز ان يكون للماضي قوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في
الارض قال قتادة خلفا بعد خلف وقرنا بعد قرن والخلف هو التالي
للمتقدم ولذلك قيل لابي بكر يا خليفة الله فقال لست بخليفة الله ولكني
خليفة رسول الله وانا راض بذلك فمن كفر فعليه كفره اي جزاء كفره
وهو العقاب والعذاب ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اي
بغضا وغضبا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي هلاكا وضلالا
قوله تعالى قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اضيف الشركاء
الى الدين تدعون مع ان الله هو الذي خلقهم لانهم عبدوها من دونه
ولا يجوز رفعه وقد اجاز الرفع عند سيبويه في قولهم قد عجبت زيدا أبوه من
هو لان زيدا في المعنى مستفهم عنه ولو قلت ما رايت زيدا أبو من هو لم يجز
الرفع والفرق بينهما ان معنى هذا أخبروني عنه ولذا معنى هذا اخبروني
عن شركائكم الذين تدعون من دون الله اعبدتموهم لانهم شركاء في خلق
السموات ام خلقوا من الارض شيئا ام اتيناهم كتابا اي امرا عندهم كتاب
انزلناه اليهم بالشركة وكان في هذا رد على من عبد غير الله جل وعز
لانهم لا يجدون في كتاب من الكتب ان الله عز وجل امر ان يعبد غيره فهم
على بينة منه قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم على بينة
بالتوحيد وجمع الباقون والمعنيان متقاربان الا ان قراءة الجمع اولى
لانه لا خلاف من قرأه على بينة من ان يكون خلاف السواد الاعظم او
يكون جاء على لغة من قال جاني طلحت فوقف بالتاء وهي لغة شاذة
قليلة قاله النحاس وقال ابو حاتم وابو عبيد الجمع اولى لموافقته
الخط لانها في مصحف عثمان بينات بالالف والتاء لما ان بعد الطاء ون
بعضهم يعجبا الاعمور اي اباطيل تغر وهو قول السدة للسفلة

وهذه

ان هذه الالهة تنفعكم وتقربكم وقيل ان المشاجرين بعد المشركين
ذلك وقيل في غدهم بانهم يصدون عليهم قوله تعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا لما تبين ان الصنم لا يقدر على خلق
شيء من السموات والارض بين ان خالقها وممسكها هو الله فلا يوجد
حادث الا بايجاده ولا يبقى الا ببقائه وان في موضع نصب بمعنى
كراهة ان تزولا او اينما تزولا او يحمل على المعنى لان المعنى ان الله يمنع
السموات والارض من ان تزولا فلما حاجه على هذا الى اضمار وهذا قول
الزجاج وليس زالتا ان امسكهما من احد من بعده قال الفراء ولو زالتا
ما امسكهما من احد ان معنى ما قال الا هو مثل قوله ولئن ارسلنا ريحا
فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون وقيل المراد زوالهما يوم القيامة
وعن ابن عباس قال دخل رجل من اصحاب بن مسعود الى كعب الاحبار يتعلم
منه العلم فلما رجع قال له بن مسعود ما الذي اصبت من كعب قال
سمعت كعبا يقول ان السماء تدور على قطب الرحا في عمود على
منكب ملك فقال له عبد الله وددت انك انقلبت برأ حلتك ورحلها
كذب كعب لعبت بها تركت يهوديته ان الله تعالى يقول ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا ان السموات لا تدور ولو كانت تدور لكانت
قد زالت وعن ابن عباس نحوه وانه قال لرجل معقبل من الشام من لقيت
به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على
منكب ملك قال كذب كعب اما تركت يهوديته بعد تقرأ هذه
الاية والسموات سبع والارضون سبع ولكن لما دخلهما اجراهما
مجرا شيئين فعادت الكناية اليهما وهو كقوله ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما تمت قصة الاية بقوله انه كان حليما غفورا
لان المعنى فيما ذكره بعض اهل التاويل ان الله يمسك السموات والارض

ان تزولا من كفر الكافرين في قولهم اتخذ الله ولدا قال الكلبي لما
قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله كادت السموات
والارض ان تزول عن امكنتهما فسعفا وانزل هذه الاية فيه وهو
كقوله لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الاية قوله
تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير هم قد شئن اسما
قبل ان بعثت الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم حين بعثهم ان اهل
الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب بينة منهم واقسموا بالله
جهد اسمه لئن جاءهم نذير اي نبي ليكونن اهدى من احدى الامم يعني
من كذب الرسل من اهل الكتاب وكانت العرب تسمي كل من لم يكن منهم رسول
كما كان الرسل في بني اسرائيل فلما جاءهم ما نفروه وهو النذير من انفسهم
نفروا عنه ولم يزدهم استكبارا اي عتوا عن الايمان ومكر السيء
مكر العمل السيء وهو الخذر وخدع انصعفا وصدهم عن الايمان كمكر
ابائهم واثبت من احدى الامم لمباينته امة قاله الاخفش وقرا
حمزة والاعمش ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء فحذف الاعراب
من الاول واثبته في الثاني قال الزجاج وهو لحن وانما صار لحنا
لانه حذف الاعراب منه وزعم المبرد انه لا يجوز في كلام ولا في
شعر لان حركات الاعراب لا يجوز حذفها لانها دخلت للفرق
بين المعاني وقرأ اعظم بعض النحويين ان يكون الاعمش على حد الضرورة
يضر بعضا قال اما كان يقف عليه فغلط من ادى عنه قال والدليل
على هذا انه تمام الكلام وان الثاني لما لم يكن تمام الكلام اعرب
بالفتح لحركة في الثاني انتقل منها في الاول لانها ضمة بين
كسرتين وقد احتج بعض النحويين لحمزة في هذا بقول سيبويه
وانما انشد هو وغيره اذا اعوجن قلت صاحب قوم

وقال الاخر فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل
وهذا لا حجة فيه لان سيبويه لم يجزه وانما حكاه عن بعض النحويين والحديث
اذا قيل فيه عن بعض العلماء لم يكن فيه حجة فكيف وانما جاء به على الشذوذ
والضرورة الشعر وقد حوكن فيه وزعم الزجاج ان ابا العباس انشد

اذا اعوجن قلت صاح قومه وانه انشد

فاليوم اشرب غير مستحقب بوصل الالف على الامر لجمعه

الخاسر الزمخشري وقرا حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك
لاستثقاله الحركات ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة
خفيفة ثم ابتدا ولا تحيق وقرا ابن مسعود ومكر اسيا وقال المهدوي
ومن سكن الهمزة من هو لصو مكر السيء فهو على تقدير الوقف عليه ثم اجرى
الوصل مجرى الوقف او على انه اسكن الهمزة لتوالي الكسرات والياءات
كما قال فاليوم اشرب غير مستحقب قال الزمخشري وقرا حمزة
ومكر السيء بسكون الهمزة وخطاه اقوام وقال قوم لعله وقف عليه
لانه تمام الكلام فغلط الراوي وروي ذلك عنه في الادراج وقد
سبق الكلام في امثال هذا وقلنا ما ثبت بالاستفاضة او التواتر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قراه فلا بد من جوازه ولا يجوز ان يقال انه
لحن ولعل مراد من صار الى التخطيه ان غيره افصح منه وان كان هو
فصيحا ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا ينزل عاقبته الشرك الا بمن
اشرك وقيل هذا اشارة الى قتلهم ببدر وقال الشاعر

وقد رفعوا المشيه فاستقلت دراعا بجد ما كانت تحيق

اي تنزل وهذا قول قطرب وقال الليث يحيق بمعنى يحيط بالخوق
الاحاطة يقال حاق بهذا اي حاط به وعن ابن عباس ان كعبا قال
له اني اجد في التوراة من حفر لاخيه حفرة وقع فيها فقال ابن

عباس قال لي أوجدك في القرآن لك قال ابن فقراً ولا تحبق المكر السيء الا باهله وفي امثال العرب من حفر لاخيه جباً وقع فيها منكباً ورعاه الذهبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تمكر ولا تعن ماكراً فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولا تعن باغياً فان الله يقول ومن نكث فانما ينكث على نفسه وقال انما بغيكم على انفسكم وقال بعض الحكماء

يا ظالما في فعله والظلم مردود على من ظلما
الى متى انت وحتى متى تخشى المصيبات وتنسى النعم

وفي الحديث المكر والخديعة في النار فقوله في النار يحتمل ان يدخل الفاعل منهما في النار لانها من اخلاق الكفار لا من اخلاق المؤمنين الاحياء ولهذا قال عليه السلام في سياق هذا الحديث وليس من اخلاق المؤمن المكر والخديعة والخيانة وفي هذا بلغ تحذير عن التخلق بهذه الاخلاق الذميمة والخروج والخروج عن اخلاق الايمان الكريمة قوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين اي انما ينتظرون العذاب الذي نزل بالكفار الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي اجرى الله العذاب على الكفار وجعل ذلك سنة فيهم فهو يعذب بمثله من استحقه لا يقدر احد ان يبدل ذلك ولا ان يحول العذاب عن نفسه الى غيره والسنة الطريقة والجمع سنن وقد مضى في آل عمران واضافها الى الله جل جلاله وقال في موضع اخر سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا فاضافها الى القوم لتعلق الامر بالجانبين وهو الاجل تارة يضاف الى الله وتارة الى القوم قال الله ان اجل الله لات وقال اذا جاء اجلهم قوله تعالى اولم يسيروا في الارض بين السنة التي ذكرها اي اولم يروا ما انزلنا بعاد وثمود ومدين من امثالهم لما كذبوا الرسل فيتدبروا ذلك بنظرهم الى مساكنهم وديارهم وما سمعوا على التواتر

مما حل بهم افليس فيه عبرة وبيان لهم ليسوا خيراً من اولئك ولا اقوى بل كان اولئك اقوى كما قاله وكانوا استضعفهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض اي اذا اراد انزال عذاب بقوم لم يعجزه فكانه كان عليما قديرا قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا يعني من الذنوب ما ترك على ظهرها من دابة قال ابن مسعود يريد جميع الحيوان مما دب ودرج قال قتادة وقد هلك في زمن نوح عليه السلام وقال الكلبي من دابة يريد الجن والانس دون غيرهما لانهما مكلفان بالعقل وقال ابن جريج والاخفش والحسين بن الفضل اراد بالدابة ههنا الناس وحدهم دون غيرهم قال الشيخ المصنف رحمه الله والاول اظهر لانه من محاباة كبير قال ابن مسعود كاد الجعل ان يعذب في جحره بذنب ابن ادم وقال يحيى بن ابي كثير امر رجل بالمعروف ونهاه عن المنكر فقال له رحم عليك بنفسك فان الظالم لا يضر الا نفسه فقال ابو هريرة كذبت والله الذي لا اله الا هو ثم قال والذي نفسي بيده ان الحبارى لتموت هزلا في وكرها بظلم الظالم وقال الثعالبي ويحيى بن سلام في هذه الاية يحبس الله المطر فيهلك الله كل شيء وقد مضى في البقرة نحو هذا عن عكرمة ومجاهد في تفسير ويلعنهم اللاعنون هم الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب بني آدم السوء الكافرين فيلعنونهم وذكرنا هناك حديث البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون قال دواب الارض ولكن يوجرهم الى اجل مسمى قال مقاتل الاجل المسمى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقال يحيى هو يوم القيامة فان الله تكان لعباده اي من يستحق العقاب منهم بصيرا ولا يجوز ان يكون في اذا بصيرا كما لا يجوز اليوم ان زيدا خارج ولان العامل فيها جاء لشبهها بحروف المجازاة والاسماء الذي

تجلزي بما يعمل فيها ما بعدها وسيبويه لا يرى المجازاة بإذا الا في
الشعر كما قال: اذا اقصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب فنقتل

سورة يس

وهي مكية باجماع وهي ثلث وثمانون اية الا ان
فرقه قالت الا قوله وكتبنا ما قدموا وآثارهم نزلت في بني سلمة من الانصار
حين ارادوا ان يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم على ما ياتي وفي كتاب ابي داود عن معقل بن يسار قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم اقرءوا يس على موتاكم وذكر الاجري من حديث ام
الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ميت يقرأ عليه سورة يس
الا هون عليه وفي مسند الدارمي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ يس في ليله ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة
خرجه ابو نعيم الحافظ ايضا وروى الترمذي عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس
كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات قال هذا غريب وفي
اسناده هرون ابو محمد شيخ مجهول وفي الباب عن ابي بكر الصديق ولا
يصح حديث ابي بكر من قبل اسناده واسناده ضعيف وعن عائشة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القرآن لسورة شفيع لصاحبها
لقارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس تدعى في التوراة المعمة
قيل يا رسول الله وما المعمة قال تعم صاحبها خير الدنيا وتدفع عنه
اهاويل الاخرة وتدعى الدافعة والقاضية قيل يا رسول الله وكيف ذلك
قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة ومن قرأها عدلت
له عشرين حجة ومن سمعها كانت له كالف دينار تصدق بها في سبيل
الله ومن كتبها وشربها ادخلت جوفه الف دواء وكل يقين في الف رحمة
والف نور

والف رافة والف هدى ونزع عنه كل داء وذكر الثعلبي من حديث عائشة
والترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه
مسندا وفي مسند الدارمي عن شهر بن حوشب قال قال ابن عباس من قرأ
يس حين يصبح اعطي يسر يومه حتى يمسي ومن قرأها في صدر ليله اعطي يسر
ليلته حتى يصبح وذكر النحاس عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لكل شيء قلب وقلب
القرآن يس من قرأها نهارا في همه ومن قرأها ليلا اعفوه نبه وقال
شهر بن حوشب تقرأ اهل الجنة له ويس فقط رفع هذه الاخبار الثلاثة
الماوردي فقال روى الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأها في ليله اعطي يسر
تلك الليله ومن قرأها في يوم اعطي يسر ذلك اليوم وان اهل الجنة يدفع
عنهم القرآن فلا يقرؤن الا طه ويس وقال الحبي بن ابي كثير بلغني انه من
قرأ سورة يس ليلا لم ينزل في فرح حتى يصبح ومن قرأها حين يصبح لم يزل
في فرح حتى يمسي وقد حدثني من جربها ذلك الثعلبي عن عطية قال ابن
عطية ويصدق ذلك التجربة وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
عن عبد الاعلى قال حدثنا محمد بن الصلت عن عمرو بن ثابت عن محمد بن
مروان عن ابي جعفر قال من وجد في قلبه قسوة فليكتب يس في جام
بزعفران ثم يشربه حسبتني ابي رحمه الله قال اشرم بن حوشب
عن بقية بن الوليد عن المعتمر بن اشرف عن محمد بن علي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم القرآن افضل من كل شيء دون الله وفضل القرآن
على سائر الكلام كفضل الله على خلقه فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن
لم يوقر القرآن لم يوقر الله وحرمه القرآن عند الله كحرمة الوالد على
ولده القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من شفع له القرآن
شفع ومن محل به القرآن صدق ومن جعله امامه قاده الى الجنة

ومن جعله فاكره خلقه مساقه الى النار حملة القران غير المحفوظين رحمه
الله المسلمون نور الله المجاهدون لقام الله تعالى وامره فقد والى الله ومن
عاداهم فقد عاد الله يقول الله تعالى يا حامله القران استجيبوا لربكم
بتوقير كتابه يزدكم حبا وتحببكم الى عباده يدفع عن مستمع القران
بلوى الدنيا وبلوى الاخره ومن استمع اية من كتاب الله كان له افضل من ما
تحت العرش الى التخوم وان في كتاب الله لسوره تدعى القريبة يدعا
صاحبها الشريف يوم القيامه تشفع لصاحبها الذي رتبه ومضر
وهي سوره يس وذكر الثعلبي عن ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من قرا سوره يس ليله الجمعه اصبح مغفورا له وعن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل المقابر فقرا سوره يس
خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

يس في يس اوجه من القرآات قرا اهل المدينه والكسائي يس
والقران الحكيم بادغام النون في الواو وقرا ابو عمرو والاعمش وحمزه
يس باظهار النون وقرا ابن عباس وابن ابي اسحق ونصر بن عاصم يس
بالكسر وقرا هدبه الاعور ومحمد بن السميفع يس بضم النون من
خمس قرات القراه الاولى بالادغام على ما كتب في العربيه لان النون
تدغم في الواو ومن بين قال سبيل حروف المعجم ان يوقف عليها
وانما يكون الادغام في الادراج وذكر سيبويه النصب وجعله
من جهتين احداهما ان يكون مفعولا ولا اعرفه لانه عنده اسم اعجمي
بمنزله هابيل والتقدير اذكر يس وجعله سيبويه اسما للسوره
وقوله الاخران يكون مبنيا على الفتح مثل كيف وابن واما الكسوري
القرا انه مشبه بقول العرب خير لا افعل وعلى هذا يكون يس قسما

وقاله ابن عباس وقيل شبه باسرع وحذام وهابيل ورقاش واما
الضم فشبه بمنذ وحيث وقط وبا عبادي الصرد اذا قلت يا رجل
فالاولى بها الضم قال ابن الانباري يس وقف حسن لمن قال هو افتتاح
السوره ومن قال معنى يس يا رجل لم يقف عليه وروي عن ابن عباس
وابن مسعود وغيرهما ان معناه يا انسان وقال ابو اسحق في قوله تعالى سلام
على ال يس اي على ال محمد وقال سعيد بن جبير هو اسم من اسماء محمد صلى
الله عليه وسلم دليله انك لمن المرسلين قال السيد الحميري

يا نفسي لا تحصي بالنصح جاهدة على المودة الا ال ياسينا

وقال ابو بكر الوراق معناه يا سيد البشر وقيل انه اسم من اسماء الله
قاله ملك روي عنه اشهب قال قلت له هل ينبغي لاحد ان يتسمى بيس
قال ما اراه ينبغي لقول الله يس والقران الحكيم يقول هذا اسمي يا سيد
قال ابن العربي هذا كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يتسمى باسم الرب
اذا اتيه معنى منه كقوله عالم وقادر ومريد ومتكلم واما منع ملك
من التسميه بيس لانه اسم من اسماء الله لا يدري معناه فربما كان معنا
ينفرد به الرب فلا يجوز ان يقدم عليه العبد فان قيل فقد قال الله
تعالى سلام على ال ياسين قلنا ذلك مندوب لهما فجوز التسميه به
وهذا الذي ليس بمنتهى هو الذي تكلم ملك عليه لما فيه من الاشكال
والله اعلم وقال بعض العلما افتتح الله هذه السور بحروف الهجا والسين
وفيها مجمع الخير ودل المفتتح على انه قلب والقلب امير على الجسد
وكذلك يس امير على سايرالسور مشتمل على جميع القران اختلفوا
فيه ايضا فقال سعيد بن جبير وعكرمه هو ملغه الحبشه وقال الشعبي
هو ملغه طي الحسن بلغه دلب الكلبي هو بالسريانيه وتكلمت به
العرب وكان من لغتهم وقد مضى هذا المعنى في اله وفي مقدمه الكتاب
فصار

مستقيم وقد سرد القاضي عياض اقوال المفسرين في معنى يس فحكى
ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة
اسماء كما ان منها طه ويس اسمان له قال الشيخ المصنف رحمه الله وذكر
الماوردي عن علي رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تعالى اسماني في القرآن بسبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس
والمزمل والمدثر وعبد الله قال القاضي وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر
الصادق انها اسماء يا سيد المخلوقين صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وقال هو قسم وهو من اسماء الله
عز وجل وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن
ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب الخ
يس قسم اقسم الله به قبل ان
خلق السماء والارض بالغي عامة يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن
الحكيم فان قدر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وحي فيه انه قسم
كان فيه من التعظيم ما تقدم وان لم يكن فيه القسم عطف القسم الاخر عليه
وان كان معنى النداء فقد جاء القسم اخر هذه لتحقيق رسالته والشهادة
بهذا انه اقسم تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين يوحيه الى عباده
وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول
عن الحق قال القاشاني لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالرسالة في
كتابه الا له وفيه تعظيمه وتمجيده علي يا ويل من قال انه يا سيد
كما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم انتهى كلامه وعلى
القشيري قال ابن عباس قالت كفار قريش لست مرسلا وما ارسلك
الله الينا فاقسم الله بالقرآن المحكم ان محمدا من المرسلين والحكيم المحكم
حتى لا يتعرض لبطلان وتناقض كما قال احكمت اياته وكذلك احكم
في نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل وقد يكون الحكيم في حق الله بمعنى

الحكم بكسر الكاف كالاليم بمعنى المؤلم على صراط مستقيم اي دين مستقيم
وهو الاسلام وقال الزجاج على طريق الانبياء الذين تقدموك قال وانك
لمن المرسلين خبر ان وانك على صراط مستقيم خبر ثان اي انك لمن المرسلين
وانك على صراط مستقيم وقيل المعنى لمن المرسلين على استقامة فيكون
قوله على صراط مستقيم من صلة المرسلين اي انك من المرسلين الذين
ارسلوا على طريقة مستقيمة كقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم
صراط الله اي الصراط الذي امر الله به قوله تعالى تنزيل
العزيز الرحيم قرا ابن عامر وحفص والاعمش وحمزة والكسائي وخلف
تنزيل بنصب اللام على المصدر اي نزل الله ذلك تنزيلا واضاف المصدر
فصار معرفة كقوله وضرب الرقاب اي ضربا للرقاب الباقون تنزيل
بالرفع على خبر ابتداء محذوف اي هو تنزيل او الذي انزل اليك تنزيل
العزيز الرحيم هذا وقرئ تنزيل بالجر على البدل من القرآن والتنزيل يرجع
الى القرآن وقيل الى النبي صلى الله عليه وسلم اي انك لمن المرسلين وانك
تنزيل العزيز الرحيم فالتنزيل على هذا بمعنى الارسال قال الله تعالى قد انزل
الله اليكم ذكرا رسولا يتلو او يقال ارسل الله المطر وانزله بمعنى ومحمد
صلى الله عليه وسلم رحمة الله انزلها من السماء من نصب قال انك لمن المرسلين
ارسالا من العزيز الرحيم والعزيز المنتقم ممن خالفه الرحيم باهل
طاعته قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم ما لا موضع
لها من الاعراب عند اكثر اهل التفسير منهم قتادة لا نافية والمعنى
لتنذر قوما ما اتى اباءهم قبلك نذير وقيل هي بمعنى الذي فالمعنى
لتنذرهم مثل ما انذر اباءهم قاله ابن عباس وعكرمة ايضا وقتادة ايضا
وقيل ان ما والفعل مصدر اي لتنذر قوما انذار اباءهم يجوز ان يكون
العرب قد بلغتهم بالتواتر اخبار الانبياء فالمعنى لم ينذروا برسول

من

من انفسهم ويجوز ان يكون هذا خطابا للقوم لما بلغهم خبر نبي وقد قال الله
وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقال
لتنذر قوما ما انذر آباؤهم من قبلك لعلهم يهتدون اي لم يأتهم نبي
وعلى قول من قال لم تكلم جميع الانبياء فالمعنى لم يأتهم رسول
عن ذلك وقيل المعرض عن الشيء انه غافل عنه وقيل هم غافلون عن
عقاب الله قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم اي وجب العذاب
على اكثرهم لانهم لا يؤمنون بانذارك وهذا فيمن سبق في علم الله انه لموت
على كفره ثم بين سبب تركهم الايمان فقال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي
تذلتني الى جهل من هشام وصاحبيه المخزومين وذلك ان ابا جهل
حلف لين رأى محمدا يصلي ليرضخن راسه بحجر فلما رآه ذهب ليرضخ بحجر
ليرميه فلما ادنا اليه رجعت يده الى عنقه والتصق الحجر بيده فقال
بن عباس وعكرمة وغيرهما فهو على هذا استعمال اي هو بمنزلة من غلت
يده الى عنقه فلما عاد الى اصحابه اخبرهم بما رأى فقال الوليد الثاني
وهو الوليد بن المغيرة انا ارضخ راسه فاتاه وهو يصلي على حالته
ليرميه بالحجر فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى
اصحابه فلم يرهم حتى ناداه فقال والله ما رأيته ولقد سمعت صوته
فقال الثالث والله لاشدخن انا راسه بالحجر وانطلق فرجع
القهقري ينكص على عقبيه حتى جثا على ركبتيه مغشيا عليه فقيل
له ما شانك قال عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه واذا فحل يخطر
بذنبه ما رأيت فحلا اعظم منه حال بيني وبينه فوالله لو دنوت منه لاكلني
فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
فهي الى الاذقان فهم مقمحون وقرأ ابن عباس انا جعلنا في ايديهم
اغلالا وقال الزجاج وقد يأتي انا جعلنا في ايديهم قال النحاس وهذا

القراءة تفسير ولا يقرأ بها مخالف المصحف وفي الكلام حذف على قراءة
الجماعة التقدير انا جعلنا في اعناقهم وفي ايديهم اغلالا فهي الى
الاذقان فهي كناية عن الايدي لا عن الاعناق والعرب تحذف مثل
هذا وتضمره سرابيل تقيكم الحر تقديره وسرابيل تقيكم البرد فحذف
لان ما وقى من الحر وقى من البرد لان الغل اذا كان في العنق فلا بد ان
يكون في اليد ولسيما وقد قال الله جل وعز فهي الى الاذقان فقد
علم انه يراد به الايدي فهم مقمحون اي رافعو رؤسهم لا يستطيعون
الاطراق لان من غلت يده الى ذقنه ارتفع راسه روى عبد الله بن لهيعة
ان علي بن ابي طالب عليه السلام اراد الافتتاح فجعل يديه تحت لحيته
والصقهما ورفع راسه قال النحاس هذا اجل ما روي فيه وهو
مأخوذ مما حكاه الاصمعي قال يقال افتحت الدابة اذا جذبت لجامها
لترفع راسها قال النحاس والقاف مبدلة من الكاف لقربها منها
كما يقال قهرته وكهرته قال الاصمعي يقال انحت الدابة اذا جذبت
عنانه حتى ينتصب راسه قال ومنه قول الشاعر والراس ملحي
ويقال انحتها واكفحتها وكبحتها هذه وحدها بالالف عن الاصمعي
وقمح البعير قموحا اذا رفع راسه عند الحوض وامتنع من الشرب
فهو بعير قامح وقمح يقال بشرب فتقمح وانقمح بمعنى اذا رفع
راسه وترك الشرب ريا وقد قالوا شربت ابلك اذا وردت ولم
تشرب ورفعت راسها من ذلك يكون هذا وبردوهي ابل مقامحه
وبعير مقامح وناقة مقامح ايضا والجمع مقاميح على غير قياس مثل
بيشر يصف سفينة ونخن على جوانبها قعود نعض الطرق الابل القماح
والافتتاح رفع الراس وغض البصر يقال افتتح الفحل اذا ترك
راسه مرفوعا من ضيقه وشهر افتتاح اشد ما يكون من البرد وهما

الكافرون ان سميا بذلك لان الابل اذا وردت آذانها برد الماء فقامت وسمها
ومنه اقتحمت السويق وقيل هو مثل ضربه الله تعالى لهم في امتناعهم
من الهدى كامتناع المغلول قاله يحيى بن سلام وابو عبيدة وكما يقال
اي
فلان حمار لا يبصر الهدى وكما قال لقم عن الرشد اعتال وكما قال
وفي الخبر ان اباذويب كان يهوى امرأة في الجاهلية فلما اسلم راودته
فابى وانشا يقول

فليس لعهد الدار يا ام مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

وعلاه الفتى كالكهل ليس بقايل سوى العدل شيئا فاستراح العواذل

اراد منعناهم موانع الاسلام عن تعاطي الزنا والعشق وقال الفراء
ايضا هذا ضرب مثل اي حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله وهو
كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وقاله الضحاك
وقيل ان هذا ولاء وانى الاستكبار عن الحق كمن جعل في يده غل
فجمعت الى عنقه فبقي رافعا راسه لا يخفضه وغاضا بصره
لا يفتحه والمتكبر يوصف بانتصاب العنق وقال الازهري ان
ايديهم لما غلت عند اعتناقهم رفعت الاغلال اذقانهم ورؤسهم
صعدا كالابل ترفع رؤسها وهذا المنع يخلق الكفر في قلوب الكفار
وعند قوم يستلبهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم وقيل الاية اخبار
عما يفعل بهم يوم القيامة في النار من وضع الاغلال في اعناقهم
والسلاسل واخبر عنه بلفظ الماضي لانه متحقق من يقدم تفسيره
وقال مجاهد مقمحون مغلولون عن كل خير وقوله تعالى
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا قال مقاتل لما غلت
ابو جهل الى اصحابه ولم يصل الى النبي صلى الله عليه وسلم وسمعه
انه يقول
انه ان رآه احد الحجر رجل احمر من بني مخزوم وقال لئن اقبل علينا
لاشدخن رأسه بالحجر فلما دنى من النبي صلى الله عليه وسلم طمس الله على بصره فلم
يره فجعل يسمع صوته ولا يراه فجعل يقول ان محمدا لساحر او مجنون
صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه فقام يمشي
الاية وقال محمد بن اسحق في روايته جلس عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو جهل وامية بن خلف يراصدون النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغوا
من اذاه فخرج عليهم عليه السلام وهو يقرأ يس وفي يده تراب فرماهم
به وقد اوجعلنا من بين ايديهم سدا فاطرقوا حتى مر عليهم عليه السلام
وقد مضى هذا في سورة سبحان ومضى في الكهف الكلام في سدا بضم
السين وفتحها وهما لغتان فاغشيناهم اي غطينا ابصارهم وقد
مضى في اول البقرة وقرا ابن عباس وعكرمة ويحيى بن يعمر فاغشيناهم
بالعين غير معجمة من العشا في العين وهو ضعف بصره حتى لا يبصر بالليل
قال متى تاته تعشو الى ضوء ناره وقال تعالى ومن يعش عن ذكر
الرحمن الاية والمعنى متقارب والمعنى اعميناهم فهم لا
ومن الحوادث لا ابالك انني ضربت علي الارض بالاسداد
لا اهتدي فيها لموضع تلعة بين العذيب وبين ارض مراد
فهم لا يبصرون اي الهدى قاله قتادة وقيل محمد حين ائتمروا على قتله
وقال الضحاك وجعلنا من بين ايديهم سدا اي الدنيا ومن خلفهم سدا
اي الاخرة اي عموا عن البعث وعموا عن قبول الشرايع في الدنيا
قال الله تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم
اي زينوا لهم الدنيا ودعوهم الى التكذيب بالاخرة وقيل على هذا
من بين ايديهم سدا اي اغتروا بالدنيا ومن خلفهم سدا اي كذبوا
بالبعث وقيل ما بين ايديهم الاخرة وما خلفهم الدنيا وسواء عليهم
انذرتهم الخ لما تتدرهم لا يؤمنون تقدم في البقرة والاية رد على
القدرية الذين ينكرون علم الله بالاشياء قبل كونها وعن ابن شهاب ان عمر بن عبد العزيز احضر غيلان
القدري وغيره

القدري فقال يا غيلان لعلي انك تتكلم بالقدر فقال لعمر بن علي يا امير
المومنين ثم قال يا امير المومنين ارايت قول الله تعالى انا خلقنا الانسان
من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل
اما شاكرا واما كفورا فقال اقرا يا غيلان فقرا حتى انتهى الى قوله
شاء اتخذ الى ربه سبيلا فقال اذا فقال وما تشاءون الا ان يشاء الله
فقال والله يا امير المومنين ان شئت ان هذا في كتاب الله قط فقال
له يا غيلان اقرا اول سوره بين فقرا حتى بلغ وسواء عليهم آانذرتهم
أم لم تنذرهم لا يومنون فقال غيلان والله يا امير المومنين لكاني
لم اقرا هاقط قبل اليوم اشهد يا امير المومنين اني تايب فقال عمر
اللهم ان كان صادقا فتب عليه وثبته وان كان كاذبا فسلط عليه
من لا يرحمه واجعله ايه للمومنين فاخذه هشام فقطع يديه ورجليه
وصلبه قال بن عون فانا رايته مصلوبا على باب دمشق قلنا
ما شانك يا غيلان فقال اصابتني دعوة الرجل الصالح عمر بن عبد
العزيز قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر يعني القران
وعمل به وخشي الرحمن بالغيب اي ما غاب من عذابه وناره
قاله قتاده وقيل اي خشاه في مغيبه على ابصار الناس وانفراده
بنفسه فليبشره بمغفرة واجر كريم الجنه قوله تعالى
انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وفيه بلغات مسائل
الاولى قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى اخبر تعالى باحياء الموتى
ردا على الكفره وقال الضحاك والحسن اي نحييهم بالايمان بعد
الجهل والاول اظهر اي نخبرهم بالبعث للجزاء ونوعدهم بذكره
بذكره كتب الاثار وهي الثانيه واحصائل شيء وكل ما يحصى
الانسان قال قتاده معناه من عمل وقاله مجاهد ومن وجد في صحيفته

قوله

اي لذنبه؟

قوله علمت نفس ما قدمت واخرت وقوله ينبأ الانسان يومئذ بما
قدم واخر وقال لعمر والله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فانظر المرء
التي يبقى وتدل بعد الانسان من خير او شر يجازى عليها من احسن
كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس حبسوه او بناء بنوه من
مسجد او رباط او قنطره او لحو ذلك او سبيل اجراه او ظبيه وقفها
بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها لحبسهم وشبي
احدث فيه صد عن ذكر الله من الخمر وملاهيه وكذلك كل بدعة حسنة
او سيئة يستن بها وقيل هي اثار المشائين الى المساجد وعلى هذا
المعنى تاول الايه عمرو بن عباس وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ايضا
ان معنى اثارهم خطاهم الى المساجد قال النحاس وهو اولى ما قيل
فيه لانه قال في الايه نزلت في ذلك لان الانصار كانت منازلهم
بعيده من المسجد وفي الحديث مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال يكتب له برجل حسنة ويحط عنه برجل سيئة ذاهبا
وراجعا اذا خرج الى المسجد قال الشيخ المصنف رحمه الله وفي
الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال كانت بنو سلمة في ناحيه
المدينه فاردوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الايه انا نحن
نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اثاركم تكتب فلم ينتقلوا قال هذا حديث غريب من حديث
الثوري وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا
الى قرب المسجد فكره البقاع خاليه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا بني سلمة دياركم تكتب اثاركم دياركم تكتب اثاركم
فقالوا ما كان يسرنا انا كنا حولنا وقال ابو البختري مشيت
مع ابن بن مالك الى الصلاة فاسرعت فحبسني فلما انقضت

الصلاة قال مشيت مع النبي صلى الله عليه وسلم فاسرعت فحبسني
فلما انقضت الصلاة قال لما علمت ان الاثار تكتب فهذا احتجاج
بالاية وقال قتاده ومجاهد ايضا والحسن الاثار في هذه الاية الخطا
وحكى الثعلبي عن انس انه قال الاثار هي الخطا الى الجمعة وواحد الاثار
اثر ويقال اثر الشاة في هذه الاحاديث المفسره لمعنى الاية دليل
على ان البعد من المسجد افضل فلو كان لجوار مسجد فهل له ان يجاوزه
الى الابعد اختلف فيه فروي عن انس انه كان لها وز المحدث الى القذاة
وروي عن غيره الابعد فالابعد من المسجد اعظم اجرا وكره الحسن
وغيره هذا وقال لا يدع مسجدا قربه ويأتي غيره وهذا مذهب ملك
وفي خطى مسجده الى مسجده الاعظم فوكان وخرج بن ماجه من حديث
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل
في بيته بصلاة وصلاته في مسجد القبايل بخمس وعشرين صلاة
وصلاة في المسجد الذي يجمع فيه بخمس مايه صلاة الرابعه
ديارهم منصوب على الاغراء اي الزموا وتكتب جزم على جواب
ذلك الامر وكل نصب بفعل مضمر يدل عليه احصيناه كانه
قال واحصينا كل شيء احصيناه ويجوز رفعه بالابتدا الا ان نصبه
اولى ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل وهو قول
الخليل وسيبويه والامام الكتاب المقتدى به الذي هو حجة وقال
مجاهد وقتاده وبن زيد اراد اللوح المحفوظ وقالت فرقة اراد
صحايف الاعمال قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب
القريه اذ جاها المرسلون هذه القريه هي انطاكيه في قول جميع
المفسرين فيما ذكر الماوردي نسبت الى انطيس وهو اسم
الذي بناها ثم غيرت لما عربت ذكره السهيلي وقال فيها انتاكيه

بالتا بدل الطا وكان بها فرعون يقال له انطيخس بن انطيخس بن عبد
الاصنام ذكره الهدوي وحكاه ابو جعفر النحاس عن كعب ووهب
فارسل الله اليه ثلثه وهم صادق وصدوق وشلوم هو الثالث
هذا قول الطبري وشمعون ويوحنا وحكى الثعلبي شمعون ويحيى
ولم يذكر اصادقا ولا صدوقا وجوز ان يكون مثلا واصحاب القريه
مفعولين لاضرب واصحاب القريه بدلا من مثلا اي اضرب لهم
مثل اصحاب القريه فحذف المضاف واقر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار
هما ولا المشركين ان يحل بهم ما حل بكفار اهل القريه المبعوث اليهم
ثلاثه رسل قيل رسل من الله على الابتدا وقيل ان عيسى بعثهما الى
انطاكيه للدعا الى الله وهو قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين واضاف
الارسال ذلك الى نفسه لان عيسى ارسلهما بامر الرب وكان ذلك
حين رفع عيسى الى السما فكذبوهما فلما ضربوهما وسجنوهما
فعززنا بثالث اي قوينا وشددنا الرسالة بثالث وقرا ابو بكر
عن عاصم فعززنا بثالث بالتخفيف وشدد الباقون قال الجوهري
وقوله تعالى فعززنا بثالث انشدني فيه ابو عمرو بن العلا للعلاس

اجدك اذا رحلت تعز لحمها اذا تشد بشزنها لا تشلس

اي لا ترغوا فعلى هذا تكون القراتان بمعنى قيل التخفيف بمعنى غلبنا
وقهرنا ومنه وعزني في الخطاب والتشديد بمعنى قوينا وكثرنا
وفي القصه ان عيسى ارسل اليهم فلقيا شيخا يرعى غنيمات له وهو
حبيب النجار صاحب ياسين فدعوه الى الله وقالا نحن رسل عيسى ندعوكم
الى عبادة الله فطالبهما بالمعجزه فقالا نحن نشفي المرضى وكان له ابن مجنون
وقيل مريض على الفراش فمسحاه فقام باذن الله صحيحا فامن الرجل
بالله وقيل هو الذي جا من اقصى المدينه يسعى فشفيا امره
وشفيا كثيرا من المرضى وارسل الملك اليهما وكان يعبد الاصنام

بستخبرها فقالا لخرسولا عيسى ما أبتكما فلا نبرئ الاكمه
والابرص ونبرئ السقيم باذن الله وندعوك الى عبادة الله وحده
فهم الملك بضربهما وقال هب حبسهما الليلة وجلدها مائة
جلدة فاشتغل الخبر الى عيسى فارسل الينا قبل شمعون الصفا
رأس الحواريين لينصرهما فعاشرحاشية الملك حتى تمكن
منهم واستانسوا به ورفعوا حديثه الى الملك فانس به واظهر
موافقته في دينه فرضي الملك طريقته ثم قال يوما للملك
بلغني انك حبست رجلين دعواك الى الله فلو سالت عنهما
ما وراءهما فقال الغضب حال بيني وبين سؤالهما قال فلو احضرتهما
فامر بذلك فقال لهما شمعون ما برهانكما على ما تدعيان فقالا
نبرئ الاكمه والابرص فجيء بغلام ممسوح العينين موضع عينيه
كالجبهة فدعوا ربهما فانشق موضع البصر فاخذا بندقتين طينا
فوضعاهما في حدقتيه فصار تا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك
وقال ازهما هنا غلاما مات منذ سبعة ايام ولم ادفنه حتى
يجيء ابوه فهل تحييه ربكما فدعوا الله علانيته ودعا شمعون
علانيته سرا فقام استوى حيا فقال للناس اني متُّ منذ سبعة
ايام فوجدت مشركا فادخلت في سبعة اودية من النار
فاحذركم ما انتم فيه فآمنوا بالله ثم فتحت ابواب السما فرايت
شابا حسن الوجه يشفع لهما ولا الا له شمعون وصاحبيه
حتى احياني الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان عيسى روح الله وكلمته وانها ولاهم رسل الله فقالوا له وهذا
شمعون ايضا معهم قال نعم وهو افضلهم فاعلمهم شمعون
انه رسول المسيح اليهم فاثر قوله في الملك ودعاه الى الله
فامن الملك فقوم لتبروكفر اخرون وحتى اشتهر ان الملك

آمن لدعوة صاحبه وصاح جبريل عليه السلام صيحة مات كل
من بقي منهم من الكفار وروي ان عيسى لما امرهم ان يذهبوا الى
تلك القرية قالوا يا نبي الله انا لا نعرف ان نتكلم بالسنتهم ولغاتهم
فدعا الله لهم فتاموا بكلامهم فعبروا من منهم وقد حملتهم
الملايكة فالقتهم بارض انطاكية فكلم كل واحد منهم صاحبه
بلغة القوم فذلك قوله وايدناه بروح القدس فقالوا جميعا
انا اليكم مرسلون فقالوا ما انتم الا بشر مثلنا ما لهؤلاء الطعام
ويمشون في الاسواق وما انزل الرحمن من شيء امر به ولا ينهى
عنه ان انتم الا تكذبون فذهبوا فدعوا كم الرسالة فقالوا ربنا يعلم
انا اليكم لمرسلون وان كذبتمونا وما علينا الا البلاغ المبين في
ان الله واحد فقالوا لهم انا تطيرنا اي تشاءمنا بكم لما نقاسي
حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشومكم وبقال
انهم اقاموا يبشرونهم عشر سنين فقالوا هذا بشومكم ليس
لم تنتهوا اي عن انذارنا لنرجمنكم قال الفراء لنقتلنكم قال وعامة
ما في القرآن من الرجم معناه القتل وقال قتاده على ما به من الرجم
بالحجارة وقيل لنشتمنكم وقد تقدم جميعه وليمسنكم منا
عذاب اليم قيل هو القتل وقيل التعذيب الموجع قبل القتل بالسلخ
والقطع والصلب فقالت الرسل طائركم معكم اي شؤمكم معكم
اي حظكم من الخير والشر معكم ولازم في اعناقكم وليس هو
من شؤمنا قال معناه الضحاك وقال قتاده اعمالكم معكم ابن
عباس معناه الارزاق والاقدار تبعكم الفراء طائركم معكم رزقكم
وعملكم والمعنى واحد وقد الحسن الخير كم اي تطيركم ان
ذكرتم قال قتاده ان ذكرتم تطيرتم وفيه تسع اوجه من

القرات قرا اهل المدينه آين ذكرتم بتخفيف الهمزه الثانيه
وقرا اهل الكوفه آإن ذكرتم بتحقيق الهمزتين والوجه الثالث
آإن ذكرتم بهمزتين بينهما الف ادخلت الالف فراهة للجمع
بين الهمزتين والوجه الرابع ١١ ان بهمزه بعدها الف وبعد الالف
همزه مخففه والقراة الخامسه ١١ ان بهمزتين مفتوحتين بينهما
الف والوجه السادس آأن بهمزتين محققتين مفتوحتين
وحكى الفراء ان هذه قراة ابى زيد قال الشيخ المصنف رحمه الله
وحكاها الثعلبى عن زر بن حبيش وابن السميفع وقرا عيسى
بن عمر والحسن البصرى قالوا طايركم معكم آين ذكرتم بمعنى حيث
وقرا زيد بن الصقاع والحسن وطلحة ذكرتم بالتخفيف
ذكر جميعه النحاس وذكر الهدوى عن طلحة بن مصرف وعيسى
الهمدانى آن ذكرتم بالمد على ان همزه الاستفهام دخلت
على همزه مفتوحه الباقون آئن ذكرتم بهمزه واحده
مفتوحه فهذه تسع قرات وقرا بن هرمز طيركم معكم ان
ذكرتم اى لئن وعظتم وهو كلام مستانف اى لئن وعظتم تطيرتم
وقيل انما تطيروا لما بلغهم ان كل نبى دعا قومه فلم يجيبوه كان
عاقبة قومه الهلاك بل انتم قوم مسرفون قال قتاده مسرفون
فى تطيركم يحيى بن سلام مسرفون فى كفركم وقال بن الزجر السرف ههنا
الفساد ومعناه بل انتم قوم مفسدون وقيل مسرفون مشركون
والاسراف مجاوزة الحد والشرك مجاوز الحد قوله تعالى
وجاء رجل من اقصى المدينه هو حبيب بن مرى وكان نجارا وقيل
اسكافا وقيل قصارا وقال بن عباس ومجاهد ومقاتل هو حبيب
بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن امن بالنبى صلى الله

عليه وسلم وبينهما ستمايه سنه كما امن به تبع الاكبر وورقة
بن نوفل وغيرهما ولم يومن بنبى احد الا بعد ظهوره قال وهب وكان
حبيب مجذوما ومنزله عند اقصى باب من ابواب المدينه وكان
عكف على عبادة الاصنام سبعين سنه يدعوهم لعلهم يرحمونه
ويكشفون ضره فما استجابوا له فلما ابصر الرسل دعوه الى عبادة
الله فقال هل من ايه قالوا نعم ندعو ربنا القادر فيفرج عنك ما
بك فقال من هذا لعجب ادعوا هذه الالة سبعين سنة تفرج
عنى فلم تستطيع فرجه ربكم فى غداة واحدة قالوا نعم ربنا
على ما يشا قدير وهذه لا تنفع شيا ولا تضر فآمن ودعوا ربهم
فكشف الله ما به كان لم يكن به باس فجيد اقبل على التكسب
فاذا امسى تصدق بكسبه فاطعم عياله نصفا وتصدق
بنصف فلما هم قومه بقتل الرسل جاءهم فقال يا قوم اتبعوا
المرسلين لايه وقال قتاده كان بعبد الله فى غار فلما سمع
بخبر المرسلين جا يسعى فقال للرسلين اتطلبون على ما جيتم
به اجرا قالوا لا ما اجرنا الا على الله قال ابو العاليه فاعتقد
صدقهم وآمن بهم واقبل على قومه فقال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسالكم اجرا اى لو كانوا متهمين لطلبوا منكم المال
وهم مهتدون فاهتدوا بهم ومالى لا اعبد الذى فطرنى قال
قتاده قال له قومه انت على دينهم فقال ومالى لا اعبد الذى
فطرنى اى خلقنى واليه ترجعون وهذا احتجاج منه عليهم
واضاف الفطرة الى نفسه لان ذلك نعمة عليه توجب الشكر
والبعث اليهم لان ذلك وعيد يقتضى الزجر فكان اضافة
النعمة الى نفسه اظهر شكرا واضافة البعث الى الكافر

ابلغ اتواه آتخذ من دونه الهة يعني اصناما ان يردني الرحمن بضر
يعني ما اصابه من السقم لا تغني عني شفاعتهم شيا ولا ينقذون
يخلصوني مما انا فيه من البلا اني اذا يعني ان فعلت ذلك لفي ضلال
مبين اي خسران ظاهر اني امنت بربكم فاسمعون قال ابن مسعود
خاطب الرسل بانه مومن بالله ربهم ومعنى فاسمعون اي فاشهدوا
اي كونوا شهودي بالايمان وقال كعب دوسب انما قال ذلك
لقومه اني امنت بربكم الذي كفرتم به وقيل انه لما قال لقومه
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسلم اجرا رفعوه الى الملك
وقالوا قد تبعت عدونا فطول لهم الكلام ليشغلهم بذلك
عن قتل الرسل الى ان قال اني امنت بربكم فوثبوا عليه فقتلوه
قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم حتى خرج قصبة من دبره
والقي في بير وهي الرس وهم اصحاب الرس في رواية انهم قتلوا
الرسل اتاته وقال السدي رموه بالحجارة وهو يقول اللهم
اهد قومي حتى قتلوه وقال الكلبي حفروا حفرة وجعلوه فيها
وردموا فوقه التراب فمات ردما وقال الحسن خرقوا خرقا
وعلقوه من سور المدينة وقبره في سور انطاكية حكاه الثعلبي
وقال القشيري وقال الحسن لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله
الى السماء فهو في الجنة لا يموت الا بفناء السماء هلاك الجنة
فاذا اعاد الله الجنة ادخلها وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج
من بين رجليه فوالله ما خرجت روحه الا في الجنة فدخلها
فذلك قوله قيل ادخل الجنة فلما شاهدها قال يا ليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي اي بغفران ربي لي فما مع الفعل بمنزلة
المصدر وقيل بمعنى الذي والعايد من الصلة محذوف ويجوز

ان يكون استفهاما فيه معنى التعجب كانه قال بم غفر لي ربي
باي شي غفر لي ربي قال الفراء واعترضه الكسائي فقال هذا
هذا لقال بم من غير الف وقال الفراء يجوز ان يقال هو في معنى
استفهام وانشد فيه ابيات ثم قال الزمخشري وهو على حذف
الالف اجود وان كان اثباتها جايزا قال وقد علمت بهذا
هذا وهم صنعت الهدوي واثبات الالف في لا استفهام
قليل فيوقف على هذا على يعلمون وقال جماعة معنى قيل ادخل الجنة
وجبت له الجنة فهو خبر بانه قد استحق دخول الجنة لان من
يستحق بعد البعث قال الشيخ الصفي رحمه الله والظاهر
من الاية انه لما قيل له ادخل الجنة قال فعاد روحه الى
الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون على ما تقدم
في ال عمران بيانه والله اعلم قوله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون
مرتب على تقدير سوال سايل عما وجد من قوله عند ذلك نعم
العظيم الذي هو ما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقرئ
المكرمين في معنى تبيينه قولان احدهما انه تمنى ان يعلم
نجاته ليعلم احسن ما له وحيد عاقبته التي هي بذلك
ليومنوا مثل ايمانه فيصيروا الى مثل حاله قال ابن عباس يتمنى قومه
حيا وميتا رفعه القشيري فقال وفي الخبر انه عليه السلام
قال في هذه الاية نصح لهم في حياته وبعد موته وقال ابن
قتيبة يستباق الامم تلسه لم يظفروا بالله طرفة عين على ما ظفر
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو افضلهم وهو من اكرم وصلت
بين فهم الصديقون ذكره الزمخشري وهو ما غفر لرسول الله

صلى الله عليه وسلم وفي هذه الاية تنبيه عظيم ودلالة على
وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والتؤدة على من
على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه
والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعا
عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباعث له الغوايل وهم
كفرة عبدة اصنام فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل النقمة
على قومه فامر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن اخرهم فذلك
قوله وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا
منزلين اي ما انزلنا عليهم من رسالة ولا نبي بعد قتله قاله مقاتل
قتاده ومجاهد والحسن قال الحسن الجند الملايكة النازلون
بالوحي على الانبياء وقيل الجند العساكر اي لم احتج في هلاكهم
الى ان انزل جنودا ولا جيوشا ولا عساكر بل اهلكتهم بصيحة
واحدة قال معناه ابن مسعود وغيره فقوله وما كنا منزلين على
ما كان قبلهم الزمخشري فان قلت فلم انزل الجنود من السما
يوم بدر والخندق فقال تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا
لم تروها وقال الف من الملايكة مردفين بثلاثة الاف من
الملايكة خمسين منزلين خمسة الاف من الملايكة مسومين
قلت انما كان يكفي ملك واحد فقد اهلك مدائن قوم لوط
بريشة من جناح جبريل عليه السلام وبلاد ثمود وقوم صالح
بصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شي على
كبار الانبياء واولي العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار
واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوته احدا فمن
ذلك انه انزل له جنودا من السما وكانه اشار بقوله وما انزلنا

وما كنا منزلين الى انزال الجنود من عظايم الامور التي لا يؤهل
لها الا مثلك وما كنا نفعل غيرك ان كانت الاصيحة واحدة
قراة العامة صيحة واحدة بالنصب على تقدير ما كانت
بالرفع عقوبتهم الا صيحة واحدة وقرا ابن جعفر بن القعقاع وشيبه
والاعمش صيحة هما وفي قوله ان كانت الا صيحة واحدة
فاذا هم جميع جعلوا الكون بمعنى الوقوع والحدوث فكانه
قال ما وقعت عليهم الا صيحة واحدة وانكر هذه القراة ابو
حاتم وكثير من النحويين بسبب التانيث فهو ضعيف كما
تقول ما قامت الا هند ضعيفا من حيث كان المعنى ما قام
احد الا هند قال ابو حاتم فلو [illegible] كان كما قرا ابو جعفر
لقال ان كان الا صيحة قال النحاس لا يمتنع شي من هذا تقول ما
جاءتني الا جاريتك بمعنى ما جاءتني امراة او جارية الا جاريتك
والتقدير في القراة بالرفع ما قاله ابو اسحق قال المعنى ان كانت
عليهم صيحة الا صيحة واحدة وقدره غيره ما وقعت عليهم
الا صيحة واحدة وكان بمعنى وقع في دار الدوب كثير وقرا
عبد الرحمن الاسود وشقيق الا زقية واحدة وهذا مخالف للمصحف ايضا فان اللغة
المعروفة زقا يزقو اذا صاح فكان يجب على هذا ان يكون
زقوة ذكره النحاس قال الشيخ المصنف رحمه الله وقال الجوهري
الزقو والزقي مصدر وقد زقى الصدا يزقو زقاء اي صاح
وكل صايح زاق والزقية الصيحة تشبيها بالزماد
الخامد وقال قتاده هلكى والمعنى واحد قوله تعالى
يا حسرة على العباد منصوب لانه نداء نكره ولا يجوز فيه

كثير

ومنه المثل
اثقل من الزقاء
الزقاء

املكت

غير النصب عند البصريين وفي حرف أبي ياحسرة العباد
على الاضافة وحقيقة الحسرة في اللغة ان يلحق الانسان من الندم
ما يصير به حسيرا وزعم الفراء ان اختيار النصب وانه لو
رفعت النكرة الموصولة بالصلة كان صوابا وأستشهد
بأشياء منها انه سمع من العرب يامهتم بامرنا لا تهتم وانشد
يا دار غيرها البلى بقفر قال النحاس وفي هذا ابطال باب
النداء اكثره لانه يرفع النكرة المحضة ويرفع ما هو بمنزلة
المضاف في قوله وحذف التنوين متوسطا ويرفع ما هو في
المعنى مفعول بغير علة أوجبت ذلك فاما ما حكاه عن العرب
فلا يشبه ما اجازه لان تقديره يامهتم بامرنا لا تهتم علي
التقديم والتاخير والمعنى يا ايها المهتم لا تهتم بامرنا وتقدير
البيت يا ايها الدار ثم حول المخاطبة اي يا هذا ولا غير هذا
الدار البلى كما قال الله جل وعز حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
فحسرة منصوب في النداء كما تقول يا رجلا اقبل ومعنى النداء هذا
موضع حضور الحسرة الطبري المعنى يا حسرة من العباد علي
انفسهم وتندما وتلهفا في استنزالهم برسل الله عليهم السلام
ابن عباس يا حسرة علي العباد اي يا ويلا علي العباد وعنه ايضا
حلها ولا محل من يحشر عليهم وروى الربيع عن انس عن ابي
العالية ان العباد ها هنا الرسل وذلك ان الكفار لما رأوا
العذاب قالوا يا حسرة علي العباد فتحسروا علي قتلهم وتركهم
الايمان بهم فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم الايمان وقاله
مجاهد وقال الضحاك انها حسرة الملائكة علي الكفار حين
كذبوا الرسل وقيل يا حسرة علي العباد من قوم الرجل

ما
يا صاح

يا ايتها

بانه في قراءة من مضى والمرواح

الذي جاء من اقصى المدينة يسعى لما وثب القوم لقتله وقيل ان الرسل
الثلاثة هم الذين قالوا لما قتل القوم ذلك الرجل الذي جاء من اقصى
المدينة وحل بالقوم العذاب يا حسرة علي ها ولا ائتهم تنوا
ان يكونوا قد امنوا وقيل هذا من قول الله للقوم قالوا لما قتلوا الرجل
وفارقهم الرسل او قتلوا الرجل مع الرسل الثلاثة علي اختلاف
الروايات يا حسرة علي ها ولا الرسل وعلي هذا الرجل لشنا
اعمالهم في الوقت الذي ينفع الايمان ثم الكلام علي هذا
ثم ابتدأ فقال ما ياتيهم من رسول وقرأ ابن هرمز ومسلم بن
جندب وعكرمة يا حسرة علي العباد بسكون الها للحرص
علي البيان وتقدير المعنى في النفس اذ كان موضع وعظ وتنبيه
والعرب تفعل ذلك في مثله وان لم يكن موضعا للوقف ومن
ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقطع قراءته
حرفا حرفا حرصا علي البيان والافهام ويجوز ان يكون علي
العباد متعلقا بمحذوف بالحسرة ويجوز ان يكون متعلقا
بمحذوف لا بالحسرة فكانه قدر الوقف علي الحسرة فاسكن
الها ثم قال علي العباد اي التحسر علي العباد وعن ابن عباس
والضحاك وغيرها يا حسرة العباد مضاف فحذف علي وهو
خلاف المصحف وجاز ان يكون من باب الاضافة الي المفعول
فيكون العباد مفعولين فكان العباد يتحسر عليهم من يشفق
عليهم وقراة من قرا يا حسرة علي العباد مقوية لهذا المعنى
قوله تعالي الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون
انهم اليهم لا يرجعون قال يسيبويه ان شئت جعلت من للتوكيد والمعنى الم
يروا من اهلكنا والوجه الاخر ان تجعلها في موضع نصب

يا ملكنا قال النحاس القول الاول محال لان كم لا تعمل فيما قبلها
لانها استفهام ومحال ان يدخل الاستفهام في خبر ما قبله
وكذا حكمها اذا كانت خبرا وان كان سيبويه قد اومى الى بعض
هذا فجعل انهم بدلا منكم وقد رد ذلك محمد بن يزيد اشد رد
وقالوا كم في موضع نصب والمعنى عنده بانهم اي الم يروا كم اهلكنا
قبلهم من القرون بالاستيصال قال والدليل على هذا انها في قراءة
عبد الله من اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وقرا
الحسن انهم اليهم لا يرجعون بكسر الهمزة على الاستيناف وهذه
الاية رد على من زعم ان من الخلق من يرجع قبل القيامة بعد الموت
وان كلهم جميع لدينا محضرون بريد يوم القيامة للجزاء وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة وان كلا لما بتشديد لما وخفف
الباقون فان مخففة من الثقيلة وما بعدها مرفوع بالابتدا
وما بعده الخبر وبطل عملها حين تغير لفظها ولزمت اللام
في الخبر فرقا بينها وبين ان التي بمعنى ما وما عند ابي عبيدة زائدة
والتقدير عنده وان كلهم جميع قال الفراء من شدد جعل
لما بمعنى الا وان بمعنى ما اي ما كل الا جميع كقوله ان
هو الا رجل به جنة وحكى سيبويه في قوله سألتك بالله
لما فعلت وزعم الكسائي انه لا يعرف هذا وقد مضى هذا
المعنى في هود وفي حرف ابي وان منهم الا جميع لدينا محضرون
قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها بين الله
تعالى بهذا على احيا الموتى وذكرهم توحيده وكمال
قدرته وفي الارض الميتة احياها بالنبات واخراج الحب
منها فمنه اي من الحب ياكلون وبه يتغذون وشدد اهل

المدينة الميتة وخفف الباقون وقد تقدم وجعلنا فيها
اي في الارض جنات اي بساتين من نخيل واعناب وخصهما
بالذكر لانهما أعلى الثمار وفجرنا فيها من العيون اي في
البساتين ليأكلوا من ثمره الها في ثمره تعود على ما العيون لان
الثمر منه اندرج قاله الجرجاني والمهدوي وغيرهما وقيل اي
ليأكلوا من ثمر ما ذكرنا كما قال ان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونه وقراحمزة والكسائي من ثمره بضم الثاء والميم وفتحها
الباقون وعن الاعمش ضم الثاء واسكان الميم وقد مضى الكلام
فيه في الانعام وما عملته ايديهم ما في موضع خفض على
العطف على من ثمره اي وما عملته ايديهم وقرأ الكوفيون
وما عملت بغير ها الباقون عملته على الاصل من غير حذف
وحذف الصلة ايضا في الدار كثير لطول الاسم ويجوز ان تكون
ما نافية لا موضع لها فلا تحتاج الى صلة ولا راجع اي ولم تعمله
ايديهم من الزرع الذي انبته الله لهم وهذا قول ابن عباس والضحاك
ومقاتل وقال غيرهم المعنى ومن الذي عملته ايديهم اي من الغار ومن
اصناف الحلاوات والاطعمة وما اتخذوا من الحبوب بعلاج
كالخبز والادهن المستخرج من السمسم والزيتون وقيل يرجع ذلك
الى ما يغرسه الناس روي معناه عن ابن عباس ايضا افلا يشكرون
نعمهم قوله تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها تنزيه نفسه
سبحانه عن قول الكفار اذ عبدوا غيره مع ما اراه من نعمه واثار قدرته
وفيه تقدير الامر اي سبحوه وننزهوه عما لا يليق به وقيل فيه معنى
التعجب اي عجبا لهم ولا في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه
الايات ومن تعجب من شيء قال سبحان الله والازواج الانواع

والاصناف فكل صنف زوج لانه مختلف في الالوان والطعوم والاشكال
والصغر والكبر فاختلافها هو ازدواجها وقال قتادة يعني الذكر
والانثى مما تنبته الارض يعني من النبات لانه اصناف ومن انفسهم
يعني وخلق منهم اولادا وازواجا ذكورا واناثا ومما لا يعلمون
اي من اصناف خلقه في البر والبحر والسماء والارض ثم يجوز ان يكون
ما لم يخلقه لا يعلمه البشر ولا تعلمه الملائكة ويجوز ان لا يعلمه
مخلوق ووجه الاستدلال في الآية انه اذا انفرد بالخلق والانشاء
ان يشرك به قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
اي وعلامة دالة على توحيد الله تعالى وقدرته ووجوب الهيته
والسلخ الكشط والنزع يقال سلخت الله من ذبيحته ثم يستعمل
بمعنى الاخراج وقد جعل ذهاب الضوء وبحيئ الظلمة كالسلخ
من الشيء وظهور المسلوخ فيه استعارة ومطلوب داخلون في
الظلام يقال اظلمنا اي دخلنا في ظلام الليل واظهرنا دخلنا
في وقت الظهر وكذلك اصبحنا واضحينا وامسينا وقيل منه
بمعنى عنه والمعنى نسلخ عنه ضياء النهار فاذا هم مظلمون اي في
ظلمة لان ضوء النهار يتداخل في الليل فيضيء فاذا خرج منه
اظلم قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها يجوز ان يكون
بتقديره وآية لهم الشمس ويجوز ان يكون الشمس مرفوعا باضمار
فعل يفسره الثاني ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتدا تجري
في موضع الخبر اي جارية وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل والشمس تجري
لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفيه عن ابي ذر قال
النبي صلى الله عليه وسلم قال وما تدرون اين تذهب هذه الشمس

قالوا الله ورسوله اعلم قال انها هذه تجري حتى تنتهي الى مستقرها
تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي
ارجعي من حيث شئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها
ثم تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة
فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت
فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا
حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فيقال لها ارتفعي اصبحي
طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تدرون متى ذلكم حين لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولفظ البخاري
عن ابي ذر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت
الشمس تدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب
حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان
تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من
حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس تجري
لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ولفظ الترمذي
عن ابي ذر قال دخلت المسجد حين غابت الشمس والنبي صلى الله
عليه وسلم جالس فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اتدري
اين تذهب هذه قال قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب
فتستاذن في السجود فيؤذن لها وكانها قد قيل لها اطلعي من
حيث جئت فتطلع من مغربها ثم قرأ وذلك مستقر لها
قال وذلك قراءة عبد الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح
وقال علامة ان الشمس اذا غربت دخلت بحرا تحت العرش

تسبح الله حتى تصبح فاذا اصبحت استعفت ربها من الخروج
فيقول لها الرب تبارك وتعالى ولم ذلك قالت انى اذا
خرجت عبدت من دونك فيقول الرب تبارك وتعالى اخرجي
فليس عليك من ذلك شيء سابعث اليهم جهنم مع سبعين
الف ملك يقودونها حتى يدخلونهم فيها وقال الكلبي وغيره
المعنى تجري الى ابعد منازلها في الغروب حتى ترجع الى ادنى
منازلها فمستقرها بلوغها الموضع الذي لا تجاوزه بل
ترجع منه كالانسان تقطع مسافة حتى يبلغ اقصى مقصوده
فينقضي طوره ثم يرجع الى منزله الاول الذي ابتدا منه سفره
وعلى تبلغ الشمس اقصى منازلها وهو مستقرها اذا
طلعت المنجمة وذلك اليوم اطول الايام في السنة وتلك
الليلة اقصر الليالي فالنهار خمسة عشر ساعة والليل
تسع ساعات ثم ياخذ في النقصان وترجع الى الشمس
فاذا طلعت التريا استوى الليل والنهار وكل واحد ثنتي
عشرة ساعة ثم تبلغ ادنى منازلها وتطلع النعائم وذلك
اليوم اقصر الايام والليل خمسة عشر ساعة حتى اذا طلع
فرغ الدلو الموخر استوى الليل والنهار فياخذ الليل
من النهار كل يوم عشر [illegible] ساعة وكل عشرة ايام
ثلث ساعة وكل شهر ساعة تام حتى [illegible] ستويا ويأخذ
الليل حتى اذا حر بلغ خمس عشرة ساعة ويأخذ النهار
من الليل كذلك وقال الحسن ان للشمس في السنة ثلاث
مائة وستين مطلعا ثم لا تنزله الى الحول فهي تجري في تلك
المنازل وهي مستقرها وهو معنى الذي قبله سواء وقال

وقال ابن عباس انها اذا غربت وانتهت الى الموضع الذي لا تجاوزه
استقرت تحت العرش الى ان تطلع قال الشيخ المصنف
رحمه الله ما قاله ابن عباس يجمع الاقوال فتامله وقيل الى
انتهاء امدها عند انقضاء الدنيا وقرأ ابن مسعود وابن عباس
والشمس تجري لا مستقر لها اي انها تجري في الليل والنهار
لا وقوف لها ولا قرار الى ان يكورها الله يوم القيامة
وقد احتج من خالف المصحف فقال انما اقرأ بقراءة ابن مسعود
وابن عباس قال ابو بكر الانباري وهذا باطل مردود على
من نقله لان ابا حمزة روى عن مجاهد عن ابن عباس وابن كثير
روى عن مجاهد عن ابن عباس والشمس تجري لمستقر
لها فهذان السندان عن ابن عباس للذان يشهدان بصحتها
الاجماع يبطلان ما روي بالسند الضعيف مما يخالف
مذهب الجماعة وما اتفقت عليه الامة قال الشيخ
المصنف رحمه الله والاحاديث الثابتة التي ذكرناها
ترد قوله فما اجرأه على كتاب الله قاتله الله وقوله
لمستقر لها اي الى مستقرها والمستقر موضع القرار
ذلك تقدير اي الذي ذكر من امر الليل والنهار
والشمس بتقدير العزيز العليم وقوله تعالى والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فيه خمس
مسايل الاولى قوله تعالى والقمر مكون بتقديره واية
لهم القمر ويجوز ان يكون والقمر مرفوعا بالابتدا
وقرا الكوفيون والقمر بالنصب على اضمار فعل وهو
اختيار ابي عبيد قال لان قبله فعلا وبعده فعلا قبله نسخ

وبعده قدرناه النحاس واهل العدد بيه جميعا فيما علمت على
خلاف ما قالوه منهم الفراء قال الرفع اعجب الي وانما كان
الرفع عندهم اولى لانه معطوف على ما قبله ومعناه
واية لهم القمر وقوله ازقبله نسلخ فقبله ما هو اقرب منه
وهو يجري وقبله والشمس بالرفع والذي ذكره بعده وهو
قدرناه قدرناه فعل ماض قال ابو حاتم الرفع اولى لانك شغلت
الفعل عنه بالضمير فرفعته بالابتداء ويقال القمر ليس هو
بالمنازل فكيف قال قدرناه منازل ففي هذا جوابان احدهما
قدرناه ذا منازل مثل واسل القريه والتقدير الاخر قدرناه
منازل ثم حذفت اللام وكان حذفها حسنا لتعدي الفعل
الى مفعولين مثل واختار موسى قومه سبعين رجلا والمنازل
ثمانيه وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليله منها بمنزل وهي
الشرطين الثريا الدبران الهقعه الهنعه الذراع النثره الطرف
الجبهه الخرتان الصرفه العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل
القلب الشوله النعائم البلده سعد الذابح سعد بلع سعد السعود
سعد الاخبيه الفرغ المقدم الفرغ المؤخر بطن الحوت فاذا
صار القمر في اخرها عاد الى اولها فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة
ثم يستتر ثم يطلع هلالا فيعود في قطع الفلك على المنازل وهي
منقسمة على البروج لكل برج منزلان وثلث فللحمل الشرطين
والبطين وثلث الثريا وللثور ثلثا الثريا الدبران وثلثا الهقعه
ثم كذلك الى سايرها وقد مضى في النسا تسمية البروج والعدد سوقيل
ان الله تعالى خلق الشمس والقمر من نار ثم كسيا النور عند الطلوع
فاما نور الشمس فمن نور العرش واما نور القمر فمن نور الكرسي فذلك
اصل الخلقه وهذه الكسوه فاما

اصرفه؟

كذلك؟

فاما الشمس فمن نور العرش واما نور القمر فمن نور الكرسي فذلك اصل
الخلقه وهذه الكسوه فاما الشمس فتركت كسوتها على حالها لتشعشع
وتشرق واما القمر فامر الروح الامين جناحه على وجهه فمحا ضوءه
بسلطان الجناح وذلك انه روح والروح سلطانه غالب على الاشيا فبقي
ذلك المحو على ما يراه الخلق ثم جعل في غلاف من ظلمه جعل له مجرى فكل
ليله يبدو الخلق من ذلك الغلاف قمرا بمقدار يقمر لهم حتى ينتهي
بدوه ويراه الخلق بجماله واستدارته ثم لا يزال يعود الى الغلاف فكل ليله
شي منه فينقص من الرويه والابصار بمقدار ما زاد في البدو ويبتدي في
النقصان من الناحيه التي لا يراه الشمس وهو ناحيه المغرب حتى يعود
كالعرجون القديم وهو العذق المنقوس ليبيسه وذقته وانما قال القمر
لانه يقمر اي لبيض الجو بياضه الى ان يستتير الثانيه واعلم ان
السنه منقسمه على اربعه فصول لكل فصل سبع منازل فاولها الربع
واوله خمسه عشر يوما من اذار وعدد ايامه اثنان وتسعون يوما
تقطع فيه الشمس ثلثه بروج الحمل والثور والجوزا وسبعة منازل
الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعه والهنعه والذراع
ثم يدخل فصل الصيف في خمسه وعشرين يوما من حزيران وعدد
ايامه اثنان وتسعون يوما تقطع الشمس فيه ثلثه بروج الشرطان
والاسد والسنبله وسبعه منازل وهي النثره والطرف والجبهه
والخرتان والصرفه والعوا والسماك ثم يدخل فصل الخريف في خمسه
عشر يوما من ايلول وعدد ايامه احد وتسعون يوما تقطع الشمس فيه ثلثه
بروج وهي الميزان والعقرب والقوس وسبعه منازل الغفر والزبانا
والاكليل والقلب والشوله والنعايم والبلده ثم فصل الشتا
في خمسه عشر يوما من كانون الاول وعدد ايامه تسعون يوما وربما

كان احدى وتسعين يوما تقطع فيه الشمس ثلثمائة بروج وهي الجدي
والدلو والحوت بسبحه منازل سعد الذابح سعد بلع سعد السعود
سعد الاخبيه الفرغ المقدم الفرغ الموخر بطن الحوت وعقده قسمه
الشريا نبين لشهورها نشرين الاول نشرين الثاني كانون الاول
كانون الثاني اسباط اذار نيسان ايار حزيران تموز اب ايلول
وله احد وثلثون الا نشرين الثاني ونيسان وحزيران وايلول
فهي ثلثون واسباد ثمانيه وعشرون يوما وربع يوم وانما اردنا بهذا
ان ننظر في قدرة الله تعالى بذلك قوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى
كانت الشمس في منزل اهل الهلال بالمنزل الذي بعده وكان القمر
بمنزلتين من قبله فاذا كانت الشمس بالثريا في خمسه وعشرين يوما
من نيسان كان القمر بالشرطين واهل الهلال بالدبران ثم يكون له في
كل ليله منزله حتى يطلع في ثمان وعشرين ليله ثمانيا وعشرين منزله
وقد قطعت الشمس منزلتين فيقطعها ثم يطلع في المنزله التي بعد
منزله الشمس بمقدار تقدير العزيز العليم الثالثه قوله تعالى
حتى عاد كالعرجون القديم قال الزجاج هو عود العذق الذي عليه
الشماريخ وهو مفعلون من الانعراج وهو الانعطاف اي سار في
منازله حتى صار كالعرجون وعلى هذا فالنون زايده وقال قتاده
هو العذق اليابس المنحني من النخله: قلت كالعرجون القديم قال
العرجون الذي يبقى من الكباسه في النخله اذا قطعت والقديم البالي
الخليل في باب الرباعي العرجون اصل العذق وهو اصفر عريض
يشبه به الهلال اذا انحنى الجوهري العرجون اصل العذق الذي
يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا وعرجنه
ضربه بالعرجون وعرجنه فالنون على قول هذا ولا اصليه ومنه

القمر

ما
ما
ما
ما

شعر اعشى بني قيس شرق المسك والعبير بها في معرا العرجون القمر
فالعرجون اذا اعتق وليس وقوس شبه القمر في دقته وصغره به
ويقال ايضا الاقدم والكباسه والقنو واهل مصر يسمونه الاسباله
وقرئ العرجون بوزن القرجون ومما لغتان كالبرتون والبرذون
ذكره الزمخشري قال هو عود العذق كانه شماريخه الى منبته
من النخله الرابعه قوله تعالى القديم قال الزمخشري القديم
المحول واذا اقدم دق والحنى واصفر فشبه القمر به في دقته
وجبه وقيل اقل الموصوف بالقدم الحول فلو ان رجلا قال لكل مملوك
لي قديم فهو حر او لبث ذلك في وعيته عتق من مضى له حول او اكثر قال
الشيخ المصنف رحمه الله قد مضى في البقره ما يترتب على الاهله من الاحكام
والحمد لله الخامسه قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
القمر رفعت الشمس فالابد ولا يجوز ان تعمل الا في معرفه وقد تكلم العلما
في معنى هذه الايه فقال بعضهم معناها ان الشمس لا تدرك القمر فتبطل
معناه اي لكل واحد منهما سلطان على حياله فلا يدخل احدهما على الاخر
فيذهب سلطانه الى ان يبطل الله ذا وذر من ذلك فتطلع الشمس من
مغربها على ما تقدم في اخر سوره الانعام بيانه وقيل اي اذا طلعت
الشمس لم تكن للقمر ضوء واذا طلع القمر لم تكن للشمس ضوء وروي معناه
عن ابن عباس والضحاك وقال مجاهد اي لا يشبه ضوء احدهما ضوء الاخر
وقال قتاده لكل حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جا سلطان
هذا ذهب هذا وقال الحسن انهما لا يجتمعان في السما ليله الهلال خاصه
اي لا تبقى الشمس حتى يطلع القمر ولكن اذا غربت الشمس طلع القمر يحيى بن
سلام لا تدرك الشمس القمر ليله البدر خاصه لانه يبادر بالمغيب قبل
طلوعها وقيل معناه اذا اجتمعا في السما كان احدهما بين يدي الاخر في منازل

لا يشتركان فيها قاله بن عباس ايضا وقيل القمر في السما الدنيا والشمس في
السما الرابعه فهي لا تدركه ذكره الخازن والمهدوي قال الخازن واحسن
ما قيل في معناها وابينه مما لا يدفع ان سير القمر سير سريع والشمس
لا تدركه في السير ذكره المهدوي ايضا ما قوله سبحانه وجمع الشمس
والقمر فذلك حين حبس الشمس عن الطلوع على ما تقدم بيانه في اخر الانعام
وياتي في القيامة ايضا وجمعها علامة لانقضا الدنيا وقيام الساعة
قال بعضهم من الشمس والقمر والنجوم في فلك يسبحون اي يجرون وقيل يدورون
ولم يقل يسبحن لانه وصفها بفعل من يعقل ومثال الخسن الشمس والقمر والنجوم
في فلك بين السما والارض غير ملصقه ولو كانت ملصقه ما جرت قاله
الثعلبي والماوردي واستدل بعضهم بقوله تعالى ولا الليل سابق
النهار على ان النهار مخلوق قبل الليل وان الليل لم يسبقه خلق وقيل
كل واحد منهما يجري وقته ولا يسبق صاحبه الى ان يجمع بين الشمس
والقمر يوم القيامة كما قال وجمع الشمس والقمر وانما هذا التعاقب
الان لتتم مصالح العباد ولتعلموا عدد السنين والحساب ويكون
الليل للاجمام والاستراحه والنهار للتصرف كما قال تعالى ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ويقال
وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم من عمل النهار فقوله ولا
الليل سابق النهار اي غالب النهار يقال سبق فلان فلانا اي غلبه وذكر
وذكر المبرد قال سمعت عمارة يقول ولا الليل سابق النهار فقلت ما
هذا فقال اردت سابق النهار فحذفت التنوين لانه اخف قال
الخازن يجوز ان يكون النهار منصوبا بغير تنوين ويكون التنوين حذف
لالتقا الساكنين قوله تعالى وايه لهم يحتمل ثلثة معان
احدها عبرة لهم لان في الايات اعتبارا الثاني نعمة عليهم لان في

الايات انعاما الثالث انذارا لهم لان في الايات انذارا انا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون من اشكل ما في السورة لانهم هم المحمولون فقيل المعنى
وايه لاهل مكه انا حملنا ذرية القرون الماضيه في الفلك المشحون فالضميران
مختلفان ذكره المهدوي وحكاه الخازن عن علي بن سليمان انه سمعه
يقوله وقيل الضميران جميعا ان لاهل مكه على ان يكون ذرياتهم اولادهم
وضعفاهم فالفلك على القول الاول سفينه نوح عليه السلام وعلى
الثاني يكون اسما للجنس خبر جل وعز بلطفه وامتنانه وانه خلق السفن
يحمل فيها من يصحب عليه المتي والركوب من الذرية والضعفا فيكون
الضميران على هذا متفقين وقيل الذريه الاباو الاجداد حملهم الله تعالى
في سفينه نوح عليه السلام فالاباذريه والابنا ذريه وقول رابع
بدليل الاية قاله ابو عثمان وسمي الاباذريه لان منهم ذرا الابنا وقول
رابع ان الذريه اللطف حملكم الله تعالى في بطون السفن شبهها بالفلك
المشحون قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه ذكره الماوردي وقد مضى
في البقره اشتقاق الذريه والكلام فيها مستوفى والمشحون المملو
الموقر والفلك يكون واحدا وجمعا وقد تقدم في يونس القول فيه
قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون والاصل تركيبونه
فحذفت الثانية لطول الاسم وانه رأس اية وفي معناه ثلثة اقوال احدها
مجاهد وقتاده وجماعه من اهل التفسير وروي عن ابن عباس ان
معنى من مثله للابل خلقها لهم للذكوب في البر مثل السفن المركوبه
في البحر وكانت العرب تشبه الابل بالسفن قال طرفه

كان حدوج المالكيه غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد

جمع حليه وهي السفينه العظيمه والقول الثاني انه للابل والدواب
وكل ما يركب والقول الثالث انه للسفن الخاص وهو احدها لانه متصل

الاسناد عن ابن عباس وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال خلق لهم سفنا
امثالها يركبون فيها وقال ابو مالك انما السفن الصغار خلقها مثل
السفن الكبار وروي عن ابن عباس ايضا والحسن وقال الضحاك وغيره
هي السفن المتخذه بعد سفينه نوح قال الماوردي ويحيى بن سلام
تاول علي رضي الله عنه في ان الذريه في الفلك المشحون هي التي تطفو في بطون
النساء وقال خاصيص في قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اي يركبون
تاويله النساء خلقن لركوب الازواج لان لم اره محكيا قوله تعالى
وان نشا نغرقهم اي في البحر فترجع الكنايه الي اصحاب الذريه او الي الجميع
ويدل علي صحه قول ابن عباس من قال ان المراد من مثله السفن
لا الابل فلا صريح لهم اي لا بعيث لهم رواه سعيد عن قتاده وروي شيبان
عنه فلا منفعة لهم ومعناهما متقاربان وصريخ بمعني مصرخ يقال
بمعني فاعل ويجوز فلا صريخ لهم لان بعده ما لا يجوز فيه الا الرفع لانه
معرفه وهو ولا هم ينقذون والنحويون يختارون لا رجل في الدار ولا
زيد ومعني ينقذون يخلصون من الغرق وقيل من العذاب الا رحمة
منا قال الفراء هو نصب علي الاستثناء وقال الزجاج نصب مفعول
من اجله اي لرحمه ومتاعا معطوف عليه الي حين الي الموت قاله قتاده
يحيى بن سلام الي القيامه اي الا ان نرحمهم ونمتعهم الي اجالهم وان
الله يحمل عذاب الامم السالفه واخر عذاب امة محمد صلي الله عليه
وسلم وان يذهبه الي الموت والقيامة قوله تعالى واذا قيل لهم
اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قال قتاده هيئي اتقوا ما بين ايديكم
اي من الوقايع فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم من الاخره ابن عباس
وابن جبير ومجاهد ما بين ايديكم ما مضي من الذنوب الحسن ما بين ايديكم
من الدنيا ما مضي من اجل لكم وما خلفكم ما بقي منه وقيل ما بين ايديكم

من الدنيا وما خلفكم من عذاب الاخره قاله سفيان وعلي هذين
القول التعليق عن ابن عباس قال ما بين ايديكم من امر الاخره وما عملوا فيها
وما خلفكم من امر الدنيا فاحذروا لا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم
ما لهذه الامه وما خلفكم ما خفي عنكم والجواب محذوف والتقدير اذا
قيل لهم ذلك اعرضوا دليله تجدوا وما تاتيهم من ايه من ايات ربهم الا
كانوا عنها معرضين فالتقي بهذا عن ذلك قوله تعالى واذا قيل
لهم انفقوا مما رزقكم الله اي تصدقوا علي الفقراء قال الحسن يعني اليهود
امروا باطعام الفقراء وقيل هم المشركون قال لهم فقراء اصحاب النبي صلي
الله عليه وسلم اعطونا مما زعمتم ان الهكم الله وذلك قوله وجعلوا
لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله
استهزاء قالوا لهم حتي ترجعوا الي ديننا قالوا انطعم من لو شاء الله
اطعمه كان بالغم من قول المسلمين ان الرزق هو الله فعلي هذا الرزق من
لو شاء الله اغناه وعن ابن عباس كان بمكه زنادقه فاذا امروا بالصدقه
علي المساكين قالوا لا والله ليفقره الله ونطعمه نحن وكانوا سيغبون
المومنين يقولون لهم قال الله تعالي بمشيئته فيه لو شاء الله
لاغني فلانا ولو شاء لاعز ولو شاء لكان كذا ولذا فاخرجوا هذا الجواب
مخرج الاستهزاء بالمومنين وربما كانوا يقولون من تعليق الامر بمشيه
الله تعالي ان انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمومنين
اي في سوال المال وفي اتباعكم محمدا صلي الله عليه وسلم قاله ابن عباس
مقاتل وغيره وقيل هو من قول النبي صلي الله عليه وسلم لهم وقيل من قول
الله تعالي للكفار حين ردوا هذا الجواب وقيل ان ابا بكر الصديق رضي
الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين فلقيه ابو جهل فقال يا ابا بكر
اترعم ان الله قادر علي اطعام هذا ولا قال نعم قال فما بالنا نطعمهم

قوله ؟

اي انرزق ؟

قوله ؟

قال ابتلاهما بالفقر وقوما بالغنى وامر الفقر ابالصبر وامر الاغنيا
بالاعطا فقال والله يا ابابكر ما انت الا ضال ان زعم ان الله قادر على
اهلاك هذا ولا يهلكه لايطعمهم ، تطعمكم انت فنزلت فيه هذه الآية ونزل قوله
تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الآية وقيل نزلت الآية في قوم من المنافقين وقد كان فيهم اقوام يستهزئون فلا يؤمنون
بالصانع واستهزوا بالمسلمين بهذا القول ذكره القشيري والماوردي
قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد لما قيل لهم انهم آمنون من ايديكم وما
خلفكم قالوا متى هذا الوعد وكان هذا استهزاء منهم اي لا تحقيق لهذا
الوعيد قال الله تعالى ما ينظرون اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة "
وهي لنخة اسرافيل تاخذهم وهم يخصمون اي يختصمون في امور دنياهم
فيموتون في مكانهم وقرئ لنخة للصعق وفي يخصمون خمس قرآآت وقرا
ابو عمرو وابن كثير يخصمون بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد ولدا قرا درش
عن نافع واما اصحاب القراآت واصحاب نافع سوى ورش فقرؤا عنه
وهم يخصمون باسكان الخاء وتشديد الصاد على الجمع بين ساكنين وقرا
يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة وهم يخصمون باسكان الخاء وتخفيف
الصاد من خصم وقرا عاصم والكسائي وهم يخصمون بكسر الخاء وتشديد
الصاد ومعناه يخصم بعضهم بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم
يختصمون في الحجة انهم لا يبعثون وقد روي نحو هذا عن ابي بكر عن
عاصم وحماد عن عاصم بكسر الياء والخاء والتشديد قال النحاس
القراءة الاولى ابينها والاصل فيها يختصمون فادغمت التا في الصاد وقلبت
حركتها على الخاء وفي حرف ابي وهم يختصمون واسكان الخاء جائز ولا
يجوز لانه جمع بين ساكنين وليس احدهما حرف مد ولين وقيل اسكنوا
الخاء في اصلها والمعنى يخصم بعضهم بعضا بحذف المضاف ويجوز ان يكون

وهم

المعنى يختصمون بحاجاتهم عند انفسهم فحذف المفعول قال القتبي
وهي قراءة ابن ابي ليلى قال النحاس فاما يخصمون فالاصل فيها ايضا
يختصمون فادغمت التا في الصاد لم تكسر الخا لالتقا الساكنين زعم
الفراء ان هذه القراءة احمد واكثر فترك ما هو اولى من القاف ذكره ايضا
وكتب على الخاء واجتلب لها حركة اخرى وجمع بين ساكنين وقرا
احمد واكثر فيكون بالفتح قراءة الخلق من اهل مكة واهل البصرة
واهل المدينة وماردي عن عاصم من كسر الياء والخاء فلاتباع وقد مضى
هذا في البقرة في يخطف ابصارهم وفي يونس في لا يهدي وقال علم
في قوله جل وعز الا صيحة واحدة قال هي النفخة الاولى في الصور
وقال ابو العالية ينفخ في الصور والناس في اسواقهم فمن خالط النفخة
ومن دارع ثوبا او من سار في حاجة وروى نعيم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقوم الساعة والرجلان قد نشرا
ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم الساعة والرجل يليط
حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة والرجل
يخفض ميزانه فما يرفعه حتى تقوم الساعة والرجل يرفع اكلته
الى فيه فما يبلعها حتى تقوم الساعة وفي حديث عبد الله بن عمرو
وابن عمر ، ورجل يليط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس
الحديث فلا يستطيعون توصيه اي لا يستطيع بعضهم ان يوصي
بعضا لما في يده من حق وقيل لا يستطيع ان يوصي بعضهم بعضا
بالتوبة والاصلاح لما يموتون في اسواقهم ومواتعهم ولا الى اهلهم
يرجعون اذا ماتوا وقيل ان المعنى ولا الى اهلهم يرجعون لا يرجعون
اليهم قولا وقال قتادة ولا الى اهلهم يرجعون اي الى منازلهم لانهم
قد اعجلوا عن ذلك قوله تعالى ونفخ في الصور هذه النفخة

وبالفتح

الفانيه للنشاه وقد بينا في سوره النحل انهما نفختان لا ثالث لهما وهذه
الايه دالة على ذلك وروي بن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنه الاولى يميت الله بها كل حي
والاخرى يحيي الله بها كل ميت وقال قتاده الصور جمع صوره اي نفخ في
الصور الارواح وصوره وصور مثل سوره البنا وسور قال الضحاك
وزب ذي سرادق محجور سترت اليه في اعالي السور
وقد روي عن ابي هريره انه قرأ ونفخ في الصور الخامسه والصحيح ان الصور
بإسكان الواو والقرن جاء بذلك التوقيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك مصروف في كلام العرب انشد اهل اللغه
نحن نطحنا يوم غداة الغورين بالصافحات في غبار المعترين
نطحنا شديدا لا كنطح الصورين وقد مضى هذا في الانعام
مستوفى فاذا هم من الاجداث الى القبور وقرئ بالفاء من الاجداف
ذكره الزمخشري يقال اجدث وجدف واللغه الفصيحه الجدث
بالثاء والجمع احدث واجداث قال المنخل اليشكري
عرف باحدث فنعاف فرق علامات كتحبير النماط
واحدثت اي اخذ جدثا الى ربهم ينسلون اي يخرجون قاله ابن عباس
وقتاده ومنه قول امرئ القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
ومنه قيل للولد نسل لانه خرج من بطن امه وقيل يسير عن النسلان
والعسلان الاسراع والسير ومنه حديث الدجال قال
عسلان الذيب امسى قاربا برد الليل عليه فنسل
يقال عسل الذيب ونسل يعسل وينسل نسلا وعسلانا ضرب يضرب
ويقال ينسل ايضا بالضم وهو الاسراع في المشي فالمعنى يخرجون
مسرعين في التنزيل مما خلقكم ولا يصلح الا نفس واحده

وقال يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر وفي سأل سائل يوم
يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون اي يسرعون وفي
الخبر شكونا الى النبي صلى الله عليه وسلم الضعف فقال عليكم بالنسل
اي بالاسراع في المشي فانه ينشط قوله تعالى قالوا يا ويلنا قال
ابن الانباري وقف حسن ثم تبتدي من بعثنا وروي عن بعض القرا
يا ويلنا من بعثنا بكسر الهاء من الثاني المعنى وروي ذلك عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على قوله يا ويلنا ثم يبتدئ بقوله
من مرقدنا فهذا دليل على بطلان مذهب العامه قال المهدوي قرأ ابن ابي ليلى
قالوا يا ويلنا بزياده تا وهو كالنيت الويل ومثله يا ويلنا ألا وأنا عوز يا ويلنا
وقرأ علي رضي الله عنه من بعثنا فمن متعلقه بالويل او حال من ويلنا
في فتتعلق بمحذوف كأنه قال يا ويلنا داينا من بعثنا وكما يجوز ان يكون
خبرا عنه لذلك يجوز ان يكون حالا منه ومن قوله من مرقدنا متعلقه
بنفس البعث ثم قيل ليبه قالوا هذا وهم من المعذبين في قبورهم
فالجواب ان ابي بن كعب قال بنا مون نومه
وفي روايه فيقولون يا ويلنا من هبنا من مرقدنا قال ابو بكر الانباري
لا يحمل هذا الحديث على ان هذا من لغط القرآن كما قال من لحن في القرآن
ولكنه تفسير بعثنا او معبر عن بعض معانيه قال ابو بكر وكذا حفظته
من هبنا بغير الف في هبنا مع تسكين نون من والصواب فيه على لغة من
من اهبنا بفتح النون على ان فتحه همزه أقيمت الفتحه على نون من واسقطت
الهمزه كما قالت العرب من اخيرك من اعلك بمعنى من يخبرك من يعلوك
ويقال اهبت النايم هب النايم استدنا الاخفش يحيى النحوي
وحاذا لو هبت بليل تلومني ولم تعمري قبل ذاك عذول
وقال ابو صالح اذا نفخ النفخه الاولى رفع العذاب عن اهل القبور

وهجوا الجمعة الى النفخة الثانية وبينهما اربعون سنة فذلك قولهم
من بعثنا من مرقدنا وقاله ابن عباس وقتادة وقال اهل المعاني ان الكفار
اذا عاينوا جهنم وما فيها من انواع العذاب صار كاعدم بجانبه في قبورهم الى
حشر عذابها كالنوم قال مجاهد فقالوا لهم المؤمنون هذا ما وعد الرحمن
وقال قتادة فقال لهم من هدى الله هذا ما وعد الرحمن وقال الضحاك
لهم الملائكة هذا ما وعد الرحمن المخلصون وهذه الاقوال متفقة لان
الملائكة من المؤمنين وممن هدى الله عز وجل وعلى هذا يتأول قول الله
جل وعز ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وكذا
الحديث المؤمن عند الله خير مما خلق ويجوز ان الملائكة صلى الله
عليهم وغيرهم من المؤمنين قالوا لهم هذا ما وعد الرحمن وقيل ان الكفار
لما قال بعضهم لبعض من بعثنا من مرقدنا صدقوا الرسل لما عاينوا
ما اخبروهم به قالوا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فلذلك
به اقروا حين لم ينفعهم الاقرار وكان حفص يقف على مرقدنا ثم
يبتدي بهذا قال بن الانباري من بعثنا من مرقدنا وقفه
حسن ثم يبتدي هذا ما وعد الرحمن ويجوز ان تقف على مرقدنا
هذا فيحفض هذا على الاتباع للمرقد ويبتدي ما وعد الرحمن
من على معنى بعثكم ما وعد الرحمن اي بعثكم وعد الرحمن ثم استأنف الكلام
على مرقدنا وهذا في موضع رفع بالابتداء وخبره ما وعد الرحمن ويجوز
ان يكون في موضع خفض على النعت لمرقدنا فيكون النعت من مرقدنا
هذا ما وعد الرحمن في موضع رفع من قبلت جهلت ذكر ابو اسحق منها
اثنتين قال يكون ما صلة هذا والجهة الثانية ان يكون بمعنى حق ما وعد
الرحمن بعثكم والجهة الثالثة ان يكون بمعنى بعثكم ما وعد الرحمن ان
كانت الاصيحة واحدة يعني ان بعثهم واحياءهم كان بصيحة واحدة

وهو قول اسرافيل ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة
والعظام المتفرقة قصوا الشعور المتمزقة ان الله يأمركن ان تجتمعن
لفصل القضاء وهذا معنى قوله الحق يومئذ يسمعون الصيحة بالحق ذلك
يوم الخروج وقال مطعمين الى الداعي على اياتي وفي قراءة بن مسعود
ان كانت الا زقية واحدة والزقية الصيحة وقد تقدم هذا فاذا هم
جميع لدينا محضرون فاذا هم جميع مبتدأ وخبره وجميع نكرة ومحضرون
من صفته ومعنى محضرون مجموعون احضروا موقف الحساب وهذا
كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر قوله تعالى فاليوم لا
تظلم نفس شيئا اي لا تنقص من ثواب عمل ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
ما في محل نصب من وجهين الاول انه مفعول ثان لان الكلام سيق اعلموا اني
سنرع حرف الصفة تقديره الا ما كنتم تعملون اي تعلونه فحذف
قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال
بن مسعود وبن عباس وقتادة ومجاهد شغلهم بافتضاض العذارى
وذكر الترمذي الحليمي في كتاب مشكل القرآن له حدثنا محمد بن حميد
الدارمي حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن
شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى ان اصحاب الجنة
اليوم في شغل فاكهون قال شغلهم افتضاض العذارى خرج محمد بن
حميد حدثنا هرون ابن المغيرة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس
بنحوه وقال ابو قلابة بينما الرجل من اهل الجنة مع اهله اذ قيل له تحول
الى اهلك وقيل اصحاب الجنة في شغل عما هم فيه من اللذات والنعيم
عن الاهتمام باهل المعاصي ومصيرهم الى النار وما هم فيه من اليم العذاب
وان كان فيهم معذبا دهم واهلوهم قاله سعيد بن المسيب وغيره وقال كعب
يعني في السماع وقال بن كيسان في شغل اي في زيارة بعضهم بعضا وقيل

في ضيافة الله تعالى وروي انه اذا كان يوم القيامة نادا مناد اين عبادي
الذين اطاعوني واحفظوا عهدي بالغيب فيقومون كالشامة وجوههم البدر
والوجيه الذي ركبانا على حجب من نور ازمتها من الياقوت تطير بهم
على رؤس الخلايق حتى يقوموا بين يدي العرش فيقول الله جل وعز لهم السلام
على عبادي الذين اطاعوني واحفظوا عهدي بالغيب انا اصطفيتكم وانا
اجتبيتكم وانا اخترتكم اذهبوا فادخلوا الجنة بغير حساب فلا خوف عليكم
اليوم ولا انتم تحزنون فيسرعون على الصراط كالبرق الخاطف فتفتح لهم
ابوابها فتراهن الخلق في المحشر موقوفون فيقول بعضهم لبعض ما قوم اراهم
وفلان وفلان ذلك حين يسأل بعضهم بعضا فينادي منادا اين اصحاب الجنة اليوم
في شغل فاكهون وشغل واشغل اعتان قرئ بهما مثل الرعب والرعب
والسحت والسحت وقد تقدم فاكهون قال الحسن مسرورون وقال
ابن عباس منعمون مجاهد والضحاك معجبون السدي ناعمون والمعنى
متقارب والفاكهة المراح والكلام الطيب وقرأ ابو جعفر وشيبة
والاعرج فكهون بغير الف وهما لغتان كالفاره والفره والحاذر والحذر
قاله الفراء وقال الاصمعي وابو عبيدة الفاكه ذو الفاكهة مثل لابن وتامر
ولاحم وشاحم والفكه المتفكه والمتنعم وفكهون بغير الف
في قول قتادة معجبون وقال ابو زيد يقال رجل فكه اذا كان طيب النفس
لحوكاة قتادة بن مصرف فاكهين نصبه على الحال العامل فيه ما في واجهم
في ظلال على الارايك متكئون مبتدا وخبره ويجوز ان يكون هم توكيدا
والزمخشري عطف على المضمر ومتكئون نعت لقوله فاكهون وقراءة
العامة في ظلال بكسر الظاء والالف وقد ابن مسعود وعبيد بن عمير
والاعمش وحمزة والكسائي وخلف في ظلل بضم الظاء من غير
الالف فالظلال جمع ظل والظلل جمع ظلة على الارايك يعني السرر

في الجمال واحدها اريكة مثل سفينة وسفن قال الشاعر

دان احمرار الورد فوق عصونه بوقت الضحى في روضه المتفاحل
خدود عذاري قد خجلن من الحيا فمادن بالكثبان فوق الاراييك

وفي الخبر عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل
الجنة لما جامعوا نساءهم عادوا ابكارا وقال ابن عباس ان الرجل من
اهل الجنة ليعانق الحور اسبعين سنة لا يملها ولا تمله كلما اتاها
وجدها بكرا وكلما رجع اليها عادت اليه شهوته فيجامعها بقوة بضعين
وجلا لا يكون منهما منى يأتي من غير مني منه ولا منها لم يرفيها قاذى قط ابدا
وخبر وله ما يدعون الذال الثانية مبدلة من تا لانه يفتعلون من دعا اي
من دعا بشيء اعطيه قال ابو عبيدة فمعنى يدعون يتمنون من الدعاء وقيل
المعنى ان من ادعى منهم شيأ فهو له لان الله تعالى قد طبعهم على ان لا يدعي احد
الا ما يجمل وحسن ان يدعيه وقال يحيى بن سلام يدعون يشتهون ابن
عباس يسئلون والمعنى متقارب قال ابن الانباري وللهم ما يدعون وقف
حسن ثم تبتدي سلام على معنى ذلك لهم سلام ويجوز ان ترفع السلام
على معنى ولهم ما يدعون سلم خالص فعلى هذا المذهب لا تحسن
الوقف على ما يدعون وقال الزجاج سلام مرفوع على البدل من ما اي
ولهم ان سلم الله عليهم وهذا تمنى اهل الجنة وروى من حديث معوية بن
عبد الله البجلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا اهل الجنة
في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد
اطلع عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله سلام
قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من
النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركاته
عليهم في ديارهم ذكره الثعلبي والقشيري ومعناه ثابت في صحيح مسلم

وقد بيناه في يونس عند قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزياده

وهذه الوجوه

وجوز ان يكون ما نكرة وسلام نعتا لها اي ولهم ما يدعون مسلم ويجوز ان يكون ما رفعا بالابتداء وسلام خبر عنها وعلى هذا الوجه لا يوقف على ولهم ما يدعون وفي قراءة بن مسعود سلاما فيكون مصدرا وان شئت في موضع الحال اي ولهم ما يدعون كائنا سلام او مسلما على فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على يدعون وقرأ محمد بن كعب القرظي سلم على الاستيناف كانه قال ذلك سلم لهم لا يستأنفون فيه ويكون ولهم ما يدعون ما مرفوعا ويجوز ان يكون سلام بدلا من قوله ما يدعون وخبر ما يدعون لهم ويجوز ان يكون سلام خبرا آخر ويكون معنى الكلام انه لهم خالص من غير منازع فيه وقولا مصدر على معنى قال الله ذلك قولا او يقوله قولا ودخل على الفعل المحذوف لفظ مصدره ويجوز ان يكون المعنى ولهم ما يدعون قولا اي عدة من الله فعلى هذا المذهب الثاني لا يحسن الوقف على يدعون وقال السجستاني الوقف على قوله بسلام تام وهذا خطأ لان العقل حاج مما قبله قوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون ويقال تميزوا وامتازوا وامتاز وا بمعنى متفرقة فامتاز وامتاز وميزته فتميز اي يقال لهم هذا عند الوقوف على يوم يعمل لكنبه الى الكنبة اي اخرجوا من جملتهم قال قتادة عزلوا عن كل خير وقال العباد يمتاز المجرمون بعضهم من بعض فيمتاز اليهود فرقة والنصارى فرقة والمجوس فرقة والصابئون فرقة رحمة الاوثان فرقة وعبدة كل شيء معه فرقة ايضا ان للكل فرقة في النار يدخل فيه ويرد بابه فيكون فيها ايذانا لا يرى ولا يرى وقال داود بن الجراح فيمتاز المسلمون من المجرمين الا اصحاب الاهواء فيكون مع المجرمين قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم لا تعبدوا الشيطان العهد هنا بمعنى الوصية

ولهم

للسوال

فيكونون

الانس

الم اوصكم واليكم على السنة الرسل ان لا تعبدوا الشيطان اي لا تطيعوه في معصية قال الكسائي لا تعبدوا من العبادة وقال غيره من العبودية بكسر النون على الاصل ومن ضمه كره كسرة بعدها ضمة هذا صراط مستقيم اي طريق دين قديم قوله تعالى ولقد اضل منكم اي اغوى جبلا الخلق اي خلقا كثيرا قاله مجاهد مأخوذ من جبل عالم الخلق اي امما كثيرة والمعنى واحد وقرأ اهل المدينة وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وابو عمرو بن العلاء جبلا بضم الجيم واسكان الباء والباقون جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وشددها وشددها الحسن وابن ابي اسحق وعيسى بن عمر وعبد الله بن عبيد بن عمير بن انس وقرا ابو يحيى والاشهب العقيلي جبلا بكسر الجيم واسكان الباء وتخفيف اللام فهذه خمس قراءات قال المهدوي والمعلى ولها لغات معنى الخلق بينها القراءة الاولى والدليل على ذلك انهم قد اجمعوا على ان قراءة الجبلة الاولين فيكون جبلا جمع جبلة والاشتقاق فيه لله واحد واما هو من جبل الله عز وجل الخلق اي خلقهم وقد ذكرت قراءة شاذة وهي ولقد اضل منكم جبلا كثيرا بالياء وحكى عن الخليل ان الجبل الواحد عشرة الاف والكثير ما لا يحصيه الا الله عز وجل ذكره الماوردي افلم تكونوا تعقلون عداوته فتعملوا الى الواجب لطاعة الله فتجتنبوه اي يقول لهم خزنة جهنم هذه جهنم التي وعدتم فكذبتم بها وروي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الانس والجن والاولين والاخرين في صعيد واحد ثم اشرف عنق من النار على الخلايق فاحتاط بهم ثم ينادي منادا هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون فيجثو الامم على وجوههم وتضطرب حلقات حملها وتذهل كل مرضعة عما ارضعت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فذلك قوله تعالى

النحاس

اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
في صحيح مسلم عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة
العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول فاني لا
اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم شهيدا
وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي
قال فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن
وسحقا فعنكن كنت اناضل خرجه ايضا من حديث ابي هريرة وفيه
ثم يقال الان ابعث شاهدا عليك فيفكر في نفسه من ذا الذي يشهد
علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه
بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط
الله عليه وخرج الترمذي عن معاوية بن حيده عن النبي صلى الله عليه
وسلم في حديث ذكره قال ثم اشار بيده الى الشام فقال ها هنا الى ها هنا
تحشرون ركبانا ومشاة وتجرون على وجوهكم وهم الفيلمة على
افواههم الفدام توفون سبعين امة انتم خيرهم واكرمهم على الله
وانزل من يحب عن احد كم فخذه في رواية لاحمد فخذه وكفه الفدام
مصفاة الكوز والابريق قاله الليث قال ابو عبيد يعني انهم منعوا
الكلام حتى تكلم فخادهم فشبه ذلك بالفدام الذي يجعل على
الابريق ثم قيل في سبب الختم اربعة اوجه احدها لانهم قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين فختم الله على افواههم حتى نطقت جوارحهم
قاله ابو موسى الاشعري الثاني ليعرفهم اهل الموقف فيتميزون منهم
قاله بن زياد الثالث لاقرار غير الناطق ابلغ في الحجة من اقرار
الناطق لخروجه مخرج الاعجاز وان كان هو ما لا يحتاج الى اعجاز

قاله

الرابع ليعلم ان اعضاءه التي كانت اعوانا في حق نفسه صارت عليه
شهودا في حق ربه فان قيل لم قال وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
فجعل ما كان من اليد كلاما وما كان من الرجل شهادة قيل لان اليد
مباشرة لعمله والرجل حاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة
وقول الفاعل على نفسه اقرار ما قال او فعل فلذلك عبر عما
صدر من الايدي بالقول وعما صدر من الارجل بالشهادة وقد روي
عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اول عظم من الانسان تكلم يوم يختم على الافواه فخذ من الرجل
ان ابو اليسر ذكره الماوردي والمحدوي وقال ابو موسى الاشعري اني
لاحسب اول ما ينطق منه فخذه اليسرى ذكره المحدوي ايضا قال
الماوردي فاحتمل ان يكون تقدم الفخذ بالكلام على سائر الاعضاء
لانه ذو معاصيه بدركها حواسه التي في الشطر الاسفل منها الفخذ
فجاز لقربه منها ان تتقدم في الشهادة عليها قال وتقدمت اليسرى
لان الشهوة في ميامن الاعضاء اقوى منها في مياسرها فلذلك تقدمت
اليسرى على اليمنى لقلة شهوتها قال الشيخ المصنف رحمه الله او
بالعكس لغلبة الشهوة وكلاهما مع الكف فان مجموع ذلك
يكون تمام الشهوة والله اعلم قوله تعالى ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فاني يبصرون حكي الكسائي
طمس يطمس ويطمس والطموس والمطموس عند اهل اللغة الاعمى
الذي ليس في عينيه شق قال ابن عباس المعنى لاعميناهم عن الهدى
فلا يهتدون ابدا الى طريق الحق قال الحسن والشعبي المعنى لتركناهم
عميانا يترددون والمعنى لاعميناهم فلا يبصرون طريقا الى تصرفهم
في منازلهم ولا غيرها وهذا اختيار الطبري وقوله فاستبقوا الصراط

اي استبقوا الطريق ليجوزوا فاني يبصرون اي فمن اين يبصرون وقال
عطاء ومقاتل وقتاده ورووه عن ابن عباس ولو نشاء لفقأنا اعين
ضلالتهم واعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلاله الى الهدى
فاهتدوا وابصروا رشدهم وتبادروا الى الطريق الاخره ثم قال فاني
يبصرون لو فعلنا ذلك بهم اي فكيف يهتدون عن الهدى وطموسه
على الضلال باقيه وقد روي عن عبد الله بن سلام في تاويل هذه الايه عن
ما تقدم وتاويلها على انها في يوم القيامه وقال اذا كان يوم القيامه
ومد الصراط نادى مناد ليقم محمد صلى الله عليه وسلم وامته فيقومون
برهم وفاجرهم يسمعونه ليجوزوا الصراط فاذا صاروا عليه طمس
الله اعين فجارهم فاستبقوا الصراط فمن اين يبصرونه حتى يجاوزوه
ثم ينادي مناد ليقم عيسى عليه وسلم فيقوم فيتبعونه برهم
وفاجرهم فيكون سبيلهم ذلك السبيل وكذا سائر الانبياء ذكره
النحاس وقد كتبناه في التذكره مسندا حسب ما ذكره ابن المبارك
في رقايقه وذكر العشيري وذ[كر] عن عباس اخذ الاسود بن عبد الاسود
مخزوم ومعه جماعه من بني مخزو[م] ليطرحه على النبي صلى الله عليه وسلم
فطمس الله على بصره والصق الحجر بيده فما ابصره ولا اهتدى
ونزلت الايه فيه والمطموس الذي لا يدرون من خلفه سوف يأتون
من طمس الريح الاثر قاله الاخفش والفتى فوله تعالى
ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون
المسخ تبديل الخلقه وقلبها حجرا او حمارا او بهيمه اي لاعدمناهم
فلا يستطيعون ان يمضوا امامهم ولا يرجعون وراءهم وكذلك
الجبابره لا يتقدم ولا يتاخر وقد يكون المسخ تبديل صوره الانسان
بهيمه ثم تلك البهيمه لا تعقل موضعا تقصده فتختار فلا تعمل
ولا

ولا مدبر من عباس المعنى لو نشاء لاهلكناهم في مساكنهم وقيل المعنى
لو نشاء لمسخناهم في المكان الذي اجترءوا فيه على المعصيه ابن سلام
هذا كله يوم القيامه يطمس الله اعينهم على الصراط ومر المحشر والسلمي
وزر بن حبيش وعاصم في روايه ابي بكر مكانتهم على الجمع الباقون
بالتوحيد وقد ابوحيوه فما استطاعوا مضيا بفتح السين والمضي بضم
السين مصدر مضى يمضي مضيا اذا ذهب قوله تعالى ومن نعمره
ننكسه في الخلق قراءه عاصم وحمزه ننكسه بضم النون الاولى وتشديد
الكاف من التنكيس الباقون ننكسه بفتح النون الاولى وضم الكاف من
نكست الشيء انكسه نكسا فانا منكوس على رايسه فانتكس قال قتاده المعنى تعالى
انه يصير الى حال الهرم الذي يشبه حال الصبا وقال سفين في قوله ومن
نعمره ننكسه في الخلق اذا بلغ ثمانين سنه تغير جسمه وضعفت
قوته قال الشاعر من عاش اخلقت الايام جدته وخانه نصا السمع والبصر
وطول العمر يصير الشباب هرما والقوه ضعفا والزياده نقصا وهذا
هو الغالب وقد تعوذ صلى الله عليه وسلم من ان يرد الى ارذل العمر وقد
مضى في النحل بيانه افلا يعقلون اي من فعل هذا بكر قادر على بعثكم
وقد انا فمع وابن كثير وابن ذكوان تعقلون بالتا الباقون بالياء قوله تعالى
وما علمناه الشعر فيه اربع مسائل الاولى اخبر تعالى عن كمال
نبيه صلى الله عليه وسلم ورد قول من قال من الكفار انه شاعر وان
القرآن شعر بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وكذلك كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يقول الشعر ولا ينزنه وكان اذا جاول انشاد
بيت قديم متمثلا كسر وزنه وانما كان يجري المعاني فقط صلى
الله عليه وسلم من ذلك انه انشد يوما قول طرفه
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزوده بالاخبار

واسندوا ما وقد قيل له من اشعر الناس فقال الذي يقول

الم تر بانى للملاحيث طارقا وحدثها واذ لم تنم طبيبا

واسندوا ما اجعل نهبي وهب العبيد بن الابرص وعينيه

وقد كان عليه السلام ربما انشد البيت المستقيم الذي الفاد روى

انه انشد بفتح واحه

بيت لجاني حتفه عن فراشه اذا استقلت بالمشركين المضاجع

وقال الحسن بن ابي الحسن انشد النبي صلى الله عليه وسلم

لفي بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر رضي الله عنه

يا رسول الله انما قال الشاعر

هريره ودع ان جهزت لغاديا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال ابو بكر واشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه

الشعر وما ينبغي له وعن الخليل بن احمد كان شعر احب الي رسول

الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن لا يتاتي لاهل لتانيه

اصابته الوزن احيانا لا يوجب انه يعلم الشعر وكذلك ما ياتي احيانا

من نثر كلامه ما يدخل في وزن كقوله يوم حنين وغيره

هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فقد ياتي مثل ذلك

في ايات القرآن وفي كل كلام وليس كل ذلك بشعر ولا في معناه

كقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله نضر من

الله وفخ ترتيب وبشر المومنين وقوله وجفان كالجواب وقدور

راسيات الى غير ذلك من الايات وقد ذكر بن العدي منها ايات

وتكلم عليها واخرجها عن الوزن على ان ابا الحسن الاخفش قال في قوله

انا النبي لا كذب ليس بشعر وقال الخليل في كتاب العين ان ما جاء

من الشجع على جزء بن لا يكون شعرا وروي عنه انه ان منهوك الرجز وقد

قيل لا يكون منهوك رجزا الا بالوقف على البيت من قوله لا بد من قوله

عبد المطلب ولم يعلم كيف قاله النبي صلى الله عليه وسلم قال بن العربي

والاظهر من حاله انه قال لا كذب البيت مرفوعه وخفض اللياء من عبد المطلب

على الاضافه وقال الخاسر قال بعضهم انما الرواية بالاعراب واذا كانت

بالاعراب لم يكن شعرا الا اذا فتح الباء من البيت الاول او ضمها او نونها

وكسر الباء من البيت الثاني خرج عن وزن الشعر وقال بعضهم ليس هذا

الوزن من الشعر وهذا مكابرة العيان لان اشعار العرب على هذا قد رواها

الخليل وغيره واما قوله هل انت الا اصبع دميت فقيل انه من مخلع السريع

السريع وذلك لا يكون الا اذا كسرت التاء من دميت فان سكن لم يكن شعرا

قال الزجاج هاتان الكلمتان على هذه الصفه لا يدخلان في قول ولا يدخل في قول

في بحر السريع ولعل النبي صلى الله عليه وسلم قالهما سالما الا انه حرك

التاء من غير اشباع والمعول عليه في الانفصال على تسليم ان هذا شعر

وسيقطع الاعتراض ولا يلزم منه ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم عالما

بالشعر ولا شاعرا ان التمثل بالبيت البيت البدر وصاحبة القائلين من

الرجز وغيره لا يوجب ان يكون قايلها عالما بالشعر ولا سيما شاعرا

باتفاق العقلاء حتى ان من خاط خيطا لا يكون خياطا قال ابو اسحق

الزجاج معنى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان يكون شاعرا وهذا لا يمتنع ان ينشد شيئا من الشعر قال الخاسر وهذا من

احسن ما قيل في هذا وقد قيل انما حيز الله جل وعز انه ما علمه الله

الشعر ولم يجز انه لا ينشد شعرا وهذا الجاهد الظالم وقد قيل

فسيبويه يرى رأي صاحبه انه اجماع من اللغه وذلك انهم قالوا ادل

من قال قولا موزونا لا يقصد به الى شعر ليس بشعر وانما

فليس

وافق الشعر وهذا قول من قالوا وانما الذي نفاه الله عز ذكره
صلى الله عليه وسلم فهو العلم بالشعر واصنافه واعاريضه وقوافيه
والاحتجاج بقوله ولم يكن موصوفا بذلك بالاتفاق الا ترى ان
قريشا تراوضت فيما يقولون للعرب فيه اذا قدموا عليهم الموسم
فقال بعضهم نقول انه شاعر فقال اهل الفطنة منهم والله
لتكذبنكم العرب فانهم يعرفون اصناف الشعر فوالله ما يشبه
شيا منها وما قوله بشعر وقال انيس اخو ابي ذر لقد وضعت
قوله على اقراء الشعر فلم يلتئم انه شعر اخرجه مسلم وكان انيس
من اشعر العرب وكذلك قال عتبة بن ربيعة لما كلمه والله ما
هو بشعر ولا كهانة ولا سحر على ما ياتي بيانه من خبره في سورة
فصلت ان شاء الله تعالى وكذلك غيرهما من فصحاء العرب الحرباء
والكلثوم البلغاء ثم ان ما تحري على اللسان من موزون الكلام لا يعد
شعرا وانما يعد منه ما جرى على وزن الشعر مع القصد اليه فقد
يقول القايل حدثنا شيخ لنا وينادي يا صاحب الكساي ولا يعد
هذا شعرا وقد كان رجل ينادي في مرضه وهو من عروض القافية العقلا
اذهبوا بي الى الطبيب وقولوا فاكتوى لنا له روي بن القاسم
عن مالك انه سيل عن انشاد الشعر فقال لا احسن به فمن عيبه ان
الله يقول وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال ولقد بلغني ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كتب الى ابي موسى الاشعري ان اجمع الشعر
قبلك وسلهم عن الشعر وهل بقي معهم معرفة واحضر لبيدا
ذلك قال فجمعهم فسالهم فقالوا انا لنعرفه ونقوله وسال لبيدا
فقال ما قلت بيت شعر منذ سمعت الله عز وجل يقول الر ذلك
الكتاب لا ريب فيه قال ابن العربي هذه الاية ليست من عيب الشعر

كما لم يكن قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
من عيب الكتابة فلما لم تكن الامية من عيب الخط كذلك لا يكون
نفي النظم عن النبي صلى الله عليه وسلم من عيب الشعر روي ان المامون
قال لابي علي المنقري بلغني انك امي وانك لا تقيم الشعر وانك تلحن
فقال يا امير المؤمنين اما اللحن فربما سبق لساني منه شيء واما الامية
وكسر الشعر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقيم
الشعر فقال له سالتك عن ثلثة عيوب فيك فرددتني رابعا وهذا الجهل
يا جاهل ان ذلك كان للنبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وهو فيك وفي امثالك
نقيصة وانما منع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لئلا يظنه عنه لا لعيب
ذلك في الشعر والكتابة الرابعة قوله تعالى وما ينبغي له اي وما ينبغي
له ان يقوله وجعل الله جل وعز علما من اعلام نبيه صلى الله عليه وسلم
ليلا تدخل الشبهة على من ارسل اليه فيظن انه قوي على القرآن بما في طبعه
من القوة على الشعر ولا اعتراض لاحد على هذا بما يتفق في الوزن فيه من القرآن
وكلام الرسول لان ما وافق وزنه وزن الشعر لم يقصد به الى الشعر ليس
بشعر ولو كان شعرا لكان كل من نطق بموزون من العامة الذين لا يعرفون
الوزن شاعرا على ما تقدم بيانه وقال الزجاج معنى ما ينبغي له اي ما يتسهل
له قول الشعر لا الانشاد لان هو الاذكر اي هذا الذي نتلوه عليكم لا
ذكر وقرآن مبين قوله تعالى لينذر من كان حيا اي حي القلب
قاله قتادة الضحاك وقال وقيل المعنى لينذر من كان مومنا في علم الله
هذا على قراءة التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وهي قراءة نافع وابن عامر
وقرا الباقون بالياء على معنى لينذر الله جل وعز او لينذر محمد صلى الله عليه
وسلم او لينذر القرآن وروي عن ابن السميفع لينذر بفتح الياء والذال
ويحق القول على الكافرين اي ويجب الحجة بالقرآن على الكفرة قوله تعالى

اولم يروا انا خلقنا لهم هذه رؤية القلب اي اولم ينظروا ويعتبروا
ويتفكروا مما عملت ايدينا اي مما ابدعناه وخلقناه من غير
واسطة ولا وكالة ولا شركة وما بمعنى الذي وحذف العائد الطول
الاسم وان جعلت ما مصدرية لم تحتج الى اضمار العائد انعاما جمع
نعم والنعم مذكر فتم لها ما للكون ضابطون قاهرون ذللناها لهم
اي تسخرناها لهم حتى تعود الصبي الجمل العظيم ويضربه ويصرفه
كيف شاء لا يخرج من طاعته فمنها ركوبهم قراءة العامة بضم
الراء اي مركوبهم كما يقال ناقة حلوب اي محلوب وقرا الحسن
والاعمش بن المسبغ فمنها ركوبهم بضم الراء على المصدر وروي
عن عايشة انها قرات فمنها ركوبتهم وكذا في مصحفها والركوب
والركوبة واحد مثل الحلوب والحلوبة والحمول والحمولة وحكى الجوهري
الكوفيون ان العرب تقول امراة صبور وشكور بغير هاء ويقولون شاة
حلوبة وناقة ركوبة لانهم ارادوا ان يفرقوا بين ما كان له الفعل وبين
ما كان الفعل واقعا عليه فحذفوا الهاء مما كان فاعلا واثبتوها مما
كان مفعولا كما قال فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا لما فيه الغراب الاسحم
فيجب ان يكون على هذا ركوبتهم فاما البصريون فيقولون حذفت
الهاء على النسب والحجة للقول الاول ما رواه الجوبي عن ابي عبيدة قال
الركوبة تكون للواحد والجماعة والركوب لا يكون الا للجماعة فعلى
هذا يكون لتذكير الجمع وزعم ابو حاتم انه لا يجوز فمنها ركوبهم
بضم الراء كما تقول فمنها اكلهم ومنها شربهم ومنها ياكلون
من لحمها ولهم فيها منافع من اصوافها واوبارها واشعارها
وشحومها ولحومها وغير ذلك ومشارب يعني البانها ولم ينصرفا
لانهما من الجموع التي لا نظير لها في الواحد فلا يشكرون الله على نعمه

قوله تعالى واتخذوا من دونه الهة اي قدروا هذه الايات من
قدرتنا اتخذوا من دوننا الهة لا قدرة لها على فعل لعلهم ينصرون
اي لما يرجون نصرتها لهم ان نزل بهم عذاب ومن العرب من يقول اله
ان يفعل لا يستطيعون نصرهم يعني الالهة وجمعها بالواو والنون
لانه اخبر عنهم بخبر الادميين وهم يعني الكفار لهم اي للالهة جند
محضرون قال الحسن يمنعون منهم ويدفعون عنهم وقال غيره اي
يغضبون لهم في الدنيا وقيل المعنى انهم يعبدون الالهة ويعزمون بها
فهم لهم بمنزلة الجند وهي لا تستطيع ان تنصرهم وهذه الاقوال الثلاثة
متقاربة المعنى وقيل ان الالهة جند للعابدين محضرون معهم في النار
فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل معناه ولهذه الاصنام لهاؤلاء الكفار
جند الله عليهم في جهنم لانهم يلعنونهم ويتبرؤون من عبادتهم
وقيل الالهة جند لهم محضرون يوم القيامة لا عاينهم في ظهور لهم
وروي في الخبر انه يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا من دون
الله فيتبعونه الى النار فهم لهم جند محضرون في النار المصنف
رحمه الله ومعنى هذا الخبر قائم في صحيح مسلم من حديث ابي
هريرة وفي الترمذي عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله
الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين
فيقول الا ليتبع كل انسان ما كان يعبد فيمثل لصاحب الصليب
صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره
فيتبعون ما كانوا يعبدون وبقي المسلمون فذكر الحديث بطوله
فلا يحزنك قولهم هذه اللغة الفصيحة ومن العرب من يقول لحزنك
والمراد تسلية نبيه صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنك قولهم شاعر
ساحر فتم الكلام ثم استانف فقال انا نعلم ما يسرون من القول والعمل

وما يظهرون فيجازيهم بذلك قوله تعالى اولم ير الانسان قال
ابن عباس الانسان هو عبد الله بن أبي وقال سعيد بن جبير هو العاص
بن وايل السهمي وقال الحسن هو امية بن خلف وقال قتادة ومجاهد
هو أبي بن خلف الجمحي وقال ابن اسحق رواه بن وهب عن مالك انا خلقناه
من نطفة وهو البسير من الماء نطف اذا قطر فاذا هو خصيم مبين
اي مجادل في الخصومة مبين للحجة يريد بذلك انه صار بعد ان لم يكن
شيئا مذكورا خصيما مبينا وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بعظم حايل فقال يا محمد ترى الله يحيي هذا بعد ما رمّ فقال الله صلى الله
عليه وسلم نعم ويبعثك الله ويدخلك النار فنزلت هذه قوله تعالى
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه اي ونسي انا انشاناه من نطفة بينة
فركبنا فيه الحياة اي جوابه من نفسه حاضر ولهذا قال عليه السلام
ثم يجيبك الله ويدخلك النار ففي هذا دليل على صحة القياس لان الله
جل وعز احتج على منكري البعث بالنشاة الاولى قال من يحيي العظام
وهي رميم اي باليه رم العظم فهو رميم ورمّ وانما قال رميم ولم يقل
رمة لانها معدولة عن فاعلة وما كان معدولا عن وجهه ووزنه
كان مصروفا عن اعرابه كقولك كم وما كانت امك بغيا استغنى بها
لانها مصروفة عن باغية وقيل ان هذا الكافر قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ارايت ان سحقتها وذريتها في الرياح ايعيدها الله
فنزلت قل يحييها الذي انشاها اول مرة اي من غير شيء فهو قادر
على اعادته في النشاة الثانية من شيء هو عجم الذنب ويقال
عجب الذنب بالباء وهو بكل شيء عليم اي كيف بدئي ويعيد
الثانية في هذه الاية دليل على ان في العظام حياة وانها تحس
بالموت وهو قول ابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وقال

الشافعي لا حياة فيه وقد تقدم هذا في النحل فان قيل اراد بقوله
من يحيي العظام اصحاب العظام واقامة المضاف مقام المضاف اليه
كثير في اللغة موجود في الشريعة فانا انما يكون اذا احتيج لضرورة
وليس ها هنا ضرورة تدعو الى هذا الاضمار ولا يفتقر الى هذا
التقدير اذ الباري سبحانه قد اخبر به وهو قادر عليه والحقيقة
تشهد له فان الاحساس الذي هو علامة الحياة موجودة فيه
قاله ابن العربي قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا
نبه تعالى على حدانيته ودل على كمال قدرته في احياء الموتى بما
يشاهدونه من احراق الخشب اليابس من العود الندي الرطب وذلك
ان الكافر قال ان النطفة حاره رطبة بطبع الحياة فخرج منها الحياة
والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة فانزل الله
تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا اي ان الشجر الاخضر من الماء
والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان فاخرج الله منه النار
فهو القادر على اخراج الضد من الضد وهو على كل شيء قدير ويقال بالاية
ما في السرخ والعفار وفي زيادة العرب ومنه قولهم في كل شجر نار
واستحمد السرخ والعفار فالعفار الزند وهو الاعلى والسرخ الزندة
وهي الاسفل وكل منهما غصنان مثل المنشوكين تقطر ان ماء فاذا حك
بعضها الى بعض خرج منها النار وقال من الشجر الاخضر ولم يقل الخضر
وهو جمع لانه رده الى اللفظ ومن العرب من يقول الشجر الخضر كما قال
جل وعز من شجر من زقوم فمالئون منها البطون ثم قال تعالى محتجا اوليس
الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم اي امثال المنكرين
للبعث وقرا سلام بن السندر ويعقوب الخضر من يقدر على ان يخلق
مثلهم على انه فعل بلى اي ان خلق السموات والارض اعظم من خلقهم

فالذي خلق السموات والارض يقدر على ان يبعثهم وهو الخلاق العليم
وقرا الحسن اختلافا وعنه الخالق فقوله تعالى انما امره اذا اراد
شيا ان يقول له كن فيكون قرا الكسائي فيكونَ بالنصب عطفا على
يقول أي اذا اراد خلق شيء لا يحتاج الى تعب ومعالجه وقد مضى
هذا في غير موضع سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء نزه نفسه
تعالى عن العجز والشرك وملكوت وملكوتي في كلام العرب بمعنى
ملك والعرب تقول جبروتي خير من رحموتي وقال سعيد عن قتاده
ملكوت كل شيء مفاتيح كل شيء وقرا طلحة بن مصرف وابو هيثم التيمي والاعمش
مَلَكَةُ وهو بمعنى ملكوت الا انه خلاف المصحف واليه ترجعون
اي تردون وتصيرون بعد مماتكم وقرا العامه بالتاء على الخطاب
وقرا السلمي وزر بن حبيش واصحاب عبد الله يرجعون بالياء على الخبر
تمت السوره بحمد الله

سورة والصافات مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبحانه والصافات
صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا هذه قراة اكثر القراء وقرا
حمزه بالادغام فيهن وهذه القراة التي نفر منها احمد بن حنبل لِمَا
سمعها النحاس في بعيده في العربية من بلات جهات احداهن ان التاء لا تستقيم
من مخرج الصاد ولا من مخرج الزاي ولا من مخرج الذال ولا من اخواتهن وانما
اختاها الطاء والدال واخت الزاي الصاد والسين واخت الذال الظاء والثا
والجهة الثانيه ان التاء في كلمة وما بعدها في كلمة اخرى والجهة
الثالثه انك اذا ادغمت جمعت بين ساكنين من كلمتين وانما يجوز
الجمع بين ساكنين في مثل هذا اذا كان في كلمة واحده نحو دابة ويجاز
قراة حمزه ان التاء قريبة المخرج من هذه الحروف والصافات قسم الواو

بدل من الباء والمعنى برب الصافات والزاجرات عطف عليه
ان العرب لواحد جواب القسم واجاز الكسائي فتح ان في القسم
والمراد بالصافات وما بعدها الى قوله والتاليات ذكرا الملايكة
في قول ابن عباس وابن مسعود وعكرمه وسعيد بن جبير ومجاهد
وقتاده تصف في السما كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة وقيل تصف
اجنحتها في الهوا واقفة فيه حتى يامرها الله بما يريد وهذا كما
تقوم العبيد بين يدي ملوكهم صفوفا وقال الحسن صفا لصفوفهم
عند ربهم في صلاتهم وقيل هي الطير دليله قوله تعالى اولم يروا الى الطير
فوقهم صافات والصف ترتيب الجمع على خط كالصفي في الصلاة
والصافات جمع الجمع يقال جماعة صافة ثم تجمع صافات وقيل
الصافات جماعة الناس المومنين اذا قاموا صفا في الصلاة او في الجهاد
ذكره القشيري فالزاجرات زجرا الملايكة في قول ابن مسعود
وابن عباس ومسروق وغيرهم على ما ذكرنا اما لانها تزجر السحاب
وتسوقه في قول السدي واما لانها تزجر عن المعاصي وقال قتادة
هي زواجر القران فالتاليات ذكرا الملايكة تقرا كتب الله قاله ابن
مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي
وقيل المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع لانه كبير الملايكه
فلا يخلوا من جنوده واتباعه وقال قتاده المراد كل من تلا ذكر الله تعالى
وكتبه وقيل هي آيات القران صفا بالتلاوة كما قال ان هذا القران
يقص على بني اسرايل وجوز ان يقال لآيات القران تاليات لان بعض
الحروف يتبع بعضا ذكره القشيري ذكرا الصلوات ردي المراد
بالتاليات الانبيا يتلون الذكر على امتهم فان قيل ما حكم الفا اذا
جاءت عاطفة في الصفات قيل له اما ان تدل على ترتيب معانيها

تعالى؟

في الوجود كقوله يالهف زيابة للحرث فالصباح فالغانم فالآيب
كانه قال الذي صبح فغنم فآب واما على ترتيبها في التفاوت من بعض
الوجوه كقوله خذ الاكمل فالاكمل والاجمل الاحسن فالاحسن
واما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين
فعلى هذه القراءات الثلاث ينساق قاله الزمخشري ان المقسم به واحد
جواب القسم قال مقاتل ذلك ان الكفار بمكة قالوا أجعل الآلهة
الاها واحدا وكيف يسع هذا الخلق فرد إله فاقسم الله بها ولا
تشريفا ونزلت الآية قال ابن الانباري هو وقف حسن ثم تبتدي
رب السموات والارض على معنى هو رب السموات ويجوز
ان يكون رب السموات والارض خبر بعد خبر ويجوز ان يكون بدلا
من واحد قال الشيخ المصنف رحمه الله وعلى هذين الوجهين لا يوقف
على واحد وحتى الاخفش رب السموات ورب المشارق بالنصب
على النعت لاسم ان بين سبحانه معنى وحدانيته والوهيته وكمال
قدرته بانه رب السموات والارض وخالقهما ومالكهما وما
بينهما ورب المشارق اي مالك مطلع الشمس ابن عباس للشمس كل
يوم يوم مشرق ومغرب وذلك ان الله تعالى خلق للشمس ثلث مائة
وخمسة وستين كوة في مطلعها ومثلها في مغربها على عدد ايام
السنة الشمسية تطلع في كل يوم في كوة منها وتغيب في كوة
لا تطلع في تلك الكوة الا في ذلك اليوم من العام المقبل ولا تطلع الا
وهي كارهة فتقول رب لا تطلعني على عبادك فاني اراهم يعصونك
ذكر ابو عمر في كتاب التمهيد وابن الانباري في كتاب الرد عن عكرمة
قال قلت لابن عباس ارايت ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في امية
بن ابي الصلت آمن شعره وكفر قلبه قال هو حق فما انكرتم من ذلك

قلت انكرنا قوله والشمس تطلع كل اخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد
ليست بطالعة لهم في رسلها الا معذبة والا مجلدة
ما بال الشمس تجلد فقال والذي نفسي بيده ما طلعت شمس قط
حتى يخسف بها سبعون الف ملك فيقولون لها اطلعي طلعي فتقول
لا اطلع على قوم يعبدونني من دون الله فيأتيها ملك فيستقبل وجهها
بني ادم فيأتيها شيطان يريد ان يصدها عن الطلوع فتطلع بين قرنيه
فيحرقه الله تعالى بحرها وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما طلعت الا بين قرني شيطان ولا غربت الا بين قرني شيطان ما غربت
قط الا خرت لله ساجدة فيأتيها شيطان يريد ان يصدها عن السجود
فتغرب بين قرنيه فيحرقه الله تعالى بحرها فذلك قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا غربت الا بين قرني شيطان لفظ ابن الانباري وذكر
عن عكرمة عن ابن عباس قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
امية بن ابي الصلت في هذا الشعر
رجلة ثم رجلت رجل يمنه والنسر للاخرى ليث مرصد
والشمس تطلع كل اخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد
ليست بطالعة لهم في رسلها الا معذبة والا مجلد
قال عكرمة فقلت لابن عباس ما معنى اجلد الشمس قال انها اعظم
المروي الى الجلد لكنها تخاف العقاب وذكر المطالع على المغارب
ولهذا لم يذكر المغارب وهو كقوله سرابيل تقيكم الحر وخص
المشارق بالذكر لان الشروق قبل الغروب وقال في سورة الرحمن رب
المشرقين ورب المغربين اراد بالمشرقين اقصى مطلع تطلع منه
الشمس في الايام الطوال واقصر يوم في الايام القصار على ما تقدم
في سورة والله اعلم قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب

قال قتادة خلقت النجوم لثلث رجوما للشياطين ونورا يهتدي بها
وزينة لسما الدنيا وقرأ مسروق والاعمش والنخعي وعاصم وحمزه
بزينة مخفوض منون الكواكب خفض على البدل من الزينه لانها هي
وقرأ ابو بكر كذلك الا انه نصب الكواكب باضمار الذي هو زينه
والمعنى بان زينا الكواكب فيها ويجوز ان يكون منصوبا باضمار
اعني كانه قال انا زينا ها بزينه اعني الكواكب وقيل هو بدل من زينه
على الموضع ويجوز بزينة الكواكب بمعنى بان زينتها الكواكب او بمعني
هي الكواكب الباقون بزينة الكواكب على الاضافة والمعنى زينا السما
الدنيا بتزيين الكواكب او بحسن الكواكب ويجوز ان يكون كقراءه من نون
الا انه حذف التنوين استخفافا وحفظا مصدر اي حفظناها حفظا
من كل شيطان مارد لما اخبر ان الملايكة تنزل بالوحي من السما بين انه
حرس السما عن استراق السمع بعد ان زينها بالكواكب والمارد
العاتي من الجن والانس والعرب تسميه شيطانا فقوله تعالى
لا يسمعون الى الملا الاعلى قال ابو حاتم اي لان لا يسمعون ثم حذف ان فرفع
الفعل والملا الاعلى اهل السما الدنيا فما فوقها وسمي الكل منهم اعني
بالاضافة الى ملاء الارض الضمير في يسمعون للشياطين وقرا
جمهور الناس يسمعون بسكون السين وتخفيف الميم وقرا حمزه وعاصم
في رواية حفص لا يسّمعون بتشديد السين والميم من التسمع
وينتفي على القراءه الاولى سماعهم وان كانوا يستمعون وهو المعنى
الصحيح ويعضده قوله انهم عن السمع لمعزولون وينتفي على القراءه
الاخيره ان يقع منهم استماع او سماع قال مجاهد كانوا يتسمعون ولا
كذا لا يسمعون وروي عن ابن عباس لا يسمعون الى الملا فالهم لا يسمعون
ولا يستمعون واصل يسمعون يتسمعون فادغمت التا في السين

لقربها منها واختارها ابو عبيد لان العرب لا تكاد تقول سمعت
اليه وتقول تسمعت اليه ويقذفون من كل جانب اي يرمون
من كل جانب اي بالشهب دحورا مصدر لان معنى يقذفون
يدحرون دحرته دحرا ودحورا اي طردته وقرا السلمي
ويعقوب الحضرمي دحورا بفتح الدال ويكون مصدرا على فعول
واما القراء فقدره على انه اسم الفاعل اي يقذفون بما يدحرهم
اي يدحور ثم حذف الباء والكوفيون يستغلون بهذا كثيرا
تقول الديار دولت تحوجوا واختلف هل كان هذا القذف قبل
البعثة او بعده لاجل البعثة على قولين وجاءت الاحاديث
بذلك على ما بانى نذكرها في سورة الجن عن ابن عباس وقد يمكن
الجمع بينهما ان يقال ان الذين قالوا لم تكن الشياطين ترمى بالنجوم
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم رميت اي لم تكن ترمى
رميا يقطعها عن السمع ولكنها كانت ترمى رميا ولا ترمى
رميا وترمى من جانب ولا ترمى من جانب ولعل الاشارة بقوله
تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الى هذا
المعنى هو انهم كانوا لا يقذفون الا من بعض الجوانب فصاروا يرمون
واصبا واما كانوا من قبل كما تجيء منه من الانس يبلغ الواحد
منهم حاجته ولا يبلغها غيره ويسلم واحد ولا يسلم غيره بل يقبض
عليه ويعاقب وينكل فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وزيد
في حفظ السما واعدت له شهب لم تكن من قبل لم يدحروا عن
جميع جوانب السما ولا يقدروا في مقعد من المقاعد التي كانت
لهم منها فصاروا لا يقدرون على سماع شيء مما يجري فيها الا ان
يختطف احد منهم لخفة حركته خطفة فيتبعه شهاب

ثاقب قبل ان ينزل الى الارض فيلقيه الى اخوانه فيحرقه فبطلت
من ذلك الكهانة وحصلت الرسالة والنبوة فان قيل اذا كان هذا
القدف انما كان لاجل النبوة فلم دام بعد النبي صلى الله عليه وسلم
فالجواب انه دام بدوام النبوة فان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر ببطلان الكهانة فقال ليس منا من تكهن فلو لم تحرس بعد
موته لعادت الجن الى تسمعها وعادت الكهانة ولا يجوز
ذلك بعد ان بطل لان قطع الحراسة عن السما اذا وقع لاجل
النبوة فعادت الكهانة دخلت الشبهة على ضعفا المسلمين
ولهم من يظن ان الكهانة انما عادت لتنافي النبوة فصح
ان الحكمة تقتضي دوام الحراسة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم
وبعد ان توفاه الله الى كرامته ،، ولهم عذاب واصب اي دايم
عن مجاهد وقتاده وقال ابن عباس شديد الكلم والسدي وابو
صالح موجع اي الذي يصل وجعه الى القلب ماخوذ من الوصب
وهو المرض الا من خطف الخطفة استثنا من قوله ويقذفون
من كل جانب وقيل الاستثنا يرجع الى غير الوحي لقوله تعالى
انهم عن السمع لمعزولون فيسترق الواحد منهم شيا مما
يتخاوض فيه الملايكة مما سيكون في العالم قبل ان يعلمه
اهل الارض وهذا الخطف لجساد الشياطين فيرجمون بالشهب
حينيذ وروي في هذا الباب احاديث صحاح مضمونها ان الشياطين
كانت تصعد الى السما فتقعد للسمع واحدا فوق واحد بتقدم
الاجسر نحو السما ثم الذي يليه ثم الذي يليه فيقضي الله تعالى
الامر من امر الارض فيتحدث به اهل السما فيسمعه منهم الشيطان
الادنى فيلقيه الى الذي تحته فربما احرق شهاب وقد لا يلحقه
فيحرقه

ورسالة فحرقه على ما بيناه فتنزل تلك الكلمة الى الكهان فيكذبون
معها ماية كذبة وتصدق تلك الكلمة فيصدق بها الذين سمعوا من
كما بيناه في الانعام فلما جا الله بالاسلام حرست السما بشدة
فلا يفلت شيطان سمع بتة والكواكب الراجمة هي التي رماها
الناس بنقض قال القفال رحمه الله وليست بالكواكب الجارية
في السما لان تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها
منا وقد مضى في هذا الباب في سورة الحجر من البيان ما فيه كفاية
وذكرنا في سبا حديث ابي هريرة وفيه والشياطين بعضهم
فوق بعض وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح وفيه عن ابن
عباس وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى اوليايهم
فما جاوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يحرفونه ويزيدون قال
هذا حديث حسن صحيح والخطف اخذ الشي بسرعة خَطِفَ وخَطَفَ
وخَطِفَ وخِطِفَ والاصل في المشددات اختطف فادغم التا
في الطا لانها اختها وفتحت الخا لان حركة التا القيت عليها ومن
كسرها فلالتقا الساكنين ومن كسر اليا اتبع الكسر الكسر
فاتبعه شهاب ثاقب اي مضي قاله الضحاك والحسن وغيرهما
وقيل المراد كواكب النار تتبعهم حتى تستظهر في البحر وقال
ابن عباس في الشهب قال تحرقهم من غير موت وليست الشهب
التي يرجم بها من الكواكب الثوابت يدل على ذلك رؤية حركاتها
والثابتة تجري لا ترى حركاتها لبعدها وقد مضى هذا وجمع
شهاب شُهُبٌ والقياس في القليل أَشْهِبَة وان لم يسمع من
العرب وثاقب معناه مضي قاله الحسن ومجاهد وابو مجلز
ومنه قوله وزندك اثقب ان زادها اي اضوا وحكى الاخفش

في الجمع شُمْتٌ ثُقْبٌ وثُواقِبُ وثِقابٌ وحكى الكسائي ثَقِبَتِ
النارُ تَثْقَبُ ثَقابةً وثُقُوبًا اذا اتَّقَدَتْ واثْقَبْتُها انا وقال زيد
بن اسلم في الثاقب انه المستوقد مرّ لهم اثْقِبْ زِندَكَ اي استوقد
نارك وقاله الاخفش وانشد قول الشاعر

بينا المرءُ شهابٌ ثاقبٌ ضرب الدهر سناه فخمد

قوله تعالى فاستفتهم اهم اشدُّ اي سلهم يعني اهل مكة
ماخوذ من استفتا المفتي اهم اشد خلقا ام من خلقنا قال مجاهد
اي من خلقنا من السموات والارض والجبال والبحار وقيل يدخل
فيه الملائكة ومن سلف من الامم الماضية وقد هلكوا وهم
اشد خلقا منهم نزلت في ابي الأشد بن كلدة سمي بذلك لشدته
لشدة بطشه وقوته وسياتي في البلد ذكره ونظير هذه الخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله انتم اشد خلقا ام
السما انا خلقناها من طين لازب اي لاصق قاله ابن عباس ومنه
قول علي رضي الله عنه

تعلم فان الله زادك بسطةً وخلقا وخيرا كلما لك لازب

وقال قتادة وابن زيد معنى لازب لازق الماء ردي والفرق بين اللاصق
واللازق ان اللاصق هو الذي قد لصق بعضه ببعض واللازق هو الذي
يلتزق بما اصابه وقال عكرمة لازب لزج سعيد بن جبير اي جيد
حريلصق باليد مجاهد لازب لازم والعرب تقول طين لازب
ولازم تبدل الباء من الميم ومثله قولهم لاثب ولاثم على بدل الباء من
الميم واللازب الثابت تقول صار الشيء ضربة لازب وهو افصح
من لازم قال النابغة ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون
الشر ضربة لازب وحكى الفراء عن العرب طين لازب بمعنى لازم

والى لازب الثابت تقول منه لَزِبَ يلزَبُ لَزَبًا ولُزُوبًا مثل ذَهَبَ
يذهَبُ بالضم لُزُوبا وانشد ابو الجراح في اللازب

فان يك هذا في نبيذ شربته فاني من شرب النبيذ لتائب
صداع وتوصيم العظام وفترة وغم مع الاشواق في الحوباء

واللازب ايضا اللاصق مثل اللازب عن الاصمعي حكاه الجوهري
وقال السدي والكلبي في اللازب انه الخالص مجاهد والصحاك هو المنتن
قوله تعالى بل عجبت ويسخرون قراه اهل المدينة واهل الشام
وعاصم بفتح التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم اي بل عجبت مما
نزل عليك من القرآن وهم يسخرون به وهي قراءة شريح وان الله تعالى
لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم وقيل المعنى بل عجبت من انكارهم
البعث وقرا الكوفيون الا عاصما بضم التاء واختارها ابو عبيد
والفراء وهي مروية عن علي بن مسعود رواه شعبة عن الاعمش عن
ابي وايل عن عبد الله بن مسعود انه قرا بل عجبت بضم التاء وروي عن ابن
عباس قال الفراء في قوله سبحانه بل عجبت ويسخرون قراها الناس بنصب التاء
التاء ورفعها والرفع الي انها عن علي وعبد الله وابن عباس قال ابو زكريا الفراء
العجب ان اسند الى الله جل وعز فليس معناه من الله كمعناه من العباد
وكذلك قوله الله يستهزئ بهم ليس ذلك من الله كمعناه من العباد
وفي هذا بيان الكسر لقول شريح حيث انكر القراءة بها روى جرير عن
الاعمش عن ابي وايل شقيق بن سلمة قال قرا عبد الله يعني ابن مسعود
بل عجبت ويسخرون قال شريح لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم
قال الاعمش فذكرته لابراهيم فقال ان شريحا كان يعجبه رايه وان عبد الله
كان اعلم من شريح وكان يقرا بها عبد الله بن عجبت قال الفراء وقال
بعض الايمة معنى قوله بل عجبت بل جازيتهم على عجبهم لان الله تعالى

عنهم في غير موضع بالتعجب من الحق فقال وعجبوا ان جاءهم
منذر منهم وقال لذهذا شيء عجاب اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل
منهم فقال تعالى بل عجبت بل جازتهم على التعجب قال الشيخ المصنف
رحمه الله وهذا تمام معنى قول الفراء اختاره البيهقي وقال علي بن سليمان
معنى القراءتين واحد والتقدير قل يا محمد بل عجبت لان النبي صلى الله
عليه وسلم مخاطب بالقرآن الخاسر وهذا قول حسن واضمار
القول كثير البيهقي والاول اصح المهدوي ويجوز ان يكون اخبار
الله عن نفسه بالتعجب محمولا على انه ظهر من امره وسخطه على من
كفر به ما يقوم مقام التعجب من المخلوقين كما يحمل اخباره تعالى عن
نفسه بالضحك لمن رضي عنه على ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه
وسلم على انه اظهر له من رضاه عنه ما يقوم له مقام الضحك من المخلوقين
مجازا واتساعا قال المهدوي ويقال معنى عجب ربكم اي رب
وأثاب فسماه عجبا وليس بعجب في الحقيقة كما قال تعالى ويمكرون ويمكر
الله معناه ويجازيهم الله ومثله في الحديث عجب ربكم من الكم
وقنوطكم وقد يكون التعجب بمعنى وقوع ذلك العمل عند الله عظيما
فيكون معنى قوله بل عجبت اي بل عظم فعلهم عندي قال البيهقي ويشبه
ان يكون هذا معنى حديث عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يعجب ربك من شاب ليست له صبوة
وكذلك ما خرجه البخاري؟

على مكرهم ا

قال البيهقي وقد يكون المعنى في هذا الحديث وما ورد من امثاله
انه يعجب ملائكته من كرامته ورافته بعباده حين حملهم على الايمان

به بالقتال والاسر في السلاسل حتى اذا امنوا ادخلهم الجنة وقيل معنى
بل عجبت بل انكرت حذاء النقاش وقال الحسين بن الفضل التعجب من
الله انكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب وقد جاء في الخبر عجب ربكم
من ألكم وقنوطكم ويسخرون قيل الواو واو الحال اي عجبت منهم
في حال سخريتهم وقيل ثم الكلام عند قوله بل عجبت ثم استانف فقال
ويسخرون اي ما عجبت به اذا تلوته عليهم وقيل ويسخرون منك
اذا دعوتهم قوله تعالى واذا ذكروا اي وعظوا بالقرآن في قول
قتادة لا يذكرون ولا ينتفعون به وقال سعيد اذا ذكر لهم ما حل
بالمكذبين من قبلهم اعرضوا عنه ولم يتدبروا واذا رأوا اية اي معجزة
يستسخرون اي يسخرون في قول قتادة ويقولون انها سحر واستسخر
وسخر بمعنى مثل استقر وقر واستعجب وعجب وقيل يستسخرون
اي يستدعون السخرية من غيرهم وقال المجاهد يستهزؤن وقيل اي يطعنون
ان تلك الاية سخرية وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي اذا عجزوا عن مقابلة
المعجزات قالوا هذا سحر وتخييل وخداع أبدا مشنا اي بعثت اباؤنا
دخلت ألف الاستفهام على حرف العطف وقرأ نافع أو اباؤنا بسكون
الواو وقد مر هذا في قوله أو امن اهل القرى قوله تعالى قل نعم
اي نعم تبعثون وانتم داخرون اي صاغرون اذلاء لانهم اذا رأوه وقوع
ما انكروه فلا محالة يذلون وقيل اي مستقرو القيامة وان كرهتم فهو
امر واقع على رغمكم وان انكرتموه اليوم برغمكم فانما هي زجرة
واحدة اي صيحة واحدة قاله الحسن وهي النفخة الثانية وسميت
الصيحة زجرة لان مقصودها الزجر اي زجر بها كزجر الابل والخيل
عند السوق فاذا هم قيام ينظرون اي ينظر بعضهم الى بعض وقيل
الى الغير ينظرون ما يفعل بهم وقيل هو مثل قوله فاذا هي شاخصة ابصار

به بالقتال

الذين كفروا وقيل اي ينظرون الى البعث الذي انكروه قوله تعالى
وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين قد وقفوا على انفسهم بالويل لانهم يوقنون
بحلول ما حل بهم وهو منصوب على انه مصدر عند البصريين وزعم
الفراء ان تقديره ياوى لنا ووى بمعنى حزن الخاسر ولو كان كما قال
لكان منفصلا وهو في المصحف متصل ولا نعلم احدا يكتبه الا متصلا
ويوم الدين يوم الحساب وقيل يوم الجزاء هذا يوم الفصل الذي كنتم
به تكذبون قيل هو من قول بعضهم لبعض اي هذا اليوم الذي كنا نبابه
وقيل هو من قول الله تعالى لهم وقيل من قول الملائكة اي هذا يوم الحكم
بين الناس فميز المحق من المبطل ففريق في الجنة وفريق في السعير
قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم هو من قول الله
تعالى للملائكة اي احشروا المشركين وازواجهم اي اشباههم
في الشرك والشرك الظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم
فيحشر الكافر مع الكافر قاله قتادة وابو العالية وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه في قول الله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم
قال الزاني مع الزانية وشارب الخمر مع شارب الخمر وصاحب السرقة
مع صاحب السرقة وقال ابن عباس وازواجهم اي اشباههم وهذا
يرجع الى القول الاول وقيل وازواجهم نساؤهم الموافقات على الكفر
قاله مجاهد والحسن ورواه النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب
وقال الضحاك وازواجهم قرناؤهم من الشياطين وهذا قول مقاتل
ايضا يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة وما كانوا يعبدون
من دون الله اي من الاصنام والشياطين وابليس داعوهم الى الضلالة
الجحيم اي سوقوهم الى النار وقيل فاهدوهم اي دلوهم يقال هديته
الى الطريق وهديته الطريق اي دللته عليه واهديت الهدية

وهديت العروس ويقال اهديتها اي جعلتها بمنزلة الهدية قوله
تعالى وقفوهم انهم مسئولون وحي عيسى بن عمر أنهم بفتح الهمزة
قال الخليل اي لانهم وبانهم يقال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت
هي وقوفا ولا يتعدى اي احبسوهم وهذا يكون قبل السوق الى الجحيم وفيه
تقديم وتاخير اي قفوهم للحساب ثم سوقوهم الى النار وقيل يساقون
الى النار ولا يحشرون للسؤال اذا قربوا من النار انهم مسئولون عن اعمالهم
اقوالهم وافعالهم قاله القرظي والكلبي الضحاك عن خصايام ابن
عباس عن لا اله الا الله وعنه ايضا عن علم الخلق في هذا كله دليل
على ان الكافر يحاسب وقد مضى في الحجر الكلام فيه وقيل سؤالهم ان
يقال لهم الم يأتكم رسل منكم اقامة للحجة ويقال لهم مالكم لا تناصرون
على جهة التقريع والتوبيخ اي ينصر بعضهم بعضا فيمنعه من عذاب
الله وقيل هو اشارة الى قول ابي جهل يوم بدر نحن جميع منتصر واصله
متناصرون فطرحت احدى التائين تخفيفا وشدد البزي التاء في
الوصل قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال قتادة مستسلمون
في عذاب الله جل وعز عن عباس خاضعون ليلوذ الحسن منقادون
الاخفش يلقون ايديهم والمعنى متقاربة واقبل بعضهم على بعض
يعني الرؤساء والاتباع يتساءلون يخاصمون ويقال لا يتسالون فسقطت
لا التخفيف وانما غلط الجاهل باللغة فتوهم ان هذا من قوله فلا انساب
بينهم يومئذ ولا يتساءلون انما هو لا يتساءلون الارحام فيقول احدهم
اسألك بالرحم التي بيني وبينك لما شفعتني واسقطت لي حقك
علي أو وهبت لي حسنة وهذا بين لان قبله فلا انساب بينهم اي
ليس ينتفعون بالانساب التي بينهم كما جاء في الحديث ان الرجل
ليشفع فان يصح له على ابيه او على ابنه حق فيأخذه منه لانها الحسنات

والعرب؟

ومساء وفي حديث آخر رحم الله مرأ كان لأخيه عنده مظلمة
من مال او عرض فاتاه فاستحله قبل ان يطالبه فياخذ من حسناته
فان لم تكن له حسنات زيد عليه من سيئات المطلوب ويتساءلون
ها هنا انما هو ان يسئل بعضهم بعضا ويبحث في انه اضله او فتح
له بابا من المعصية بعين ذلك او بعده انكم كنتم تاتوننا عن اليمين
قال مجاهد هو قول الكفار للشياطين قياده هو قول الانس للجن قيل
هو من قول الاتباع للمتبوعين دليله قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول الآية قال سعيد
عن قتاده اي تاتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها وعن ابن عباس
نحوه منه وقيل تاتوننا عن اليمين التي تحبها وتتفاءل بها لتخدعنا
بذلك من جهة النصح تتفاءل بها جاءت عن اليمين وتسميه السانح
وقيل تاتوننا عن اليمين تاتوننا بحق من اذا حلف لنا صدقناه وقيل
تاتوننا من قبل الدين فتموهون علينا امر الشريعة وتنفرونا عنها
قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا القول حسن جدا لان من جهة
الدين يكون الخير والشر واليمين بمعنى الدين اي كنتم تزينون لنا الضلالة
وقيل اليمين بمعنى القوة اي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر قال الله تعالى
فراغ عليهم ضربا باليمين اي بالقوة وقوة الرجل في يمينه وقال الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

اي بالقدرة والقوة وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد تاتوننا عن اليمين
اي من قبل الحق انه معكم وكله متقارب المعنى قالوا بل لم تكونوا
مومنين وال قتاده هذا قول الشياطين لهم وقيل من قول الدهماء
اي لم تكونوا مومنين قط حتى ينقلكم منه الى الكفر بل كنتم على الكفر
فاقمتم عليه للالف والعادة وما كان لنا عليكم من سلطان اي

من حجة في ترك الحق بل كنتم قوما طاغين اي ضالين متجاوزين الحد
فحق علينا قول ربنا هذا ايضا من قول المتبوعين اي وجب علينا
وعليكم قول ربنا فكلنا ذائقوا العذاب كما كتب الله واخبر في
السنة الرسل لا ملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا موافق
للحديث ان الله جل وعز كتب للنار اهلا وللجنة اهلا لا يزاد فيهم
ولا ينقص منهم فاغويناكم اي زينا لكم ما كنتم عليه من الكفر انا كنا
غاوين بالوسوسة والاستدعاء ثم قال اخبارا عنهم فانهم يومئذ
في العذاب مشتركون اي المتبوع والتابع كذلك اي مثل هذا الفعل
نفعل بالمجرمين اي المشركين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله
يستكبرون اذا قيل لهم قولوا فاضمر القول ويستكبرون في
موضع نصب على خبر كان ويجوز ان يكون في موضع رفع على انه
خبر ان وكان ملغاة ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي
طالب عند موته واجتماع قريش قولوا لا اله الا الله تملكوا بها
العرب وتدين لكم بها العجم ابوا وانفوا من ذلك وقال ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل الله في كتابه قد ذكر قوما
استكبروا فقال انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
وقال اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل
الله سكينته على رسوله وعلى المومنين والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها وهي لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر
عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على قضية المدة دون هذا الخبر البيهقي والذي قبله
القشيري قوله تعالى ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر
مجنون رد الله عليهم فقال بل جاء بالحق يعني القرآن والتوحيد

اي بقول شاعر مجنون؟

وصدق المرسلين فيما جاؤا به من التوحيد انكم لذائقوا العذاب
الاليم الاصل لذايقون فحذفت النون استخفافا وخففت للاضافة
ويجوز النصب كما انشد سيبويه

فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا

واجاز سيبويه المقيمي الصلاة على هذا وما تجزون الا ما كنتم تعملون
اى الا ما عملتم من الشرك الا عباد الله المخلصين استثنا منقطع ذوق
العذاب وقرأ اهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام يعني الدين (وقرأ)
اخلصهم الله لطاعته ودينه ولايته الباقون بكسر اللام اى
الدين اخلصوا لله العبادة وقيل هو استثنا منقطع اى انكم ايها
المجرمون ذايقوا العذاب لاكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب
قوله تعالى اولئك لهم رزق معلوم يعني المخلصين اى لهم
عطية معلومة لا تنقطع قال قتادة يعني الجنة وقال غيره يعني
رزق الجنة وقيل هي الفواكه التي ذكر قال مقاتل حين يشتهونه
وقال ابن السايب انه بمقدار الغداة والعشي قال الله تعالى لهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا فواكه جمع فاكهة قال الله تعالى
وامددناهم بفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها قاله ابن
عباس وهم مكرمون اى لهم اكرام من الله تعالى برفع الدرجات
وسماع كلامه ولقايه في جنات النعيم اى في بساتين يتنعمون
فيها وقد تقدم ان الجناز يسبع في سوره يونس منها النعيم قوله
تعالى على سرر متقابلين قال عكرمة ومجاهد لا ينظر بعضهم
في قفا بعض تواضعا وتحابا وقيل الاسره تدور كيف شاؤا اذا
يريد احد قفا احد وقال ابن عباس على سرر مكللة بالدر والياقوت
والزبرجد السرير ما بين صنعا الى الجابية وما بين عدن الى ايله

وقيل تدور باهل المنزل الواحد قوله تعالى يطاف عليهم بكاس
من معين لما ذكر طعامهم ذكر شرابهم والكاس عند اهل اللغة
اسم شامل لكل اناء مع شرابه فان كان فارغا فليس بكاس
قال الضحاك والسدي كل كاس في القران فهي الخمر والعرب تقول
للاناء اذا كان فيه خمر كاس فاذا لم يكن فيه خمر قالوا اناء وقدح
الكاس وصفه بما يتقرب به من اهل اللغة ان العرب تقول للقدح
اذا كان فيه خمر كاس فاذا لم يكن فيه خمر فهو قدح كما يقال
للخوان اذا كان عليه طعام مايدة فاذا لم يكن عليه طعام لم يقل
له مايدة قال ابو الحسن بن كيسان ومنه طعينة للهودج اذا
كانت فيه المراة وقال الزجاج بكاس من معين اى من خمر تجري
كما تجري العيون على وجه الارض والمعين الماء الجاري الظاهر
بيضا صفة للكاس وقيل للخمر لذة للشاربين قال الحسن
خمر الجنة اشد بياضا من اللبن لذة قال الزجاج اى ذات لذة كحذف
المضاف وقيل هو اسم اي بياض الزبد يقال شراب لذ ولذيذ مثل
نهات غض وغضيض فاما قول القايل

ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدي من خشية الحدثان

فانه يريد الخمر وقيل بيضا اى لم يعتصرها الرجال باقدامهم
لا فيها غول اى لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع
ولا هم عنها ينزفون اى لا تذهب عقولهم يشربها يقال للخمر غول
للحلم والحرب غول للنفوس اى تذهب بها ويقال نزف الرجل
ينزف فهو منزوف وفي تذفيف اسكر قال ابو القيس

واذا هي تشي كمشي الذبيف يصرعه بالكثيب النقر قال ابن
تذيف اذا قامت لاجله تمايلت تواشي الفواد الرخص الاغن

وقال اخر فلثمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج
وقال حمزه والكسائي بكسر الزاي من انزف القوم اذا حان منهم
النزف وهو السكر كما يقال احصد الزرع اذا حان حصاده
واقطف الكرم اذا حان قطافه واركب المهر اذا حان ركوبه
وقيل المعنى لا ينفدون شرابهم لانه دائم يقال انزف الرجل فهو
منزوف اذا فنيت خمره قال الخطيئة
لعمري لئن نزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا
الخاسر والقراءة الاولى ابين واصح في المعنى لان معنى ينزفون عند
جلة اهل التفسير منهم مجاهد لا تذهب عقولهم فنفى الله جل
وعز عن خمر الجنة الافات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع
والسكر ومعنى ينزفون الصحيح فيه انه يقال انزف الرجل اذا
نفد شرابه وهو بعيد ان يوصف به شراب الجنة ولكن مجازه
ان يكون معنى لا ينفد ابدا وقيل لا ينزفون بكسر الزاي لا يسكرون
ذكره الزجاج وابو علي على ما ذكره القشيري في المعدوي فلا
يكون معناه يسكرون لان قبله لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم
فيكون تكريرا ويسوغ ذلك في الواقعة ويجوز ان يكون معنى
لا فيها غول لا يصدعون فيكون معنى ولا هم عنها ينزفون لا يسكرون
ولا ينفد شرابهم قال فيه الغول وجع البطن وعن ابي وائل
ابن الحجيج عن مجاهد لا فيها غول قال لا فيها وجع بطن الحسن
صداع وهو قول ابن عباس لا فيها غول لا فيها صداع وحكى
الضحاك عنه انه قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع
والقيء والبول فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال
مجاهد ابن كيسان مضر وهذه الاقوال متقاربة قال

الكلبي لا فيها غول اي اثم كخمره ولا هم عنها يؤفكون اي لا ياثمون وقال الشعبي
والسدي وابو عبيدة لا تغتال عقولهم فتذهب بها ومنه قول الشاعر
وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالاول الاول
اي تصرع واحدا واحدا وانما صرف الله تعالى السكر عن اهل الجنة
ليلا ينقطع الالتذاذ عنهم بنعيمهم وقال اهل المعاني الغول فساد
يلحق في خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره في خفية
ومنه الغول اغتاله والقتل اغتيالا اذا افسد عليه امره في
خفية ومنه الغول الغيل وهو القتل خفية قوله تعالى
وعندهم قاصرات الطرف اي نساء قد قصرن طرفهن على ازواجهن
فلا ينظرن الى غيرهم قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغيرهم
ويؤيد هذا التفسير قراءة عكرمة قاصرات الطرف بكسر سينات على ازواجهن
والتفسير الاول ابين لانه ليس في الآية مقصورات ولكن في موضع
آخر مقصورات يأتي بيانه وقاصرات ماخوذ من قولهم قد اقتصر
على كذا اذا اقتنع به وعدل عن غيره قال امرؤ القيس
من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا
ويروى فوق الخد والاول ابلغ والاتب القميص والمحول الصغير من
الذر وقال مجاهد ايضا معناه لا يقدرن غير ازواجهن على النظر اليهن
عينا قاله السدي مجاهد عين حسان العيون الحسن الشديدات
بياض العين الشديدات سوادها والاول اشهر في اللغة يقال رجل
اعين واسع العين بين العين والجمع عين واصله فعل بالضم فلسرت
العين لما انقلب الواو ياء ومنه قيل لبقر الوحش عين والثور اعين
والبقرة عيناء كأنهن بيض نعام تكنفها النعامة بالريش من البرد والغبار فلونه

ابيض في صفره وهو احسن الوان النساء وقال ابن عباس وابن جبير والسدي
شيء من البيض قبل ان يقشر وتمسه الايدي وقال عطا شبيه
بالنحا الذي يكون من القشرة العليا ولباب البيض ونحوه قول الطبري
قال هو القشر الرقيق الذي على البيضة من ذلك وروي نحو ذلك عن النبي
صلى الله عليه وسلم والعرب تشبه المراة بالبيضة لصفائها وبياضها
قال امرؤ القيس وبيضة خدر لا يرام خباؤها منعت من لهو بها غير محجل
وتقول العرب اذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة كانه بيض النعام
المغطى بالريش وقيل المكنون المصون عن الكسر اي انهن حذاري
وقيل المراد بالبيض اللؤلؤ كقوله تعالى وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون
اي في اصدافه قاله ابن عباس ايضا ومنه قول الشاعر

وهي بيضا مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

وانما ذكر المكنون والبيض جمع لانه رد النعت الى اللفظ قوله
تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يتفاوضون فيما بينهم
احاديثهم في الدنيا وهو من تمام الانس في الجنة وهو معطوف على
معنى يطاف عليهم المعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة
الشراب قال بعضهم وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام
فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا
الا انه جيء به ماضيا على عادة الله تعالى في اخباره قوله تعالى
قال قائل اي من اهل الجنة انى كان لي قرين اي صديق وهو ازم يقول اينك
لمن المصدقين اي بالبعث والجزاء وقال سعيد بن جبير قرينه شريكه
وقد مضى في الكهف ذكرهما وقصتهما والاختلاف في اسميهما
مستوفى عند قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين وفيما انزل الله
جل وعز قال قائل منهم انى كان لي قرين اي من الكافرين وقيل اراد

بالقرين قرينه من الشياطين كما ان موسى سئل به انكار البعث وفي
اينك لمن المصدقين بتشديد الصاد رواه علي بن نجدة عن سليم
عن حمزة قال النحاس ولا يجوز اينك لمن المصدقين لانه لا معنى للصدق
ها هنا وقال القشيري وفي قراءة عن حمزة اينك لمن المصدقين بتشديد
الصاد واعترض عليه بان هذا من التصديق لا من التصدق والاخراص
باطل لان القراءة اذا ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مجال للطعن
فيها فالمعنى اينك لمن المصدقين بالمال طلبا في ثواب الاخرة ايذا
متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمدينون اي مجزيون محاسبون بعد الموت
فقال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون الى النار لننظر كيف حال ذلك
القرين وقيل هو من قول الملائكة وليس هذا انتم مطلعون باستفهام
انما هو بمعنى الامر اي اطلعوا قاله ابن الاعرابي وغيره ومنه لما نزلت
اية الخمر قام عمر قائما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع راسه
الى السماء ثم قال يا رب بيانا اشفى من هذا في الخمر فنزلت فهل انتم
منتهون قال فنادى عمر انتهينا يا ربنا انتهينا يا ربنا وقرا ابن عباس
هل انتم مطلعون باسكان الطاء خفيفة فاطلع بقطع الالف مخففة
على معنى هل انتم مقبلون فاقبل قال النحاس فاطلع فراه فيه قولان
احدهما ان يكون فعلا مستقبلا اي فاطلع انا ويكون منصوبا على
انه جواب الاستفهام والقول الثاني ان يكون فعلا ماضيا ويكون
اطلع وأطلع واحدا قال الزجاج يقال طلع واطلع واطلع بمعنى واحد
وقد حكي هل انتم مطلعون بكسر النون وانكره ابو حاتم وغيره
النحاس وهو لحن ولا يجوز لانه يجمع بين النون والاضافة ولو كان
مضطرا لكان هل انتم مطلعي وان كان سيبويه والقراء قد حكيا
مثله وانشدهم القابلون الخير والمعروفه اذا ما خشوا من محدث

وانشد الفرّاء الفاعلونه وانشد سيبويه وحده
ولم يرتفق والناس محتضرونه وهو اسناد خارج عن كلام العرب
وما كان مثل هذا لم يحتج به في كتاب الله جل وعز ولا يدخل في الفصيح
وقد قيل في توجيهه انه اجرى اسم الفاعل مجرى المضارع لقربه منه
فجرى مطلعون ذكره ابو الفتح عثمان بن جني وانشد
ارايت ان جئت به املودا مرجلا ويلبس البرودا
اقابلين احضروا الشهودا فجرى اقابلين مجرى اذلّ قال ابن عباس
في قوله هل انتم مطلعون فاطلع فراه ان في الجنة لكوى ينظر اهلها منها
الى النار واهلها وكذلك قال كعب فيما ذكر ابن المبارك قال ابن زيد
الجنة والنار كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدو كان له في الدنيا
اطلع من بعض الكوى قال الله تعالى فاطلع فراه في سواء الجحيم اي في وسط
النار والحسك حواليه قاله ابن مسعود ويقال تحت حتى يقطع سواي
وعن قتادة قال قال بعض العلماء لولا ان الله جل وعز عرّفه اياه لما عرفه
لقد تغير حِبَرَه وسِبَرَه فعند ذلك يقول تالله ان كدت لتردين
ان مخففة من الثقيلة دخلت على كاد كما تدخل على كان ونحوه
ان كاد ليضلنا واللام بين الفارقة بينهما وبين النافية ولولا نعمة
ربي لكنت من المحضرين في النار وقال الكسائي لتردين اي لتهلكني
والردي الهلاك وقال الصرد لو قيل لتردين لتوقعني في النار لكان جائزا
ولولا نعمة ربي اي عصمته وتوفيقه ما استمساك بعروة الاسلام
والبراءة من القرين السوء وما بعد لولا مرفوع بالابتداء عند سيبويه
والخبر محذوف ولكنت من المحضرين قال الفراء اي لكنت معك في النار محضرا
واحضر لا يستعمل مطلقا الا في الشر قاله الماوردي قوله
تعالى افما نحن بميتين وقرئ بما بميتين والهمزة في افما للاستفهام

دخلت على فا العطف والمعطوف محذوف ومعناه نحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين ولا معذبين الا موتتنا يكون استثنا ليس من الاول
ويكون مصدرا لانه منعوت وهو من قول اهل الجنة لا بكة حين
يذبح الموت ويقال يا اهل الجنة خلود لا موت وقيل هو من قول المؤمن
على جهة التحديث بنعمة الله في انهم لا يموتون ولا يعذبون اي هذه حالنا
وصفتنا وقيل هو من قول المؤمن توبيخا للكافر لما كان بصفة من البعث
وانه ليس الا الموتة في الدنيا ثم قال المؤمن مشيرا الى ما هو فيه ان هذا لهو
الفوز العظيم يكون هو مبتدأ وما بعده خبره فيه والجملة جائز ان يجوز
ان يكون هو فاصلا لمثل هذا فليعمل العاملون لجمل ان يكون من كلام المؤمن
اما رأي ما اعد الله له في الجنة وما اعطاه قال لمثل هذا العطاء والفضل
فليعمل العاملون بخير ما قال له الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا
ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى ذكره من قول الله جل
وعز لاهل الدنيا اي قد سمعتم ما في الجنة من الخيرات والجزا ولمثل هذا
الجزا فليعمل العاملون وتقدير الكلام والله اعلم فليعمل العاملون لمثل
هذا فان قال قائل الفا في العربية تدل على ان الثاني بعد الاول فكيف صار ما بعدها
ينوي به التقديم فالجواب ان التقديم مثل التاخير لان حروف
الخفض وما بعدها ان تكون متاخرة قوله تعالى اذلك خير
مبتدأ وخبر وهو من قول الله عز وجل نزلا على البيان والمعنى انعيم
الجنة خير نزلا ام شجرة الزقوم خير نزلا والنزل في اللغة الرزق الذي
له سعة النحاس وكذا النُّزُل والنَّزْل الا انه يجوز ان يكون النزل
بإسكان الزاي لغة ويجوز ان يكون اصله النزل ومنه اقيم للقوم نزلهم
واشتقاقه انه الغذا الذي يصلح ان ينزلوا معه ويقيموا فيه وقد مضى هذا
في سورة ال عمران وشجرة الزقوم مشتقة من التزقم وهو البلع على

جمد لكراهتها ونشها قال المنسوزي في الباب السادس وانها
تحيي بلهب النار خلافا لحيي الشجر ببرد الماء فلا بد لاهل النار من ان يحدر
اليها من كان فوقها فيالدن منها وكان يصعد اليها من كان اسفل
واختلف فيها هل هي من شجر الدنيا التي تعرفها العرب ام لا على قولين
احدهما انها معروفة من شجر الدنيا ومن قال بهذا اختلفوا فيها فقال
قطرب انها شجرة مرة تكون بتهامة من اخبث الشجر وقال غيره
بل هو كل نبات قاتل القول الثاني انها لا تعرف في شجر الدنيا فلما نزلت
هذه الاية في شجرة الزقوم قال كفار قريش ما نعرف هذه الشجرة فقدم
عليهم رجل من افريقيه فسالوه فقال لهم عندنا الدبدو التمر فقال ابو جهل
اكثر الله في بيوتنا الزقوم فقالوا ابو جهل الجارية زقمينا فاتته بدبد
وتمر ثم قال لاصحابه تزقموا هذا الذي يخوفنا به محمد يزعم ان النار تنبت
الشجر والنار تحرق الشجر قوله تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين
اي للمشركين وذلك انهم قالوا كيف تكون في النار شجرة وهي تحرق الشجر
وقد مضى هذا في سبحان واستخفافهم في هذا القول لهم في قول الله تعالى
عليها تسعة عشر ما الذي يحصر هذا العدد حتى قال بعضهم انا
اكفيكم منهم كذا واكفوني الباقين فقال الله تعالى والملئكة الا لاختبار
وكان هذا القول منهم جهلا اذ لا يستحيل في العقل ان خلق الله في
النار شجرا من جنسها لا تاكله النار كما خلق الله فيها الاغلال والقيد
والحيات والعقارب وخزنه النار وقيل هذا الاستبعاد الذي وقع
للكفار هو الذي وقع الان للملحده حتى حملوا الجنة والنار على نعيم
او عقاب تتخيله الارواح وحملوا وزن الاعمال والصراط والحوض
والقلم على معاني زوروها في انفسهم دون ما فهمه المسلمون
من موارد الشرع واذا ورد خبر الصادق بشيء وهو ممكن في العقل

قالوا اجب تصديقه وان جاز ان يكون له تاويل ثم التاويل في موضع
اجماع المسلمين على انه تاويل باطل لا يجوز والمسلمون مجمعون على
الاخذ بهذه الاشياء من غير مصير الى علم الباطن وقيل انها فتنة
اي عقوبة للظالمين كما قال وقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون
قوله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي قعر النار ومنها
منشاها ثم في متفرعة في جهنم طلعها ثمرها سمي طلعها الطلوعه
كانه رؤس الشياطين قيل هي الشياطين انفسها لما رأوا شبهها برؤسهم
لقبحهم ورؤس الشياطين متصور في النفوس وان كان غير مرئي ومن
ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان ولكل صورة حسنة
هو كصورة ملك ومنه قوله تعالى مخبرا عن صواحب يوسف ما
هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم هذا التشبيه تخييلي بوحي وهناه
عن عباس والقرظي ومنه قول امرئ القيس مسنونة زرق كانياب اغوال
وان كانت الغول لا تعرف لكن لما تصور من قبحها في النفوس وقد قال الله
تعالى شياطين الانس والجن فمردة الانس شياطين مزينه وفي الحديث
الصحيح ولكان نخلها رؤس الشياطين وقد ادعى كثير من العرب
رؤيه الشياطين والغيلان وقال النحاج والفرا الشياطين حيات
لها رؤس واعراف وهي من اقبح الحيات واخبثها واخفها جسما قال
الراجز وقد تشبه العراة نخبة لها عرف وغير تخلف حين احلف كمثل
شيطان الحماط اعرف الواحده حماطة والاعرف الذي له عرف وقال
الشاعر يصف ناقته تلاعب مثنى حضرمي كانه نعيح شيطان بدي خروع قفر
التعيح الاعوجاج في السير وسهم هوج يتلوى في رميه والخروع
الحبه اذا تلوت في مدها وقال يصف زمام الناقة تلاعب مثنى حضرمي
البيت وقيل انما شبه ذلك بنبت قبيح في اليمن يقال له الاستن

وحذلك ؟

معان الربعي ؟

المعنى

قد الملائكة عليهم السلام

والشيطان قال النحاس وليس ذلك معروفا عند العرب الزمخشري
هو شجر خبيث منتن مر منكر الصورة تسمى ثمره رؤس الشياطين
النحاس وقيل الشياطين ضرب من الحيات قباح قاتم لا كلون منها
فما يلون منها البطون فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل رزق اهل الجنة
وقال في الحاشية ليس لهم طعام الا من ضريع وسيأتي ان لهم
عليها لشربا اي بعد الاكل من الشجرة من حميم الشوب الخلط والشوب
والشوب لغتان كالفقر والفقر والفتح اشهر قال الفراء شاب لحامه
وشرابه اذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبا وشابة فاخبر انه يشاب
لهم والحميم الماء الحار ليكون اشنع قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع
امعاءهم السدي يشاب لهم الحميم بغساق اعينهم وصديد من قيحهم
ودمايهم وقيل يسقى لهم الزقوم والحميم يجمع لهم بين مرارة الزقوم
وحراره الحميم تغليظا لعذابهم وتجديدا لبلايهم ثم ان مرجعهم لا الى
الجحيم قيل ان هذا يدل على انهم كانوا حين اكلوا الزقوم في عذاب
في غير النار ثم يردون اليها وقال مقاتل الحميم خارج الجحيم فهم
يوردون الحميم ليشربه ثم يردون الى الجحيم لقوله تعالى هذه جهنم التي
يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن وقرا بن مسعود
تران منقلبهم لا الى الحميم قال ابو عبيده يجوز ان يكون ثم بمعنى الواو
القشيري واهل الحميم في موضع من جهنم على طرف منها قوله
تعالى انهم الفوا اباهم ضالين اي صادفوهم كذلك فاقتدوا بهم
فهم على اثارهم يهرعون اي يسرعون عن قتادة وقال مجاهد كهيئة
الهرولة قال الفراء الاهراع الاسراع برعده وقال ابو عبيده يهرعون
يستحثون من خلفهم ونحوه قول الصيد قال الاهراع المستحث يقال
جاء فلان يهرع الى النار اذا استحثه البرد اليها وقيل يزعجون من شدة

لسوط ٢

الاسراع قاله المفضل الزجاج يقال هرع واهرع اذا استحث وازعج
قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين اي من الامم الماضية ولقد
ارسلنا فيهم منذرين اي رسلا انذروهم العذاب فكفروا فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين اي آخر امرهم الا عباد الله المخلصين اي الذين
استخلصهم الله من الكفر وقد تقدم قبل هو استثنا من المنذرين
وقيل هو من قوله ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين قوله تعالى ولقد
نادانا نوح من النداء الذي هو استغاثه ودعا قيل مسئلة هلاك قومه
فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فلنعم المجيبون قال
الكسائي اي فلنعم المجيب نحن فحذف نون نا واهله يعني اهل دينه وهم
من امن معه وكانوا ثمانين على ما تقدم من الكرب العظيم وهو الغرق
وجعلنا ذريته هم الباقين قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة
مات من معه من النساء والرجال الا ولده وسماه الله تعالى قوله وجعلنا
ذريته هم الباقين وقال سعيد بن المسيب كان ولد نوح ثلثة والناس
كلهم من ولد نوح فسام ابو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى
وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب السند والهند والنوب
والزنج والحبشة والقبط وبربر وغيرهم ويافث ابو الصقالبة
والترك والابر والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك وقال قوم
كان لصلب ولد نوح ايضا نسل بدليل قوله تعالى في ذرية من حملنا مع
نوح وقوله قلنا يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن
معك ثم يمسهم منا عذاب اليم فعلى هذا معنى الاية وجعلنا
ذريته هم الباقين دون ذرية من كفر فانا اغرقنا اولئك قوله
تعالى وتركنا عليه في الاخرين اي تركنا عليه ثنا حسنا في
كل امة فيحب الي الجميع حتى ان في المجوس من يقول انه افريدون

فانه

وروي معناه عن مجاهد وغيره وزعم الكسائي ان فيه تقديم احدهما
وتركنا عليه في الاخرين يقال سلام على نوح اي تركنا عليه هذا الثنا
الحسن وهذا مذهب ابي العباس المبرد اي تركنا عليه هذه الكلمة
باقية يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي
كقوله سورة انزلناها والقول الاخر ان يكون المعنى وابقينا عليهم
وتم الكلام ثم ابتدأ فقال سلام على نوح اي سلامة له من ان يذكر بسوء
في الاخرين قال الكسائي وفي قراءة ابن مسعود سلاما منصوب
بتركنا اي تركنا عليه ثناء حسنا سلاما وقيل في الاخرين اي في امة محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل في الانبياء اذ لم يبعث بعده نبي الا امر بالاقتدا
به قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا وقال سعيد
بن المسيب وبلغني انه من قال حين يسمع سلام على نوح في العالمين لم
تلدغه عقرب ذكره ابو عمر في التمهيد وفي الموطأ عن خوله بنت
حكيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نزل منزلا فليقل اعوذ
بكلمات الله التامات من شر ما خلق فانه لن يضره شيء حتى يرتحل
وفيه عن ابي هريرة ان رجلا من اسلم قال يا رسول الله لقد لدغتني عقرب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي شيء فقال لدغتني عقرب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انك لو قلت حين امسيت اعوذ
بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك قوله تعالى انا
كذلك نجزي المحسنين اي نبقي عليهم الثنا الحسن والكاف في موضع
نصب اي جزاء كذلك انه من عبادنا المؤمنين هذا بيان احسانه
قوله تعالى ثم اغرقنا الاخرين اي من كفر وجمعه آخرون والاصل
فيه ان يكون مع من الا انها حذفت لان المعنى معروف ولا يكون اخرا
الا وقبله شيء من جنسه وثم ليست للتراخي ها هنا بل هو لتعديد النعم

قوله او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين امنوا اي ثم اخبركم اني قد
اغرقت الاخرين وهم الذين تأخروا عن اصحاب الايمان قوله تعالى
وان من شيعته لابراهيم قال ابن عباس اي من اهل دينه وقال مجاهد
اي على منهاجه وسننه قال الاصمعي الشيعة الاعوان وهو ماخوذ
من الشياع وهو الحطب الصغار الذي يوقد مع الكبار حتى يستوقد
وقال الكلبي والفراء المعنى ان من شيعة محمد لابراهيم فالهاء في شيعته
على هذا لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى الاول لنوح وهو الصحيح لانه هو
المذكور اولا وانما كان بين نوح وابراهيم نبيان هود وصالح وكان بين
نوح وابراهيم الفان ستمائة واربعون سنة حكاه الزمخشري قوله
تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اي مخلص من الشرك والشك وقال
عوف الاعرابي سالت محمد بن سيرين ما القلب السليم قيل الناصح لله
جل وعز في خلقه وذكر الطبري عن غالب القطان وعوف وغيرهما
عن محمد بن سيرين انه كان يقول للحجاج مسكين ابو محمد ان عذبه
الله فذنبه وان غفر له فهنيئا له وان كان قلبه سليما فقد اصاب
الذي يحب من هو خير منه قال عوف فقلت لمحمد ما القلب السليم قال
ان يعلم ان الله حق وان الساعة قائمة وان الله يبعث من في القبور
وقال هشام عن محمد فكان ابي يقول لنا يا بني لا تكونوا لعانين ان
تروا الى ابراهيم لم يلعن شيئا قط فقال اذ جاء ربه بقلب سليم ويحتمل
مجيئه الى ربه وجهين احدهما عند دعائه الى قومه وطاعته
الثاني عند الكناية في النار اذ قال لابيه وهو ازر وقد مضى الكلام
فيه وقوله ماذا تعبدون يكون ما في موضع رفع بالابتداء وذا
خبره ويجوز ان يكون ما وذا في موضع نصب بتعبدون افكا
نصب على المفعول به بمعنى تريدون افكا قال المبرد والافك اسوأ

الكذب و هو الذي لا يثبت و يضطرب و منه اشتقت بهم
الارض الهة بدل من افك دون الله تريدون لاي تعبدون و تجوزان
يكون حالا معنى تريدون الهة من دون الله افكين فما ظنكم برب
العالمين اي ما ظنكم به اذا لقيتموه و قد عبدتم غيره فهو تحذير
مثل قوله ما غرك بربك الكريم و قيل المعنى لاي شيء تو همتموه حتى
اشركتم به غيره قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني
سقيم قال زيد عن ابيه ارسل اليهم ملكهم ان غدا عيدنا
فاخرج معنا فنظر الى النجوم طالع فقال انى هذا يطلع معي سقمي و كان
علم النجوم مستعملا عندهم منظورا فيه فاوهمهم هو من ذلك الجهة
و اراهم من معتقدهم عذرا لنفسه و ذلك انهم كانوا اهل عافية
و فلاحة و هاتان العيشتان تحتاج فيهما الى نظر في النجوم قال
ابن عباس كان علم النجوم من النبوة فلما حبس الله تعالى الشمس
عن يوشع بن نون ابطل ذلك فنظر ابراهيم فيها علما نبويا و حكى جويبر
عن الضحاك ان علم النجوم كان باقيا الى زمان عيسى عليه السلام حتى
دخلوا عليه في موضع لا يطلع عليه فقالت لهم مريم ما ان علمتم بموضعه
قالوا من النجوم فدعا ربه عند ذلك فقال اللهم فو هبهم فيها
يعلم علم النجوم لاحد فصار حكمها في الشرع محظورا و علمها في الناس
مجهولا قال الكلبي و كانوا بقرية بين البصرة و الكوفة يقال لها
ترمز مزجرد و كانوا ينظرون في النجوم فهذا قول و قال الحسن المعنى
انهم لما كلفوه الخروج معه تفكر فيما يعمل فالمعنى على هذا انه نظر
فيما خيل له من الراي اي فيما طلع له منه فعلم ان كل حي يسقم فقال
اني سقيم الخليل و السبر يقال للرجل اذا فكر في الشيء بدبره نظر
في النجوم و قيل كانت الساعة التي دعوه الى الخروج معهم فيها

في علمها؟

ساعة

ساعة تعتاده فيها الحمى و قيل المعنى فنظر فيما نجم من الاشياء فعلم
ان لها خالقا و مدبرا و انه يغير كتغيرها فقال اني سقيم و قال الضحاك
معناه سأسقم سقم الموت لان من كتب عليه الموت يسقم في
الغالب ثم يموت و هذا توريه و تعريض كما قال للملك لما سأله
عن سارة هي اختي يعني اخوة الدين قال ابن عباس و ابن جبير و الضحاك
ايضا اشار الى امر آتي مرض و سقم يعدي كالطاعون و كانوا يفرون
من الطاعون لذلك تولوا عنه مدبرين اي فارين منه خوفا من
العدوى و روى الترمذي الحكيم حدثنا ابي قال حدثنا عمرو بن حماد
عن اسباط عن السدي عن ابي مالك و ابي صالح عن ابن عباس و عن مرة
عن السدي عن ابن مسعود قال قال ابراهيم ان لنا عيدا لنخرجن
معنا لا عجبن عيدنا فلما كان يوم العيد خرجوا اليه و خرج معهم
فلما كان ببعض الطريق الفى نفسه و قال اني سقيم اشتكى رجلي
فوطئوا رجله و هو صريع فلما مضوا نادى في اخرهم و تالله لاكيدن
اصنامكم قال ابو عبد الله و هذا ليس بمعارض لما قال ابن عباس و ابن
جبير لانه يحتمل ان يكون قد اجتمع له امران قال الشيخ المصنف
رحمه الله و في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم لم يكذب ابراهيم
النبي عليه السلام الا ثلث كذبات الحديث و قد مضى في سورة الانبياء
و هو يدل على انه لم يكن سقيما و انما عرض لهم و قد قال عز و جل انك ميت
و انهم ميتون و المعنى اني سقيم فيما استقبل فتوهموا هم انه سيقيم
الساعة و هذا من معاريض الكلام على ما ذكرنا و منه المثل السائر
كفى بالسلامة داء و قول لبيد

فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء

و قد مات رجل فجاة فالتفت اليه الناس و قالوا مات و هو صحيح

فقال اعرابي اصبح من الموت في عنقه فابرهيم صادق لكنه لما
كان الانبيا لقرب محلهم و اصطفايهم عدد هاذا دنا و لهذا
قال الذي اطمع ان يغفر لي خطيني يوم الدين و قد مضى هذا كله مبينا في
سوره و الحمد لله و قيل اراد سقيم النفس لكفرهم و النجوم يكون جمع نجم
و يكون واحدا مصدرا قوله تعالى فراغ الى الهتهم قال السدي
ذهب اليهم و قال اين ملك حا اليهم و قال قتاده مال اليهم و قال الكلبي
اقبل عليهم و قيل عدل و المعنى متقارب راغ يروغ روغا و روغانا اذا مال
و طريق رايغ اي مايل و قال الشاعر

و يريك من طرف اللسان حلاوة و يروغ عنك كما يروغ الثعلب

فقال الاتاكلون فخاطبها كما يخاطب من يعقل لانهم انزلوها بتلك
المنزله و كذا مالكم لا تنطقون قيل كان بين يدي الاصنام طعام تركوه
لياكلوه اذا رجعوا من العيد و انما تركوه لتصيبه بركة اصنامهم
بزعمهم و قيل تركوه للسدنة و قيل قرب هو لها طعاما على جهة
الاستهزاء فقال الاتاكلون مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا
باليمين خص الضرب باليمين لانها اقوى و الضرب بها اشد قال
الضحاك و الربيع بن انس و قيل اراد باليمين اليمين التي حلفها
حين قال و تالله لاكيدن اصنامكم و قال الفرا و ثعلب ضربا بالقوه
و اليمين القوه و قيل بالعدل و اليمين ها هنا العدل فالعدل لليمين و الجور
للشمال الا ترى ان العدو عن الشمال و المعاصي عن الشمال و الطاعه
عن اليمين لذلك قال انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الطاعات
فاليمين هو موضع العدل من المسلم و الشمال موضع الجور الا ترى
انه بايع الله بيمينه يوم الميثاق فالبيعة باليمين فلذلك يعطي
كتابه غدا بيمينه لانه في البيعة و يعطا الناكث للبيعة

الهاء

روغا و

اليها

الهاء بوقبته من الله بشماله لان الجور هناك فقوله فراغ عليهم
ضربا باليمين اي بذلك العدل الذي كنت بايع الله عليه يوم
الميثاق ثم قاله هاهنا فجعلتك الاوثان جذاذا اي قطعا كالجذيذ
و هي السويق و ليس من قبيل القوه قاله الترمذي الحكيم فاقبلوا اليه يزفون

بن يزيد

قوا حمزه يزفون بضم الياء الباقون بفتحها اي يسرعون قاله المبرد
قتاده و السدي يمشون و قيل المعنى يمشون بعضهم على بعض امنين
ان يصيب احدا منهم بضر و قيل المعنى يتسللون تسللا بين المشي
و العدو و منه زفيف النعامه و قال الضحاك يسعون و حكي عن ابن سلام
يرعدون غضبا و قيل يختالون و هو مشي الخيلا قاله مجاهد و منه اخذ
زفاف العروس الى زوجها و قال الفرزدق

و جا قريع الشول قبل فصالها يزف و جات خلفه و هي زفف

و من قرا يزفون فمعناه يزفون غيرهم اي يحملونهم على التزفيف و على هذا
فالمفعول محذوف قال الاصمعي ازففت الابل اي حملتها على الزفيف
و قيل هما لغتان يقال في القوم و ازفوا و زففت العروس و ازففتها و ازففتها
بمعنى و الزفة الجفة التي تزف فيها العروس حكى ذلك عن الخليل النحاس

يا

يزفون ضم زعم ابو حاتم انه لا يعرف هذه اللغة و قد عرفها جماعة من
العلما منهم الفرا و شبهها بقولهم اطردت الرجل اي صيرته الى ذلك
و طردته نحيته و انشد هو و غيره

تمنى حصين ان يسود و خداعة فامسى حصين قد اذل و اوهرا

اي صيرا الى ذلك فذلك يزفون مصيرون الى الزفيف قال محمد بن يزيد
الزفيف الاسراع و قال ابو اسحاق الزفيف اول عدو النعام و قال ابو حاتم
و زعم الكسائي ان قوما قرؤا فاقبلوا اليه يزفون خفيفه من زفزف
مثل و زززن و زال النحاس فهذه حكاية ابي حاتم و ابو حاتم لم يسمع من الكسائي

شيا وروى الفراء هو صاحب الكسائي عن الكسائي انه لا يعرف يزفون بخفة
قال الفراء انا لا اعرفها قال ابو اسحق فنعرفها نحن يزفون ويزفزفون اذا اسرع
قال النحاس ولا نعلم احدا قرأ يزفون قال الشيخ المصنف رحمه الله هي قراءة
عبد الله بن يزيد فيما ذكر المهدوي والزمخشري يزفون على البناء المفعول
ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزف بعضا لنشاطهم اليه
وذكر الثعلبي عن الحسن ومجاهد بن السميفع يزفون بالدال وضعف
النعام وهو ركض بين المشي والطيران قوله تعالى قال اتعبدون
ما تنحتون فيه حذف اي قال لهم منكرا عليهم اتعبدون
ما تنحتون اي تعبدون اصناما انتم تنحتونها بايديكم والنحت نحت الخشب
والبري نحته بتحتّه بالكسر نحتا اي براه والنحاته البراية والمنحت
ما ينحت به والله خلقكم وما تعملون ما في موضع نصب اي وخلق ما
تعملونه من الاصنام يعني الخشب والحجارة وغيرها كقوله بل ربكم
رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل انها استفهام ومعناه
التحقير لعلمهم وقيل هي بمعنى والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه
والاحسن ان تكون مع الفعل مصدرا والتقدير والله خلقكم وعملكم
وهذا مذهب اهل السنة ان الافعال خلق لله عز وجل واكتساب للعباد
وفي هذا ابطال مذاهب القدرية والجبرية وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله خالق كل صانع وصنعته ذكره الثعلبي وخرجه
البيهقي من حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله عز وجل صنع كل صانع وصنعته فهو الخالق وهو الصانع سبحانه
وقد بينا هما في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى قوله
تعالى قالوا ابنوا له بنيانا اي تشاوروا في امره لما غلبهم بالحجة
حسب ما تقدم في الانبياء بيانه فقالوا ابنوا له بنيانا فاملؤه حطبا

فتضرموه ثم القوه فيه وهو الجحيم قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة
طوله في السماء ثلثون ذراعا وملؤه نارا وطرحوه فيها وقال عبد الله
بن عمرو بن العاص فلما صار في البنيان قال حسبي الله ونعم الوكيل والالف
واللام في الجحيم تدل على الكناية اي في جحيمها اي في جحيم ذلك البنيان
وذكر الطبري انه قيل ذلك اسمه المبرز رجل من اعراب فارس وهم
الترك وهو الذي جاء في الحديث بينما رجل يمشي في حلة له يتبختر فيها
تخسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة فاراد وا به كيدا اي
بابراهيم والكيد السعي احتالوا لاهلاكه فجعلناهم الاسفلين المقهورين
المغلوبين اذ نفذت حجته من حيث ارادوا منعهم دفعها ولم ينفذ فيه
حرهم ولا كيدهم قوله تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين
رب هب لي من الصالحين فيه مسئلتان الاولى في هذه الاية اصل في الهجرة
والعزلة واول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام وذلك حين خلصه
الله من النار قال اني ذاهب الى ربي فانه سيهدين فمضى حتى نزل بحران
قال مقاتل هو اول من هاجر من الخلق مع لوط وساره الى الارض المقدسة
وهي ارض الشام وقيل اذاهب بعلمي وعبادتي وقلبي ونيتي فعلى هذا
تدوم به العمل بالبدن وقد مضى بيان هذا في الكهف مستوفى
وعلى الاول الهجرة الى الشام وبيت المقدس وقيل خرج الى حران
فاقام بها مدة ثم قيل قال ذلك لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخا
لهم وقيل قاله لمن هاجر معه من اهله فيكون ذلك منه ترغيبا
وقيل قال هذا قبل القائه في النار وفيه على هذا القول اشكال لان احدهما
ان ذاهبا الى ما قضاه علي ربي الثاني ان من مات قد ذهب الى الله تعالى لانه عليه السلام تصور انه يموت بالقائه في النار
على المعهود من حالها في تلف ما يلقى فيها الى ان قيل لها كوني بردا وسلاما

فجيئ سلم ابرهيم منها وفي قوله سيهدين على هذا القول تأويلان
احدهما سيهدين الى الخلاص منها الثاني الى الجنة وقال سلمان بن صرد
وهو ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لما ارادوا القاء ابرهيم في النار
جعلوا يجمعون له الحطب فجعلت المراة العجوز تحمل على ظهرها وتقول
اذهب به الى هذا الذي يذكر الهتنا فلما ذهب به ليطرح في النار قال
اني ذاهب الى ربي فلما طرح في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل
فقال الله يا نار كوني بردا وسلاما فقال ابو لهب وكان ابن عمه اني الا
لاحرقه من اجل قرابته مني فارسل الله عنقا من نار فاحرقته

في الاصل
سيهدين

نجز السفر الثاني عشر من التفسير بحمد الله وعونه على يد العبد
الفقير الى عفو الله تعالى عبد المغيث بن عبد القهر بن اسحق بن ابي بكر
الانصاري الخزرجي وذلك في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضا
المعظم قدره احد شهور سنه سبع وثلاثين وسبعمايه
احسن الله العاقبه امين يتلوه ان شاء الله تعالى
التائبه قوله تعالى رب هب لي من الصالحين
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين
كلما ذكره الذاكرون وغفل عنه الغافلون ولا حول ولا قوه الا بالله العلي ا